

(٦٩٩)

أكلة اللحم الميت

(المغتابون)

أحكام ومواعظ

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٤هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"(١٧) – كتَاب الأمُور المَنهي عَنْهَا

٢٥٤ – باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ **لَحْمَ أَخِيهِ** مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢]، وقال تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦]، وقال تَعَالَى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتيدٌ﴾ [ق: ١٨].

اعْلَمْ أنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَميعِ الكَلامِ إلاَّ كَلاَمًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَى اسْتَوَى الكَلاَمُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلاَمُ المُبَاحُ إِلَى حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، والسَّلاَمَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.." (١)

"وإياك وغيبة القراء المرائين، وهو: أن تفهم المقصود من غير تصريح، فتقول: أصلحه الله فقد ساءني وغمني ما جرى عليه فنسأل الله تعالى أن يصلحنا وإياه!. فإن هذا جمع بين خبيثين، أحدهما: الغيبة إذا حصل به التفهم، والآخر: تزكية النفس والثناء عليها بالتجريح لغيرك والصلاح لنفسك، ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله الدعاء، فادع له في السر، وإن اغتممت بسببه، فعلامته أنك لا تريد فضيحته وإظهار عيبه، وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه، ويكفيك زاجراً عن الغيبة قوله تعالى: ﴿وَلا يَغتَب بَعضُكُم بَعضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم أَن يَأكُلَ **لَحمَ أخيهِ** مَيتًا فَكَرِهتُموه﴾ [الحجرات: ١١]؛ فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة، فما أجدرك أن تحترز منها.

ويمنعك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه، وهو: أن تنظر في نفسك، هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟ وهل أنت مقارف معصية سرًا أو جهرًا؟.

فإذا عرفت ذلك من نفسك فاعلم أن عجزه عن التنزه عما نسبته إليه كعجزك، وعذره كعذرك، وكما تكره أن تفتضح وتُذكر عيوبك فهو أيضًا يكرهه، فإن سترته ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادًا يمزقون عرضك في الدنيا، ثم يفضحك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة، وإياك أن تظهر الشماتة لأخيك، فيرحمه الله ويبتليك.

وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة، ولا عيب أعظم من الحمق، ولو أراد الله بك خيرًا لبصرك بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك، ثم إن كنت صادقًا في ظنك فاشكر الله – تعالى وتقدس– عليه، ولا تفسده بثلب الناس والتمضمض بأعراضهم، فإن ذلك من أعظم العيوب.." (٢)

"١٨٤ – حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى بن مالك السوسي ، ثنا أبو بلال الأشعري ، ثنا حفص بن غياث ، عن عبد الله بن موهب ، عن عمه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله A : « لأن يأكل أحدكم من جيفة (١) حتى يشبع ،

---

(١) رياض الصالحين ت الفحل، النووي ص/٤٢١

(٢) بلوغ الغاية من تهذيب بداية الهداية، ص/٨٧

خير له من أن يأكل لحم أخيه المسلم »

---

(١) الجيفة : جثة الميت إذا أنتن." (١)

" ٢٧ – حدثنا داود بن المحبر ثنا حماد بن سلمة عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : أتيت بالبراق وهو دابة أبيض مضطرب الأذنين فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه فركبته فسار بي نحو بيت المقدس فبينما أنا اسير إذ ناداني منادي عن يميني يا محمد على رسلك [ص ١٧١] أسألك حتى ناداني ثلاثا فلم أعرج عليه ثم ناداني منادي عن يساري يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني ثلاثا فلم أعرج عليه ثم استقبلتني امرأة عليها من كل حلي وزينة ناشرة يديها تقول يا محمد على رسلك أسألك تقول ذلك حتى كادت تغشاني فلم أعرج عليها حتى أتيت بيت المقدس فربط الدابة بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء فيه خمر واناء فيه لبن فاخترت اللبن فقال أصبت الفطرة ثم قال ما لقيت في وجهك هذا قلت بينما أنا اسير إذ ناداني مناد عن يميني يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني يا محمد على رسلك حتى ناداني بذلك ثلاثا قال فما فعلت قلت فلم اعرج عليه قال ذاك داعي اليهود لو كنت عرجت عليه لتهودت أمتك قلت ثم ناداني مناد عن يساري يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني بذلك ثلاثا قال فما فعلت قلت فلم أعرج عليه قال ذاك داعي النصارى لو كنت عرجت عليه لتنصرت أمتك قلت ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها تقول يا محمد على رسلك أسألك حتى كادت تغشاني قال فما فعلت قلت فلم أعرج عليها قال تلك الدنيا لو عرجت عليها لاخترت الدنيا على الآخرة ثم أتينا بالمعراج فإذا أحسن ما خلق الله الم تر الى الميت إذا شق بصره انما يتبعه المعراج عجبا به ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة قال فقعدت في المعراج أنا وجبريل صلى الله عليهما وسلم حتى انتهينا الى باب الحفظة فإذا عليه ملك يقال له إسماعيل معه سبعون الف ملك ومع كل ملك سبعون الف ملك قال ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم وما يعلم جنود ربك الا هو فاستفتح جبريل قال من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا [ص ١٧٢] فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلق قلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك آدم فرحب ودعا لي بخير فإذا الأرواح تعرض عليه فإذا مر به روح المؤمن قال روح طيبة وريح طيبة وإذا مر عليه روح كافر قال روح خبيثة وريح خبيثة قال ثم مضيت فإذا أنا بأخاوين عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينتهبون اللحوم المنتنة ويدعون اللحوم الطيبة فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الزناة يدعون الحلال ويتبعون الحرام ثم مضيت فإذا اناس قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يجيئون بالصخر من النار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتمى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا قال ثم مضيت فإذا انا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يقطعون لحومهم فيضفزوهم إياها بدمائها فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الهمازون اللمازون ثم قال رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

(١) مساوئ الأخلاق للخرائطي، ١٩٧/١

ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه قال ثم مضيت فإذا أنا بأناس معلقات بثديهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الظؤرات يقتلن اولادهن قال ثم مضيت حتى انتهيت الى سابلة آل فرعون فإذا رجال بطونهم كالبيوت إذا عرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا فيوقفون لآل فرعون [ص ١٧٣] مستلقين على ظهورهم وبطونهم فيثردونهم آل فرعون ثردا بأرجلهم فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا ثم تلي رسول الله صلى الله عليه و سلم الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس فإذا عرض آل فرعون على النار قالوا ربنا لا تقوم الساعة لما يرون من عذاب الله قال ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد صلى الله عليه و سلم قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فإذا أنا بيوسف وإذا هو قد أعطي شطر الحسن قلت من هذا يا جبريل قال هذا أخوك يوسف فرحب ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة يحي وعيسى فرحبا ودعيا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فإذا أنا بادريس فرحب ودعا لي بخير ثم تلي رسول الله صلى الله عليه و سلم ورفعنه مكانا عليا قال ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قد أرسل اليه ففتح لنا فإذا أنا بهارون فإذا أكثر من رأيت تبعا وإذا لحيته شطران شطر سواد وشطر بياض فقلت من هذا يا جبريل قال هذا المحبب في قومه فرحب ودعا لي بخير [ص ١٧٤] ثم عرج بنا الى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل من قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال نعم ففتح لنا فإذا أنا بموسى فرحب ودعا لي بخير فقال موسى تزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله وهذا أكرم على الله مني فلو كان اليه وحده لهان علي ولكن النبي معه أتباعه من أمته ثم عرج بنا الى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد أرسل اليه قال قال قد أرسل اليه ففتح لنا فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية وإذا هو مستند الى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون اليه فقلت من هذا يا جبريل قال هذا أبوك إبراهيم فرحب ودعا لي بخير وقال يا محمد هذه منزلتك ومنزلة أمتك ثم تلي رسول الله صلى الله عليه و سلم إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين أمنوا والله ولي المؤمنيين فدخلت الى البيت المعمور فصليت فيه ثم نظرت فإذا أمتي شطران شطر عليهم ثياب رمد وشطر عليهم ثياب بيض فدخل الذين عليهم ثياب بيض واحتبس الآخرون قال ثم ذهب جبريل الى سدرة المنتهى فإذا الورقة من ورقها لو غطيت بها هذه الامة لغطتهم وإذا السلسبيل قد انفجر من أصلها أو من اسفلها نهران نهر الرحمة ونهر الكوثر قال فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر وأعطيت الكوثر فسلكته حتى انفجر في الجنة فنظرت في الجنة فإذا طيرها كالبخت وإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير [ص ١٧٥] المقور وإذا أنا بجارية فقلت يا جارية لمن أنت قالت لزيد بن حارثة فبشرت بها زيدا وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ونظرت الى النار فإذا عذاب الله شديد لا تقوم له الحجارة والحديد قال فرجعت الى الكوثر حتى انتهيت الى السدرة المنتهى فغشيها من أمر الله ما غشي ووقع على كل ورقة منها ملك فأيدها الله بإدواته وأوحى الي

ما أوحي وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة فنزلت حتى انتهيت الى موسى فقال ما فرض ربك على أمتك فقلت خمسين صلاة في كل يوم وليلة فقال ان أمتك لا تطيق ذلك واني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم فارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك فرجعت فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فرجعت الى موسى فقال ما فعلت فقلت حط عني خمسا فقال ان أمتك لا تطيق ذلك فارجع الى ربك فسله التخفيف فرجعت فقلت أي رب خفف عن أمتي فحط عني خمسا فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا حتى فرض علي خمس صلوات في كل يوم وليلة وقال يا محمد انه لا يبدل القول لدي هي خمس صلوات لكل صلاة عشر فهي خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عشر أمثالها ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه فان عملها كتبت سيئة واحدة فرجعت الى موسى فأخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف لأمتك فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت ." (١)

"١٥٧٦- حَدَّثَنِي ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحِيمِ بْنُ سُلَيْمَانَ ، عَنْ حَجَّاجٍ ، عَنْ أَبِي عُمَرَ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ ، أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةً مَزْرُورَةً بِالدِّيبَاجِ ، فَقَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَلْبَسُ هَذَا إِذَا لَقِيَ الْعَدُوَّ.

مِنْ حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ

١٥٧٧- حَدَّثَنِي حَبَّانُ بْنُ هِلاَلٍ ، وَسُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ ، وَحَجَّاجُ بْنُ مِنْهَالٍ ، قَالُوا : حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ ، عَنْ ثَابِتٍ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، قَالَتْ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ : ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ، وَلاَ يُبَالِي.

١٥٧٨- حَدَّثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ : اسْمُ اللهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ، ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾.

١٥٧٩- أَخْبَرَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، عَنْ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ أَبِي زِيَادٍ ، عَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ ، قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : مَنْ ذَبَّ عَنْ **لَحْمِ أَخِيهِ** بِالْغَيْبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ.." (٢)

"٣٨ – حدثنا عبد الله ، حدثنا عبد الله بن أبي بدر ، أخبرنا يزيد بن هارون ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس ، قال : مر عمرو بن العاص ، Bه ، على بغل ميت ، فقال : « والله لأن يأكل أحدكم من لحم هذا خير له من أن يأكل **لحم أخيه** »." (٣)

"٣٩ – حدثنا عبد الله ، حدثنا يحيى بن يوسف الزمي ، حدثنا محمد بن سلمة الحراني ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمه موسى بن يسار ، عن أبي هريرة ، Bه قال : « من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له : كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح »." (٤)

---

(١) بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، ١/١٧٠

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد، ص/٤٥٦

(٣) ذم الغيبة والنميمة، ص/٤٣

(٤) ذم الغيبة والنميمة، ص/٤٤

"١٠٣ - حدثنا عبد الله ، حدثني يعقوب بن عبيد ، حدثنا هشام بن عمار ، ثنا أبو المحبر الحمصي ، عن شيخ ، من أهل البصرة ، عن أنس بن مالك ، Bھ ، قال : قال رسول الله A : « إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ (١) فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا ، أو قم عنهم ، ثم تلا هذه الآية : (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه (٢)) »

---

(١) الملأ : الجماعة

(٢) سورة : الحجرات آية رقم : ١٢." (١)

"، ترجمة ١٩١٢) ، وابن حبان فى الضعفاء (٥٤/٣ ، ترجمة ١١١٦) كلاهما فى ترجمة ناصح بن عبد الله .

١٨٢٣٠- لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم له بصاع (العسكرى فى الأمثال عن جابر بن سمرة)

١٨٢٣١- لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع (أبو يعلى ، والترمذى - غريب ليس بالقوى - عن جابر بن سمرة)

أخرجه الترمذى (٣٣٧/٤ ، رقم ١٩٥١) ، وقال : غريب ، وناصح هو أبو العلاء ليس عند أهل الحديث بالقوى .

١٨٢٣٢- لأن يأكل أحدكم من جيفة حتى يشبع خير له من أن يأكل **لحم أخيه** المسلم (الخرائطى فى مساوئ الأخلاق عن أبى هريرة)

١٨٢٣٣- لأن يتصدق المرء فى حياته بدرهم خير له من أن يتصدق بمائة درهم عند موته (أبو داود ، وابن حبان ، وسمويه عن أبى سعيد)

أخرجه أبو داود (١١٣/٣ ، رقم ٢٨٦٦) ، وابن حبان (١٢٥/٨ ، رقم ٣٣٣٤) . وأخرجه أيضا : الديلمى (١٦٨/٥ ، رقم ٧٨٤٧) .." (٢)

"٢٢١٨٣- من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار (ابن المبارك ، وأحمد ، والخرائطى فى مكارم الأخلاق ، والطبرانى ، والبيهقى فى شعب الإيمان ، والنسائى عن أسماء بنت يزيد)

أخرجه ابن المبارك (٢٣٩/١ ، رقم ٦٨٧) ، وأحمد (٤٦١/٦ ، رقم ٢٧٦٥٠) ، قال الهيثمى (٩٥/٨) : إسناده حسن . والطبرانى (١٧٥/٢٤ ، رقم ٤٤٢) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١١٢/٦ ، رقم ٧٦٤٢) . وأخرجه أيضا : الطيالسى (ص ٢٢٧ رقم ١٦٣٢) وعبد بن حميد (ص ٤٥٦ رقم ١٥٧٩) ، وأبو نعيم فى الحلية (٦٧/٦) ، والرافعى (٢٦١/١) ، والديلمى (٥٣٤/٣ رقم ٥٦٦٧) .

ومن غريب الحديث : "ذب" : أى دافع .

٢٢١٨٤- من ذبح بعد الصلاة تم نسكه وأصاب سنة المسلمين (البخارى عن البراء)

أخرجه البخارى (٢١٠٩/٥ ، رقم ٥٢٢٥) .

---

(١) ذم الغيبة والنميمة، ص/١١١

(٢) جامع الأحاديث، ٣٠٥/١٧

٢٢١٨٥- من ذبح قبل أن يصلى فإنما هو لحم قدمه لأهله ومن ذبح بعد أن يصلى فقد أصاب السنة (الشيرازى فى الألقاب عن البراء عن أبى بردة بن نيار)." (١)

"٦٣- بَابُ الْغِيبَةِ.

٤٣٢- حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ بْنُ صُبَيْحٍ ، عَنِ ابْنِ سِيرِينَ قَالَ : إِنَّهُ ذَكَرَ الْغِيبَةَ ، فَقَالَ : أَلَمْ تَرَ إِلَى جِيفَةٍ خَضْرَاءَ مُنْتِنَةٍ.

٤٣٣- حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ ، عَنْ قَيْسِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ ، عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّهُ مَرَّ عَلَى بَغْلٍ مَيِّتٍ ، فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ : لَأَنْ يَأْكُلَ أَحَدُكُمْ مِنْ هَذَا الْبَغْلِ ، حَتَّى يَمْلَأَ بَطْنَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ لَحْمِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ.." (٢)

" أخبرنا عبد الله قال أخبرنا عبد الله بن أبي زناد انه سمع شهر بن حوشب يحدث عن اسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول من ذب عن لحم أخيه في المغيبة كان حقا على الله ان يعتقه من النار

٦٨٨ - أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا يحيى بن عبيد الله قال سمعت أبي يقول سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه و سلم لا يحل لمسلم ان يورع مسلما

٦٨٩ - أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا موسى بن عبيدة عن حمزة بن عبدة قال ابن صاعد كذا في كتابي ولا أدري من حمزة قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ما يحل لمؤمن ان يشتد الى اخيه أو قال يشد الى أخيه بنظرة تؤذيه

٦٩٠ - أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا سفيان عن سليمان عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال جاء رجل فقال ان فلانا أو قال رجلا قال لأمي كذا وكذا فسكت عنه ثم قال الرجل انه قال لأمي كذا وكذا فقال عبد الله وأنت قد قلته مرتين

٦٩١ - أخبركم أبو عمر بن حيوية وأبو بكر الوراق قال أخبرنا يحيى قال حدثنا الحسين قال أخبرنا عبد الله قال أخبرنا معمر قال سمعت ابن عبد الرحمن الجحشي قال ابن صاعد وهو سعيد يقول سمعت أبا بكر حزم يقول قال رسول الله صلى الله عليه انما ." (٣)

"الغيبة من الكبائر

قال تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات/١٢]

(ك طس د) ، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" (الربا ثلاثة وسبعون بابا (١) أيسرها) (٢) (مثل إتيان الرجل أمه (٣) وإن أربى الربا (٤) استطالة (٥) الرجل في

---

(١) جامع الأحاديث، ٢٠/٣١٠

(٢) الزهد لوكيع . مشكول، ص/٢٠٩

(٣) الزهد لابن المبارك، ص/٢٤٠

عرض أخيه (٦)) (٧) (بغير حق (٨)) (٩) " (١٠)

---

(١) لأن كل من طفف في ميزانه =فتطفيفه ربا بوجه من الوجوه ، فلذلك تعددت أبوابه وتكثرت أسبابه ، لذلك فقد قال الله في القرآن بأن الربا والإيمان لا يجتمعان حيث قال : (ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) وأكثر بلايا هذه الأمة حين أصابها ما أصاب بني إسرائيل من البأس الشنيع والانتقام بالسنين ، من عمل الربا.فيض القدير - (٤ / ٦٥)

(٢) (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٥

(٣) هذا يدل على أن ضرر الربا أشد من ضرر الزنا ، وإن كان كثير من الناس يتهاونون بالربا ولا يتهاونون بالزنا .ع

قال الطيبي : إنما كان الربا أشد من الزنا لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله ، قال تعالى (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي بحرب عظيم .فيض القدير - (٤ / ٦٦)

(٤) أي : أكثره وبالا وأشده تحريما . عون المعبود - (ج ١٠ / ص ٤٠٠)

(٥) أي : إطالة اللسان .عون المعبود - (١٠ / ٤٠٠)

(٦) أي : احتقاره والترفع عليه ، والوقيعة فيه بنحو قذف أو سب ، وإنما يكون هذا أشدها تحريما لأن العرض أعز على النفس من المال .عون المعبود - (١٠ / ٤٠٠)

قال الطيبي : أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة ، وجعل الربا نوعين : متعارف ، وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون ، وغير متعارف ، وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ، ثم فضل أحد النوعين على الآخر .عون المعبود - (١٠ / ٤٠٠)

(٧) (طس) ٧١٥١ ، (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٤

(٨) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال ، وذلك مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - " لي الواجد يحل عرضه " فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه إنه ظالم ، وإنه متعد ونحو ذلك ، ومثله ذكر مساوي الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير . عون المعبود - (١٠ / ٤٠٠)

(٩) (د) ٤٨٧٦ ، (جة) ١٣٣

(١٠) صحيح الجامع : ٣٥٣٩ ، الصحيحة : ١٨٧١ ، صحيح الترغيب والترهيب : ١٨٥١." [١]

"(حم) ، وعن أسماء بنت يزيد ك قالت : قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - :

" من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار " (١)

---

(١) (حم) ٢٧٦٥٠ ، (طل) ١٦٣٢ ، انظر صحيح الجامع : ٦٢٤٠ ، صحيح الترغيب والترهيب : ٢٨٤٧." [٢]

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٠١٨/٢

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ١٧٧٥/٢

"(٢) ذم الغيبة

قال تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات/١٢]

(حب) ، وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

" يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه ، وينسى الجذع في عينه ؟ " (١)

---

(١) (حب) ٥٧٦١ ، انظر صحيح الجامع : ٨٠١٣ ، والصحيحة : ٣٣ ، وصحيح الترغيب والترهيب : ٢٣٣١."

(١)

"(٣) حكم الغيبة

قال تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [الحجرات/١٢]

(ك طس د) ، وعن عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه – قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – :

" (الربا ثلاثة وسبعون بابا (١) أيسرها) (٢) (مثل إتيان الرجل أمه (٣) وإن أربى الربا (٤) استطالة (٥) الرجل في عرض أخيه (٦)) (٧) (بغير حق (٨)) (٩) " (١٠)

---

(١) لأن كل من طفف في ميزانه =فتطفيفه ربا بوجه من الوجوه ، فلذلك تعددت أبوابه وتكثرت أسبابه ، لذلك فقد قال الله في القرآن بأن الربا والإيمان لا يجتمعان حيث قال : (ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين) وأكثر بلايا هذه الأمة حين أصابها ما أصاب بني إسرائيل من البأس الشنيع والانتقام بالسنين ، من عمل الربا.فيض القدير – (٤ / ٦٥)

(٢) (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٥

(٣) هذا يدل على أن ضرر الربا أشد من ضرر الزنا ، وإن كان كثير من الناس يتهاونون بالربا ولا يتهاونون بالزنا . ع قال الطيبي : إنما كان الربا أشد من الزنا لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله ، قال تعالى (فأذنوا بحرب من الله ورسوله) أي بحرب عظيم .فيض القدير – (٤ / ٦٦)

(٤) أي : أكثره وبالا وأشده تحريما . عون المعبود – (ج ١٠ / ص ٤٠٠)

(٥) أي : إطالة اللسان .عون المعبود – (١٠ / ٤٠٠)

(٦) أي : احتقاره والترفع عليه ، والوقيعة فيه بنحو قذف أو سب ، وإنما يكون هذا أشدها تحريما لأن العرض أعز على النفس من المال .عون المعبود – (١٠ / ٤٠٠)

قال الطيبي : أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة ، وجعل الربا نوعين : متعارف ، وهو ما يؤخذ من الزيادة

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٣٣١/٣

على ماله من المديون ، وغير متعارف ، وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ، ثم فضل أحد النوعين على الآخر .عون المعبود – (١٠ / ٤٠٠)

(٧) (طس) ٧١٥١ ، (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٤

(٨) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال ، وذلك مثل قوله – صلى الله عليه وسلم – " لي الواجد يحل عرضه " فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه إنه ظالم ، وإنه متعد ونحو ذلك ، ومثله ذكر مساوي الخاطب والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير . عون المعبود – (١٠ / ٤٠٠)

(٩) (د) ٤٨٧٦ ، (جة) ١٣٣

(١٠) صحيح الجامع : ٣٥٣٩ ، الصحيحة : ١٨٧١ ، صحيح الترغيب والترهيب : ١٨٥١." (١)

"

قال ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا فرجع سلمان فأخبرهما فانطلق حتى آتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم قد ائتدمتما بسلمان بقولكما فنزلت ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ أنه كان سلمان (١)

٢٤٩ حدثنا محمد بن يحيى نا محمد بن إبراهيم النيسابوري ثنا محمد بن الجهضم حدثنا أبو سعيد المعنى ثنا أحمد بن عبدة ثنا سفيان بن عيينة كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

(اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وأكرمني بالتقوى)

قال سفيان بن عيينة لأن الله تعالى قال ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾

٢٥٠ أخبرنا أبو يحيى نا سهل نا أبو المنذر الوراق ثنا الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن ربكم واحد وأباكم واحد ونبيكم واحد لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى)

١- إسناده مرسل والمرسل من أقسام الضعيف

". (٢)

"١٨ – حدثنا محمود ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا سلام ، وابن المبارك ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت أوس الأنصاري ، قالت : سمعت رسول الله A يقول : « من ذب (١) عن لحم أخيه من مغيبة ، كان حقا على الله D أن يعتقه من النار »

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد، ٣٣٩/٣

(٢) التوبيخ والتنبيه، ص/١٠٨

(١) الذب : الدفع والمنع." (١)

"(حديث ابن مسعود في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر قيل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا و نعله حسنة قال : إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق و غمط الناس .

(حديث جندب بن عبد الله في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان لله فقال الله تعالى من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفر لفلان لله إني قد غفرت له وأحبطت عملك .

من آداب الصحبة ومعاشرة الخلق اجتناب التجسس على المسلمين :

قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [سورة: الحجرات – الآية: ١٢]

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا .

من آداب الصحبة ومعاشرة الخلق عدم تتبع عورات المسلمين وزلاتهم :

(حديث معاوية في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم .

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : إذا قال العبد هلك الناس فهو أهلكهم .

(حديث أبي برزة الأسلمي في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه لله لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم فمن يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، و من يتبع الله عورته يفضحه في بيته .

من آداب الصحبة ومعاشرة الخلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :." (٢)

"قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات / ١٢]

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكره ، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته .

(حديث عائشة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قالت قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – حبك من صفية كذا وكذا

---

(١) الفوائد الأصبهاني ٤٣٠، ص/١٩

(٢) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ٩٨/٢

- تعني قصيرة - فقال : لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته .

*معنى مزجته : أي خالطته مخالطة شديدة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها ، وهذا من الزجر .

(حديث سعيد ابن زيد في صحيح أبي داود) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق .

(حديث أبي برزة في صحيح أبي داوود) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم ، فمن اتبع عوراتهم يتبع الله عورته ، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته .

﴿ تنبيه ﴾ : في الحديث تحذير من الغيبة والوعيد لمن يتبع عورات المسلمين وكسف مساويهم أن يتبع الله عورته ويكشف مساويه على قاعدة الجزاء من جنس العمل .

(حديث أنس في صحيح أبي داود) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال : لما عرج بي ربي عز و جل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم و صدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون في أعراضهم .

معنى يخمشون : يخدشون." (١)

" ١٧٧ - حدثنا عبد الله بن أبي بدر أنبأنا يزيد بن هارون عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال : مر عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت فقال : والله لأن يأكل أحدكم من لحم هذا خيرله من أن يأكل **لحم أخيه** ." (٢)

" ١٧٨ - حدثنا يحي بن يوسف الزمي حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن محمد بن إسحاق عن محمد بن موسى بن يسار عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له : كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح ." (٣)

" ٢٤٢ - حدثني يعقوب بن عبيد حدثنا هشام بن عمار حدثنا أبو المحبر الحمصي عن شيخ من أهل البصرة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : إذا وقع في رجل وأنت في ملإ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا أو قم عنهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ﴾ [سورةالحجرات : ١٢]." (٤)

"١٨ - حدثنا محمود ، حدثنا إسماعيل ، حدثنا سلام ، وابن المبارك ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب ، عن أسماء بنت أوس الأنصاري ، قالت : سمعت رسول الله A يقول : « من ذب (١) عن **لحم أخيه** من مغيبة

---

(١) الضياء اللامع من صحيح الكتب الستة وصحيح الجامع، ١٢٠/٢

(٢) الصمت، ص/١٢٥

(٣) الصمت، ص/١٢٥

(٤) الصمت، ص/١٤٩

،كان حقا على الله D أن يعتقه من النار »

---

(١) الذب : الدفع والمنع." (١)

"وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ». (١)

وعَنْ أَسْمَاءَ بنتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم –:مَنْ ذَبَّ عَنْ **لَحْمِ أَخِيهِ** فِي الْمَغِيبِ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يَقِيهِ مِنَ النَّارِ." (٢)

وعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَنْ ذَبَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ بِالْمَغِيبَةِ، كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُعْتِقَهُ مِنَ النَّارِ» " (٣)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم –،قَالَ:" مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، أُرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ " (٤)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ يَعِيبُهُ، بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَفَّا مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» (٥)

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ – صلى الله عليه وسلم – قَالَ: «مَنْ يَحْمِي مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ بِغِيبَةٍ، بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ قَفَّا مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ بِهِ شَيْنَهُ، حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ» (٦)

عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام عليه السلام

---

(١) – المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ١٧٦) (٤٤٣) حسن

(٢) – المعجم الكبير للطبراني (٢٤/ ١٧٥) (٤٤٢) حسن

(٣) – الصمت لابن أبي الدنيا (ص:١٤٧) حسن

(٤) – سنن أبي داود (٤/ ٢٧٠) (٤٨٨٣) حسن

---

(١) الفوائدلأبي الشيخ الأصبهاني، ص/١٩

(٥) – الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد (١/ ٢٣٩) (٦٨٦) حسن

(٦) –الصمت لابن أبي الدنيا (ص:١٥١) (٢٤٨) حسن." (١)

"أدلة تحريم الغيبة

قال الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾ [الحجرات١١: ١٢].

يعني: إن كرهتم أكل لحم الإنسان الميت طبعًا، فاكرهوه شرعًا، فإن عقوبته أشد.

(قال ابن عباس: " إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة؛ لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس ".

وقال قتادة: "كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتًا، كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيًا ".

واستعمِل أكل اللحم مكان الغيبة؛ لأن عادة العرب بذلك جارية، قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وَفَرتُ لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيتُ لهم مجدًا) (١)

---

(١) " الجامع لأحكام القرآن " للقرطبي (١٦/ ٣٣٥).." (٢)

"المبحث الثالث: حكم الغيبة

لاشك ولا ريب أن الغيبة محرمة بإجماع المسلمين، وقد تظاهر على تحريمها الدلائل الصريحة من الكتاب والسنة وإجماع الأمة)) (١).

المبحث الرابع: الترهيب من الوقوع في الغيبة

قال الله تعالى: ﴿لاَّ يُحِبُّ الله الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاَّ مَن ظُلِمَ وَكَانَ الله سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ (٢).

وقال – سبحانه وتعالى –: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (٣).

وقال سبحانه: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (٤).

وقال – عز وجل –: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (٥).

وقال سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (٦).

---

(١) المنجيات من النار، علي بن نايف الشحود ص/٧٢

(٢) الإعلام بحرمة أهل العلم والإسلام، محمد إسماعيل المقدم ص/١٦

(١) انظر: الأذكار النووية، ٢٨٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٤٨.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) سورة الهمزة، الآية: ١.

(٥) سورة ق، الآية: ١٨.

(٦) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.." (١)

"عرضه، إلا خذله الله في موطنٍ يحب فيه نصرته، وما من امرئٍ ينصر مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله في موطنٍ يحب فيه نصرته)) (١).

وعن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: ((من ردّ عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة)) (٢).

وعن أسماء بنت يزيد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ((من ذبَّ عن **لحم أخيه** بالغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار)) (٣).

وعن كعب بن مالك – رضي الله عنه – في حديثه الطويل في قصة توبته قال: قال النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو جالس في القوم في تبوك: ((ما فعل كعب بن مالك))؟ فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه بُرداه والنظر في عطفيه فقال له معاذ بن جبل – رضي الله عنه –: ((بئس ما قلت: والله يا رسول الله، ما علمنا عليه إلا خيراً))، فسكت رسول الله – صلى الله عليه وسلم –)) (٤).

---

(١) أبو داود، كتاب الأدب، باب من ردّ عن مسلم غيبة، برقم ٤٨٨٤، وأحمد، ٤/ ٣٠، وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: ((إنه حديث حسن)). انظر: صحيح الجامع الصغير، ٥/ ١٦٠.

(٢) أخرجه أحمد،٦/ ٤٥٠ ،والترمذي، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الذب عن عرض المسلم، برقم ١٩٣١، قال: ((وفي الباب عن أسماء بنت يزيد))، ثم قال: ((هذا حديث حسن)). وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: ((إنه حديث صحيح)). انظر: صحيح الجامع الصغير، ٥/ ٢٩٥.

(٣) أحمد، ٦/ ٤٦١، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ٨/ ٩٥: ((رواه أحمد والطبراني وإسناد أحمد حسن))، وانظر: صحيح الجامع، برقم ٦١١٦، فقد رمز إليه بالصحة.

---

(١) آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٠

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، برقم ٤٤١٨، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه، برقم ٢٧٦٩.." (١)

"فالعمل الصالح المدعم بالتواصي بالحق، والتواصي بالصبر في مواجهة المغريات والتحديات من شأنه أن يبني مجتمعا محصنا لا تنال منه عوامل التردي والانحطاط، وليس ابتلاء الأمم والحضارات كامنا في ضعف إمكاناتها المادية أو منجزاتها العلمية، إنما في قيمتها الخلقية التي تسودها وتتحلى بها.) (١)

وهذه (جملة من النصوص الدالة على أهمية الأخلاق، وأنها تحقق ... سعادة الدنيا والآخرة.

١ – امتثال أمر الله سبحانه:

كثيرة هي الآيات القرآنية التي تدعو العاقل إلى امتثال أمر الله سبحانه في الأخلاق، إما إيجابا، أو نهيا، أو إرشادا، ومنها:

قال الله تعالى: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين [الأعراف: ١٩٩].

وقال سبحانه: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين [الحجرات: ٦].

وقال سبحانه: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات: ١١ – ١٢].

ولهذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يصنع في بيته؟ قالت: ((كان يكون في مهنة أهله – تعني خدمة أهله – فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة)) (٢).

وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولا وعملا، وكان خلقه القرآن.

٢ – أنها طاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن)) (٣).

٣ – أنها سبب لمحبة الله تعالى:

قال الله تعالى: وأحسنوا إن الله يحب المحسنين [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: والله يحب الصابرين [آل عمران: ١٤٦].

وقال سبحانه: إن الله يحب المقسطين [المائدة: ٤٢].

وعن أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: ((كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم كأن على رؤوسنا الطير، ما يتكلم منا متكلم، إذ جاءه أناس، فقالوا: من أحب عباد الله إلى الله؟ قال: أحسنهم خلقا)) (٤).

---

(١) آفات اللسان في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهف القحطاني ص/١٨

٤ – أنها سبب لمحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من أحبكم إلي، وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة، أحاسنكم أخلاق)) (٥).

٥ – أنها من أعظم أسباب دخول الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس الجنة؟ فقال: ((تقوى الله وحسن الخلق)) (٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مر رجل بغصن شجرة على ظهر طريق، فقال: والله لأنحين هذا عن المسلمين، لا يؤذيهم، فأدخل الجنة)) (٧).

والنصوص في حسن الخلق كثيرة، منها:

أنها دليل كمال الدين.

وأنها أثقل شيء في الميزان.

وأنها عبادة يبلغ بها العبد درجات الصائم القائم.

وأن صاحب الخلق من خيار الناس.

وأنها من خير أعمال الإنسان.

وأنها سبب تأييد الله ونصره.) (٨).

---

(١) ((الأخلاق الإسلامية)) لحسن السعيد المرسي (ص: ٢٤). -بتصرف –

(٢) رواه البخاري (٦٧٦).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨٧)، وأحمد (٥/ ١٥٣) (٢١٣٩٢). قال الترمذي: حسن صحيح. وحسنه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٩٧).

(٤) رواه الحاكم (٤/ ٤٤١)، والطبراني في ((الكبير)) (١/ ١٨١). قال الهيثمي في ((المجمع)) (٨/ ٢٧): رجاله رجال الصحيح. وقال البوصيري في ((إتحاف الخيرة)) (٦/ ٩): رواته محتج بهم في الصحيح.

(٥) رواه الترمذي (٢٠١٨)، وقال: حسن غريب من هذا الوجه. وحسن إسناده الألباني في ((السلسلة الصحيحة)) (٧٩١).

(٦) رواه الترمذي (٢٠٠٤)، وأحمد (٢/ ٤٤٢) (٩٦٩٤)، والبخاري في ((الأدب المفرد)) (٢٨٩). قال الترمذي: صحيح غريب. وصحح إسناده الحاكم (٤/ ٣٦٠)، وقال البغوي في ((شرح السنة)) (١٣/ ٧٩): حسن غريب. وصححه الذهبي في ((التلخيص)).

(٧) رواه مسلم (١٩١٤).

(٨) ((موسوعة الأخلاق)) لخالد الخراز (ص: ٣٣) –بتصرف –.."[(١)]

"ذم التجسس والنهي عنه في القرآن والسنة

ذم التجسس والنهي عنه في القرآن الكريم:

- نهى الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن التجسس في آية محكمة وصريحة تدل على حرمة هذا الفعل المشين والخصلة المذمومة، وتبين أثرها السيئ على المجتمع المسلم وعلى تماسكه وترابطه فقال تبارك وتعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات: ١٢].

قال ابن جرير وهو يتحدث عن تفسير هذه الآية: قوله: (ولا تجسسوا) يقول: ولا يتتبع بعضكم عورة بعض، ولا يبحث عن سرائره، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره وبه فاحمدوا أو ذموا، لا على ما لا تعلمونه من سرائره .. ثم ذكر أثر ابن عباس: (نهى الله المؤمن من أن يتتبع عورات المؤمن) (١).

وقال الإمام البغوي: (نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها) (٢).

- ومن ذلك قول الله تعالى: والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا [الأحزاب: ٥٨].

وأي إيذاء أكبر من تتبع عورات الناس، والبحث عن سوءاتهم، والتجسس عليهم، وإظهار ما ستره الله من ذنوبهم.

قال الشيخ ابن عثيمين: (التجسس أذية، يتأذى به المتجسس عليه، ويؤدي إلى البغضاء والعداوة ويؤدي إلى تكليف الإنسان نفسه ما لم يلزمه، فإنك تجد المتجسس والعياذ بالله، مرة هنا ومرة هنا، ومرة هنا، ومرة ينظر إلى هذا ومرة ينظر إلى هذا، فقد أتعب نفسه في أذية عباد الله) (٣).

- وقال تعالى وهو يتحدث عن المنافقين وعن صفاتهم: لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين [التوبة: ٤٧].

قال مجاهد: معناه وفيكم محبون لهم يؤدون إليهم ما يسمعون منكم، وهم الجواسيس (٤).

وقال الإمام القرطبي: وفيكم سماعون لهم أي عيون لهم ينقلون إليهم الأخبار منكم (٥).

ذم التجسس والنهي عنه في السنة النبوية:

ولقد شدد رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن التجسس والتحذير منه، وبين أنه مفسد للأخوة، وسبب في تقطيع الأواصر والصلات، وسبيل إلى إفساد الناس:

- فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث،

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١/٥

ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا)) (٦).

قال الزمخشري: (التجسس أن لا تترك عباد الله تحت سترها فتتوصل إلى الاطلاع عليهم والتجسس عن أحوالهم وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك) (٧).

---

(١) رواه الطبري في ((تفسيره)) (٢٢/ ٣٠٤).

(٢) ((تفسير البغوي)) (٧/ ٣٤٥).

(٣) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٦/ ٢٥١ – ٢٥٢).

(٤) ((تفسير البغوي)) (٤/ ٥٦).

(٥) ((الجامع لأحكام القرآن)) للقرطبي (٨/ ١٥٧).

(٦) رواه البخاري (٦٠٦٤)، ومسلم (٢٥٦٣).

(٧) ((بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية)) لمحمد بن محمد الخادمي (٢/ ٢٩٥).." (١)

"قال السعدي: (ولكن ظننتم بإقدامكم على المعاصي أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم ولهذا قال: وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم الظن السيئ، حيث ظننتم به، ما لا يليق بجلاله. أرداكم أي: أهلككم فأصبحتم من الخاسرين لأنفسهم وأهليهم وأديانهم بسبب الأعمال التي أوجبها لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم، في العذاب، الذي لا يفتر عنهم ساعة) (١).

– ثم أوضح سبحانه صورة هذا الهلاك والخسران بقوله تعالى: ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانين بالله ظن السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا [الفتح: ٦].

قال ابن القيم: (توعد الله سبحانه الظانين به ظن السوء بما لم يتوعد به غيرهم، كما قال تعالى: عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا [الفتح: ٦]) (٢).

وقال الشوكاني: (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات .. أي: يعذبهم في الدنيا بما يصل إليهم من الهموم والغموم بسبب ما يشاهدونه من ظهور كلمة الإسلام وقهر المخالفين له، وبما يصابون به من القهر والقتل والأسر، وفي الآخرة بعذاب جهنم .. عليهم دائرة السوء أي: ما يظنونه ويتربصونه بالمؤمنين دائر عليهم، حائق بهم، والمعنى: أن العذاب والهلاك الذي يتوقعونه للمؤمنين واقعان عليهم نازلان بهم ... وغضب الله عليهم ولعنهم وأعد لهم جهنم وساءت مصيرا) (٣).

– وقال سبحانه في ذم سوء الظن بمن ظاهره العدالة من المسلمين: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ١٧٣/٢

[الحجرات:١٢].

قال ابن كثير: (قال تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا) (٤).

وقال السعدي: (نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء بالمؤمنين، فـ إن بعض الظن إثم وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه) (٥).

ذم سوء الظن والنهي عنه من السنة النبوية:

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ((إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث)) (٦).

---

(١) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (١/ ٧٤٧)

(٢) ((الداء والدواء)) لابن القيم (١/ ١٣٨).

(٣) انظر ((فتح القدير)) للشوكاني (٥/ ٥٤) بتصرف يسير.

(٤) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٧/ ٣٧٧)

(٥) ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)) للسعدي (١/ ٨٠١)

(٦) رواه البخاري (٥١٤٣)، ومسلم (٢٥٦٣).." (١)

"قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات: ١٢].

٨ - أن يتأول ما ظاهره السوء وأن يجد له مخرجا:

قال عمر بن الخطاب: (لا يحل لامرئ مسلم سمع من أخيه كلمة أن يظن بها سوءا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجا) (١).

وقال ابن عباس رضي الله عنه: (ما بلغني عن أخ مكروه قط إلا أنزلته إحدى ثلاث منازل: إن كان فوقي عرفت له قدره، وإن كان نظيري تفضلت عليه، وإن كان دوني لم أحفل به. هذه سيرتي في نفسي، فمن رغب عنها فأرض الله واسعة) (٢).

٩ - عدم مصاحبة من ابتلي بإساءة الظن:

قال أبو حاتم البستي: (الواجب على العاقل أن يجتنب أهل الريب لئلا يكون مريبا فكما أن صحبة الأخيار تورث الخير

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٢٩٤

كذلك صحبة الأشرار تورث الشر) (٣).

١٠ - البعد عن مواطن التهم والريب:

عن صفية بنت حيي، قالت: ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معتكفا فأتيته أزوره ليلا، فحدثته ثم قمت فانقلبت، فقام معي ليقلبني، وكان مسكنها في دار أسامة بن زيد، فمر رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي صلى الله عليه وسلم أسرعا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: على رسلكما إنها صفية بنت حيي فقالا سبحان الله يا رسول الله قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما سوءا، أو قال: شيئا)) (٤).

قال ابن بطال: (في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنها صفية)) السنة الحسنة لأمته، أن يتمثلوا فعله ذلك في البعد عن التهم ومواقف الريب) (٥).

وقال الغزالي: (حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف بالدين في أحواله فيقول مثلي لا يظن به إلا الخير إعجابا منه بنفسه فإن أورع الناس وأتقاهم وأعلمهم لا ينظر الناس كلهم إليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم ... فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة الأشرار فإن الأشرار لا يظنون بالناس كلهم إلا الشر) (٦).

وقال أيضا: - ينبغي على المرء - (أن يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولألسنتهم عن الغيبة فإنهم إذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله تعالى: ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم [الأنعام: ١٠٨]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((كيف ترون من يسب أبويه فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه فقال: نعم يسب أبوي غيره فيسبون أبويه))) (٧).

---

(١) ذكره ابن عبدالبر في ((التمهيد)) (١٨/ ٢٠).

(٢) ذكره ابن مفلح في ((الآداب الشرعية)) (٢/ ١٣) وعزاه إلى أبي حفص العكبري في ((الأدب)).

(٣) ((روضة العقلاء ونزهة الفضلاء)) لأبي حاتم البستي (١/ ١٠٠).

(٤) رواه البخاري (٣٢٨١)، ومسلم (٢١٧٥).

(٥) ((شرح صحيح البخارى)) لابن بطال (٤/ ١٧٥).

(٦) ((إحياء علوم الدين)) للغزالي (٣/ ٣٦).

(٧) ((إحياء علوم الدين)) لأبي حامد الغزالي (٢/ ٢٠١) والحديث أصله في الصحيحين رواه البخاري (٥٩٧٣)، ومسلم (٩٠) ولفظ البخاري: (إن من أكبر الكبائر أن يلعن الرجل والديه. قيل: يا رسول الله، وكيف يلعن الرجل والديه؟ قال: يسب الرجل أبا الرجل فيسب أباه، ويسب أمه). من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما.." (١)

"ذم الغيبة والنهي عنها في القرآن والسنة

ذم الغيبة والنهي عنها من الكتاب:

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٣٠٤/٢

- قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [الحجرات:١٢].

قال الشوكاني: فهذا نهي قرآني عن الغيبة مع إيراد مثل لذلك يزيده شدة وتغليظا، ويوقع في النفوس من الكراهة والاستقذار لما فيه ما لا يقادر قدره، فإن أكل لحم الإنسان من أعظم ما يستقذره بنو آدم جبلة وطبعا، ولو كان كافرا أو عدوا مكافحا، فكيف إذا كان أخا في النسب أو في الدين؟ فإن الكراهة تتضاعف بذلك، ويزداد الاستقذار فكيف إذا كان ميتا؟! فإن لحم ما يستطاب ويحل أكله يصير مستقذرا بالموت، لا يشتهيه الطبع، ولا تقبله النفس، وبهذا يعرف ما في هذه الآية من المبالغة في تحريم الغيبة، بعد النهي الصريح عن ذلك (١).

- وقال تعالى: ويل لكل همزة لمزة [الهمزة:١].

قال مقاتل بن سليمان: (ويل لكل همزة يعني الطعان المغتاب الذي إذا غاب عنه الرجل اغتابه من خلفه) (٢).

(وقال قتادة: يهمزه ويلمزه بلسانه وعينه، ويأكل لحوم الناس، ويطعن عليهم) (٣).

- وقال تعالى: ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا [الإسراء:٣٦].

قال الرازي: (القفو هو البهت وأصله من القفا، كأنه قول يقال خلفه وهو في معنى الغيبة وهو ذكر الرجل في غيبته بما يسوءه) (٤).

(وقيل: القفو: هو البهت، وأصله من القفا؛ كأنه يقال: خلفه، وهو في معنى الغيبة) (٥).

- قال تعالى: وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه [القصص: ٥٥].

ذم الغيبة والنهي عنها من السنة:

- عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: ((مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ثم قال بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله. قال ثم أخذ عودا رطبا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا ..)) (٦).

---

(١) ((الفتح الرباني)) للشوكاني (١١/ ٥٥٦٧ - ٥٥٦٨).

(٢) ((تفسير مقاتل بن سليمان)) (٤/ ٨٣٧).

(٣) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير (٨/ ٤٨١).

(٤) ((مفاتيح الغيب)) للرازي (٢٠/ ٣٣٩).

(٥) ((اللباب في علوم الكتاب)) لأبي حفص الحنبلي (١٢/ ٢٨٢).

(٦) رواه البخاري (٦٠٥٢)، ومسلم (٢٩٢).." (١)

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية - الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٠٢

"قال العيني: (الترجمة مشتملة على شيئين: الغيبة والنميمة، ومطابقة الحديث للبول ظاهرة، وأما الغيبة فليس لها ذكر في الحديث، ولكن يوجه بوجهين: أحدهما: أن الغيبة من لوازم النميمة لأن الذي ينم ينقل كلام الرجل الذي اغتابه، ويقال: الغيبة والنميمة أختان، ومن نم عن أحد فقد اغتابه. قيل: لا يلزم من الوعيد على النميمة ثبوته على الغيبة وحدها، لأن مفسدة النميمة أعظم وإذا لم تساوها لم يصح الإلحاق. قلنا: لا يلزم من اللحاق وجود المساواة، والوعيد على الغيبة التي تضمنتها النميمة موجود، فيصح الإلحاق لهذا الوجه. الوجه الثاني: أنه وقع في بعض طرق هذا الحديث بلفظ الغيبة، وقد جرت عادة البخاري في الإشارة إلى ما ورد في بعض طرق الحديث) (١).

- وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلت للنبي صلى الله عليه وسلم: حسبك من صفية كذا وكذا، فقال صلى الله عليه وسلم: ((لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته)) (٢).

قال النووي: (هذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها وما أعلم شيئا من الأحاديث بلغ في ذمها هذا المبلغ) (٣).

(فإذا كانت هذه الكلمة بهذه المثابة، في مزج البحر، الذي هو من أعظم المخلوقات، فما بالك بغيبة أقوى منها) (٤).

وقال ابن عثيمين: (ومعنى: مزجته خالطته مخالطة يتغير بها طعمه، أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وهذا من أبلغ الزواجر عن الغيبة) (٥).

- وعن أبي بكرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم النحر بمنى: ((إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغت)) (٦).

قال النووي في شرحه على مسلم: (المراد بذلك كله بيان توكيد غلظ تحريم الأموال والدماء والأعراض والتحذير من ذلك) (٧).

- وعن أبي هريرة- رضي الله عنه- مرفوعا: ((من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويصيح)) (٨).

قال ابن حجر: (يدل على أن الغيبة من الكبائر) (٩).

- وعن المستورد- رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي ثوبا برجل مسلم فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة)) (١٠).

قال الهروي: ((من أكل برجل مسلم) أي: بسبب غيبته أو قذفه أو وقوعه في عرضه أو بتعرضه له بالأذية عند من يعاديه ... وفي النهاية: معناه الرجل يكون صديقا ثم يذهب إلى عدوه فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة فلا يبارك الله له فيها) (١١).

---

(١) ((عمدة القاري شرح صحيح البخاري)) للعيني (٨/ ٢٠٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٨٧٥) واللفظ له، والترمذي (٢٥٠٢). وصححه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٢/ ٢٦٤)، وصححه الألباني في ((صحيح الترغيب)) (٢٨٣٤).

(٣) ((فيض القدير)) للمناوي (٢/ ٤١١).

(٤) ((دليل الفالحين)) لمحمد البكري (٨/ ٣٥٢).

(٥) ((شرح رياض الصالحين)) لابن عثيمين (٦/ ١٢٦).

(٦) رواه البخاري (٦٧)، ومسلم (١٦٧٩).

(٧) ((شرح النووي على مسلم)) (١١/ ١٦٩).

(٨) قال الحافظ ابن حجر في ((الفتح)) (١٠/ ٤٧٠): سنده حسن.

(٩) ((فتح الباري شرح صحيح البخاري)) لابن حجر (١٠/ ٤٧٠).

(١٠) رواه أبو داود (٤٨٨١)، وأحمد (٤/ ٢٢٩) (١٨٠٤٠)، والطبراني في ((الكبير)) (٢٠/ ٣٠٩). وصححه الألباني في ((صحيح الجامع)) (٦٠٨٣).

(١١) ((مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)) للهروي (٨/ ٣١٥٨).." (١)

"عن أنس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس يقعون في أعراضهم)) (١).

٨- الغيبة أنتن من الجيفة:

قال تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه [الحجرات:١٢].

٩- تعود المغتاب على الغيبة، لأنه عندما يغتاب شخصا، فسيغتاب آخر وهكذا دواليك، وبذلك تصبح الغيبة مستساغة لديه فلا ينكرها، ولا يستعظم إثمها.

١٠- لا يغفر لصاحب الغيبة حتى يعفو عنه الذي وقعت عليه الغيبة.

١١- الغيبة تترك في نفس الفرد جوانب عدائية بسبب ما تتركه على سمعته ومكانته.

١٢- الغيبة تظهر عيوب الفرد المستورة في الوقت الذي لا يملك فيه الدفاع عن نفسه.

١٣- الغيبة تدل على دناءة صاحبها وجبنه وخسته.

أضرارها على المجتمع:

١ – كشف عورات الآخرين ونشر عيوبهم والاستهانة بها.

٢ – الغيبة تؤدي إلى الغيبة، أي أن من اغتيب قد يدفعه غضبه إلى غيبة من اغتابه، وبهذا تنتشر هذه الصفة الذميمة وتصبح مرض عضال يصعب استئصاله.

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/٤٠٣

٣ – نشر الحقد والحسد والكراهية والبغضاء بين أفراد المجتمع.

٤ – إفساد المودات، وقطع أواصر الأخوة الإيمانية، وملء القلوب بالضغائن والعداوات.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٧٨)، وأحمد (٣/ ٢٢٤) (١٣٣٦٤)، والطبراني في ((الأوسط)) (١/ ٧). وصححه السيوطي في ((الجامع الصغير)) (٢/ ٢٣٢)، والألباني في ((صحيح الجامع)) (٥٢١٣).." [1]

"وتتجلى لعين المسلم شخصية الرسول الكريم في سيرته، فإذا هي كلها رفق ودماثة وكرم وخلق، لم يعرف عنه يوما أنه أفحش في لفظ، ولا لعن أو سب مسلما، وها هو ذا أنس رضي الله عنه خادمه وملازمه يصف خلقه العظيم، فيقول: ((لم يكن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فاحشا ولا لعانا ولا سبابا، كان يقول عند المعتبه: ما له ترب جبينه (١)؟)) (٢).

لا يغتابهم:

والمسلم الحق الصادق يحفظ غيبة إخوانه وأصدقائه، فلا يغتابهم؛ لأنه يعلم أن الغيبة حرام بنص القرآن الكريم:

﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ **لَحْمَ أَخِيهِ** مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (٣).

إن نفس المسلم المرهفة المتأدبة بأدب الإسلام، المرتشفة من رحيق أخلاقه، لتقشعر من هذه الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمغتاب، يأكل **لحم أخيه** ميتا، بكلمات يتفوه بها عنه في غيابه، فإذا هو يسارع إلى التقوى التي ذيل الله بها آية الغيبة، ويلوذ بالتوبة النصوح منها إن تورط فيها، ويمسك عليه لسانه، فلا يطلقه على إخوانه إلا بخير، ذاكرا قول الرسول الكريم: ((أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد

---

(١) قيل في تفسير هذه العبارة: أراد النبي – صلى الله عليه وسلم – بها دعاء له بكثرة السجود، ففي ذلك هداية له لإصلاح.

(٢) رواه البخاري.

(٣) للحجرات: ١٢.." [2]

"اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته)) (١).

إن المسلم التقى يجتنب الغيبة الظاهرة والخفية، حرصا منه على ألا يكون

آكلا **لحم أخيه** بحال، وتنزيها للسانه أن يكبه في النار، كما جاء في تحذير النبي – صلى الله عليه وسلم – لمعاذ حين أخذ

---

(١) موسوعة الأخلاق الإسلامية – الدرر السنية، مجموعة من المؤلفين ٢/ ٤١٢

(٢) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/ ١٥١

بلسانه وقال: ((كف عليك هذا))، فقال معاذ: يا نبي الله، وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – ((ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم، أو قال: على مناخرهم، إلا حصائد ألسنتهم؟)) (٢).

إن الغيبه خلق ذميم، لا يتصف به الرجال، وإنما يتصف به أشباه الرجال الجبناء من ذوي الوجهين الذين يغتابون إخوانهم وأصدقاءهم أمام الناس، فإذا لقوهم هشوا لهم وبشوا وتظاهروا بالصداقة والود، ومن هنا كان المسلم الحق أبعد الناس عن الغيبة والتلون بلونين، لأن الإسلام علمه الرجولة، ولقنه الاستقامة، وحبب إليه التقوى في القول والعمل، وكره إليه النفاق والتلون والتذبذب، بل نفره من هذه الخصال تنفيرا، حين جعل ذا الوجهين من شرار الناس عند الله، وذلك في قول الرسول – صلى الله عليه وسلم –:

((تجد من شرار الناس يوم القيامة عند الله ذا الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه)) (٣).

إن للمسلم الحق وجها واحدا، لا وجهين، وإنه لوجه أغر أبلج مشرق واضح، لا يلقى به قوما دون قوم، بل يلقى به الناس جميعا، لأنه يعلم أن اتخاذ الوجهين هو النفاق بعينه، والإسلام والنفاق لا يجتمعان، وأن ذا الوجهين منافق، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) حديث حسن صحيح، رواه ابن ماجه.

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.." (١)

"لكم: قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال)) (١).

إن المجتمع الرباني الذي ينشئه الإسلام، لا مجال فيه لقيل وقال، وكثرة السؤال، والتدخل في شؤون الناس الخاصة، لأن أفراده مشغولون بما هو أجل وأكبر، إنهم مشغولون بتحقيق كلمة الله في الأرض، ورفع راياته فوق الربوع، ونشر قيمه بين الناس، والذين ينهضون بهذه الأعمال الجسام، لا يجدون وقتا للخوض في تلك الآثام.

بعيد عن الغيبة والنميمة:

ومن هنا كان المسلم بعيدا عن الغيبة والنميمة؛ لأنه، بحكم تنشئته وتكوينه على قيم الإسلام وأخلاته، منصرف عن هذه التفاهات إلى الأمور الجلى في الحياة، مصغ دوما إلى الهدي العالي من كتاب الله – صلى الله عليه وسلم – سنة رسوله، يأخذ بما يأمر به هذا الهدي، ويدع ما نهى عنه.

إنه ليقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ **لَحْمَ أَخِيهِ** مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (٢)، فتمتلىء نفسه نفورا من الغيبة وكراهية؛ إذا يرى صورة المغتاب يأكل **لحم أخيه** ميتا، فإذا هو يسارع إلى التوبة التي ذيل الله بها الآية، حضا لمن وقع في الغيبة على المسارعة إلى التوبة منها.

---

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/١٥٢

ويصغي إلى الهدي النبوي الكريم يجيب على سؤال سائل: أي المسلمين أفضل يا رسول الله؟ فيكون الجواب: ((من سلم المسلمون من لسانه ويده)) (٣).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) رواه مسلم.." (١)

"الحلوى قائلا له: بلغني أنك نقلت حسناتك إلى ديواني وهذه مكافأتك (١).

احذروا الغيبة

كان الأستاذ الهضيبي لا يصرح برأيه في جمال عبد الناصر، وكان يحسب للغيبة ألف حساب، وكان يحذر من الخوض في أعراض الناس ويقول: هل نسيتم أن الغيبة من الكبائر؟ (٢).

ومر عمرو بن العاص - رضي الله عنه - على بغل ميت قد انتفخ، فوقف عليه وقال: والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ جوفه خير من أن يغتاب أخاه.

ويقول أبو هريرة - رضي الله عنه -: من أكل **لحم أخيه** في الدنيا، قرب إليه لحمه في الآخرة، فقيل له: كله ميتا، كما أكلته حيا، فيأكله وينضج ويصيح ويكلح.

وقال سفيان الثوري: إياك والغيبة، إياك والوقوع في الناس، فيهلك دينك.

قصة مؤثرة

في عهد الإمام مالك بن أنس -رحمه الله- كانت امرأة مغسلة تغسل امرأة ميتة، وبينما هي تصب الماء عليها إذا بها وهي تمرر يدها عليها تقول: كثيرا ما زنى هذا الفرج، فماذا حدث؟ لقد التصقت يد المغسلة بجسد المرأة الميتة، وكان بينه وبين يد تلك المرأة مغناطيسية شديدة الجذب.

فماذا تفعل المرأة المغسلة؟ وماذا يفعل من حولها؟ إنهم يريدون أن يدفنوا الميتة، فما كان منهم إلا قاموا باستشارة العلماء، فمن قائل: تقطع يد المغسلة؛ لأن حرمة الميت كحرمة الحي، ومن قائل: نقطع شيئا من جسد الميتة فالحي أولى من الميت، واضطربت الآراء، لكنهم قالوا: كيف نفتي وإمامنا مالك بين أظهرنا؟!

ثم ذهبوا إلى الإمام مالك، فقال لهم: قولوا للمغسلة: ماذا قلت في حق الميتة؟

فقالت المغسلة: قلت: كثيرا ما زنى هذا الفرج.

فقال الإمام: هذا قذف، وأرى أن تجلد المرأة المغسلة ثمانين جلدة من وراء حجاب،

---

(١) شخصية المسلم كما يصوغها الإسلام في الكتاب والسنة، محمد علي الهاشمي ص/٢٠٤

(١) أعلام المسلمين: ٢١.

(٢) مائة موقف من حياة المرشدين: ١٠٩.." (١)

"الثالث: أن يبغضه في الله لأنه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه الله تعالى.

الرابع: ألا تظن بأخيك الغائب سوءا لقوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

الخامس: أن لا يحملك ما حكى لك على التجسس والبحث للتحقق، اتباعا لقوله تعالى: ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢].

السادس: لا ترضى لنفسك ما نهيت الناس عنه، ولا تحك نميمته فتقول: فلان قد حكى لي كذا وكذا، فتكون به نماما ومغتابا، وتكون قد أتيت لما عنه نهيت.

وقد جاء عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا﴾ [الحجرات: ٦] وإن كنت صادقا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هماز مشاء بنميم﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أعود إليه أبدا.

ومر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بقبرين فقال: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى، إنه كبير أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة" [رواه البخاري].

قال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيا.

وقال أحد الحكماء: لا تأمن من كذاب لك، أن يكذب عليك، ومن اغتاب عندك غيرك، أن يغتابك عند غيرك.

وقال عبد الرحمن بن عوف: من سمع بفاحشة فأفشاها فهو كالذي أتاها.

وقال الحسن: من نم لك نم عليك، وهذه إشارة إلى أن النمام يجب أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة والحسد والنفاق والإفساد بين الناس والخديعة؟ وهو ممن يسعون في قطع ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق أولئك لهم عذاب أليم﴾ [الشورى: ٤٢].

وجاء عن علي أن رجلا سعى إليه برجل فقال له: يا هذا نحن نسأل عما قلت، فإن." (٢)

"وقال الله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون (٢٧)﴾ [الأنفال: ٢٧].

وقال الله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل (٣٨)﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال الله تعالى: ﴿يأأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم

(١) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١٣٩/٢

(٢) موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق، ياسر عبد الرحمن ١٤٦/٢

فأولئك هم الظالمون (٢٣)﴾ [التوبة: ٢٣].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون (٧٧)﴾ [الحج: ٧٧].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا (٧٠) يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٧)﴾ [محمد: ٧].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)﴾ [الحجرات: ٦].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١)﴾ [الحجرات: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله." (١)

"الآفة السابعة: إفشاء السر، وإخلاف الوعد، والكذب في القول واليمين، وكل ذلك منهي عنه إلا ما رخص فيه من الكذب في الحرب، والإصلاح بين الناس، وعلى الزوجة ليراضيها لمصلحة راجحة، وتباح المعاريض عند الحاجة إليها.

الآفة الثامنة: الغيبة.

والغيبة: ذكرك أخاك الغائب بما يكره.

والغيبة محرمة، والمستمع للغيبة شريك فيها إلا أن ينكر بلسانه، فإن خاف فبقلبه، وإن قدر على القيام أو قطع الكلام بكلام آخر لزمه ذلك.

وعلاج الغيبة: أن يعلم المغتاب أنه بالغيبة متعرض لسخط الله تعالى ومقته، وأن حسناته تنقل إلى من اغتابه، وإن لم تكن له حسنات نقل إليه من سيئات خصمه، وإذا عرضت له الغيبة تفكر في عيوب نفسه، واشتغل بإصلاحها، فيستحي أن يعيب وهو معيب.

وإن ظن أنه سليم من العيوب فليشكر ربه، ولا يلوث نفسه بأقبح العيوب وهو الغيبة، وكما لا يرضي نفسه بغيبة غيره له فينبغي أن لا يرضاها لغيره من نفسه.

وقد تحصل الغيبة بالقلب، وذلك سوء الظن بالمسلمين، ومن آفات سوء الظن التجسس، فإن القلب لا يقنع بالظن فيشتغل بالتجسس، وذلك منهي عنه؛ لأنه يوصل إلى هتك ستر المسلم، وهو محرم كما قال سبحانه: ﴿ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٦٦٩/١

واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)﴾ ... [الحجرات: ١٢].

أما كفارة الغيبة:

فالمغتاب قد جنى جنايتين:

إحداهما: جناية على حق الله تعالى حيث فعل ما نهاه الله عنه، فكفارة ذلك التوبة والندم.

الثانية: جناية على عرض المخلوق، فإن كانت الغيبة قد بلغت الرجل جاء إليه." (١)

"ففيها نلمس توجيه النبي عليه الصلاة والسلام إلى أن المجالس التي لا وزر فيها هي فقط التي يذكر فيها الله، وما يقرّب إليه من قول أو فعل أو علم. وكل مجلس لا يذكر فيه اسم الله يكثر خطؤه، ويكون حسرة وندامة على حاضريه إلا رجلاً دعا واستغفر كما علّمه الحبيب الله صلى الله عليه وسلم.

إن المجلس الذي لايذكر اسم الله تعالى كأن فيه جيفة حمار.

تشبيه بليغ، وصورة مقززة، هدفها كهدف الآية الكريمة في تشبيه ذم الغيبة وفعلها في المجتمع (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً)! .. هدفه أن يجتنب المسلم ذلك الفعل ولا يقربه. بل يفرّ منه ومن رائحته العفنة. فكم دقيقة من الممكن أن يتحمّل المرء في غرفة أو مجلس فيه رائحة جيفة حمار! فكذلك الجلسة التي تخلو من ذكر الله وما يقرّب إليه من قول أو علم أو فعل يجب أن لا تستمر أكثر من الدقائق التي تستطيع نفسك أن تصبر على الرائحة الكريهة للجيفة العفنة.

أدب رفيع، يرسم معالم المجتمع الراقي الذي ليس فيه مجال للنميمة والغيبة وإضاعة الوقت دون جدوى .. فكم تجرّ النميمة والغيبة وإضاعة الوقت على المجتمع من ويلات وخسائر نفسية واجتماعية." (٢)

"٦٨٧ - أخبركم أبو عمر بن حيويه قال: أخبرنا يحي قال: حدثنا الحسين قال -[٢٤٠]-: أخبرنا عبد الله قال: أخبرنا عبيد الله بن أبي زياد أنه سمع شهر بن حوشب يحدث عن أسماء بنت يزيد قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول: « من ذب عن لحم أخيه في المغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار»." (٣)

"٤٣٣ - حدثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عمرو بن العاص أنه مر على بغل ميت، فقال لأصحابه: « لأن يأكل أحدكم من هذا البغل، حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل من لحم أخيه المسلم»." (٤)

"١٧٣٧ - حدثنا أبو داود قال: حدثنا عبد الله بن المبارك، وخارجة، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر، عن أسماء، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: « من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار»." (٥)

---

(١) موسوعة فقه القلوب، التويجري، محمد بن إبراهيم ٣١٤٥/٤

(٢) نسيمات من عبق الروضة، أمل طعمة ص/٩٧

(٣) الزهد والرقائق لابن المبارك والزهد لنعيم بن حماد ابن المبارك ٢٣٩/١

(٤) الزهد لوكيع وكيع بن الجراح ص/٧٤٨

(٥) مسند أبي داود الطيالسي أبو داود الطيالسي ٢٠١/٣

"٢٥٥٣٧ – حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، أن عمرو بن العاص، مر على بغل ميت، فقال لأصحابه: «أن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه، خير من أن يأكل **لحم أخيه** المسلم»." (١)

"٢٧٦٠٩ – حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار»." (٢)

"٢٧٦١٠ – حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا عبيد الله بن أبي زياد، حدثنا شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ذب عن **لحم أخيه** في الغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار»." (٣)

"١٥٧٧– أخبرنا أبو عاصم، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "من ذب عن **لحم أخيه** بالغيب، كان حقا على الله أن يعتقه من النار".

١٥٧٨– أخبرنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: "ألا أخبركم بخياركم؟ " قالوا: بلى يا رسول الله. قال: "الذين إذا رءوا ذكر الله". ثم قال: "ألا أخبركم بشراركم؟ الماشون بالنميمة، المفسدون بين الأحبة، الباغون البراء العنت".

١٥٧٩– حدثنا حسين بن علي الجعفي، عن زائدة، عن أبان بن أبي عياش، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "يبعث الله –عز وجل– يوم القيامة مناديا ينادي: سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم، أين الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله؟ فيقومون فيدخلون الجنة، ثم يرجع المنادي فيقول: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم، أين الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيدخلون الجنة، ثم يرجع المنادي فيقول: سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم. فيقول: أين الحمادون الله على كل شيء؟ وهم أكثر من الصنفين الأولين، فيدخلون الجنة".

١٥٧٧– إسناده ضعيف:

انظر سند الحديث المتقدم. وأخرجه أحمد "٦/ ٤٦١".

١٥٧٨– إسناده ضعيف:

شهر بن حوشب متكلم فيه.

وأخرجه أحمد "٦/ ٤٥٩" كما هاهنا.

وابن ماجه مقتصرا على الجزء الأول حديث رقم "٤١١٩".

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة أبو بكر بن أبي شيبة ٥/٢٣٠

(٢) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٤٥/٥٨٣

(٣) مسند أحمد مخرجا أحمد بن حنبل ٤٥/٥٨٤

١٥٧٩- ضعيف جدا:

أبان بن أبي عياش متروك وشهر بن حوشب متكلم فيه.." (١)

"١٠٢١ من أنت؟ تعرفين أهل قباء؟

٧٤٧ من ترك العصر متعمدا حتى تغرب الشمس

٨٩٩ من تطهر فأحسن الطهور ثم أتى الجمعة

٨٥٧ من توضأ على طهر كتبت له عشر حسنات

١٤٣٦ من توضأ فأحسن الوضوء

١٠٧٥ من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت

٨٠٢ من جر إزاره خيلاء

١٤٢٠ من حافظ على صلاة الضحى غفرت ذنوبه

٧٧٧ من حلف فقال: إن شاء الله

١٥٢٠ من حمل من أمتي دينا ثم جهد

١٤٥٨ من خاف أدلج

١٠١٥ من خاف ألا يستيقظ

١٥٧٧ من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعفيه من النار

١٠٤٤ من رآني في المنام

٨٩٣ من رأى منكم منكرا

١٠٥٨ من سلم المسلمون من لسانه

٧٦٨ من شرب الخمر

٨٥١ من شهد إملاك امرئ مسلم

١١١٤ من صام رمضان وستة من شوال فكأنما صام السنة كلها

٩٦٥ من صام يوم عرفة غفر له سنتين

٩٨٠ من صبر على لأوائها وشدتها كنت له شفيعا

١٥٥١ من صلى في يوم ثنتي عشرة ركعة حرم الله عز وجل لحمه على النار

١٤٣١ من طلب الدنيا حلالا استعفافا عن المسألة وسعيا على أهله وتعطفا على جاره جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر

١٣٧٦ من عال بنتا أو أختين." (٢)

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي عبد بن حميد ٤١٦/٢

(٢) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت مصطفى العدوي عبد بن حميد ٤٨٢/٢

"١٥٧٩ - أخبرنا أبو عاصم، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار»." (١)

"قال يحيي: وحدثنيه عبيد الله بن عبد الله بن عمر وعقبة بن شداد.

قال أبو داود: يحي بن سليم هذا: هو ابن زيد مولى النبي -صلى الله عليه وسلم-، وإسماعيل بن بشير: مولى بني مغالة، وقد قيل: عتبة بن شداد، موضع عقبة.

٤٢ - باب من ليس له غيبة

٤٨٨٥ - حدثنا علي بن نصر، أخبرنا عبد الصمد بن عبد الوارث من كتابه، قال: حدثني أبي، حدثنا الجريرى، عن أبي عبد الله الجشمي

= في "الحلية" ٨/ ١٨٩، والبيهقي في "السنن" ٨/ ١٦٧ - ١٦٨ و ١٦٨، وفي "الشعب" (٧٦٣٢)، وفي "الآداب" (١١١)، والبغوي في "شرح "السنة" (٣٥٣٢) من طرق عن الليث بن سعد، بهذا الإسناد.

وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٨٦٤٢) من طريق عبد الله بن صالح، عن الليث، عن يحي بن سليم بن زيد، عن إسماعيل بن بشير، عن جابر وأبي أيوب الأنصاري. فذكراه. فذكر أبا أيوب بدل أبي طلحة. وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن جابر وأبي أيوب إلا بهذا الإسناد تفرد به الليث، وقال الهيثمي في "المجمع" ٧/ ٢٦٧: رواه الطبراني في "الأوسط" وإسناده حسن.

وعلقه البخاري في "التاريخ الكبير" ١/ ٣٤٧ - ٣٤٨ عن عبد الله بن صالح.

وفي الباب عند أحمد في "مسنده" (٢٧٥٣٦) من حديث أبي الدرداء، عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من رد عن عرض أخيه المسلم، كان حقا على الله عز وجل أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة. وهو حديث حسن لغيره.

وعن سهل بن حنيف عند أحمد (١٥٩٨٥) عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال:" من أذل عنده مؤمن، فلم ينصره وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله عز وجل على رؤوس الخلائق يوم القيامة". وإسناده ضعيف.

وعن أسماء بنت يزيد عند أحمد أيضا (٢٧٦١٠) بإسناد ضعيف، ولفظه: "من ذب عن لحم أخيه في الغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار".." (٢)

---

(١) المنتخب من مسند عبد بن حميد ت صبحي السامرائي عبد بن حميد ص/٤٥٦

(٢) سنن أبي داود ت الأرنؤوط السجستاني، أبو داود ٧/٢٤٦

"٤٠ – حدثنا عبد الله، حدثنا يحيى بن يوسف الزمي، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة، رضي الله عنه قال: " من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فقيل له: كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويضج ويكلح "." (١)

"٣٩ – حدثنا عبد الله، حدثنا عبد الله بن أبي بدر، أخبرنا يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، قال: مر عمرو بن العاص، رضي الله عنه، على بغل ميت، فقال: «والله لأن يأكل أحدكم من لحم هذا خير له من أن يأكل **لحم أخيه**»." (٢)

"١٠٦ – حدثنا عبد الله، حدثني يعقوب بن عبيد، حدثنا هشام بن عمار، ثنا أبو المحبر الحمصي، عن شيخ، من أهل البصرة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا، أو قم عنهم، ثم تلا هذه الآية: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] "." (٣)

"١٧٧ – حدثنا عبد الله بن أبي بدر، أخبرنا يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس قال: مر عمرو بن العاص رضي الله عنه على بغل ميت، فقال: «والله لأن يأكل أحدكم من لحم هذا خير له من أن يأكل **لحم أخيه**»." (٤)

"١٧٨ – حدثنا يحيى بن يوسف الزمي، حدثنا محمد بن سلمة الحراني، عن محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " من أكل **لحم أخيه** في الدنيا، قرب إليه لحمه في الآخرة، فقيل له: كله ميتا كما أكلته حيا. فيأكله ويضج ويكلح "." (٥)

"٢٤٢ – حدثني يعقوب بن عبيد، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا أبو محبر الحمصي، عن شيخ، من أهل البصرة، عن أنس بن مالك، رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إذا وقع في الرجل وأنت في ملإ، فكن للرجل ناصرا، وللقوم زاجرا أو قم عنهم» ثم تلا هذه الآية: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] "." (٦)

"٢٧ – حدثنا داود بن المحبر، ثنا حماد بن سلمة، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أتيت بالبراق وهو دابة أبيض مضطرب الأذنين فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى

---

(١) ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٨
(٢) ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٨
(٣) ذم الغيبة والنميمة لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/٣٢
(٤) الصمت لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٢٥
(٥) الصمت لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٢٥
(٦) الصمت لابن أبي الدنيا ابن أبي الدنيا ص/١٤٩

طرفه فركبته فسار بي نحو بيت المقدس فبينما أنا أسير إذ ناداني مناد عن يميني يا محمد على رسلك -[١٧١]- أسألك حتى ناداني ثلاثا فلم أعرج عليه ثم ناداني مناد عن يساري يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني ثلاثا فلم أعرج عليه ثم استقبلتني امرأة عليها من كل حلي وزينة ناشرة يديها تقول يا محمد على رسلك أسألك تقول ذلك حتى كادت تغشاني فلم أعرج عليها حتى أتيت بيت المقدس فربطت الدابة بالحلقة التي تربط بها الأنبياء ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل بإناء فيه خمر وإناء فيه لبن فاخترت اللبن فقال: أصبت الفطرة ثم قال: ما لقيت في وجهك هذا قلت: بينما أنا أسير إذ ناداني مناد عن يميني يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني يا محمد على رسلك حتى ناداني بذلك ثلاثا قال: فما فعلت قلت: فلم أعرج عليه قال: ذاك داعي اليهود لو كنت عرجت عليه لتهودت أمتك قلت: ثم ناداني مناد عن يساري يا محمد على رسلك أسألك حتى ناداني بذلك ثلاثا قال: فما فعلت قلت: فلم أعرج عليه قال: ذاك داعي النصارى لو كنت عرجت عليه لتنصرت أمتك، قلت: ثم استقبلتني امرأة عليها من كل زينة ناشرة يديها تقول يا محمد على رسلك أسألك حتى كادت تغشاني قال: فما فعلت؟ قلت: فلم أعرج عليها قال: تلك الدنيا لو عرجت عليها لاخترت الدنيا على الآخرة ثم أتينا بالمعراج فإذا أحسن ما خلق الله ألم تر إلى الميت إذا شق بصره إنما يتبعه المعراج عجبا به، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [المعارج: ٤] قال: فقعدت في المعراج أنا وجبريل صلى الله عليهما وسلم حتى انتهينا إلى باب الحفظة فإذا عليه ملك يقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك ومع كل ملك سبعون ألف ملك قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ [المدثر: ٣١] فاستفتح جبريل قال: من أنت قال: جبريل قيل ومن معك قال: محمد قيل وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه ففتح لنا -[١٧٢]- فإذا أنا بآدم كهيئته يوم خلق قلت: من هذا يا جبريل قال: هذا أبوك آدم فرحب ودعا لي بخير فإذا الأرواح تعرض عليه فإذا مر به روح المؤمن قال: روح طيبة وريح طيبة وإذا مر عليه روح كافر قال: روح خبيثة وريح خبيثة، قال: ثم مضيت فإذا أنا بأخاوين عليها لحوم منتنة وأخاوين عليها لحوم طيبة وإذا رجال ينتهبون اللحوم المنتنة ويدعون اللحوم الطيبة فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الزناة يدعون الحلال ويتبعون الحرام ثم مضيت فإذا أناس قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يجيئون بالصخر من النار يقذفونها في أفواههم فتخرج من أدبارهم قلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء ﴿الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ [النساء: ١٠] قال: ثم مضيت فإذا أنا برجال قد وكل بهم رجال يفكون لحيهم وآخرون يقطعون لحومهم فيضفزوهم إياها بدمائها فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الهمازون، اللمازون ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] قال: ثم مضيت فإذا أنا بأناس معلقات بثديهن، فقلت: «من هؤلاء يا جبريل» ؟ قال: هؤلاء الظؤرات يقتلن أولادهن قال: ثم مضيت حتى انتهيت إلى سابلة آل فرعون، فإذا رجال بطونهم كالبيوت إذا عرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا، فيوقفون لآل فرعون -[١٧٣]- مستلقين على ظهورهم وبطونهم فيثردونهم آل فرعون ثردا بأرجلهم، فقلت: «من هؤلاء يا جبريل» ؟ قال: هؤلاء أكلة الربا، ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة: ٢٧٥]

فإذا عرض آل فرعون على النار قالوا: ربنا لا تقوم الساعة، لما يرون من عذاب الله. قال: ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل قيل: ومن معك؟ قال: محمد صلى الله عليه وسلم قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، قلت: «من هذا يا جبريل» ؟ قال: هذا أخوك يوسف، فرحب ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة، فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بابني الخالة يحيى وعيسى فرحبا ودعيا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب ودعا لي بخير، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾ [مريم: ٥٧] . قال: ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا فإذا أنا بهارون، فإذا أكثر من رأيت تبعا، وإذا لحيته شطران: شطر سواد وشطر بياض، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا المحبب في قومه، فرحب ودعا لي بخير -[١٧٤]-. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل، فقيل: من؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم، ففتح لنا، فإذا أنا بموسى، فرحب ودعا لي بخير، فقال موسى: تزعم بنو إسرائيل أني أكرم الخلق على الله، وهذا أكرم على الله مني، فلو كان إليه وحده لهان علي ولكن النبي معه أتباعه من أمته. ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لنا، فإذا أنا بشيخ أبيض الرأس واللحية، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، فقلت: من هذا يا جبريل؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، فرحب ودعا لي بخير، وقال: يا محمد هذه منزلتك ومنزلة أمتك ثم تلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين﴾ [آل عمران: ٦٨] . فدخلت إلى البيت المعمور فصليت فيه، ثم نظرت فإذا أمتي شطران: شطر عليهم ثياب رمد، وشطر عليهم ثياب بيض، فدخل الذين عليهم ثياب بيض واحتبس الآخرون. قال: ثم ذهب جبريل إلى سدرة المنتهى، فإذا الورقة من ورقها لو غطيت بها هذه الأمة لغطتهم، وإذا السلسبيل قد انفجر من أصلها، أو من أسفلها نهران: نهر الرحمة، ونهر الكوثر قال: فاغتسلت في نهر الرحمة فغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأعطيت الكوثر، فسلكته حتى انفجر في الجنة. فنظرت في الجنة، فإذا طيرها كالبخت، وإذا الرمانة من رمانها كجلد البعير -[١٧٥]- المقور، وإذا أنا بجارية فقلت: يا جارية، لمن أنت؟ قالت: لزيد بن حارثة، فبشرت بها زيدا، وإذا في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ونظرت إلى النار فإذا عذاب الله شديد، لا تقوم له الحجارة والحديد. قال: فرجعت إلى الكوثر حتى انتهيت إلى السدرة المنتهى، فغشيها من أمر الله ما غشي، ووقع على كل ورقة منها ملك، فأيدها الله بإداوته وأوحى إلي ما أوحى، وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ فقلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، فارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فرجعت فقلت: أي رب، خفف عن أمتي، فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى، فقال: ما فعلت؟ فقلت: حط عني خمسا، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فسله التخفيف، فرجعت فقلت: أي رب

خفف عن أمتي، فحط عني خمسا، فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى، ويحط عني خمسا، حتى فرض علي خمس صلوات في كل يوم وليلة، وقال: يا محمد إنه لا يبدل القول لدي، هي خمس صلوات لكل صلاة عشر، فهي خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشر أمثالها، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، فرجعت إلى موسى فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فسله التخفيف لأمتك، فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت "." (١)

"٣٦٠٢ - حدثنا عمرو، نا يزيد بن زريع، نا شعبة، عن قتادة، عن زرارة، عن عمران بن حصين، رضي الله عنه أن رجلا، عض آخر فانتزعها فانتزعت ثنيته فرجع ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأبطلها، وقال: « أراد أن يقضم لحم أخيه - أو لحم أخيك - كما يقضم الفحل» -[٧٤]- وهذا الحديث قد روي، عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه وهذا إسناد جيد، عن عمران بن حصين." (٢)

"٨٩٠ - حدثنا محمد بن يونس الكديمي، حدثنا أبو عاصم النبيل، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من ذب عن لحم أخيه بالغيبة، كان حقا على الله أن يعيذه من النار»." (٣)

"١٨٤ - حدثنا أبو جعفر أحمد بن يحيى بن مالك السوسي، ثنا أبو بلال الأشعري، ثنا حفص بن غياث، عن عبد الله بن موهب، عن عمه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لأن يأكل أحدكم من جيفة حتى يشبع، خير له من أن يأكل لحم أخيه المسلم»." (٤)

"٥٣٤ - حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة، حدثني أبي، ثنا محمد بن يزيد الواسطي، عن أيوب أبي العلاء، عن قتادة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين، أن رجلا عض على يد رجل، فنزع يده منه، فوقعت ثنيتاه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأبطلها، ثم قال: « يأكل أحدكم لحم أخيه كما يأكل الفحل، أو كما يعض الفحل»." (٥)

"٤٤٢ - حدثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عاصم، ثنا عبيد الله بن أبي زياد، ثنا شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من ذب عن لحم أخيه في المغيب كان حقا على الله أن يقيه من النار»." (٦)

---

(١) مسند الحارث = بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث الحارث بن أبي أسامة ١٧٠/١
(٢) مسند البزار = البحر الزخار البزار، أبو بكر ٧٣/٩
(٣) مكارم الأخلاق للخرائطي الخرائطي ص/٢٩٢
(٤) مساوئ الأخلاق للخرائطي الخرائطي ص/٩٧
(٥) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ٢١٤/١٨
(٦) المعجم الكبير للطبراني الطبراني ١٧٥/٢٤

"١٦٥٦ – حدثنا أحمد قال: نا عبد الصمد بن محمد بن معدان السلمسيني قال: نا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن موسى بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من أكل لحم أخيه في الدنيا، قرب إليه يوم القيامة، فيقال له: كله حيا كما أكلته ميتا. فيأكله، ويكلح ويصيح» -[١٨٣]- لم يرو هذا الحديث عن ابن إسحاق إلا محمد بن سلمة "." (١)

"٥٥٢٤ – حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة قال: ثنا أبي قال: ثنا محمد بن يزيد الواسطي، عن أيوب أبي العلاء، عن قتادة، والحكم بن عتيبة، عن زرارة بن أوفى، عن عمران بن حصين، أن رجلا عض يد رجل، فنزع يده منه، فوقعت ثنيته، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأبطلها، ثم قال: « يأكل أحدكم لحم أخيه كما يأكل الفحل أو كما يعض الفحل» لم يرو هذا الحديث عن الحكم بن عتيبة إلا أيوب أبو العلاء، ولا عن أيوب إلا محمد بن يزيد، تفرد به: عثمان بن أبي شيبة "." (٢)

"١٨ – حدثنا محمود، حدثنا إسماعيل، حدثنا سلام، وابن المبارك، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت أوس الأنصاري، قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من ذب عن لحم أخيه من مغيبة، كان حقا على الله عز وجل أن يعتقه من النار»." (٣)

"٢٤٩ – حدثنا الوليد، نا الحسين بن علي، قال: قرئ على عامر، عن أسباط، عن السدي، قال: زعم أن سلمان كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما، ويخف بهما، وينال من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم، بقي سلمان نائما، لم يسر معهم، فنزل صاحباه، فطلباه، فلم يجداه، فضربا الخباء، فقالا: ما يريد هذا العبد إلا أن يجيء إلى طعام معد، وخباء مضروب؟ فلما جاء سلمان، أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه قدح، فقال: يا رسول الله، بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك -[١٠٨]-، قال: «ما يصنع أصحابك بالأدم؟ قد ائتدموا» ، فرجع سلمان فأخبرهما فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالا: لا، والذي بعثك بالحق، ما أصبنا طعاما منذ نزلنا، قال: « إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما» ، فنزلت: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] «إنه كان نائما»." (٤)

"دخل دار الدباغين، لا يقدر على القرار فيها من شدة الرائحة، وأهل تلك الدار يأكلون فيها الطعام ويشربون الشراب، ولا تتبين لهم الرائحة لأنه قد امتلأت أنوفهم منها، كذلك أمر الغيبة في يومنا هذا

٢٠٩ – وروى أسباط ، عند السدي ، قال.

---

(١) المعجم الأوسط الطبراني ١٨٢/٢

(٢) المعجم الأوسط الطبراني ٣٥١/٥

(٣) الفوائد لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ص/٤٨

(٤) التوبيخ والتنبيه لأبي الشيخ الأصبهاني أبو الشيخ الأصبهاني ص/١٠٧

كان سلمان الفارسي في سفر مع أناس وفيهم عمر رضي الله تعالى عنه، فنزلوا منزلا فضربوا خيامهم وصنعوا طعامهم، ونام سلمان فقال بعض القوم: ما يريد هذا العبد إلا أن يجيء إلى خيام مضروبة وطعام مصنوع، ثم قالوا بعد ذلك لسلمان انطلق إلى النبي صلى الله عليه وسلم فالتمس لنا إداما، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أخبرهم أنهم قد ائتدموا» ، فأخبرهم بذلك فقالوا ما طعمنا بعد، وما كذب النبي صلى الله عليه وسلم عليكم فأتوه فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «قد ائتدمتم من صاحبكم، حين قلتم وهو نائم» ، ثم قرأ عليهم: ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢] ، يعني معصية.

قال سفيان: الظن ظنان: ظن فيه إثم وظن ليس فيه إثم.

فأما الظن الذي فيه إثم فالذي يتكلم به.

وأما الظن الذي ليس فيه إثم، فما يضمره ولا يتكلم به ﴿ولا تجسسوا﴾ [الحجرات: ١٢] ويقول ولا تطلبوا عيب أخيكم ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] ، يعني كما تكرهون أكل لحم أخيكم ميتا، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء غائبا.

٢١٠ - وروي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه ، في هذه الآية: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: ١٢] قال: نزلت في رجلين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم ضم مع كل رجلين غنيين في السفر رجلا من أصحابه قليل الشيء ليصيب معهما من طعامهما، ويتقدمهما في المنازل ويهيئ لهما المنزل وما يصلح لهما.

وقد كان ضم سلمان إلى رجلين، فنزلا من المنازل ذات يوم ولم يهيئ لهما شيئا، فقالا له اذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسل لنا فضل إدام.

فانطلق فقال أحدهما لصاحبه حين غاب عنهما، أنه لو انتهى إلى بئر كذا لقل الماء.

فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبلغه الرسالة قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قل لهما قد أكلتما الإدام»." (١)

"حدثنا أحمد بن إسحاق، ثنا عبد الله بن سليمان، قال: ثنا عباس بن الوليد، قال: أخبرني أبي قال: ثنا الأوزاعي، قال: سمعت يحيى، يقول: " يصوم الرجل عن الحلال الطيب، ويفطر على الحرام الخبيث، **لحم أخيه** - يعني اغتيابه - قال: وسمعت يحيى يقول: لا يعجب حلم امرئ حتى يغضب، ولا أمانته حتى يطمع، فإنك لا تدري على أي شقيه يقع "." (٢)

"﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ [الكهف: ٧٣] .

أنه لم ينس ولكنه معاريض الكلام. وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب.

---

(١) تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين للسمرقندي أبو الليث السمرقندي ص/١٦٣

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء أبو نعيم الأصبهاني ٦٩/٣

واعلم أن من الصدق ما يقوم مقام الكذب في القبح والمعرة ويزيد عليه في الأذى والمضرة، وهي الغيبة والنميمة والسعاية. فأما الغيبة فإنها خيانة وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر. قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] .

يعني أنه كما لا يحل لحمه ميتا لا تحل غيبته حيا. وروي «أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وجعلتا تغتابان الناس فأخبر بذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: صامتا عما أحل لهما، وأفطرتا على ما حرم عليهما» .

وروت أسماء بنت يزيد قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب كان حقا على الله عز وجل أن يحرم لحمه على النار» . وقال عدي بن حاتم: الغيبة رعي اللئام. وكان الحسن البصري – رحمه الله تعالى –، يقول: الغيبة فاكهة النساء. وقال رجل لابن سيرين – رحمه الله –: إني اغتبتك فاجعلني في حل. فقال ما أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك.

وقال ابن السماك: لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك. وقال الشاعر:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا من مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكروا ... ولا تعب أحدا منهم بما فيكا

وربما عذر المغتاب نفسه بأنه يقول حقا ويعلن فسقا. ويستشهد بما روي عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال: «ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة الإمام الجائر وشارب الخمر والمعلن بفسقه» . فيبعد من الصواب ويجانب الأدب؛ لأنه وإن كان بالغيبة صادقا فقد هتك سترا كان بصونه أولى." (١)

" باب ترك الغيبة وتتبع عورات المسلمين قال الله عز وجل: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] .." (٢)

"قال الحسن: لا يغرك توطيهم رقاب المسلمين، وإن هملجت بهم خيولهم ورفرفت بهم ركابهم، إن ذل المعصية في قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه.

كان يقال: من أحبك نهاك ومن أبغضك أغراك.

قال العتبي: خطب يزيد بن الوليد فأرجز وقال: أيها الناس! الأمر أمر الله، والطاعة طاعة الله، فأطيعوني ما أطعت الله، يغفر الله لي ولكم.

قالت هند: الطاعة مقرونة بالمحبة، فالمطيع محبوب، وإن نأت داره، وقلت آثاره، والمعصية مقرونة بالبغضة، فالعاصي ممقوت، وإن مستك رحمته، ونالك معروفه.

---

(١) أدب الدنيا والدين الماوردي ص/٢٦٦

(٢) الآداب للبيهقي البيهقي، أبو بكر ص/٤٨

كتب ابن السماك إلى أخ له: أفضل العبادة الإمساك عن المعصية، والوقوف عند الشبهة، وأقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة، وقاله سفيان بن عيينة.

ذكر إبليس عند أبي حاتم، فقال: وماإبليس! فوالله لقد عصى فما ضر، وأطيع فما نفع.

قال محمود الوراق وتنسب إلى الشافعي:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه ... هذا محال في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك مضيع

وقال إسحاق الموصلي:

الملك والعز والمروءة والفط ... نة والنبل واليسار معا

مجتمعات في طاعة العبد لل ... ه إذا العبد أعمل الورعا

واللؤم والذل والضراعة وال ... فاقة في أصل أذن من طمعا

وقال أبو العتاهية:

أراك امرءا ترجو من الله عفوه ... وأنت على مالا يحب مقيم

فحتى متى تعصي ويعفو إلى متى ... تبارك ربي إنه لرحيم

وله أيضا:؟

أطع الله بجهدك ... صادقا أو بعض جهدك

أعط مولاك كما تط ... لب من طاعة عبدك

باب الغيبة والنميمة

قال الله عزوجل: " ويل لكل همزة لمزة "، قال مجاهد: هو الطعان الآكل لحوم الناس.

قال الله عزوجل: " ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه وهو في بيته ".

قال عمر بن الخطاب: من أدى الأمانة، وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل.

وقع بين سعد وخالد كلام، فذهب رجل يقع في خالد عند سعد فقال سعد: مه، إن ما بيننا لم يبلغ ديننا.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا قلت في أخيك ما فيه مما يكره فقد اغتبته، وإن قلت فيه ما ليس فيه فذلك البهتان. " قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من كف عن أعراض المسلمين لسانه أقاله الله يوم القيامة عثرته ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " شراركم أيها الناس المشاءون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون لأهل البر العثرات ".

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة لا غيبة فيهم: الفاسق المعلن بفسقه، وشارب الخمر، والسلطان الجائر ".

قال رجل لابن سيرين: إني وقعت فيك، فاجعلني في حل، قال: لا أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك.

قال رجل للحسن البصري: إني اغتبت فلانا وإني أريد أن أستحله فقال: لم يكفك أن أغتبته حتى تريد أن تبهته.

قال ابن عباد الصاحب:

؟؟ احذر الغيبة فهي ال ... فسق لا رخصة فيه

إنما المغتاب كالآ ... كل من **لحم أخيه**

قال حذيفة: كفارة من اغتبته أن تستغفر له.

قال عبد الله بن مبارك لسفيان بن عيينة: التوبة من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، قال سفيان: بل تستغفره مما قلت فيه: قال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين.

قال عدي بن حاتم: الغيبة مرعى اللئام.

قال أبو العتاهية: الصائم في عبادة ما لم يغتب.

قال ابن محيريز: مامن ذنب أجدر أن تجده من الرجل – وإن أعجبك – من الغيبة.

قال أبو حاتم: أربح التجارة ذكر الله، وأخسر التجارة ذكر الناس.

قال الفضيل بن عياض: ذكر الناس داء، وذكر الله شفاء.

سمع قتيبة بن مسلم رجلا يغتاب آخر، فقال: لقد مضغت مضغة طالما لفظها الكرام.." (١)

"من حاله أنه يسمع ذلك الكلام فيكون فتنة له إما لتوهمه أنه وقته ولا يكون أو لأنه يحمل نفسه ما لا يطيق فيرحمه الله تعالى بأن يحفظ سمعه عن ذلك الكلام إما صيانة له أو عصمة عن غلطه، وقال مشايخ هذه الطريقة: ربما يكون السبب فيه حضور من ليس بأهل لسماعه من الجن إذ لا تخلو مجالس القوم من حضور جماعة من الجن.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: اعتللت مرة بمرو فاشتقت أن أرجع إلى نيسابور فرأيت في المنام كأن قائلا يقول لي لا يمكنك أن تخرج من هذا البلد فإن جماعة من الجن قد استحلوا كلامك ويحضرون مجلسك فلأجلهم تجلس ههنا.

وقال بعض الحكماء: إنما خلق للإنسان لسان واحد وعينان وأذنان ليسمع ويبصر أكثر مما يقول.

ودعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فلما جلس أخذوا في الغيبة فقال: عندنا يؤكل اللحم بعد الخبز وأنتم ابتدأتم بأكل اللحم أشار إلى قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] وقال بعضهم: الصمت لسان الحلم، وقال بعضهم: تعلم الصمت كما تتعلم الكلام فإن كان الكلام يهديك فإن الصمت يقيك.

وقيل: عفة اللسان صمته، وقيل: مثل اللسان مثل السبع إن لم توثقه عدا عليك.

---

(١) بهجة المجالس وأنس المجالس ابن عبد البر ص/٨٦

وسئل أبو حفص أي الحالين للولي أفضل الصمت أو النطق؟ فقال: لو علم الناطق ما آفة النطق لصمت إن استطاع عمر نوح ولو علم الصامت ما آفة الصمت لسأل الله تعالى ضعفى عمر نوح حتى ينطق.." (١)

"باب الغيبة قال الله عز وجل: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] الآية.

أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم بن إسماعيل ، قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل ، قال: حدثنا علي بن الحسن ، قال: حدثنا إسحاق بن عيسى بن بنت داود بن أبي هند ، قال: حدثنا محمد بن أبي حميد ، عن موسى بن وردان ، عن أبي هريرة: أن رجلا قام وهو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك جالس، فقال بعض القوم: ما أعجز فلانا.

فقال صلى الله عليه وسلم: أكلتم أخاكم واغتبتموه "

وأوحي الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من مات تائبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات مصرا عليها ، فهو أول من يدخل النار وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين: إن الله تعالى حكم عدل فكما يأخذ من الحجاج يأخذ للحجاج وإنك إذا لقيت الله عز وجل غدا كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج.

وقيل: دعي إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فحضر فذكروا رجلا لم يأتهم فقالوا إنه ثقيل فقال إبراهيم: إنما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت موضعا يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام.

وقيل: مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقا يرمي به حسناته شرقا وغربا يغتاب واحدا خراسانيا وآخر حجازيا وآخر تركيا فيفرق حسناته ويقوم ولا شيء معه،." (٢)

"بالأجر؛ فعل المستأجر بأجيره، فقال تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب (١٠)

وأين الأجر وإن كثر حتى صار بغير حساب من الجزاء، ثم قال في الصبر:

(يوفى) ، فلم يسم فاعله، وقال في الشكر: ((وسنجزي الشاكرين (١٤٥) ،

(وسيجزي الله الشاكرين (١٤٤)

فانظر إلى هذا اللطف في المقال قبل الانتهاء إلى الفعال ولم يذكر من أنبيائه بالشكر إلا اثنين كما تقدم ووصف جماعتهم بالصبر فقال: (كل من الصابرين (٨٥)

وقال: (إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور (٥)

فجعل الصبر مبدأ والشكر منتهى؛ ولأن الصبر محمول عليه

قهرا والشكر مؤدى تطوعا.

---

(١) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢٤٩/١

(٢) الرسالة القشيرية القشيري، عبد الكريم ٢٩١/١

الغيبة والنميمة

الغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما فيه من عيب من غير أن يحوج إلى ذكره،

وقد عظم الله – عز وجل – أمرها فقال: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه)

وقال تعالى: (هماز مشاء بنميم (١١)

وقال عليه الصلاة والسلام: " لا يدخل الجنة قتات "، وروي: " النميمة تفطر الصائم وتنقض الوضوء "، وقل من وجد عائبا إلا كان معيبا، وقال قتيبة لرجل رآه يغتاب آخر: لقد تلمظت بما يعافه الكرام، وحق الإنسان أن لا يتعودها فإن لها ضراوة، ولذلك عير إنسان آخر بالغيبة فقال: لو تلمظت بها لما صبرت عنها، ثم إن من اغتاب اغتيب، ومن عاب عيب، فبحثه عن عيوب الناس يحمل الناس على البحث عن عيوبه وكما يجب أن يتحراها بقوله يجب أن يتجنب من سماعها وسماع كل قبيح من الكذب، لئلا يعلق وضره ووسخه بفكرته فوضر كل كلمة عوراء لا يمكن

تطهير القلب عنه إلا بزمان مديد وعلاج شديد، وسماع القبيح قد يصير سببا لفساد الكبير المجيد وغواية العالم المستبصر، فضلا عن فساد الحدث الغر والناشئ الغمر، ولذلك قال تعالى في مدح قوم: (وإذا مروا باللغو مروا كراما (٧٢)

وقد أجاد من قال:

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

وكقبح الغيبة والنميمة المسابة، قال أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه: " ما تساب

.. " (١)

"لغيرك والصلاح لنفسك. ولكن إن كان مقصودك من قولك: أصلحه الله – الدعاء؛ فادع له في السر. وإن اغتممت بسببه، فعلامة أنك لا تريد فضيحته واظهار عيبه، وفي إظهارك الغم بعيبه إظهار تعييبه.

ويكفيك زاجرا عن الغيبة قوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه) . فقد شبهك الله بآكل لحم الميتة؛ فما أجدرك أن تحترز منها؟؟؟! ويمنعك عن الغيبة أمر لو تفكرت فيه وهو أن تنظر في نفسك، هل فيك عيب ظاهر أو باطن؟، وهل أنت مقارف معصية سرا أو جهرا؟ فإذا عرفت ذلك من نفسك، فاعلم أن عجزه عن التنزهي عما نسبته إليه كعجزك، وعذره كعذرك. وكما تكره أن تفتضح وتذكر عيوبك، فهو أيضا يكرهه؛ فإن سترته ستر الله عليك عيوبك، وإن فضحته سلط الله عليك ألسنة حدادا، يمزقون عرضك في الدينا، ثم يفضك الله في الآخرة على رؤوس الخلائق يوم القيامة.

وإن نظرت إلى ظاهرك وباطنك، فلم تطلع فيهما على عيب ونقص في دين ولا دنيا، فاعلم أن جهلك بعيوب نفسك أقبح أنواع الحماقة، ولا عيب أعظم من الحمق. ولو أراد الله بك خيرا لبصرك بعيوب نفسك، فرؤيتك نفسك بعين الرضا غاية غباوتك وجهلك. ثم إن كنت صادقا في ظنك فاشكر الله تعالى عليه ولا تفسده بثلب الناس، والتمضمض بأعراضهم؛ فإن ذلك من أعظم العيوب.

---

(١) الذريعة الى مكارم الشريعة الراغب الأصفهاني ص/٢٠٠

الرابع المراء والجدال ومناقشة الناس في الكلام
فذلك فيه إيذاء للمخاطب وتجهيل له، وطعن فيه، وفيه ثناء على النفس وتزكية لها بمزيد الفطنة والعلم، ثم هو مشوش للعيش؛ فإنك لا تمارى سفيها إلا ويؤذيك، ولا تماري حليما إلا ويقليك ويحقد عليك؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم: (من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة، ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة) .
ولا ينبغي أن يخدعك الشيطان ويقول لك: أظهر الحق ولا تداهن فيه، فإن الشيطان أدبا يستجر الحمقى إلى الشر في معرض الخير، فلا تكن ضحكة للشيطان فيسخر منك، فاظهار الحق حسن مع من يقبله منك، وذلك بطريق النصيحة في الخفية لا بطريق المماراة.
وللنصيحة صفة وهيئة، ويحتاج." (١)
"قال عليه السلام إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره (١)
وإنما أمر بالإخبار لأن ذلك يوجب زيادة حب فإن عرف أنك تحبه أحبك بالطبع لا محالة فإذا عرفت أنه أيضا يحبك زاد حبك لا محالة فلا يزال الحب يتزايد من الجانبين ويتضاعف
والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع ومحبوب في الذين ولذلك علم فيه الطريق فقال تهادوا تحابوا (٢)
ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه في غيبته وحضوره
قال عمر رضي الله عنه ثلاث يصفين لك ود أخيك أن تسلم عليه إذا لقيته أولا وتوسع له في المجلس وتدعوه بأحب أسمائه إليه
ومن ذلك أن تثني عليه بما تعرف من محاسن أحواله عند من يؤثر هو الثناء عنده فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة وكذلك الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيئته وخطه وشعره وتصنيفه وجميع ما يفرح به وذلك من غير كذب وإفراط ولكن تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح فإن إخفاء ذلك محض الحسد ومن ذلك تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك
قال علي رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعة وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه والسكوت عن ذلك موغر للصدر ومنفر للقلب وتقصير في حق الأخوة
وإنما شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الأخوين باليدين تغسل إحداهما الأخرى لينضر أحدهما الآخر وينوب عنه (٣)
وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخدله ولا يثلمه (٤)
وهذا من الانثلام والخذلان فإن إهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه
فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك وتمزيق الأعراض

---

(١) بداية الهداية أبو حامد الغزالي ص/٥٤

أشد على النفوس من تمزيق اللحوم ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ والملك الذي يمثله في المنام ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة يمثل الغيبة بأكل لحوم الميتة حتى أن من يرى أنه يأكل لحم ميتة فإنه يغتاب الناس لأن ذلك الملك في تمثيله يراعي المشاركة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال مجرى الروح لا في ظاهر الصور

فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوة

وقد قال مجاهد لا تذكر أخاك في غيبته إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك

فإذن لك فيه معياران أحدهما أن تقدر أن الذي قيل فيه لو قيل فيك وكان أخوك حاضرا ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به

والثاني أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار يسمع قولك ويظن أنك لا تعرف حضوره فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرأى فينبغي أن يكون في مغيبه كذلك فقد قال بعضهم ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمعه لو حضر وقال آخر ما ذكر أخ لي إلا تصورت نفسي في صورته فقلت فيه مثل ما أحب أن يقال في وهذا من صدق الإسلام وهو أن لا يرى لأخيه إلا ما يراه لنفسه

وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين يحرثان في فدان فوقف أحدهما يحك جسمه فوقف الآخر فبكى وقال هكذا الإخوان في الله يعملان لله فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر

وبالموافقة يتم الإخلاص ومن لم يكن مخلصا في إخائه فهو منافق

والإخلاص استواء الغيب والشهادة

---

(١) حديث إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره أخرجه أبو داود والترمذي قال حسن صحيح والحاكم من حديث المقدام بن معد يكرب

(٢) حديث تهادوا تحابوا أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة وقد تقدم غير مرة

(٣) حديث تشبيه الأخوين باليدين تقدم في الباب قبله

(٤) حديث المسلم أخو المسلم تقدم في أثناء حديث قبله بسبعة أحاديث." (١)

"إن الكذب ليكتب كذبا حتى تكتب الكذبة كذبية (١)

وقد كان أهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب

قال الليث بن سعد كانت عينا سعد بن المسيب ترمص حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال له لو مسحت عينيك فيقول وأين قول الطبيب لا تمس عينيك فأقول لا أفعل وهذه مراقبة أهل الورع

ومن تركه انسل لسانه في الكذب عند حد اختياره فيكذب ولا يشعر

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٨١/٢

وعن خوات التيمي قال جاءت أخت الربيع بن خثيم عائدة لابن له فانكبت عليه فقالت كيف أنت يا بني فجلس الربيع وقال أرضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن أخي فصدقت ومن العادة أن يقول يعلم الله فيما لا يعلمه

قال عيسى عليه السلام إن من عظم الذنوب عند الله أن يقول العبد إن الله يعلم لما لا يعلم

وربما يكذب في حكاية المنام والإثم فيه عظيم إذ قال صلى الله عليه وسلم إن من أعظم الفرية أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يري عينيه في المنام ما لم ير أو يقول علي ما لم أقل (٢) حديث من كذب في حلمه كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرة أخرجه البخاري من حديث ابن عباس (٣) حديث كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه أخرجه مسلم من حديث أي هريرة (٤) حديث لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله ولا يغتب بعضكم بعضا وقد تقدم في آداب الصحبة (٥) حديث جابر وأبي سعيد إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا الحديث أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه في التفسير (٦) حديث أنس مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظفارهم الحديث أخرجه أبو داود مسندا ومرسلا والمسند أصح //

وقال سليم بن جابر أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت علمني خيرا أنتفع به فقال لا تحقرن

---

(١) حديث مجاهد عن أسماء بنت عميس كنت صاحبة عائشة التي هيأتها وأدخلتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه قال لا تجمعن جوعا وكذبا أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت والطبراني في الكبير وله نحوه من رواية شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد وهو الصواب فإن أسماء بنت عميس كانت إذ ذاك بالحبشة لكن في طبقات الأصبهانيين لأبي الشيخ من رواية عطاء بن أبي رباح عن أسماء بنت عميس زففنا إلى النبي صلى الله عليه وسلم بعض نسائه الحديث فإذا كانت غير عائشة ممن تزوجها بعد خيبر فلا مانع من ذلك

(٢) حديث إن من أعظم الفري أن يدعي الرجل إلى غير أبيه أو يرى عينيه في المنام ما لم تريا أو يقول على ما لم أقل أخرجه البخاري من حديث واثلة بن الأسقع وله من حديث ابن عمر من أفرى الفري أن يرى عينيه ما لم تريا

وقال صلى الله عليه وسلم من كذب في حلم كلف يوم القيامة أن يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد بينهما أبدا

(٣) الآفة الخامسة عشرة الغيبة

والنظر فيها طويل فلنذكر أولا مذمة الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبه بآكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه

(٤) والغيبة تتناول العرض وقد جمع الله بينه وبين المال والدم وقال أبو برزة قال صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تفاحشوا ولا تدابروا ولا يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله إخوانا

(٥) وعن جابر وأبي سعيد قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والغيبة فإن الغيبة أشد من الزنا فإن الرجل يزني

ويتوب فيتوب الله سبحانه عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه

(٦) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة سري بن على أقوام يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في أعراضهم." (١)

"جيفة فقال ما أصبتما من أخيكما أنتن من هذه (١) وكان الصحابة رضي الله عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك أفضل الأعمال ويرون خلافه عادة المنافقين وقال أبو هريرة من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة وقيل له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله فينضج ويكلح // حديث أبي هريرة من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا الحديث أخرجه ابن مردويه في التفسير مرفوعا وموقوفا وفيه محمد بن إسحاق رواه بالعنعنة وروي مرفوعا كذلك وروي أن رجلين كانا قاعدين عند باب من أبواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شيء وأقيمت الصلاة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في أنفسهما ما قالا فأتيا عطاء فسألاه فأمرهما أن يعيدا الوضوء والصلاة وأمرهما أن يقضيا الصيام إن كانا صائمين وعن مجاهد أنه قال في ويل لكل همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال قيادة ذكر لنا أن عذاب القبر ثلاثة أثلاث ثلث من الغيبة وثلث من النميمة وثلث من البول وقال الحسن والله للغيبة أسرع في دين الرجل المؤمن من الأكله في الجسد وقال بعضهم أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس وقال ابن عباس إذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك وقال أبو هريرة يبصر أحدكم القذى في عين أخيه ولا يبصر الجذع في عين نفسه وكان الحسن يقول ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تغيب الناس بعيب هو فيك وحتى تبدأ بصلاح ذلك الغيب فتصلحه من فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك وأحب العباد إلى الله من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى عليه السلام ومعه الحواريون بجيفة كلب فقال الحواريون ما أنتن ريح هذا الكلب فقال عليه الصلاة والسلام ما أشد بياض أسنانه كأنه رضي الله عنهما رجلا يغتاب آخر فقال له إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله تعالى فإنه شفاء وإياكم وذكر الناس فإنه داء نسأل الله حسن التوفيق لطاعته

بيان معنى الغيبة وحدودها

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواه ذكرته بنقص في بدنه أو نسبه أو في خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه حتى في ثوبه وداره ودابته

أما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان وأما النسب فبأن تقول أبوه نبطي أو هندي أو فاسق أو خسيس أو إسكاف أو زبال أو شيء مما يكرهه كيفما كان وأما الخلق فبأن تقول هو سيء الخلق بخيل متكبر مراء شديد الغضب جبال عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه وأما في أفعاله المتعلقة بالدين فكقولك هو سارق أو كذاب أو شارب خمر أو خائن أو ظالم أو متهاون بالصلاة أو الزكاة

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤١/٣

أو لا يحسن الركوع أو السجود أو لا يحترز من النجاسات أو ليس بارا بوالديه أو لا يضع الزكاة موضعها أو لا يحسن قسمها أو لا يحرس صومه عن الرفث والغيبة والتعرض لأعراض الناس وأما فعله المتعلق بالدنيا فكقولك إنه قليل الأدب متهاون بالناس أو لا يرى لأحد

---

(١) حديث قوله للرجل الذي قال لصاحبه في حق المرجوم هذا أقعص كما يقعص الكلب فمر بجيفة فقال انهشا منها الحديث أخرجه أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة نحوه بإسناد جيد." (١)

"على نفسه حقا أو يرى لنفسه الحق على الناس أو أنه كثير الكلام كثير الأكل نئوم ينام في غير وقت النوم ويجلس في غير موضعه وأما في ثوبه فكقولك إنه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب

وقال قوم لا غيبة في الدين لأنه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه بها يجوز بدليل ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت له امرأة وكثرة صلاحها وصومها ولكنها تؤذي جيرانها بلسانها فقال هي في النار (١) حديث ذكر امرأة أخرى بأنها بخيلة قال فما خيرها إذن أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث أبي جعفر محمد بن علي مرسلا ورويناه في أمالي ابن شمعون هكذا (٢) حديث هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره الحديث أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٣) حديث معاذ ذكر رجل عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه الحديث أخرجه الطبراني بسند ضعيف (٤) حديث عائشة أنها ذكرت امرأة فقال إنها قصيرة فقال اغتبتيها رواه أحمد وأصله عند أبي داود والترمذي وصححه بلفظ آخر ووقع عند المصنف عن حذيفة عن عائشة وكذا هو في الصمت لابن أبي الدنيا والصواب عن أبي حذيفة كما عند أحمد وأبي داود والترمذي واسم أبي حذيفة سلمة بن صهيب (٥) حديث عائشة قلت لامرأة وإن هذه طويلة الذيل فقال صلى الله عليه وسلم الفظي فلفظت بضعة من لحم أخرجه ابن أبي الدنيا وابن مردويه في التفسير وفي إسناده امرأة لا أعرفها //

بيان أن الغيبة لا تقتصر على اللسان

اعلم أن الذكر باللسان إنما حرم لأن فيه تفهيم الغير نقصان أخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض به كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والغمز والهمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام

فمن ذلك قول عائشة رضي الله عنها دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي أنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ذكر له امرأة وكثرة صومها وصلاتها لكن تؤذي جيرانها فقال هي في النار أخرجه ابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة

وذكرت عنده امرأة أخرى بأنها بخيلة فقال فما خيرها إذن

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤٣/٣

(٢) فهذا فاسد لأنهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم إلى تعرف الأحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقيص ولا يحتاج إليه في غير مجلس الرسول صلى الله عليه وسلم

والدليل عليه إجماع الأمة على أن من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لأنه داخل فيما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة

وكل هذا وإن كان صادقا فيه فهو به مغتاب عاص لربه وآكل **لحم أخيه** بدليل ما روي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكرهه قيل أرأيت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته

(٣) وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما أعجزه فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتم أخاكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه قال إن قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه

(٤) وعن حذيفة عن عائشة رضي الله عنها أنها ذكرت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم امرأة فقالت إنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم اغتبتيها

(٥) وقال الحسن ذكر الغير ثلاثة الغيبة والبهتان والإفك وكل في كتاب الله عز وجل فالغيبة أن تقول ما فيه والبهتان أن تقول ما ليس فيه والإفك أن تقول ما بلغك وذكر ابن سيرين رجلا فقال ذاك الرجل الأسود ثم قال أستغفر الله إني أراني قد اغتبته

وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي فوضع يده على عينه ولم يقل الأعور

وقالت عائشة لا يغتابن أحدكم أحدا فإني قلت لامرأة مرة وأنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إن هذه لطويلة الذيل فقال لي الفظي الفظي فلفظت مضغة لحم." (١)

"بالنفاق، لقوله عز وجل: ﴿كأنهم خشب مسندة﴾ [المنافقون: ٤].

والحجارة تعبر بالقسوة، لقوله جل ذكره: ﴿فهي كالحجارة أو أشد قسوة﴾ [البقرة: ٧٤].

والمريض بالنفاق، لقوله تبارك وتعالى: ﴿في قلوبهم مرض﴾ [البقرة: ١٠].

والبيض يعبر بالنساء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ [الصافات: ٤٩]، وكذلك اللباس، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿هن لباس لكم﴾ [البقرة: ١٨٧].

واستفتاح الباب يعبر بالدعاء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إن تستفتحوا﴾ [الأنفال: ١٩]، أي: تدعوا.

والماء يعبر بالفتنة في بعض الأحوال، لقوله عز وجل: ﴿لأسقيناهم ماء غدقا ﴿١٦﴾ لنفتنهم فيه﴾ [الجن: ١٦ - ١٧].

وأكل اللحم النيء يعبر بالغيبة، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢].

ودخول الملك محلة، أو بلدة، أو دارا تصغر عن قدره، وينكر دخول مثله مثلها، يعبر بالمصيبة والذل ينال أهلها، لقوله تبارك وتعالى: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها﴾ [النمل: ٣٤].

---

(١) إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي ١٤٤/٣

وأما التأويل بدلالة الحديث كالغراب، يعبر بالرجل الفاسق، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماه فاسقا.

والفأرة يعبر بالمرأة الفاسقة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم سماها فويسقة.

والضلع يعبر بالمرأة، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن المرأة خلقت من ضلع أعوج».

والقوارير تعبر بالنساء، لقوله صلى الله عليه وسلم: «يا أنجشة،." (١)

"٣٥٢٩ - أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو عاصم، والمكي بن إبراهيم، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد بن السكن، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذب عن **لحم أخيه** بالمعيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار»

٣٥٣٠ - أخبرنا عبد الواحد المليحي، أنا أبو منصور السمعاني، نا أبو جعفر الرياني، نا حميد بن زنجويه، نا آدم بن أبي إياس، نا إسماعيل بن عياش، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم، يقول: «من اغتيب عنده أخوه المسلم، وهو يقدر على نصره، فنصره، نصره الله في الدنيا والآخرة».

وأخبرنا الصالحي، أنا ابن بشران، أخبرنا إسماعيل الصفار، نا الرمادي، نا عبد الرزاق، أنا معمر، والثوري، عن أبان، بإسناده مثله.." (٢)

"بدعة أو أنه غير مأمون على حرم المسلمين صرفته عنه بأحسن صرف أو يجيئك رجل آخر فيقول لك أريد أن أودع مالي فلانا وليس ذلك الرجل موضعا للأمانة فتصرفه عنه بأحسن الوجوه أو يقول لك رجل أريد أن أصلي خلف فلان أو أجعله إمامي في علم فتصرفه عنه بأحسن الوجوه ولا تشف غيظك من غيبته.

وأما منبع الغيبة من القراء والنساك فمن طريق التعجب يبدي عوار الأخ ثم يتصنع بالدعاء في ظهر الغيب فيتمكن من **لحم أخيه** المسلم ثم يتزين بالدعاء له وأما منبع الغيبة من الرؤساء والأساتذة فمن طريق إبداء الرحمة والشفقة حتى يقول مسكين فلان ابتلى بكذا وامتحن بكذا نعوذ بالله من الخذلان فيتصنع بإبداء الرحمة والشفقة على أخيه ثم يتصنع بالدعاء له عند إخوانه ويقول إنما أبديت لكم ذاك لتكثروا دعاءكم له ونعوذ بالله من الغيبة تعريضا أو تصريحا فاتق الغيبة فقد نطق القرآن بكراهتها فقال عز وجل: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك أخبار كثيرة.

ومن تلبيس إبليس على علماء المحدثين رواية الحديث الموضوع من غير أن يبينوا أنه موضوع وهذه جناية منهم على الشرع ومقصودهم ترويج أحاديثهم وكثرة رواياتهم وقد قال صلى الله عليه وسلم: "من روى عني حديثا يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين" ومن هذا الفن تدليسهم في الرواية فتارة يقول أحدهم فلان عن فلان أو قال فلان عن فلان يوهم أنه سمع منه المنقطع ولم يسمع وهذا قبيح لأنه يجعل المنقطع في مرتبة المتصل ومنهم من يروي عن الضعيف والكذاب فينفي اسمه فربما سماه بغير اسمه وربما كناه وربما نسبه إلى جده لئلا يعرف وهذه جناية على الشرع لأنه يثبت حكما بما لا يثبت به فأما إذا

---

(١) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ٢٢١/١٢

(٢) شرح السنة للبغوي البغوي ، أبو محمد ١٠٧/١٣

كان المروي عنه ثقة فنسبه إلى جده أو أقتصر على كنيته لئلا يرى أنه قد ردد الرواية عنه أو يكون المروي عنه في مرتبة الراوي فيستحي الراوي من ذكره فهذا على الكراهة والبعد من الصواب قريب بشرط أن يكون المروي عنه ثقة والله الموفق.." (١)

"الفصل الموفى ثلاثين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله تعالى حرم من المسلم دمه وماله وعرضه".

فالغيبة بالقلب حرام، كما هي باللسان حرام، إلا إن يضطر لمعرفته، بحيث لا يمكنه التجاهل، فحد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أن تذكر أخاك بما يكرهه إن بلغه أو سمعه، وإن كنت صادقا سواء ذكرت نقصانا في نفسه، أو عقله، أو ثوبه، أو في فعله، أو في قوله أو في دينه، أو في داره، أو في دابته، أو في ولده، أو في عبده، أو في أمته، أو بشيء ما يتعلق به، حتى قولك: إنه واسع الكم، طويل الذيل.

وقد ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: ما أعجزه، فقال: "اغتبتموه".

وأشارت عائشة رضي الله عنها إلى صفية، وقالت لها كذا وكذا، وأشارت بيدها، تعني قصرها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اغتبتها يا عائشة"، فقالت: يا رسول الله، أليست هي قصيرة؟ قال: "إنك ذكرت أقبح شيء فيها".

والغيبة لا تقتصر على اللسان، بل كل ما يفهم منه عرض يكرهه المذكور فيه إن بلغه أو سمعه، باليد، أو بالرجل، أو بالإشارة، أو بالحركة، أو بالتعريض أو بالمحاكاة، فهي غيبة.

وقد عظم الله تعالى أمر الغيبة، فقال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ الحجرات ١٢. وقال تعالى: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ الهمزة ١.

فقيل معناه الطاعن في الناس، الذي يأكل لحوم الناس.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم." (٢)

"وقال عمرو بن العاص ما بلغني عن أحد شنآن قط، إلا سللت سخيمة قلبه بجهدي، إلا حاسد النعمة فإنه لا يرضى إلا بزوالها، فجدع الله أنفه!

وقال آخر: الحاسد يظهر وده في اللقاء، وبغضه في المغيب، واسمه صديق، ومعناه عدو.

ووجد في كتاب لجعفر بن يحيى – أربعة أسطر مكتوبة بالذهب – الرزق مقسوم، الحريص محروم، البخيل مذموم، الحسود مغموم.

ولقي إبليس نوحا عليه السلام. فقال: اتق الحسد والشح، فإني حسدت آدم فأخرجت من الجنة، وشح على شجرة واحدة فخرج من الجنة.

---

(١) تلبيس إبليس ابن الجوزي ص/١٠٦

(٢) بحر الدموع ابن الجوزي ص/١٣٤

وقيل للحسن البصري أيحسد المؤمن أخاه؟ فقال: أنسيت إخوة يوسف؟ وقال آخر: يكفيك من الحاسد أنه يغم عند سرورك.

فصل

في ذم الغيبة

قال الله تعالى: "ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه". وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: من مات تائبا من الغيبة، فهو آخر من يدخل الجنة، ومن مات وهو مصر عليها فهو أول من يدخل النار.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما النار في اليبس بأسرع من الغيبة في حسنات العبد".

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إياكم وذكر الناس، فإنه داء. وعليكم بذكر الله، فهو شفاء.

وسمع علي بن الحسين رضي الله عنهما – رجلا يغتاب آخر – فقال: إياك والغيبة فإنها إدام كلاب الناس.

وقال محمد بن السماك: تجنب غيبة أخيك لخصلتين: أما الواحدة، فلعلك أن تغتابه بشيء هو فيك؛ وأما الأخرى فاشكر الله إذ عافاك مما ابتلاه به.

واغتاب بعضهم رجلا عند قتيبة بن مسلم. فقال له قتيبة: مهلا أيها الرجل: فلقد تلمظت بمضغة طالما عافها الكرام.

وقال عمرو بن عتيبة بن أبي سفيان: كنت أساير أبي، فلمحني وقد أصغيت إلى رجل يغتاب رجلا. فقال لي: ويلك – وما خاطبني بها قبلها ولا بعدها – إياك واستماع الغيبة! نزه سمعك عن الخنا، كما تنزه لسانك عن البذاء؛ فإن السامع شريك القائل.

ومر محمد بن سيرين بقوم، فقام إليه رجل منهم. فقال: يا أبا بكر: إنا قد نلنا منك فاجعلنا في حل. قال: إني لا أحل ما حرم الله تعالى.

وقال رجل للحسن البصري بلغني أنك تغتابني. فقال لم يبلغ من مقامك عندي أن أحكمك في حسناتي.

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: أذكر أخاك بما تحب أن يذكرك به، ودع منه ما تحب أن يدعه منك.

وقيل لعمرو بن عبيدة: لقد اغتابك فلان حتى رحمناك. قال: إياه فارحموا.

قال بعض الحكماء لابنه: يا بني: إياك وغيبة الناس، فإن مثل المغتاب لهم كمثل امرئ أوتر قوسه ليرمي جماعة كلهم يوتر قوسه، فإلى أن يصيب الرجل منهم بسهم قد أصابه أضعافه.

وعن سعد القصر قال: نظر إلي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ورجل يشتم رجلا بين يدي. فقال لي: ويلك يا سعد: نزه سمعك عن استماع الخنا، كما تنزه لسانك عن النطق به، فإن السامع شريك القائل.

وقال الحسن البصري: لا غيبة في ثلاثة: فاسق مجاهر، وإمام جائر، وصاحب بدعة.

فصل في الإخوان والحض عليهم

قال داود لابنه سليمان عليهما السلام: يا بني: لا تستقلن عدوا واحدا، ولا تستكثرن ألف صديق.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "المرء كثير بأخيه".

وقال بعضهم: أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان. وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

وقال شبيب بن شيبة: خير ما اكتسب: إخوان الصدق، لأنهم زينة في الرخاء، وعدة في البلاء، ومعونة على الدهر، وشركاء في الخير والشر.

وقال آخر: وطن نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك وإن ظهر لك منه ما تكره، فليس الصديق كالمرأة التي تطلقها متى شئت، ولكنه عرضك ومروءتك.

وقال لقمان لابنه: يا بني! ليكن أول شيء تكسبه بعد الإسلام، خليلا صالحا؛ فإنما مثل الخليل الصالح كمثل النخلة إن قعدت في ظلها أظلك، وإن احتطبت من حطبها نفعك، وإن أكلت من ثمرها وجدته طيبا.

وقال آخر: ينبغي لصاحبي الكريم أن يصبر عليه إذا جمعتهما قسوة الزمن، فليس ينتفع بالجوهرة النفيسة من لم ينتظر نفاقها.

وقال الأحنف بن قيس: خير الإخوان من إذا استغنيت عنه لم يزدك في المودة، وإن احتجت إليه لم ينقصك منها، وإن ظلمت عضدك، وإن استعنت به رفدك.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصاحب رقعة في قميصك فانظر بمن ترقعه".." (١)

"٤٢٩٣ - وعن شفي بن ماتع الأصبحي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى قال فرجل مغلق عليه تابوت من جمر ورجل يجر أمعاءه ورجل يسيل فوه قيحا ودما ورجل يأكل لحمه فيقال لصاحب التابوت ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس ثم يقال للذي يجر أمعاءه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث ثم يقال للذي يأكل لحمه ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى فيقول إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة

رواه بن أبي الدنيا في كتاب الصمت وفي ذم الغيبة والطبراني في الكبير بإسناد لين وأبو نعيم وقال شفي بن ماتع مختلف في صحبته فقيل له صحبة

قال الحافظ شفي ذكره البخاري وابن حبان في التابعين

٤٢٩٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويضج

---

(١) الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة ابن شمس الخلافة ص/٩

رواه أبو يعلى والطبراني وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ إلا أنه قال يصيح بالصاد المهملة كلهم من رواية محمد بن إسحاق وبقية رواة بعضهم ثقات

يضج بالضاد المهملة بعدها جيم ويصيح كلاهما بمعنى واحد كذا قال بعض أهل اللغة والظاهر أن لفظة يضج بالضاد المعجمة فيها زيادة إشعار بمقارنة فزع أو قلق والله أعلم

ويكلح بالحاء المهملة أي يعبس ويقبض وجهه من الكراهة

٤٢٩٥ – وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه مر على بغل ميت فقال لبعض أصحابه لأن يأكل الرجل من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل لحم رجل مسلم

رواه أبو الشيخ ابن حبان وغيره موقوفا

٤٢٩٦ – وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال جاء الأسلمي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد." (١)

"كتاب الأمور المنهي عنها

٢٥٤- باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨] .

اعلم أنه ينبغي لك مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاما ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسنة الإمساك عنه لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه، وذلك كثير في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء.

١/١٥١١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا، أو ليصمت" متفق عليه.

وهذا الحديث صريح في أنه ينبغي أن لا يتكلم إلا إذا كان الكلام خيرا، وهو الذي ظهرت مصلحته، ومتى شك في ظهور المصلحة، فلا يتكلم.

٢/١٥١٢- وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل؟ قال: "من سلم المسلمون من لسانه ويده". متفق عليه.

٣/١٥١٣- وعن سهل بن سعد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة". متفق عليه.

---

(١) الترغيب والترهيب للمنذري عبد العظيم المنذري ٣٢٩/٣

٤/١٥١٤- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب". متفق عليه.." (١)

"[الكبيرة الثامنة والتاسعة والأربعون بعد المائتين الغيبة والسكوت عليها]

(الكبيرة الثامنة والتاسعة والأربعون بعد المائتين: الغيبة والسكوت عليها رضا وتقريرا) قال - تعالى -: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] والسخرية: النظر إلى المسخور منه بعين النقص: أي لا تحتقر غيرك عسى أن يكون عند الله خيرا منك وأفضل وأقرب. «رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له ولو أقسم على الله لأبره» . وقد احتقر إبليس اللعين آدم - صلى الله على نبينا وعليه - فباء بالخسار الأبدي وفاز آدم بالعز الأبدي، وشتان ما بينهما، ويحتمل أن يكون المراد بعسى يصير: أي لا تحتقر غيرك فإنه ربما صار عزيزا وصرت ذليلا فينتقم منك:

لا تهين الفقير علك أن ... تركع يوما والدهر قد رفعه

﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات: ١١] : أي لا يعب بعضكم على بعض، واللمز بالقول وغيره، والهمز بالقول فقط. وروى البيهقي عن ابن جريج أن الهمز بالعين والشدق واليد، واللمز باللسان. قال البيهقي: وبلغني عن الليث أنه قال: اللمزة الذي يعيبك في وجهك، والهمزة الذي يعيبك بالغيب.

وفي الإحياء قال مجاهد: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١] الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس والنبز: الطرح. واللقب: ما أشعر برفعة المسمى أو ضعته: أي لا تتراموا بها وهو هنا أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به أو بنحو يا منافق أو يا فاسق وقد تاب من فسقه أقوال أولها عليه الأكثرون.

وقدمت السخرية؛ لأنها أبلغ الثلاثة في الأذية لاستدعائها تنقيص، المرء في حضرته. ثم اللمز؛ لأنه العيب بما في الإنسان، وهذا دون الأول ثم النبز وهذا نداؤه بلقبه وهو دون الثاني إذ لا يلزم مطابقة معناه للقبه فقد يلقب الحسن بالقبيح وعكسه، فكأنه تعالى قال لا تتكبروا فتستحقروا إخوانكم بحيث لا تلتفتوا إليهم أصلا، وأيضا فلا تعيبوهم طلبا لحط درجتهم، وأيضا فلا تسموهم." (٢)

"هنا، وقيل الأول أن تفحص عن الغير بغيرك. والثاني أن تفحص عنه بنفسك؛ وعلى كل ففي الآية النهي الأكيد عن البحث عن أمور الناس المستورة وتتبع عوراتهم. قال - صلى الله عليه وسلم -: «لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا كما أمركم» . وقال - صلى الله عليه وسلم -: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه: لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله

---

(١) رياض الصالحين ط الرسالة النووي ص/٤٢٧

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٨

عورته يفضحه ولو في جوف رحله» . وقيل لابن مسعود – رضي الله عنه –: هل لك في الوليد بن عقبة ولحيته تقطر خمرا؟ فقال: إنما نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيئا أخذناه به.

وقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: ١٢] أي لا يتكلم أحد منكم في حق أحد في غيبته بما هو فيه مما يكرهه، وألحق به ما علم مما مر في الآية السابقة في التكلم في حضرته بذلك بل هو أبلغ في الأذية. قال – صلى الله عليه وسلم – : «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» . رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم وطرقه كثيرة عن جماعة من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين –

وحكمة تحريمها مع أنها صدق المبالغة في حفظ عرض المؤمن، والإشارة إلى عظيم تأكد حرمته وحقوقه، وزاد تعالى ذلك تأكيدا وتحقيقا بتشبيه عرضه بلحمه ودمه مع المبالغة في ذلك أيضا بالتعبير فيه بالأخ، فقال – عز قائلا –: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] ووجه التشبيه أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه، كما يتألم بدنه من قطع لحمه لأكله بل أبلغ؛ لأن عرض العاقل عنده أشرف من لحمه ودمه.

وكما أنه لا يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لا يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى؛ لأنه آلم، ووجه الآكدية في لحم أخيه أن الأخ لا يمكنه مضغ لحم أخيه فضلا عن أكله بخلاف العدو فإنه يأكل لحم عدوه من غير توقف منه في ذلك، واندفع بميتا الحال من لحم أو أخيه ما قد يقال إنما تحرم الغيبة في الوجه؛ لأنها التي تؤلم حينئذ بخلافها في الغيبة فإنه لا اطلاع للمغتاب عليها، ووجه اندفاع هذا أن أكل." (١)

"لحم الأخ، وهو ميت لا يؤلم أيضا، ومع ذلك هو في غاية القبح كما أنه لو فرض الاطلاع لتألم به، فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه فكذا الغيبة تحرم في الغيبة؛ لأن المغتاب لو اطلع عليها لتألم وأيضا ففي العرض حق مؤكد لله تعالى. فلو فرض أن الغيبة وقعت بحيث لا يمكن المغتاب العلم بها حرمت أيضا رعاية لحق الله تعالى وفطما للناس عن الأعراض والخوض فيها بوجه من الوجوه اللهم إلا للأسباب الآتية؛ لأنها محل ضرورة فتباح حينئذ؛ لأجل الضرورة كما أشارت الآية إلى ذلك أيضا بذكر " ميتا "، إذ لحم الميت إنما يحل للضرورة إلحاقه حتى لو وجد المضطر ميتة أخرى مع ميتة الآدمي لم تحل له ميتة الآدمي بخلاف ما لو لم يجد إلا ميتة الآدمي.

وقوله تعالى: ﴿فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] تقديره فقد كرهتم ذلك الأكل أو اللحم فلا تفعلوا ما هو شبيه به، وإلى هذا يؤول قول مجاهد لما قيل لهم: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قالوا لا، قيل: ﴿فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء.

لا يحب أحدكم أكل ذلك إذا همزه أيحب للإنكار فكرهتموه إذا فاكرهوا هذا كذلك، وقيل المعطوف عليه فكرهتموه محذوف أي عرض عليكم ذلك فكرهتموه أي يعرض عليكم فتكرهونه، ويصح أن يكون ضمير فكرهتموه للميت وكأنه صفة له، فحينئذ يفيد زيادة مبالغة في التحذير أي: أن الميتة، وإن أكلت في الندرة لكنها إذا أنتنت كرهها كل أحد ويفر منها بحيث

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ١٠/٢

يبعد عن محلها، ولا يستطيع دخوله فكيف يقربه بحيث يأكله. فكذا حال الغيبة ينبغي المباعدة عنها كنهي عن الميتة المتغيرة؛ فتأمل ما أفادته هذه الآية، والتي قبلها وأمعن فكرك فيه تغنم وتسلم والله تعالى بحقائق تنزيله أعلم؛ وتأمل أيضا أنه تعالى ختم كلا من الآيتين بذكر التوبة رحمة بعباده وتعطفا عليهم، لكن لما بدئت الأولى بالنهي ختمت بالنفي ﴿ومن لم يتب﴾ [الحجرات: ١١] لتقاربهما، ولما بدئت الثانية بالإثبات بالأمر في اجتنبوا ختمت به في إن الله إلخ وكأن حكمة ذلك التهديد الشديد في الأولى فقط بقوله تعالى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] أن ما فيها أفحش؛ لأنه إيذاء في الحضرة بالسخرية أو اللمز أو النبز بخلافه في الآية الثانية فإنه بأمر خفي إذ كل من الظن والتجسس والغيبة يقتضي الإخفاء وعدم العلم به غالبا.." (١)

"وأبو يعلى عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: «كنا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقام رجل فقالوا يا رسول الله ما أعجز أو قالوا ما أضعف فلانا. فقال – صلى الله عليه وسلم –: اغتبتم صاحبكم وأكلتم لحمه» . والطبراني: «أن رجلا قام من عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فرأوا في قيامه عجزا، فقالوا ما أعجز فلانا، فقال – صلى الله عليه وسلم –: أكلتم أخاكم واغتبتموه» . والأصبهاني بسند حسن: «ذكروا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلا فقالوا لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل له، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم –: اغتبتموه، قالوا يا رسول الله إنما حدثنا بما فيه» . وابن أبي شيبة والطبراني واللفظ له ورواته رواة الصحيح عن ابن مسعود – رضي الله عنه – قال: «كنا عند النبي – صلى الله عليه وسلم – فقام رجل، فوقع فيه رجل من بعده، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – تخلل. فقال: ومم أتخلل؟ ما أكلت لحما. قال: إنك أكلت لحم أخيك» .

وابن أبي الدنيا والطبراني بإسنادين وأبو نعيم: «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسعون ما بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يقول بعض أهل النار لبعض ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى. قال: فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحا ودما، ورجل يأكل لحمه. فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد قد مات وفي عنقه أموال الناس. ثم يقال للذي يجر أمعاءه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى. فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول منه. ثم يقال للذي يسيل فوه قيحا ودما: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى؟ فيقول: إن الأبعد كان ينظر إلى كلمة فيستلذها كما يستلذ الرفث. ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى. فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة» . وأبو يعلى والطبراني وأبو الشيخ: «من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه يوم القيامة. فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا» . فيأكله ويكلح أي يعبس ويقبض وجهه." (٢)

"الكبائر فلا خصوصية لذلك وصاحب العدة يراها من الصغائر، قال: والقول بأنها من الصغائر ضعيف أو باطل، وقد نقل القرطبي المفسر وغيره الإجماع على أنها من الكبائر ويوافقه كلام جماعة من الأصحاب، وقد غلظ أمرها في الكتاب

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ١١/٢

(٢) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ١٤/٢

والسنة، ومن تتبع الأحاديث فيها علم أنها من الكبائر قال: ولم أر من صرح بأنها من الصغائر غير الغزالي وصاحب العدة. والعجب أنه أطلق أن ترك النهي عن المنكر من الكبائر، وقضيته أن يكون السكوت عن النهي عنها من الكبائر إذ هي من أقبح المنكرات انتهى كلامه. والذي يظهر خلاف ما قاله فليست الوقيعة في أهل العلم وحملة القرآن من الغيبة بل هي داخلة في سب المسلم والاستطالة في عرض المسلم وقد تقدم الدليل على ذلك، وقد يحتج لذلك بما رواه البخاري منفردا به عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الله تعالى قال: من آذى لي وليا فقد آذنته بالحرب» .

والغيبة هي أن تذكر الإنسان بما لا يرضى استماعه وإن كان فيه، وإنما قلنا ذلك؛ لأن الوقيعة لا بد أن تكون بنقص وذلك داخل في سب المسلم، وقد روى مسلم: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال ذكرك أخاك بما يكره» الحديث السابق. وجعل الغيبة من الكبائر فيه نظر فإن الله تعالى إنما شبهها بكراهية أكل لحم الميتة فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قال بعض العلماء: قيل معناه أنهم لا بد أن يجيبوا بأن يقولوا لا أحد يحب ذلك، فقال لهم الله تعالى: ﴿فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] . وأما الأحاديث فلم أر فيها ذكرا للغيبة ولا وعيدا بعذاب، وقد روى أحمد وأبو داود عن أنس أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» انتهى.

وهذا لا يدل على كونها كبيرة إنما يدل على تحريمها والتنفير عنها والزجر عليها. انتهى كلام الجلال وقد استروح فيه – رحمه الله –.

أما قوله: والذي يظهر خلاف ما قاله فليست الوقيعة إلخ، فيرد بأنها إذا كانت داخلة في سب المسلم فلم أفردت بالذكر مع ذكر سب المسلم. فما أورده الأذرعي على من أفردها عن الغيبة فجعلها كبيرة والغيبة صغيرة يرد نظيره على ما قاله الجلال." (١)

"لا تكذبوا في شيء إلا عند ترجح مصلحة أرجح من مصلحة الصدق كحفظ معصوم «وأوفوا إذا وعدتم» فإن العدة دين ووعد الكريم دين الغريم «وأدوا» الأمانات «إذا ائتمنتم» ﴿إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾ [النساء: ٥٨] قال البيهقي ودخل فيه ما تقلد المؤمن بإيمانه من العبادات والأحكام وما عليه من رعاية حق نفسه وزوجه وأصله وفرعه وأخيه المسلم من نصحه وحق مملوكه أو مالكه أو مواليه فأداء الأمانة في كل ذلك واجب كذا في الفيض لعله يدخل فيه أيضا الرعايا للملوك والأحكام الشرعية للقضاء والعلوم للعلماء وحفظ العهد الذي أخذه تلاميذ المشايخ عنهم «واحفظوا» أيها الرجال والنساء «فروجكم» عن الفحش «وغضوا أبصاركم» عما لا يجوز نظره «وكفوا أيديكم» عن أخذ مال الغير ظلما وضربه ولمس المحرم

[السادس الغيبة]

---

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر ابن حجر الهيتمي ٢/٢١

(السادس) من آفات اللسان (الغيبة) بكسر المعجمة (وهي ذكر مساوئ) جمع سوء (أخيك المعين المعلوم عند المخاطب) فإن لغير المعين المعلوم عنده فليس بغيبة (أو محاكاتها) أي المساوئ كأن يمشي متعارجا حكاية لفعل أعرج (وتفهيمها) للمخاطب (باليد أو غيرها من الجوارح) فالتعريض كالتصريح والفعل كالقول بل هما أشد أنواعها لأنهما أعظم في التصوير والتفهيم.

قالت عائشة – رضي الله عنها – وعن أبويها «دخلت علينا امرأة فلما ولت أومأت بيدي إلى أنها قصيرة فقال – صلى الله تعالى عليه وسلم – وقد اغتبتيها» (على وجه السب والبغض) أي لا على وجه الإفهام وبالجملة الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا في بدنه أو في نسبه أو في خلقه أو فعله وقوله أو في دينه ودنياه حتى في ثوبه وداره ودابته ثم لا نقصر على اللسان بل التعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والإشارة والإيماء والرمز والغمز والحركة والكتابة وكل ما يفهم المقصود ومن ذلك ذكر المصنفين شخصا معينا وتهجين كلامه إلا لعذر محوج ومن أخبث أنواعها قول القراء المرائين الحمد لله الذي لم يبتلنا بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام عند ذكر شخص حاله كذلك أو يقول نعوذ بالله من قلة الحياء ذما للغير مع الرياء وكذا يقول ما أحسن فلانا لولا تقصيره في العبادات لكنه ابتلي بما ابتلينا فيذم غيره ويمدح نفسه بالتشبيه بالصالحين في ذم أنفسهم فيغتاب ويرائي ويزكي نفسه (وهو حرام قطعي) في الفيض عن الأذكار الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين (قال الله تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: ١٢] لا يخفى أن دلالته على الحرمة موقوفة على كون ألفاظه مفسرة أو محكمة عند بعض ويكفي كونها ظاهرة أو نصه

وأيضا أن دلالة مثل هذا النهي من حيث هو نهي موقوفة على معرفة أنه في الشرعيات أو الحسيات أو لقبح في نفسه أو لوصفه أو لمجاوره كما في أصول الفقه فارجع إليه متأملا ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغة الاستفهام المقرر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا ميتا وتعقيب ذلك بقوله ﴿فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] تحقيق وتقرير لذلك والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فكرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهيته وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الأخ ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] لمن اتقى ما نهي عنه وتاب مما فرط منه والمبالغة في التواب لأنه بليغ في قبول التوبة به إذ يجعل صاحبها كمن لم يذنب أو لكثرة المتوب عليهم أو لكثرة ذنوبهم كذا في القاضي." (١)

"(حب) وفي بعض النسخ صب أصبهاني (عن أبي أمامة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – «إن الرجل ليؤتى كتابه» أي كتاب حسناته «منشورا فيقول يا رب فأين حسنات كذا وكذا عملتها» في الدنيا «ليست في صحيفتي فيقول له محيت باغتيابك الناس وكتبت في كتاب من اغتبته» هذا وإن لم يدل على الحرمة صريحا لكن لا يبعد أن يلزمه الحرمة فلو كان ما يلزم من الدليل مستلزما للمطلوب فالتقريب تام قيل عن الخرائطي في مساوئ الأخلاق عن أبي أمامة عنه – عليه الصلاة والسلام – أنه قال «إن العبد ليعطى كتابه يوم القيامة منشورا فيرى

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٨٣/٣

فيه حسنات لم يعملها فيقول يا رب لم أعمل هذه الحسنات فيقول إنها كتبت لك باغتياب الناس إياك» وفي القشيرية وقيل من اغتيب بغيبة غفر الله نصف ذنوبه (صب. عن عثمان بن عفان – رضي الله تعالى عنه – أنه قال سمعت رسول الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – يقول «الغيبة والنميمة تحتان» بضم المهملة وتشديد الفوقية أي تفرقان وتحكان ثمرات «الإيمان كما يعضد الراعي» أي يقطع «الشجرة»

للماشية فأصل الإيمان كالشجرة والأعمال فروع له كأغصان الشجرة وبسببها تمحى تلك الأعمال وتكتب في كتاب من اغتبته فيبقى الإيمان كالشجرة التي يعضدها الراعي لتأكل الأغنام أوراقها وما يتوهم من ظاهره من أن المعصية تحبط الطاعة فقد عرفت جوابه في الاعتقادية (حد. عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أنه «قال ليلة أسري»

ليلة المعراج «بنبي الله – صلى الله تعالى عليه وسلم – ونظر في النار فإذا قوم يأكلون الجيف قال من هؤلاء» الإشارة للتحقير «يا جبرائيل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس» بالاغتياب لعل ذلك تمثيل أرواح المغتابين فيما قبل أو صورهم فيما يستقبل (يعلى طب. عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «من أكل لحم أخيه في الدنيا» باغتيابه لا يخفى ما في المناسبة بين الغيبة وأكل اللحم لأن حرمة عرض المؤمن كحرمة دمه «قرب إليه يوم القيامة فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح» أي يعبس وجهه قيل عن الترمذي تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ رأسه وتسترخي السفلى حتى تضرب سرته وذلك من مرارة ما أكله لعل ليس ما أكله عين أخيه بل مثاله وصورته لأن جزاء سيئة سيئة مثلها «ويضج»

يصيح ويرفع صوته وأنينه (يعلى. عن أبي هريرة – رضي الله تعالى عنه – أنه قال «كنا عند النبي – صلى الله تعالى عليه وسلم – فقام رجل» وذهب لحاجة." (١)

"الرسالة الأولى

تحريم الغيبة

اعلم أن الغيبة محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وحقيقتها هو ما سيأتي من قوله صلى الله عليه وسلم: (ذكرك أخاك بما يكره وإن كان فيه) .

في القرآن الكريم أما الكتاب فقوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) ففي هذه الآية من الزجر والتمثيل والتهويل ما يقشعر له الجلد: وقوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) ، قال الزمخشري: (الهمز: الكسر. واللمز: الطعن. يقال: لمزه ولهزه إذا طعنه، والمراد الكسر من أعراض الناس والغض منهم واغتيابهم والطعن فيهم) . انتهى.

أخرج ابن جرير عن ابن عباس في تفسير الآية قال: (ويل لكل همزة) قال الطعان، لمزة قال مغتاب. وقوله تعالى: (ولا." (٢)

---

(١) بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية محمد الخادمي ١٨٤/٣

(٢) في السلوك الإسلامي القويم ابن الشوكاني ص/١٤

"الحديث الثالث والعشرون: عن يحيى بن أبي كثير:

(أن نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم كان في سفر، وكان أبو بكر وعمر رضي الله عنهما معه، فأرسلوا الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يسألونه لحما فقال: أوليس قد طلبتم من اللحم شباعا؟ فقالوا: من أين؟ فو الله ما لنا باللحم من عهد، فقال من لحم صاحبكم الذي ذكرتم، فقالوا: يا نبي الله، إنما قلنا والله إنه لضعيف ما يعيننا على شيء، فقال أبو بكر: يا نبي الله طأ على صماخي وأستغفر، وجاء عمر فقال مثله ففعل وأستغفر) .

الحديث الرابع والعشرن: عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (من أكل من **لحم أخيه** في الدنيا قرب إليه لحمه في الآخرة فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا، فإنه ليأكله." (١)

"تحسين ما يقبل التحسين لا بد منه. وآكد من ذلك أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح، فإن إخفاء ذلك محض الحسد.

ومن ذلك: أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته وإن لم يتم ذلك، وأعظم من ذلك تأثيرا في جلب المحبة الذب عنه في غيبته مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الأخوة التشمير في الحماية والنصرة وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه، والسكوت عن ذلك موغر للصدر، ومنفر للقلب، وتقصير في حق الأخوة، وإهماله لتمزيق عرضه كإهماله لتمزيق لحمه، فأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحومك وهو ساكت لا تحركه الشفقة والحمية للدفع عنك، وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل لحوم الميتة فقال: (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا) [الحجرات: ١٢] فإذن حماية الأخوة بدفع ذم الأعداء وتعنت المتعنتين واجب في عقد الأخوة، وقال بعضهم: " ما ذكر أخ لي بغيب إلا تصورته جالسا فقلت فيه ما يحب أن يسمع لو حضر ".

ومن ذلك: التعليم والنصيحة فليس حاجة أخيه إلى العلم بأقل من حاجته إلى المال، فإن كنت غنيا بالعلم فعليك مواساته من فضلك وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، فإن علمته وأرشدته ولم يعمل بمقتضى العلم فعليك النصيحة وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه، وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة لينزجر عنه، وتنبهه على عيوبه، ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على الملأ فهو فضيحة، وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة، قال " ذو النون ": " لا تصحب مع الله إلا بالموافقة، ولا مع الخلق إلا بالمناصحة، ولا مع النفس إلا بالمخالفة ".

ولا تظن أن في نصح أخيك إيحاشا لقلبه، فإن في تنبيهه على ما لا يعلمه عين الشفقة وهو استمالة القلوب – أعني قلوب العقلاء – وأما الحمقى فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم تعاطيته أو صفة مذمومة اتصفت بها لتزكي نفسك عنها كان كمن ينبهك على حية أو عقرب تحت ذيلك وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك فما أشد حمقك، والصفات الذميمة عقارب وحيات وهي في الآخرة مهلكات، فإنها تلدغ القلوب والأرواح وألمها أشد مما يلدغ الظواهر

(١) في السلوك الإسلامي القويم ابن الشوكاني ص/٢٦

والأجساد، وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، ولذلك كان " عمر " رضي الله عنه يستهدي ذلك من إخوانه ويقول: " رحم الله امرأ أهدى إلى أخيه عيوبه ". ومن كتاب بعض." (١)

"وأما الكذب في حكاية المنام فالإثم فيه عظيم، وفي الحديث: «إن من أعظم الفرية أن يدعي الرجل إلى غير أبيه، أو يري عينيه في المنام ما لم ير، أو يقول علي ما لم أقل» .

الآفة الخامسة عشرة: الغيبة:

قد نص الله سبحانه وتعالى على ذمها في كتابه الكريم، وشبه صاحبه بآكل لحم الميتة، فقال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه) [الحجرات: ١٢] وقال – صلى الله عليه وسلم –: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه» .

والغيبة تتناول العرض، وقال – صلى الله عليه وسلم –: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته، ومن تتبع عورته يفضحه ولو في جوف بيته» .

وعن مجاهد «أنه قال في قوله تعالى: (ويل لكل همزة لمزة) [الهمزة: ١] الهمزة: الطعان في الناس، واللمزة: الذي يأكل لحوم الناس. وقال بعضهم» أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس «. وقال» ابن عباس «: فإذا أردت أن تذكر عيوب صاحبك فاذكر عيوبك» .

بيان معنى الغيبة وحدودها:

اعلم أن حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه، سواء ذكرته بنقص في بدنه، أو نسبه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، حتى في ثوبه وداره ودابته، أما البدن فذكرك العمش، والحول، والقرع، والقصر، والطول، والسواد، والصفرة، وجميع ما يتصور أن يوصف به مما يكرهه كيفما كان، وأما النسب فبأن تقول: «أبوه فاسق أو خسيس أو زبال، أو نحوه مما يكرهه» ، وأما الخلق فبأن تقول: «سيئ الخلق، بخيل، متكبر، مراء، شديد الغضب، جبان، متهور، وما يجري مجراه» ، وأما في أفعاله فكقولك: «هو سارق، كذاب، شارب خمر، خائن، ظالم، متهاون بالصلاة أو الزكاة، لا يحترز من النجاسات، ليس بارا بوالديه، ونحوه» وأما فعله فكقولك: «إنه قليل الأدب، متهاون بالناس، كثير الكلام، كثير الأكل، نئوم، يجلس في غير موضعه» ، وأما في ثوبه فكقولك: «إنه واسع الكم، طويل الذيل، وسخ الثياب، ونحوه» .

والقول الجامع في الغيبة ما جاء من قوله – صلى الله عليه وسلم –: «الغيبة ذكرك أخاك بما يكرهه» ، وإنما." (٢)

"ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا﴾ ١، ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ ٢. ولقد تجلى هذا الشعور حين قدم لنا القرآن في صورة عاطفية مؤثرة مشهد الفزع الذي ينبغي أن يزعنا عن اغتياب الآخرين، فشبه

---

(١) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٣٥

(٢) موعظة المؤمنين من إحياء علوم الدين القاسمي ص/١٩٧

المغتاب بمن ﴿يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ، ثم يضيف: ﴿فكرهتموه﴾ ٣ كلكم أجمعون.

وإذا كان الأمر كذلك، ألا يمكن أن نستخلص منه أن الإنسان يملك في غيبة أي تعليم إيجابي –جميع الوسائل الضرورية، العقلية والعاطفية، لكي يميز ما يفعل مما يدع؟، وعلى ذلك ألا يكون التشريع للخير وللشر أحد شئوننا نحن؟

وينبغي للإجابة عن هذا السؤال أن نحدد معنى هذه الدعوى، وأهميتها. هل نريد أن نقتصر على وجهة النظر الإنسانية، ونهتم بخاصة بالضمير الفردي، أم أننا نريد أن نتناول وجهة الشيء في ذاته؟

فإذا كانت فكرة الخير والشر قد حددت عقلا على أنها: "صفة كمال أو نقص، موافق للطبع أو مخالف، مستحق للمدح أو الذم" –فإن المتكلمين المسلمين لم يجدوا صعوبة في أن يقرروا صلاحية الإنسان للتشريع من هذه الناحية، ولكن هل كل ما نرى أنه حسن، أو قبيح، بحسب عقولنا، هو في ذاته كذلك بالضرورة؟ وبعبارة أخرى: هل هو كذلك في نظر العقل الإلهي؟ وهل نحن على ذلك مدينون أمام الله سبحانه، حق قبل أن نتلقى أوامره بوساطة رسله؟

لقد دارت مناقشاتهم حول هذه النقطة المحددة، وتنوعت إجاباتهم التي

---

١ الحجرات: ١٣.

٢ النساء: ١.

٣ الحجرات: ١٢.." (١)

"– مشي المرء خلف عدوه، وتحالفه معه: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ ١.

– اللقب السيئ: ﴿أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ ٢.

– التشبه بالظالمين: ﴿إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا﴾ ٣.

– مماثلة بعض ما هو دنيء: ﴿فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ ٤.

– مماثلة بعض ما هو مقيت مشمئز: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ ٥.

– العمى: ﴿قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون﴾ ٦.

– الصمم: ﴿ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون﴾ ٧.

– الجهل: ﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾ ٨.

---

١ ٢/ ١٦٨ و٢٠٨ و٧/ ٢٧ و١٨/ ٥٠ و٣٥/ ٦ "= ٣ أو ٢ ب".

٢ ٤٩/ ١١ "= ١ ب".

٣ ٤/ ١٤٠ و٥/ ٥١ "= ٢ ب".

٤ ٧/ ١٧٦ و١٧٧ و١٧٩ و٢٥/ ٤٤ و٦٧/ ٥ "=٥ أ".

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٣٠

٥ ٤٩/ ١٢ "= ١ ب".

٦ ٢/ ١٧ و١٨ و١٧١ و٦/ ٥٠ و١٠٤ و١١/ ٢٤ و١٣/ ١٦ و١٩ و٢٢/ ٤٦ و٢٧/ ٨١ و٢٨/ ٧٢ و٣٠/ ٥٣ و٣٢/ ٢٧ و٣٥/ ١٩ و٤٠/ ٥٨ و٤١/ ٤٤ و٤٣/ ٤٠ "= ١٣ أو٤ ب".

٧ ٢/ ١٨ و١٧١ و٦/ ٣٩ و٧/ ١٠٠ و١٧٩ و٨/ ٢٢ و١٠/ ٤٢ و١١/ ٢٤ و٢١/ ٤٥ و٢٥/ ٤٤ و٢٧/ ٨٠ و٢٨/ ٧١ و٣٠/ ٥٢ و٤١/ ٤ و٤٤ و٤٣/ ٤٠ "= ١٣ أو٣ ب".

٨ ٢/ ١٠٢ و١٠٣ و٦/ ٣٥ و٣٧ و١١١ و١٦/ ١٠١ و٢١/ ٢٤ و٢٧/ ٦١ و٢٨/ ٥٨ و٣٠/ ٣٠ و٥٩ و٣١/ ٢٥ و٣٤/ ٢٨ و٣٦ و٣٩/ ٩ و٢٩ و٤٩ و٦٤ و٤٠/ ٥٧ و٤٥/ ٢٦ و٦٣/ ٨ "= ١٨ أو٣ ب".." (١)

"احتقار الناس:

﴿ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾ ١.

التجسس:

﴿ولا تجسسوا﴾ ٢.

الافتراء والغيبة:

﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ ٣.

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ٤.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول وتناجوا بالبر والتقوى﴾ ٥.

سوء القصد وسرعة تصديقه:

﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ ٦.

القذف:

﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة

---

١ لقمان: ١٨.

٢ الحجرات: ١٢.

٣ الهمزة: ١.

٤ الحجرات: ١٢.

٥ المجادلة: ٩.

٦ الحجرات: ٦.." (٢)

---

(١) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٣١١

(٢) دستور الأخلاق في القرآن محمد بن عبد الله دراز ص/٧٣٠

"٤٥ - باب ما يجوز من ذكر الناس؛ نحو قولهم: الطويل، والقصير

٧٣١ - وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: "ما يقول ذو اليدين؟ "، وما لا يراد به شين الرجل

(قلت: أسند فيه حديث أبي هريرة المتقدم "ج ١/ ٨ - الصلاة/ ٨٨ - باب/ ٢٥٥ - حديث").

٤٦ - باب الغيبة، وقول الله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)

٤٧ - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: "خير دور الأنصار"

(قلت: أسند فيه طرفا من حديث أبي أسيد المتقدم برقم ١٦١١/ ج ٢).

٤٨ - باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب

(قلت: أسند فيه حديث عائشة المتقدم برقم ٢٣٣٤).

٤٩ - باب النميمة من الكبائر

(قلت: أسند فيه حديث ابن عباس المتقدم برقم ١٢٩/ ج ١).

٥٠ - باب ما يكره من النميمة، وقوله تعالى: (هماز مشاء بنميم)، و (ويل لكل همزة لمزة)

(يهمز) و (يلمز): يعيب.

٢٣٤٥ - عن همام قال: كنا مع حذيفة، فقيل له: إن رجلا يرفع الحديث إلى عثمان، فقال حذيفة: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول:

"لا يدخل الجنة قتات (١٧) ".

---

٧٣١ - هو طرف من حديث ذي اليدين المتقدم موصولا بتمامه (ج ١/ برقم ٢٥٥).

(١٧) أي: نمام.." (١)

"﴿هو سماكم المسلمين من قبل﴾ [الحج: ٧٨] .

فلا حزبية ولا تعدد، ولا موالاة، ولا معاداة إلا على حسب ما جاء في الكتاب والسنة، فمن الناس مثلا من يتحزب إلى طائفة معينة، يقرر منهجها ويستدل عليه بالأدلة التي قد تكون دليلا عليه، ويحامي دونها، ويضلل من سواه حتى وإن كانوا أقرب إلى الحق منه، ويأخذا مبدأ: من ليس معي فهو علي، وهذا مبدأ خبيث؛ لأن هناك وسطا بين أن يكون لك أو عليك، وإذا كان عليك بالحق، فليكن عليك وهو في الحقيقة معك؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "انصر أخاك ظالما

---

(١) مختصر صحيح الإمام البخاري ناصر الدين الألباني ٤/٧٦

أو مظلوما" ١.

ونصر الظالم أن تمنعه من الظلم، فلا حزبية في الإسلام، ولهذا لما ظهرت الأحزاب في المسلمين، وتنوعت الطرق، وتفرقت الأمة، وصار بعضهم يضلل بعضا، ويأكل **لحم أخيه** ميتا، لحقهم الفشل كما قال الله تعالى: ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٦] . لذلك نجد بعض طلاب العلم يكون عند شيخ من المشايخ، ينتصر لهذا الشيخ بالحق والباطل ويعادي من سواه، ويضلله ويبدعه، ويرى أن شيخه هو العالم المصلح، ومن سواه إما جاهل أو مفسد، وهذا غلط كبير، بل يجب أخذ قول من وافق قوله الكتاب والسنة وقول أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

مما يجب الحذر منه أن يتصدر طالب العلم قبل أن يكون أهلا للتصدر؛ لأنه إذا فعل ذلك كان هذا دليلا على أمور:

الأمر الأول: إعجابه بنفسه حيث تصدر فهو يرى نفسه علم الأعلام.

الأمر الثاني: أن ذلك يدل على عدم فقهه ومعرفته للأمور؛ لأنه إذا تصدر، ربما يقع في أمر لا يستطيع الخلاص منه، إذ إن الناس إذا رأوه متصدرا أو ردوا عليه

---

١ متفق عليه رواه البخاري ٢٤٤٣، ٢٤٤٤، ٦٩٥٢. وروى مسلم نحوه ٢٥٨٤.." (١)

"يقابلها من دينه.

ألا وإن الغيبة والنميمة من الظلم فأما الغيبة فهي ذكرك أخاك بما يكره سواء كان فيه ما تقول أو لم يكن فمن اغتاب أحدا فعليه أن يستغفر الله ويتوب إليه وأن لا يعود إلى الغيبة ثم إن كان صاحبه قد علم فعليه أن يستحله وإن كان لم يعلم فعليه أن يثني عليه بما فيه من الخصال الحميدة في مقابلة غيبته إياه وأما النميمة فهي أن تنقل كلام الناس من بعضهم في بعض لتفسد بينهم مثل أن تقول فلان يقول فيك كذا وكذا تحرش بينهما فإن هذا لا يحل ولا يجوز وهو سبب للعقوبة في الدنيا والعذاب في الآخرة وليحذر الإنسان من النمام فإن من نقل كلام الناس فيك إليك فإنه سينقل كلامك في الناس إليهم «وقد مر النبي -صلى الله عليه وسلم- بقبرين فقال: (إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة) » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢] بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم. . الخ.." (٢)

"[الخطبة العاشرة في التحذير من الغيبة والنميمة]

الخطبة العاشرة

---

(١) العلم للعثيمين ابن عثيمين ص/٦١

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٢/٢٩٣

في التحذير من الغيبة والنميمة الحمد لله جعل المؤمنين إخوة يتعاونون بينهم على البر والتقوى ويحترم كل واحد منهم الآخر في نفسه وماله وعرضه «فكل المسلم على المسلم حرام» كما قال ذلك النبي المصطفى وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب الأرض والسماء وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المجتبى صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أهل البر والوفاء وعلى التابعين لهم بإحسان ما تتابع القطر والندى وسلم تسليما.

أما بعد: أيها الناس اتقوا الله تعالى واحترموا حقوق إخوانكم المسلمين وذبوا عن إعراضهم كما تذبون عن دمائهم وأموالهم. أيها المسلمون لقد شاع بين كثير من المسلمين داءان عظيمان لكن السلامة منهما يسيرة على من يسرها الله عليه. أيها المسلمون فشا فينا داء الغيبة وداء النميمة أما الغيبة فهي ذكر الإنسان الغائب بما يكره أن يذكر فيه من عمل أو صفة فإن كثيرا من الناس صار همه في المجالس أن يأكل لحم فلان وفلان. فلان فيه كذا وفيه كذا ومع ذلك لو فتشت لرأيته هو أكثر الناس عيبا وأسوأهم خلقا وأضعفهم أمانة وإن مثل هذا الرجل يكون مشؤوما على نفسه ومشؤوما على جلسائه لأن جلساءه إذا لم ينكروا عليه صاروا شركاء له في الإثم وإن لم يقولوا شيئا.

أيها المسلمون لقد صور الله الإنسان الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة مثله بمن يأكل **لحم أخيه** ميتا ويكفي قبحا أن يجلس الإنسان على جيفة أخيه يقطع من لحمه ويأكله.

أيها المسلمون إن الواجب عليكم إذا سمعتم من يغتاب إخوانه من المسلمين أن تمنعوه وتذبوا عن أعراض إخوانكم ألستم لو رأيتم أحدا قائما على جنازة رجل من المسلمين يأكل لحمه، ألستم تقومون عليه جميعا وتنكرون عليه. إن الغيبة كذلك تماما كما قال الله تعالى ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] ولا يبعد أن يعاقب من يغتاب إخوانه يوم القيامة فيقربون إليه بصورة أموات ويرغم على الأكل منهم كما روي في ذلك حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ولقد «مر النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم." (١)

"ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١١ - ١٢] .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه.

أقول قولي هذا، واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين، من كل ذنب. فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

١٧٥- (خطبة)

الحمد لله الذي بنعمته اهتدى المهتدون. وبعدله ضل الضالون. لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون. أحمده سبحانه حمد عبد نزه ربه عما يقول الظالمون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وسبحان الله رب العرش عما يصفون.

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخليله الصادق المأمون. اللهم صل على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه الذين

---

(١) الضياء اللامع من الخطب الجوامع ابن عثيمين ٥١٩/٧

هم بهديه مستمسكون. وسلم تسليما كثيرا. أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله حق تقاته. وسارعوا إلى مغفرته ومرضاته. وأجيبوا الداعي إلى دار كرامته وجناته. ولا تغرنكم الحياة الدنيا بما فيها من زهرة العيش ولذاته. فقد قرب الرحيل وذهب بساعات العمر وأوقاته. واعلموا أن الخير كله بحذافيره في الجنة، فأدلجوا في السير إليها. والشر كله بحذافيره في النار، فاجتهدوا في الهرب منها. ألا وأن الدنيا عرض." (١)

"القبيحة ويحمل الناس على أن يقولوا لهم عائلة المزور، وأعظم بها من أذية للمستقيمين.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: «إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» . متفق عليه. وفي الحديث أن الكذب من صفات النفاق.

اللهم إنا نعوذ بك من الشك بعد اليقين، ومن الشيطان الرجيم، ومن شدائد يوم الدين، ونسألك رضاك والجنة، ونعوذ بك من سخطك والنار، اللهم أتم علينا نعمتك الوافية وارزقنا الإخلاص في أعمالنا والصدق في أقوالنا وعد علينا بإصلاح قلوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(فصل)

في التحذير من الغيبة

ويجب اجتناب الغيبة قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه ثم ضرب تعالى للغيبة مثلا فقال: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» ، وعن البراء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن أربى الربى استطالة الرجل في عرض أخيه» . وفي الحديث الآخر: «فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام» .

وعن أبي هريرة مرفوعا: «أن من الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق» . فينبغي أن يقلل كلامه إلا في ذكر الله وما ولاه ليسلم ويغنم.." (٢)

"أحسن خلقك مع أهلك، ومن اعتز بك، فإن ذلك رضا لربك، ومحبة في أهلك، ومثراة في مالك، ومنسأة في أجلك.

فإنه بلغني عن بعض العلماء من الصحابة أنه قال ذلك.

أحسن البشر إلى عامة الناس، واتق شتمهم وغيبتهم فإن الله تعالى قال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ . وبلغني عن النبي – ؟ – أنه قال: «لا تشتم الناس» والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وسلم.

(فصل)

وقال رحمه الله:

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار عبد العزيز السلمان ٢/٢٧٤

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ١/٣٧٤

اتق أهل الفحش، ومجالسة أهل الردى، ومحادثة الضعفة (أي ضعفاء العقول) من الناس، فإنه بلغني عن ابن مسعود – رضي الله عنه – أنه قال: اعتبر الناس بأخدانهم فإنما يخادن الرجل الرجل مثله.

أكرم اليتيم، وارحمه، واعطف عليه، فإنه بلغني عن النبي – ؟ – أنه قال: «من كفل يتيما له أو لغيره كنت أنا وهو في الجنة كهاتين» ، وأشار بأصبعيه فضمهما.

أعرف لابن السبيل حقه، واحفظ وصية الله تعالى فيه فإنه بلغني أن أول من ضاف الضيف إبراهيم الخليل عليه السلام.

أعن المظلوم، وانصره ما استطعت، وخذ على يد الظالم، وادفعه عن ظلمه، فإنه بلغني عن النبي – ؟ – أنه قال: «من مشي مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام» .

اتق إتباع الهوى في ترك الحق، فإنه بلغني عن النبي – ؟ – أنه قال: «إني أخاف عليكم اثنتين: إتباع الهوى، وطول الأمل» . فإن إتباع الهوى يصد عن الحق، وطول الأمل ينسي الآخرة.." (١)

"العمل كاملا قل له: إتق الله أما تقرأ قول رب العالمين: ﴿ويل للمطففين * الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون * وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون * ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون* ليوم عظيم * يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ . وقل له: ستناقش عن عملك وإهمالك له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة.

وإذا رأيت المغتابين نهاشة الأعراض أكالة لحوم الغوافل فقل لهم: أما قرأتم قول الملك الديان: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ الآية.

وإذا رأيت النمام فقل له: أما سمعت قول النبي ؟: «لا يدخل الجنة نمام» ، وهكذا تفعل عندما تريد أن تنصح أهل المعاصي نحو هؤلاء من منافقين ومتملقين وكذابين وخداعين ومرائين ومكارين.

ولقد تضاعفت الغيبة والنميمة والكذب أضعافا كثيرة بعد ظهور التلفزيون والتلفون والمسجلات فقد كأنت بالأول لا توجد إلا مع اجتماع الأبدان والآن توجد ولو كان بينهم مسافات بعيدة نسأل الله العافية.

اللهم جنبنا البدع والمنكرات واغفر لنا جميع الزلات ووفقنا للأعمال الصالحات وأسكنا فسيح الجنات وجميع المسلمين الأحياء منهم والأموات برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

موعظة

قال ابن القيم رحمه الله:

ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب والبعد عن الله خلقت النار لإذابة القلوب القاسية أبعد القلب من الله القلب القاسي، إذ قسى قحطت العين.

قسوة القلب من أربعة أشياء إذا جاوزت قدر الحاجة: الأكل،." (٢)

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥/٤٠٦

(٢) موارد الظمآن لدروس الزمان عبد العزيز السلمان ٥/٦١٤

"٩- الخداع وهو الختل وإرادة المكروه من حيث لا يعلم المخدوع والخديعة كالخداع، والمخادعة إظهار غير ما في النفس.

والخداع محرم فلا يحل لمؤمن أن يخدع أخاه المؤمن بأن يريد به مكروها ويظهر له غيره وفي الحديث الصحيح: "الحرب خدعة" لأنها المكر بالعدو حتى يهلك، وفي القرآن في المنافقين: ﴿يخادعون الله وهو خادعهم﴾ ١ إذ المنافقون يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والعياذ بالله تعالى لذا عرفوا بالمنافقين لعنهم الله وأخزاهم.

١٠- الغيبة وهي ذكر المرء الغائب بعيب من العيوب هو برئمنه وإنما أراد المغتاب أذية من اغتابه وحرم الله تعالى الغيبة بقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ٢

---

١ سورة النساء الآية ١٤٢.

٢ سورة الحجرات الآية ١٢.." (١)

"وإذا كان لا يحب أن يأكل لحم أخيه ميتا فكيف يأكله حيا؟ إذ المغتاب كأكل لحم من اغتابه والعياذ بالله. إنه لا يحل لمؤمن أن يغتاب مؤمنا إذ الغيبة محرمة وهي من الكبائر وسئل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال: "ذكرك أخاك بما يكره" ، فقال السائل وإن كان فيه ما يكره فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "فإن كان فيه ما يكره فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته" ١ والبهتان أسوأ من الغيبة والعياذ بالله تعالى من الغيبة وأهلها.

١١ - النميمة وهي نقل الكلام من إنسان إلى آخر للإنسان بينهما والسعي في ذلك ويكفي في بيان حرمة النميمة قول الله تعالى في ذم كافر فاجر ﴿هماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم﴾ ٢ وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "لا يدخل الجنة نمام" ٣ وفسرها

---

١ رواه مسلم وأبو داود والترمذي.

٢ سورة القلم الآية ١١.

٣ الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.." (٢)

"تحريم الغيبة

وفضل الرد عن أعراض المسلمين (١)

قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ (٢).

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:" أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد

---

(١) النجاة النجاة يا عباد الله أبو بكر الجزائري ص/٣٢

(٢) النجاة النجاة يا عباد الله أبو بكر الجزائري ص/٣٣

بهته"أخرجه مسلم (٣).

ومعنى بهته: افتريت عليه الكذب

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم"أخرجه أبو داود (٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله"أخرجه مسلم (٥).

---

(١) انظر: مختصر منهاج القاصدين ١٦٩،تحفة الأحوذي ٦/ ٥٣،الآداب الشرعية ١/ ٥،الأذكار ٤٨٢.

(٢) سورة الحجرات، آية:١٢.

(٣) م ٢٥٨٩،د ٤٨٧٤،ت ١٩٣٤.

(٤) د ٤٨٧٨، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٥٢١٣ وعزاه لأحمد أيضا.

(٥) م ٢٥٦٤.." (١)

"وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من رد عن عرض أخيه رد الله عنه وجهه النار يوم القيامة"أخرجه الترمذي (١).

الشرح:

الغيبة من كبائر الذنوب ومن أكثر المعاصي انتشارا بين الناس مع تساهلهم بها وتهاونهم في إنكارها، وهي سبب للعداوة بين المسلمين وفساد ذات بينهم، ولبشاعتها شبه الله المغتاب بمن يأكل **لحم أخيه** ميتا، وكانت عقوبة المغتاب في البرزخ أنه يمزق وجهه وصدره بأظفار من نحاس.

الفوائد:

- تحريم الغيبة وأنها من كبائر الذنوب.
- أن ذكر الشخص بما يكره غيبة محرمة وإن كان فيه حقيقة.
- تحريم استماع الغيبة، ووجوب الإنكار على المغتاب وكفه عن ذلك.
- شدة عقوبة المغتاب في البرزخ.
- فضل الرد عن عرض المسلم، وأن الله يرد عن وجه الراد النار يوم القيامة.

---

(١) الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٣٨٠

---

(١) ت ١٩٣١ وقال حديث حسن وصححه الألباني في صحيح الجامع ٦٢٦٢.." [١]

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم ، ولا تجسسوا ، ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (١)

(ت) ، قال سفيان: الظن ظنان: فظن إثم ، وظن ليس بإثم، فأما الظن الذي هو إثم، فالذي يظن ظنا ويتكلم به، وأما الظن الذي ليس بإثم، فالذي يظن ولا يتكلم به. (٢)

---

(١) [الحجرات/١٢]

(٢) (ت) ١٩٨٨." [٢]

"الغيبة من الكبائر

قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله ، إن الله تواب رحيم﴾ (١)

(ك طس د) ، وعن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (" الربا ثلاثة وسبعون بابا (٢) أيسرها) (٣) (مثل إتيان الرجل أمه (٤) وإن أربى الربا (٥) استطالة (٦) الرجل في عرض أخيه (٧)) (٨) (بغير حق (٩) ") (١٠)

---

(١) [الحجرات/١٢]

(٢) لأن كل من طفف في ميزانه ، فتطفيفه ربا بوجه من الوجوه ، فلذلك تعددت أبوابه ، وتكثرت أسبابه ، لذلك فقد قال الله في القرآن بأن الربا والإيمان لا يجتمعان ، حيث قال: ﴿ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ وأكثر بلايا هذه الأمة حين أصابها ما أصاب بني إسرائيل ، من البأس الشنيع ، والانتقام بالسنين ، من عمل الربا. فيض القدير (٤/ ٦٥)

(٣) (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٥

(٤) قلت: هذا يدل على أن حرمة الربا أشد من حرمة الزنا ، لكن كثيرا من الناس يستعظمون جريمة الزنا ، ويتهاونون بالربا. ع

قال الطيبي: إنما كان الربا أشد من الزنا ، لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله ، قال تعالى ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي: بحرب عظيمة. فيض القدير (٤/ ٦٦)

(٥) أي: أكثره ، وبالا وأشده تحريما. عون المعبود (ج ١٠ / ص ٤٠٠)

---

[١] الدروس اليومية من السنن والأحكام الشرعية راشد العبد الكريم ص/٣٨١

[٢] الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٢٨٦/٢١

(٦) أي: إطالة اللسان. عون المعبود - (١٠/ ٤٠٠)

(٧) أي: احتقاره والترفع عليه، والوقيعة فيه بنحو قذف أو سب، وإنما يكون هذا أشدها تحريما ، لأن العرض أعز على النفس من المال. عون (١٠/ ٤٠٠)

قال الطيبي: أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة، وجعل الربا نوعين: متعارف، وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون، وغير متعارف ، وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ، ثم فضل أحد النوعين على الآخر. عون المعبود - (١٠/ ٤٠٠)

(٨) (طس) ٧١٥١ ، (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٤

(٩) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال، وذلك مثل قوله - صلى الله عليه وسلم - " لي الواجد يحل عرضه " فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه: إنه ظالم ، وإنه متعد ، ونحو ذلك، ومثله ذكر مساوئ الخاطب والمبتدعة ، والفسقة على قصد التحذير. عون المعبود (١٠/ ٤٠٠)

(١٠) (د) ٤٨٧٦ ، (جة) ١٣٣ ، صحيح الجامع: ٣٥٣٩ ، الصحيحة: ١٨٧١، صحيح الترغيب والترهيب: ١٨٥١." (١)

"(حم) ، وعن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " من ذب عن لحم أخيه بالغيبة (١) كان حقا على الله أن يعتقه من النار " (٢)

---

(١) أي: دافع عن أخيه الغائب عن ذلك المجلس ، ومنع المتكلم من اغتيابه.

(٢) (حم) ٢٧٦٥٠ ، (طل) ١٦٣٢ ، انظر صحيح الجامع: ٦٢٤٠ ، صحيح الترغيب والترهيب: ٢٨٤٧." (٢)

"ذم الغيبة

قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ، فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (١)

(حب) ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يبصر أحدكم القذاة في عين أخيه، وينسى الجذع في عينه؟ " (٢)

---

(١) [الحجرات/١٢]

(٢) (حب) ٥٧٦١ ، انظر صحيح الجامع: ٨٠١٣، والصحيحة: ٣٣ ، وصحيح الترغيب والترهيب: ٢٣٣١." (٣)

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٤٧٢/٥

(٢) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ٦٣/٨

(٣) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٤٦/٩

"حكم الغيبة

قال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ، واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (١)

(ك طس د) ، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (" الربا ثلاثة وسبعون بابا (٢) أيسرها) (٣) (مثل إتيان الرجل أمه (٤) وإن أربى الربا (٥) استطالة (٦) الرجل في عرض أخيه (٧)) (٨) (بغير حق (٩) ") (١٠)

---

(١) [الحجرات/١٢]

(٢) لأن كل من طفف في ميزانه ، فتطفيفه ربا بوجه من الوجوه ، فلذلك تعددت أبوابه ، وتكثرت أسبابه ، لذلك فقد قال الله في القرآن بأن الربا والإيمان لا يجتمعان ، حيث قال: ﴿ذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ وأكثر بلايا هذه الأمة حين أصابها ما أصاب بني إسرائيل ، من البأس الشنيع ، والانتقام بالسنين ، من عمل الربا. فيض القدير - (٤/ ٦٥)

(٣) (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٥

(٤) قلت: هذا يدل على أن حرمة الربا أشد من حرمة الزنا ، لكن كثيرا من الناس يستعظمون جريمة الزنا ويتهاونون بالربا. ع

قال الطيبي: إنما كان الربا أشد من الزنا ، لأن فاعله حاول محاربة الشارع بفعله قال تعالى ﴿فأذنوا بحرب من الله ورسوله﴾ أي بحرب عظيم. فيض القدير (٤/ ٦٦)

(٥) أي: أكثره وبالا وأشده تحريما. عون المعبود - (ج ١٠ / ص ٤٠٠)

(٦) أي: إطالة اللسان. عون المعبود - (١٠/ ٤٠٠)

(٧) أي: احتقاره والترفع عليه، والوقيعة فيه بنحو قذف أو سب، وإنما يكون هذا أشدها تحريما لأن العرض أعز على النفس من المال. عون (١٠/ ٤٠٠)

قال الطيبي: أدخل العرض في جنس المال على سبيل المبالغة، وجعل الربا نوعين: متعارف، وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون، وغير متعارف ، وهو استطالة الرجل اللسان في عرض صاحبه ، ثم فضل أحد النوعين على الآخر. عون المعبود - (١٠/ ٤٠٠)

(٨) (طس) ٧١٥١ ، (ك) ٢٢٥٩ ، (جة) ٢٢٧٤

(٩) فيه تنبيه على أن العرض ربما تجوز استباحته في بعض الأحوال، وذلك مثل قوله صلى الله عليه وسلم " لي الواجد يحل عرضه " فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه إنه ظالم ، وإنه متعد ، ونحو ذلك، ومثله ذكر مساوئ الخاطب ، والمبتدعة والفسقة على قصد التحذير. عون المعبود - (١٠/ ٤٠٠)

(١٠) (د) ٤٨٧٦ ، (جة) ١٣٣ ، صحيح الجامع: ٣٥٣٩ ، الصحيحة: ١٨٧١، صحيح الترغيب والترهيب: ١٨٥١." (١)

"كيف نعمق أواصر الأخوة؟

إخوتاه ..

لا بد من نية صالحة – كما تعاهدنا – ننوي أن نحقق هذا المعنى العظيم معنى الأمة في حياتنا، نريد توثيق عروة الأخوة، نريد إحياء روح الأخوة، نريد أن نكون بالفعل متحابين حتى تقوم للإسلام أمة، وعلى الدرب خطوات، فأول ذلك:

أولا: حسن الظن وقبول الظاهر.

الظن . إخوتاه . من أكبر العقبات التي تحول بين ترابط المسلمين فيما بينهم فإياك وإياه.

يقول الله جل وعلا: " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم " [الحجرات /١٢] قال علماؤنا: إن الغيبة من الكبائر، وهي من أعظم المحرمات عند الله، وغيبة المسلم تنشأ عن التجسس عادة، وسبب التجسس الظن فهي مراتب بعضها فوق بعض.

مثلا: بعض الناس يمضي في طريقه فإذا به يرى من يختبئ وراء الجدار، فتستشرف نفسه الدخول فيما لا يعنيه، فيعود ويتلصص لينظر ماذا يصنع هذا الرجل فربما يرى ما يسوء، أو ما قد يعجز عن تفسيره فيقع في الغيبة.

هكذا سد الباب من البداية فمن حسن إسلام المراء تركه ما لا يعنيه، وإن الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم، لذلك كان الأصل في الإسلام أن تحسن الظن بأخيك، وتسيء الظن بنفسك، وهذا عكس ما هو حاصل في هذه الأيام، فتجد من." (٢)

"الظن لحظة فسوف تنتهي الأخوة وتضيع.

(٢) الغيبة.

إخوتاه ..

شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه، يقول لأخيه أمامه ما يشرح الصدور، ثم ما يلبث أن يغتابه ويسيء إليه في غيبته، وهذه من علامات النفاق . والعياذ بالله ..

والغيبة ذكرك أخاك بما يكره ولو كان الأمر فيه، والمغتاب شخص جبان لا يقدر أن يواجه صاحبه فيتكلم من ورائه.

قال تعالى" ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه " [الحجرات / ١٢].

---

(١) الجامع الصحيح للسنن والمسانيد صهيب عبد الجبار ١٥٤/٩

(٢) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٥٥

ولاحظوا أنه يأكل لحم أخيه الميت، فلو كان حيا ما استطاع، فينتظر عندما يموت ويأكل لحمه، فاجتمع أمران حرمة الميت فينتصر الله له، وأن هذا الجسد يتعفن فيأكل حراما.

إخوتاه ..

إن أكل لحم المسلم حرام، والغيبة أن تأكل لحم أخيك ميتا وهو غائب، فاجتمع عليك من الشر مالا يحمد عقباه، كالجبن وإساءة الظن وعدم المراقبة لله بل مراقبة البشر.

إخوتاه ..

نزهوا أسماعكم عن استماع مثل هذه الأحاديث، كما تنزهوا ألسنتكم من النطق بها، وإن السفيه ينظر إلى أخبث شئ في وعائه فيحرص أن." (١)

"يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها.

(٣) السخرية والاحتقار والهمز واللمز والتنابز.

قال تعالى: " إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " [الحجرات/١٠ - ١٢].

ذكر الله عز وجل في هذه الآيات السياج العام حول الحقوق الشخصية لكل مسلم .....

وقد قال - صلى الله عليه وسلم -: " ألا إن دماؤكم وأموالكم وأعراضكم بينكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ..." (١).

فأعراض المسلمين حرام، وأموال المسلمين حرام، ودماء المسلمين حرام، والنيل من أعراض المسلمين يبدأ أولا: بالسخرية، وللأسف أصبحت السخرية داء من أدواء الأمة، والسبب في ذلك الأفلام والتمثيليات والمسرحيات والتفكة بالكلام الفارغ، كله سخرية فلا يضحك الناس ـ الآن ـ إلا بالسخرية من الآخرين، والاستهزاء بهم نتيجة احتقارهم لهم.

---

(١) جزء من حديث متفق عليه أخرجه البخاري (٦٧) ك العلم، باب قول النبي رب مبلغ أوعى من سامع، ومسلم (١٦٧٩) ك القسامة والمحاربين والقصاص والديات، باب تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال.." (٢)

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٠٨

(٢) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٠٩

"أثني عليه يكثر ويستمر.

تاسعا: لا تفتش عن الأخطاء.

حاول أن تصحح الأخطاء الظاهرة، ولا تفتش عن الأخطاء الخفية لتصلحها، لأنك بذلك تفسد القلوب، وقد نهي الشارع عن تتبع العورات.

ففي مسند الإمام أحمد عن ثوبان أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: " لا تؤذوا عباد الله ولا تعيروهم، ولا تطلبوا عوراتهم، فإنه من طلب عورة أخيه المسلم طلب الله عورته حتى يفضحه في بيته " (١)

وعن معاوية أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: " إنك إن تتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم " (٢)

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم " [الحجرات / ١٢]؛ لذلك نهى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يطرق الرجل أهله ليلا (٣) ليلتمس عوراتهم، فكان إذا جاء من سفر ليلا بات في المسجد، ثم إذا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٢٧٩) عن ثوبان – رضي الله عنه –، وقال الهيثمي في المجمع (٨/ ٨٧) رواه أحمد ورجاله الصحيح غير ميمون بن عجلان وهو ثقة.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٨٨) ك الأدب، باب في النهي عن التجسس، وقال الحافظ العراقي في تخريج الإحياء: إسناده صحيح، وكذا الإمام النووي في " رياض الصالحين " وصححه الشيخ الألباني . رحمه الله . في صحيح الجامع (٢٢٩٥) وصحيح أبي داود (٤٠٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٨٠١) ك الحج، باب لا يطرق أهله إذا بلغ المدينة.." (١)

"٣ – حدثنا عارم، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن عبيد الله بن أبي زياد، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (حم) ٢٧٦٠٩ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.

– حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا عبيد الله بن أبي زياد، حدثنا شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ذب عن **لحم أخيه** في الغيبة، كان حقا على الله أن يعتقه من النار» (حم) ٢٧٦١٠ ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: إسناده ضعيف.." (٢)

---

(١) الأخوة أيها الإخوة محمد حسين يعقوب ص/٢٣٧

(٢) المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة صهيب عبد الجبار ٤٠٨/٥

"الغيبة.

ويدور الشيطان حول الانسان لينفث من وساوسه في قلبه ويوهمه انه لا شيء في اخذ الغيبة ما دام ذلك لازالة المنكر ورد العاصي الى الصواب ولو كان الامر كذلك لهان كل شيء ولكنه لا يلتزم بهذا الشرط مبدأ يرتكز عليه عند اخذه للغيبة – فتراه يغتاب كل من يخالفه في رأي او فكرة وكأنه يأكل من لحمه وهو ميت كما قال الله تعالى:

" ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه".

ولقد قالت عائشة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم" حسبك من صفية كذا وكذا – تعني قصيرة – فقال:

" لقد قلت كلمة لو مزجت بها البحر لمزجته"

الله أكبر كلمة واحدة مزجت البحر فما بال ذلك الصنف من الدعاة الذين يغتابون مخالفيهم بالراي وبالفروع بكلمات وليست بكلمة واحدة ويا ليتها بمستوى قصيرة"

قال الحسن:" الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى:

الغيبة والافك والبهتان. فأما الغيبة فهو ان تقول في اخيك ما هو فيه واما الافك فان تقول ما بلغك عنه. واما البهتان فان تقول فيه ما ليس فيه"

ولقد عرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم تعريفا تجعله قاعدة لنا تخلصنا من التاويلات الملتوية – فال صلى الله عليه وسلم:

" أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله اعلم قال:

ذكرك اخاك بما." (١)

"الغريبة قريبة مألوفة.

وعلى هذا النحو تجري كثير من نصوص الوحيين.

قال الله ـ تعالى ـ في شأن المنافقين: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم﴾ [البقرة:١٧]

.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم في شأن المؤمنين وتآلفهم: "مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" ١.

ثم إن للأمثال فوائد أخرى؛ فمن ذلك أن المثل يضرب للترغيب في الممثل به؛ حيث يكون مما تستحسنه النفوس، وترغب فيه.

ومن ذلك ما ضربه الله ـ عز وجل ـ لحال المنفق في سبيل الله؛ حيث يعود عليه الإنفاق بخير كثير فقال ـ تعالى ـ ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة﴾ [البقرة:٢٦١] .

وقد يضرب المثل للتنفير من العمل؛ حيث يكون الممثل به مما تكرهه النفوس، وتنفر منه كما ضرب الله المثل لحال المغتاب

---

(١) البيان في مداخل الشيطان عبد الحميد البلالي ص/١١٠

فقال ـ تعالى ـ: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات:١٢] .
ويضرب المثل لمدح الممثل؛ حيث يكون في الممثل به صفات تستحسنها النفوس، وتمدح من يحرز مثلها، كما ضرب الله مثلا لحال الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ فقال ـ عز وجل ـ ﴿ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه

---

١ أخرجه البخاري"٦٠١١"، ومسلم "٢٥٨".." (١)

"إنك قد تجد بعض الناس يصوم عن الحلال ويفطر على الحرام، يصوم عن زوجته الحلال ويفطر على النساء في الشوارع، يصوم عن الطعام الحلال و يأكل **لحم أخيه** ميتا بالغيبة والنميمة وهو حرام، يجلس أمام التلفاز فيرى النساء العاريات ويسمع الكذب والبذاءة، إخوتي، انتبهوا فإن المعصية في رمضان تختلف عن المعصية في غيره، والطاعة فيه تختلف عن الطاعة في غيره، فللأوقات المعظمة عظمة وحرمة، وقد قال الله تعالى في الأشهر الحرم: ﴿فلا تظلموا فيهن أنفسكم﴾ [التوبة: ٣٦]، تعظيما لهذه الأشهر.

لذا كان من علامات التوفيق إقبال الطاعات وإدبار المعاصي، ومن علامة الخذلان إقبال المعاصي واستثقال الطاعات، قال تعالى: ﴿والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم (١٧)﴾ [محمد: ١٧].

شهر القرآن:

ثم انتبه إلى أن رمضان شهر القرآن، فينبغي أن يكون العمل مضاعفا في هذا الشهر، لا بد أن تكثف وتكثر في هذا الشهر من تلاوة القرآن.

أخي الحبيب، ألست تحب الله؟، فلماذا لا تكثر من تلاوة كلامه؟

لو أحببت الله لأطعته، وأنا أقول لك: نعم وليس شرط المحب العصمة، ولكن شرطه كلما زل أن يتلافى تلك الوصمة.

قال الله تعالى: ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾ [البقرة: ١٨٥]، فكأن وجود القرآن قبل التكليف بالعبادة، فكأنه قيل: احتفلوا بالقرآن .. وتفرغوا لقراءة القرآن .. ولكن –للأسف الشديد– تفرغ المسلمون اليوم للدورات الرمضانية في كرة القدم، ومشاهدة المسلسلات، وصنع الطعام والكنافة، شيء عجيب!، الله فرغنا لتلاوة كتابه ونحن نعرض عنه!!." (٢)

"قال الله تعالى: ﴿ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى﴾ وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث حتى تختلطوا بالناس من أجل أن ذلك يحزنه» وقال الله تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ .

---

(١) أدب الموعظة محمد بن إبراهيم الحمد ص/٨٠

(٢) أسرار المحبين في رمضان محمد حسين يعقوب ص/١١٦

﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾." (١)

"والغيبة خصلة ذميمة لا تصدر إلا عن نفس دنيئة، وهي كما عرفها النبي – صلى الله عليه وسلم – بقوله: ((ذكرك أخاك بما يكره)) (١) ، وهي محرمة بل هي كبيرة من الكبائر وقد ذمها الله سبحانه وتعالى بالقرآن العظيم فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] ، ولا تقتصر على الكلام باللسان، وإنما كل حركة أو إشارة أو إيماءة أو تمثيل أو كتابة في الصحف أو على الإنترنت، أو أي شيء يفهم منه تنقص الطرف الآخر؛ فكل ذلك حرام داخل في معنى الغيبة، والإثم يزداد بحسب الملأ وكثرتهم الذين يذكر فيهم المغتاب (٢) .

واعلم أخي المسلم: أن الغيبة خسارة كبيرة في حسنات العبد؛ فالمغتاب يخسر حسناته ويعطيها رغما عنه إلى من يغتابه، وهي في نفس الوقت ربح للطرف الآخر؛ حيث يحصل على حسنات تثقل كفته جاءته من حيث لا يدري؛ لذا قال عبد الله بن المبارك – وهو أحد أمراء المؤمنين في الحديث –: ((لو كنت مغتابا لاغتبت أمي فإنها أحق بحسناتي)) (٣) .

---

(١) أخرجه: مسلم ٨/٢١ (٢٥٨٩) (٧٠) من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –.

(٢) المغتاب: اسم فاعل ومفعول يدل على الذي يقوم بغيبة الناس، ويدل على الذي تقع عليه الغيبة.

(٣) فيض القدير ٣/١٦٦ للمناوي.." (٢)

"وروي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – يقول: جاء الأسلمي نبي الله – صلى الله عليه وسلم – فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما – أربع مرات – كل ذلك يعرض عنه النبي – صلى الله عليه وسلم – فأقبل في الخامسة فقال: ((أنكتها؟)) قال: نعم قال: ((حتى غاب ذلك منك في ذلك منها)) قال: نعم قال: ((كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟)) قال: نعم قال: ((فهل تدري ما الزنا؟)) قال: نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا قال: ((فما تريد بهذا القول؟)) قال: أريد أن تطهرني فأمر به فرجم فسمع النبي – صلى الله عليه وسلم – رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: ((أين فلان وفلان؟)) فقالا: نحن ذان يا رسول الله، قال: ((انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار)) فقالا: يا نبي الله، من يأكل من هذا؟ قال: ((فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها)) (١) .

ومن أعظم ما ورد في الزجر عن الغيبة قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾

---

(١) السعادة – ص/١٤

(٢) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٢

[الحجرات: ١٢] .

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: ((وقد ورد فيها (يعني: الغيبة) الزجر الأكبر، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال – عز وجل –:

---

(١) أخرجه: البخاري في " الأدب المفرد " (٧٣٧) ، وأبو داود (٤٤٢٨) ، والنسائي في " الكبرى " (٧١٦٤) و (٧١٦٥) .." [1]

"((أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه)) ، أي: كما تكرهون هذا طبعا فاكرهوا ذاك شرعا؛ فإن عقوبته أشد من هذا)) (١) .

أخي المسلم الكريم لقد صور الله الإنسان الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة فمثله بمن يأكل **لحم أخيه** ميتا، ويكفي قبحا أن يجلس الإنسان على جيفة أخيه المسلم يقطع من لحمه ويأكل.

والغيبة من كبائر الذنوب، وهي محرمة بالإجماع قال القرطبي: ((لا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدا عليه أن يتوب إلى الله – عز وجل –)) (٢) .

والغيبة مرض خطير، وشر مستطير يفتك الأمة ويبث العداوة والبغضاء بين

أفرادها، وهذا المرض لا يكاد يسلم منه أحد إلا من رحم الله.

ومرض الغيبة عضال، كم أحدث من فتنة، وكم أثار من ضغينة، وكم فرق بين أحبة وشتت بيوتا.

والغيبة فاكهة أهل المجالس الخبيثة، وغيبة أهل العلم والصلاح أشد قبحا وأعظم ظلما؛ فلحومهم مسمومة، وسنة الله في عقوبة منتقصيهم معلومة.

ولعل من أسباب الغيبة الحسد، الذي يحصل لكثير من الذين ابتعدوا عن مراقبة

الله، فتجد الكثيرين يغتابون آخرين حسدا من عند أنفسهم؛ لأن أخاهم حصل على ما لم يحصلوا عليه.

ومن أسباب الغيبة المجاملة والمداهنة على حساب الدين؛ فتجد الرجل يغتاب أخاه المسلم؛ موافقة لجلسائه وأصحابه.

ومن أسباب الغيبة الكبر واستحقار الآخرين؛ لأنه يثقل عليه أن يرتفع عليه غيره فيقدح بهم في المجالس؛ لإلصاق العيب بهم، وقد قال النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((الكبر بطر الحق وغمط الناس)) (٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير: ١٧٥٠.

(٢) تفسير القرطبي ١٦ / ٣٣٧.

(٣) جزء من حديث عبد الله بن مسعود الذي أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ٦٤ (٩١) (١٤٧) .." [2]

---

(١) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٥

(٢) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٦

"فالمسلم إذا استقام لسانه استقامت جوارحه، وأما من أطلق عنان ذلك الأمر، ودخل لسانه في معصية الله، وخاض في أعراض الناس؛ فإن جوارحه ستعصي وتنتهك حرمات الله، وقد جاء عن النبي – صلى الله عليه وسلم –: ((إذا أصبح ابن آدم، فإن الأعضاء كلها تكفر (١) اللسان فتقول: اتق الله فينا فإنما نحن بك، فإن استقمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا)) (٢) .

أخي المسلم الكريم، تذكر دائما وقوفك عند الله وأنت عريان، فلا تطلق لسانك، وكن عليه رقيبا.

اللسان دليل على كمال عقل الإنسان أو نقصانه، فمن أفلت لسانه دل على نقصان عقله فأكثر الناس كلاما ولغوا هم أقلهم عقولا، تمعن جيدا فالأمر جد خطير؛ لأنه متعلق إما بدخول الجنة أو النار، وهذا ما نرجوه، وهو العمل على ما يدخل الجنة، وتجنب ما يدخل النار. اللسان يدخل الإنسان الإسلام بكلمة، ويخرج منه بكلمة، ويدخل بذلك النار. تنبه دائما أن كل كلمة وكل لفظة مسجلة، كم يجلس الإنسان في مجالس، وفي أكثر المجالس يأتون بإنسان ميت ينهشون بلحمه يأكلون أخاهم ميتا، نعم من يغتاب أخاه المسلم كمن يأكل لحم أخيه ميتا، فالمسلم له حرمة، وحرمته أعظم من حرمة الكعبة فقد روى ابن ماجه (٣) من حديث عبد الله بن عمر قال: رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يطوف بالكعبة ويقول: ((ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك ماله ودمه وأن نظن به إلا خيرا)) .

---

(١) تكفر: بتشديد الفاء المكسورة أي تتذلل وتتواضع له من قولهم: كفر اليهودي إذا خضع مطأطأ رأسه، وانحنى لتعظيم صاحبه. تحفة الأحوذي ٧/٧٤-٧٥

(٢) أخرجه: ابن المبارك في الزهد (١٠١٢) ، والطيالسي (٢٢٠٩) ، وأحمد ٣/٩٥، والترمذي (٢٤٠٧) ، وأبو يعلى (١١٨٥) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) برقم (٣٩٣٢) .." (١)

"واعلم أخي المسلم الكريم أن للمسلمين حرياتهم وكراماتهم، ولا يجوز أن تنتهك حرياتهم وكراماتهم إلا بإذن من الشارع، وقد أحاط الإسلام حريات المؤمنين بأسيجة منيعة، ومن ذلك حرمة التجسس قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] ، والتجسس هو الحركة العملية التالية للظن السيء، فإذا ظن المسلم بالمسلم سوءا تاقت نفسه أن يجس عليه. والمسلم مأمور بحسن الظن بأخيه المسلم، فنحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر، وفي الصحيحين (١) من حديث أبي سعيد الخدري – رضي الله عنه –يقول: بعث علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابحا، قال: فقسمها بين أربعة نفر بين عيينة بن بدر وأقرع بن حابس وزيد الخيل والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه:

---

(١) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٢٩

كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي – صلى الله عليه وسلم – فقال: ((ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء)) قال: فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار فقال: يا رسول الله، اتق الله، قال: ((ويلك أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله)) قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه، قال: ((لا، لعله أن يكون يصلي)) فقال خالد: وكم من مصل يقول بلسانه ما ليس في قلبه، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:

(١) صحيح البخاري ٥/٢٠٧ (٤٣٥١) ، وصحيح مسلم ٣/١١٠ (١٠٦٤) (١٤٤) .." (١)

"((إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس، ولا أشق بطونهم)) قال: ثم نظر إليه وهو مقف فقال: ((إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية – وأظنه قال – لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود)) .

فانظر أخي المسلم الكريم كيف أن الإسلام حرم إساءة الظن بالمسلم، أو التجسس عليه أو اغتيابه، وأن هذه الأمور ترتبط أحيانا ببعضها البعض، فالسيئة تسوق إلى سيئة أكبر؛ فسوء الظن هو الذي يحمل الإنسان على التجسس والاغتياب؛ لذلك جاء النهي عن هذه الأشياء بآية واحدة قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] ، إذن فلا يجوز لمسلم أن يسيء الظن بأخيه المسلم أو يتجسس عليه ليتحقق من ظنه، أو يغتابه بهذه الظنون السيئة، فديننا الحنيف حمى حرمات الأشخاص وكراماتهم وحرياتهم، وعلم الناس كيف ينظفون مشاعرهم وضمائرهم؛ لأن سوء الظن يسوق إلى الإثم وإلى العواقب الوخيمة.." (٢)

"أخي في الله ..

ليكن كل منا حريصا على وقت الآخر، فالوقت هو الحياة، وهو رأس مال الإنسان الحقيقي، المحاسب عنه يوم القيامة.

يذكرنا بذلك الرسول صلى الله عليه وسلم فيقول: " نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس، الصحة والفراغ " (١).

ويقول ابن مسعود: ما ندمت على شيء ندمي على يوم غربت شمسه، نقص فيه أجلي ولم يزد فيه عملي.

فليحرص كل منا على وقته ووقت إخوانه، فالواجبات أكثر من الأوقات، وطريق الجنة طويل يحتاج إلى بذل وعطاء بالليل والنهار ﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ [المطففين/٢٦]، فإذا زار إخوانه فليحافظ على آداب الزيارة، فلا سمر بعد العشاء، ولا ينسى أن هناك قيام ليل واستغفارا بالأسحار وصلاة فجر، فلا يحرم نفسه ولا إخوانه من فضل هذه الأوقات.

ومما لا شك فيه أن كل منا يحب أن يرى أخاه ويجلس معه في كل وقت، فلقاؤه أحب لقاء إليه، ولكن إن لم تكن هذه اللقاءات لزيادة الإيمان والتذكير بشعبه، فلابد أن ننهي أنفسنا عنها ونجاهدها في ذلك.

(١) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٧٤

(٢) حرمة المسلم على المسلم ماهر الفحل ص/٧٥

بل إذا رأى أحدنا من الآخر عدم حرصه على وقته ذكره بقيمة الوقت وخطورة إنفاقه فيما لا يفيد.

****

أخي في الله ..

إن كنت حريصا علي وتريد لي الخير – وأنا لا أشك في ذلك – فلا تمدحني في وجهي، فما من شيء أضر على الإنسان من المدح، ويكفي في بيان خطورة المدح في الوجه ما قاله الرسول صلى الله عليه وسلم للرجل الذي مدح رجلا عنده فقال له: " ويحك، قطعت عنق صاحبك، لو سمعها ما أفلح ". ثم قال: " إن كان أحدكم لابد مادحا أخاه فليقل: أحسب فلانا ولا أزكي على الله أحدا، حسيبه الله، إن كان يرى أنه كذلك " (٢).

المدح يجعل الإنسان ينتشي ويكبر عند نفسه، فيؤدي ذلك إلى التكبر على الناس، لإحساسه بأنهم دونه في المستوى، وينعكس ذلك الإحساس على تصرفاته معهم.

وإن لم يتكبر على الناس فيكفيه فتوره وعدم حرصه على معرفة عيوبه ونواقصه، لإحساسه بشيء من الكمال في نفسه.

فالحرص الحرص على عدم المدح في الوجه.

****

أخي في الله ..

حافظ على حرمتي، فلا تغتابني تحت أي مسمى من المسميات مثل المصلحة وغيرها، تخيل أنك مكاني، ماذا سيكون شعورك تجاهي عندما تبلغك غيبتي لك؟!

وتذكر قول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات/١٢].

ولا تحاول أن تسخر مني أو تستهزئ بي بدعوى المزاح، فإن ذلك قد يحزنني، ولا تعمل يا أخي على إحراجي بين الناس، وتذكر قول الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن﴾ [الحجرات/١١].

واعمل على ألا تكلفني مالا أطيق.

ولا تأخذ مني شيء دون رضاي، فقد يمنعني الحياء من محاولة استرداده، وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبا ولا جادا، فمن أخذ عصا أخيه فليردها عليه " (٣).

وناديني يا أخي بأحب الأسماء إلي، ولا تطلق علي لقبا فيه سخرية أو استهزاء، وتأمل قول الله عز وجل: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ [الحجرات/١١].

ولا تناج أحدا وتسر إليه بالحديث وأنا معك، فقد تفتح علي بذلك بابا للشيطان، فكما قال صلى الله عليه وسلم: " إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الثالث، فإن ذلك يحزنه " (٤).

ولا تروعنى بأى صورة من الصور، مثل أن تأخذ منى شيئا وتخفيه أو نحو ذلك، سواء كنت جادا أو مازحا.

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاري برقم (٦٠٥٨) من طريق عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

(٢) حديث صحيح: متفق عليه، أخرجه البخاري برقم (٥٧٢١)، ومسلم برقم (٥٤٣٠، ٥٤٣١) من طريق نفيع بن الحارث رضي الله عنه.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه برقم: (٢١٣٧)، وقال: حسن غريب.

(٤) حديث صحيح، متفق عليه: أخرجه البخاري برقم (٥٩٤١)، ومسلم برقم (٤١٤٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.." (١)

"(حديث أبي موسى الأشعري الثابت الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (على كل مسلم صدقة فقالوا: يا نبي الله، فمن لم يجد؟ قال: يعمل بيده، فينفع نفسه ويتصدق قالوا: فإن لم يجد؟ قال: يعين ذا الحاجة الملهوف قالوا: فإن لم يجد؟ قال: فليعمل بالمعروف، وليمسك عن الشر، فإنها له صدقة.

حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة)

ومعنى الحديث:

أن على كل إنسان أن يتصدق كل يوم على سبيل الإستحباب بعدد مفاصله وهي (٣٦٠) مفصل شكرا لله تعالى أن جعل له مفاصل تمكن العظام من الثني.

دعاء النبي – صلى الله عليه وسلم – لصاحب الصدقة:

(حديث عبد الله بن أبي الأوفى الثابت في الصحيحين) قال: كان النبي – صلى الله عليه وسلم – إذا أتاه قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى)

أن المكثر من الصدقة يغبط في جنب الله تعالى:

(حديث ابن مسعود في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق و رجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها و يعلمها ... .

(٨) ترك مجالس أهل الدنيا والاشتغال بمجالس الآخرة:

[*] أولا ترك مجالس أهل الدنيا:

يجب على كل مسلم أن يحذر من مجالس أهل الدنيا لأنها لا تخلوا غالبا من غيبة أو نميمة أو كثرة الضحك أومزاح بالباطل

---

(١) رسالة إلى أخي في الله مجدي الهلالي ص/٥

ليضحك به القوم، وكل هذا مما نهى الشرع عنه.

والغيبة من آفات اللسان التي يجب على طالب العلم أن يحفظ لسانه منها، وجاء في الكتاب والسنة الصحيحة النكير الشديد والنهي الأكيد عن ارتكاب هذه الرذيلة

قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات / ١٢]

الشاهد من الآية: أن الله تعالى نهى عن الغيبة، والأصل في الأمر التحريم، وشبه المغتاب بأكل الميتة،

تعريف الغيبة: الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره بنص السنة الصحيحة." (١)

"والمراد بالنهي هنا هو النهي عن ظن السوء. قال الخطابي: هو تحقيق الظن وتصديقه دون ما يهجس في النفس؛ فإن ذلك لا يملك. ومراد الخطابي أن المحرم من الظن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإن هذا لا يكلف به كما سبق في حديث: (تجاوز الله تعالى عما تحدثت به الأمة ما لم تتكلم أو تعمد) وسبق تأويله على الخواطر التي لا تستقر، قاله النووي (١). وقال القرطبي: المراد بالظن هنا التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم رجلا بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها، ولذلك عطف عليه قوله: ﴿ولا تجسسوا﴾ وذلك أن الشخص يقع له خاطر التهمة فيريد أن يتحقق فيتجسس ويبحث ويستمع، فنهي عن ذلك، وهذا الحديث يوافق قوله تعالى: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات: ١٢] فدل سياق الآية على الأمر بصون عرض المسلم غاية الصيانة، لتقدم النهي عن الخوض فيه بالظن، فإن قال الظان أبحث لأ تحقق، قيل له: ﴿ولا تجسسوا﴾ فإن قال تحققت من غير تجسس قيل له: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ (٢).

﴿فائدة﴾: من إحسان الظن بالإخوان؛ حمل كلامهم على أحسن المحامل، فإذا بلغك شيء تكرهه، فالتمس له العذر، وقل: لعله أراد كذا، ولعله أراد كذا، حتى لا تجد له محملا.

ذم التجسس على المسلم:

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والخرائطي عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما ـ ليلة المدينة، فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت، فانطلقوا يؤمونه، فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط. فقال عمر ـ وأخذ بيد عبد الرحمن بن عوف ـ: أتدري بيت من هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف وهم الآن شرب فما ترى؟ قال: أرى أن قد أتينا ما نهى الله عنه، قال الله: ﴿ولا تجسسوا﴾ (سورة الحجرات: الآية: ١٢) فقد تجسسنا فانصرف عنهم عمر رضي الله عنه وتركهم.

قصة عمر – رضي الله عنه – مع رجل ومع جماعة في هذا الشأن:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ١/ ٢٢١

(١). شرح صحيح مسلم. المجلد الثامن (١٦/ ١٠١)

(٢). فتح الباري (١٠/ ٤٩٦)." [1]

"قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [سورة: الحجرات - الآية: ١٢]

الشاهد: قوله تعالى [ولا تجسسوا]

(ولا تجسسوا) حذف منه إحدى التاءين لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها.

(حديث أبي هريرة في الصحيحين) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا.

الشاهد: قوله - صلى الله عليه وسلم -[ولا تجسسوا]

مسألة: ما الفرق بين التحسس بالحاء والتجسس بالجيم؟

التجسس البحث عما يكتم عنك، والتحسس (بالحاء) طلب الأخبار والبحث عنها، وقيل: إن التجسس (بالجيم) هو البحث، ومنه قيل: رجل جاسوس إذا كان يبحث عن الأمور، وبالحاء: هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

(٥٥) الاقتصاد في العزلة والمخالطة:

ومن أفضل آداب معاشرة الإخوان الاقتصاد في العزلة والمخالطة، وجدير بالذكر أن لكل من العزلة والمخالطة فوائد وغوائل، وأكثر الزهاد اختاروا العزلة منهم سفيان الثوري والفضيل وإبراهيم بن أدهم وبشر الحافي، ومنهم من اختار المخالطة كسعيد بن المسيب وشريح والشعبي، وهاك صفوة مسائل الاقتصاد في العزلة والمخالطة:

معنى العزلة والخلطة:

ضوابط العزلة والخلطة:

متى تشرع العزلة؟

معنى التقية وأقسامها:

وسطية أهل السنة فى باب التقية:

وهاك تفصيل ذلك في إيجاز غير مخل:

معنى العزلة والخلطة:

أولا معنى العزلة:

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣١٢/١٠

قال الخطابي رحمه الله في آداب العزلة:

ولسنا نريد ـ رحمك الله ـ بهذه العزلة التي نختارها مفارقة الناس في الجماعات والجمعات وترك حقوقهم في العبادات وإفشاء السلام ورد التحيات وما جرى مجراها من وظائف الحقوق الواجبة لهم وصنائع السنن والعادات المستحسنة فيما بينهم فإنها مستثناة بشرائطها جارية على سبلها ما لم يحل دونها حائل شغل ولا يمنع عنها مانع عذر.." (١)

"قال تعالى: (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات:١٢]

(حديث أبي هريرة الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا.

(حديث معاوية الثابت في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت تفسدهم.

أورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن يوسف بن موسى أن أبا عبد الله، سئل عن الرجل يسمع صوت الطبل، والمزمار، ولا يعرف مكانه؟ فقال: " وما عليه إذا لم يعرف مكانه؟ "

وأورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن عبد الكريم بن الهيثم العاقولي، قال: سمعت أبا عبد الله، سئل عن الرجل " يسمع حس الطبل والمزمار، ولا يعرف مكانه؟ فقال: وما عليك؟ وقال: ما غاب فلا تفتش عليه "

أورد أبو بكر الخلال رحمه الله تعالى في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن أحمد بن الحسين، أن أبا عبد الله، سئل عن الرجل، يرى القنينة يرى أن فيها، مسكرا؟ قال: " دعه ـ يعني لا تفتشه "

أما إذا جاهر الشخص بمعصيته سواء كانت مرئية كأن يخرج عند بابه ويضع الفيديو إلى جواره وفيه أفلام خليعة .. أو كانت مسموعة كأن يضع بآلة التسجيل شريطا به غناء ماجن أو موسيقى وغير ذلك، أو كانت مشمومة كأن تظهر رائحة الخمر والمسكر بحيث يشمها من هو خارج المنزل أو قريبا منه، ويتكلم معه، فإنه إذا فعل ذلك يكون قد أضاع الحق الذي أعطاه الإسلام له، ويكون بذلك قد عرض نفسه للإهانة والردع (١).

وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة وأمعن النظر فيه واجعل له من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيه من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

(حديث أبي هريرة رضي الله عنه الثابت في الصحيحين) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال:

---

(١) انظر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، د عبد العزيز المسعود، ١/ ٢٢١ بتصرف.." (٢)

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٣٨٥/١٠

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٥٦/١٠

"(حديث أبي هريرة في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: اتق المحارم تكن أعبد الناس و ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس و أحسن إلى جارك تكن مؤمنا و أحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما و لا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب.

(حديث أبي هريرة في صحيح ابن ماجة) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يا أبا هريرة كن ورعا تكن أعبد الناس وكن قنعا تكن أشكر الناس وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنا وأحسن جوار من جاورك تكن مسلما وأقل الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب.

(حديث جابر بن سمرة في صحيح الترمذي) قال كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – طويل الصمت قليل الضحك.

ولهذا ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يضحك إنما كان يبتسم

(حديث عائشة في الصحيحين) قالت ما رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ضاحكا حتى أرى لهواته إنما كان يبتسم.

(٤) ألا يكون في النشاط الترويحي مخالفة شرعية:

يعتبر هذا الضابط الأهم من ضوابط النشاط الترويحي، ولتطبيقه صور مختلفة، منها ما يلي:

عليه السلام ألا يكون في النشاط الترويحي أذية للآخرين من سخرية، أو لمز، ونبز، أو ترويع، أو غيبة، أو اعتداء على ممتلكاتهم بإتلاف أو استخدام ... ونحو ذلك؛ قال الله (تعالى): ((يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن ياكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم)) [الحجرات: ١١، ١٢]،

(حديث يزيد ابن سعيد في صحيحي أبي داوود والترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال لا يأخذ أحدكم متاع أخيه لاعبا و لا جادا و من أخذ عصا أخيه فليردها.

(حديث عبد الرحمن ابن أبي ليلى في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لا يحل لمسلم أن يروع مسلما.." (١)

"إن الذين يفعلون أنواعا من المحرمات وقد فقدوا معيار الحرام بدرجاته، فيرون أشياء كبيرة وعظيمة وهم يعملون أكبر منها وأعظم، الذين يرون ـ مثلا ـ أن حلق اللحية أمر خطير، وهو أمر خطير فعلا ومحرم في الشريعة، لكنهم يتساهلون جدا في الغيبة وهم يعلمون مدى خطورته كما في النصوص الآتية:

قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات / ١٢]

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٥٦٧/٣

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته.

(حديث عائشة في صحيحي أبي داوود والترمذي) قالت قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – حبك من صفية كذا وكذا – تعني قصيرة – فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته.

*معنى مزجته: أي خالطته مخالطة شديدة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وهذا من الزجر.

(حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزينب أعطيها بعيرا فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر.

(حديث أنس رضي الله عنه الثابت في صحيح الترمذي) قال: بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال ما يبكيك؟ فقالت قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وإن عمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفخر عليك ثم قال اتقي الله يا حفصة.

(حديث سعيد ابن زيد في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق.

(حديث أبي برزة في صحيح أبي داوود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: يا معشر من آمن بلسانه و لم يدخل الإيمان قلبه! لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم، فمن اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته.." (١)

"(حديث أنس في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: لما عرج بي ربي عز و جل مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجههم و صدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس و يقعون في أعراضهم.

(حديث المستورد ابن شداد في صحيح أبي داود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم و من اكتسى برجل مسلم ثوبا فإن الله يكسوه مثله من جهنم و من قام برجل مسلم مقام سمعة و رياء فإن الله يقوم به مقام سمعة و رياء يوم القيامة.

(ما يصنع من سمع غيبة أخيه؟

(حديث أبي في صحيح الترمذي) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة.

(حديث أسماء بنت يزيد في صحيح الجامع) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ؟من ذب عن عرض أخيه بالغيبة

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧٠/٥

كان حقا على الله أن يعتقه من النار.

(حديث جابر في صحيح أبي داوود) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: ما من امرئ يخذل امرءا مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا خذله الله تعالى في موطن يحب فيه نصرته و ما من أحد ينصر مسلما في موطن ينتقص فيه من عرضه و ينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته.

فكم الذين يقعون في الغيبة ويستطيلون في أعراض إخوانهم وهم يزعمون أنهم أهل صلاح وتدين؟ يأكلون لحم إخوانهم كالذي يأكل **لحم أخيه** ميتا، وأسوؤهم على الإطلاق، وقد ظهرت نابتة في عصرنا هذا كما ظهرت في عصور الإسلام السابقة، وهم الذين يقعون في أعراض الدعاة إلى الله وأهل العلم، فيستطيلون في أعراض الدعاة إلى الله ويتهمونهم بشتى التهم بحجة الإصلاح، ويلبسون الغيبة لباس النصيحة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخبر في الحديث القدسي الذي يرويه عن ربه عز وجل: (من عادى لي وليا؛ فقد آذنته بالحرب) كما في الحديث الآتي: (."[1]

"(٣) القول على الله بغير علم:

(٤) القذف:

(٥) الخصومات والجدال بالباطل:

(٦) بذاءة اللسان:

(٧) الحلف بغير الله تعالى:

(٨) الحلف بالله كذبا ومنه اليمين الغموس:

(٩) استخدام الفصاحة في قلب الحقائق:

(١٠) التحديث بكل ما سمع:

(١١) الغناء:

(١٢) الشعر المحرم:

(١٣) الفحش والتفحش (١):

(١٤) الجدال العقيم:

(١٥) شهادة الزور:

(١٦) المدح المذموم:

(١٧) اللعن:

(١٨) كثرة المزاح:

(١٩) الغضب:

(٢٠) التكلم فيما لا يعنيه:

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٧١/٥

وهاك تفصيل ذلك في إيجاز غير مخل:

(١) الغيبة:

(تساهل الناس في الغيبة:

(قال الشوكاني رحمه الله في السلوك الإسلامي القويم:

إني فكرت في عظم ذنب الغيبة وحقارة فعلها، وتساهل جل الناس بها، حتى صارت مألوفة غير منكورة، كأنها لم تكن أم كل محظور، تدار كؤوسها في المجامع، ويصغي إلى لحن شيطانها جميع المجامع، وما علم مرتكبها بوقوعه فيما هو أشد من الزنى، وأعظم جرما من الربا، وهو لو تحقق قد ساواهم وزاد، لكونه ذنبا تعلقه بالعباد. أهـ

(تعريف الغيبة:

الغيبة هي ذكرك أخاك بما يكره بنص السنة الصحيحة، وتأمل في الحديث الآتي بعين البصيرة:

(حديث أبي هريرة في صحيح مسلم) أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته.

والغيبة من آفات اللسان التي يجب على طالب العلم أن يحفظ لسانه منها، وجاء في الكتاب والسنة الصحيحة النكير الشديد والنهي الأكيد عن ارتكاب هذه الرذيلة

قال تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) [الحجرات / ١٢]

الشاهد من الآية: أن الله تعالى نهى عن الغيبة، والأصل في الأمر التحريم، وشبه المغتاب بأكل الميتة،

(حكم الغيبة:

(قال الشوكاني رحمه الله في السلوك الإسلامي القويم:

أن الغيبة محرمة بالكتاب والسنة والإجماع.

وتأمل في النصوص الآتية بعين البصيرة

---

(١). في اللسان: أفحش الرجل إذا قال قولا فاحشا، وقد فحش علينا فلان، وإنه لفحاش، وتفحش في كلامه ...

والفاحش، ذو الفحش والخنا من قول وفعل، والمتفحش الذي يتكلف سب الناس ويتعمده. (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦) مادة: (فحش) بتصرف يسير.." (١)

"قال الله تعالى: (لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما) [النساء: ١٤٨]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢]

وقال سبحانه: ﴿ويل لكل همزة لمزة﴾ [الهمزة: ١]

وقال عز وجل: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [ق: ١٨]

وقال سبحانه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [الإسراء: ٣٦]

والغيبة آفة خطيرة من آفات اللسان، ولقد عرفها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في الحديث الآتي:

((حديث أبي هريرة الثابت في صحيح مسلم) أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته و إن لم يكن فيه فقد بهته.

وتأمل في الأحاديث الآتية بعين البصيرة وأمعن النظر فيها واجعل لها من سمعك مسمعا وفي قلبك موقعا عسى الله أن ينفعك بما فيها من غرر الفوائد، ودرر الفرائد.

((حديث عائشة الثابت في صحيحي أبي داوود والترمذي) قالت: قلت للنبي - صلى الله عليه وسلم - حسبك من صفية كذا وكذا . تعني قصيرة . فقال: لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته.

*معنى مزجته: أي خالطته مخالطة شديدة يتغير بها طعمه أو ريحه لشدة نتنها وقبحها، وهذا من الزجر.

((حديث عائشة رضي الله عنها الثابت في صحيح الترغيب والترهيب) أنه اعتل بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزينب أعطيها بعيرا فقالت: أنا أعطي تلك اليهودية فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر.." (٢)

"حفظ اللسان من الكلام إلا في خير

قال الله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما﴾ وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٨٨/٩

(٢) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب محمد نصر الدين محمد عويضة ٤٨٩/٩

وقال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾." (١)

"من قوله تعالي: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون﴾ [النور: ٢٧] (١) . في الحث على بعض الآداب الشرعية التي أدب الله بها عباده كالاستئذان والسلام.

٨ – " ويدرؤون بالحسنة ": من قول الله تعالى: ﴿والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرءون بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار﴾ [الرعد: ٢٢] (٢) . في الحث على دفع القبيح بالحسن صبرا واحتمالا.

٩ – " أيحب أحدكم ": من قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] (٣) . في النهي عن آفة من آفات اللسان وهي الغيبة.

١٠ – " السحاب الثقال ": من قوله تعالى: ﴿هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا وينشئ السحاب الثقال﴾ [الرعد: ١٢] (٤) .

---

(١) سورة النور، الآية: ٢٧.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٤) سورة الرعد، الآية: ١٢.." (٢)

"رد خالد: نعم يا أبي، إني أحفظها، ومضى يتلو بعد أن استعاذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] (١) .

رد الأب وقد فارقه بعض غضبه:

أحسنت يا بني، ولكنك تحفظ قول الله تعالى ولا تعمل به، أنت تقيم حروفه وتنسى حدوده، فكيف ذلك يا خالد؟ ! .

أجاب خالد وقد خجل من نفسه حين سمع تأنيب (٢) والده:

أعلم يا أبي أن الغيبة محرمة ولكني لم أكن أعلم أن ما ذكرته عن ذلك الرجل يدخل ضمن حدود الغيبة.

رد الأب قائلا موجها حديثه لولديه:

---

(١) رفقا أهل السنة بأهل السنة عبد المحسن العباد ص/١٣

(٢) سلسلة أهل الذكر شريفة سلامة أبو مريفة ص/٨

لعلكما لاحظتما يا أبنائي أن الآية الكريمة قد بدأت بالنداء الحبيب الذي يستجيش القلوب، وهو نداء من الله للذين آمنوا به بالغيب، واستجاشة لقلوبهم بالصفة التي تربطهم به، وأنهم في هذا الكوكب عبيده وجنوده، وأن يقفوا بين يدي الله موقف المنتظر لقضائه وتوجيهه في نفسه وفي غيره، يفعل ما يؤمر ويرضى بما يقسم له ويسلم ويستسلم، فهل أدركتما هذا النداء في أول الآية يا أبنائي؟

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) الملامة بعنف.." (١)

"رد طارق وقد جذبه حديث والده:

– نعم يا أبي، وبالإضافة إلى ذلك النداء الحبيب فإن الآية صورت الغيبة بصورة تشمئز منها النفوس وهي صورة الأخ يأكل لحم أخيه ميتا، ثم بينت الآية أنهم كرهوا هذا الفعل المثير للاشمئزاز.

أردف والده قائلا بتعجب:

أحسنت يا بني، ولكنك اشتركت مع أخيك في الإثم الذي وقع فيه حين استمعت إليه وشاطرته (١) الضحك.

رد طارق وقد أحس بالخجل الشديد:

لم أكن أعلم أن حديث أخي إثما وإلا لما كنت أصغيت إليه.

سأل خالد وقد علم مقدار ما اقترفه من ذنب:

ومتى يكون الكلام عن الناس يا أبي غيبة؟

رد الأب وقد أظهر استحسانه لسؤال فتاه:

يا بني، لقد سألت سؤالا جيدا، ولعل إجابته تبدأ بتعريف الغيبة انطلاقا من قول المصطفى عليه أفضل الصلاة والتسليم فيما رواه أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن

---

(١) قاسمته.." (٢)

"والمغتاب يريد التسلق على أكتاف الآخرين، وذلك بالحط من أقدارهم، وتزهيد الناس بهم.

وما علم هذا المغتاب أن الرافع الخافض هو الله ـ عز وجل ـ وأنه بصنيعه يهدي حسناته ـ وهي أعز ما يملك ـ لمن يقع في عرضه.

فأين هذا المغتاب من قوله ـ تعالى ـ: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾

---

(١) سلسلة أهل الذكر شريفة سلامة أبو مريفة ص/٨٩

(٢) سلسلة أهل الذكر شريفة سلامة أبو مريفة ص/٩٠

[الحجرات:١٢] .

بل أين هو من أهل الجاهلية التي أشرافها يتمدحون بترك الغيبة.

قال المثقب العبدي:

لا تراني راتعا في مجلس ... في لحوم الناس كالسبع الضرم١

والغيبة لا تقتصر على اللسان فحسب، بل قد تكون بالإشارة بالعين، أو اليد، أو نحو ذلك.

أما أسبابها فكثيرة، منها التشفي من الآخرين، ومجاملة الأقران والرفقاء، والحسد، وكثرة الفراغ، والتقرب لدى أصحاب الأعمال والمسؤولين عن طريق ذم العاملين.

ومن أسبابها الإعجاب بالنفس، والغفلة عن التفكر في عيوبها.

وأعظم أسبابها قلة الخوف من الله ـ سبحانه وتعالى ٢.

---

١ الديوان ص ٢٢٩.

٢ انظر: الغيبة وأثرها السيء في المجتمع الإسلامي للشيخ حسين العوايشة، ففيه تفصيل رائع للغيبة.." (١)

"ولقد قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «الصيام جنة» أي وقاية نتقي بها كل ما نخشاه، وننال به كل ما نتمناه، فالصوم وقاية للسان في نطقه، وللعين في بصرها، وللأذن في سماعها، وهكذا كل الجوارح تتقي ما نهي عنه، قال جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما –: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الجار، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صومك سواء».

عليه السلام يا خائضا في أعراض الناس ... أقصر!!

فقد قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات ١٢)، وقال – صلى الله عليه وآله وسلم –: «الغيبة: ذكرك أخاك بما يكره» (رواه مسلم).

وقال القرطبي – رحمه الله –: «لا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن من اغتاب أحدا عليه أن يتوب إلى الله – عز وجل – ».

وعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟

قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم». (صحيح رواه أحمد وأبو داود).

(يخمشون) أي يخدشون، خمشت المرأة كضرب وجهها بظفر جرحت ظاهر البشرة. (يأكلون لحوم الناس): أي يغتابون المسلمين.

لما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات جعلهما جزاء من يغتاب ويفري في أعراض المسلمين إشعارا

---

(١) سوء الخلق محمد بن إبراهيم الحمد ص/٢٠

بأنهما ليستا من صفات الرجال بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة.

وعن أبي برزة الأسلمي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» (صحيح رواه أحمد وأبو داود).." (١)

"فهي من أحط الأخلاق وأرذلها فما اتصف بها إلا لئيم يهتك الأستار وينشر الأسرار. دعوها فلطالما خربت بيوتا عامرة وفرقت أسرا مجتمعة وأزهقت أرواحا بريئة. تثبتوا إذا نقل إليكم النمام ما يجرح المشاعر أو يثيرها فإنه فاسق. والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ [الحجرات: ٦] وإياكم والانخداع بالوشاة والنمامين فإن من نم لكم نم عليكم، فالنمام خائن ولو كان صادقا، مستهين بالتعاليم السماوية التي ذمت وتوعدت كل هماز مشاء بنميم، ذمته وآذنته بأنه لا يدخل الجنة. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يدخل الجنة نمام» ، رواه مسلم. وقال «ألا أخبركم بشراركم» ؟ «المشاؤون بالنميمة» ، الحديث، رواه أحمد.

وأما الغيبة فهي: ذكرك أخاك بما يكره سواء في خلقه أو خلقه في غيبته، سواء كان فيه، ما ذكرت أو لم يكن فيه، «سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال: " ذكرك أخاك بما يكره "، فقال: رجل أرأيت إن كان في أخي ما أقول، قال: " بأن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته» ، فاتقوا الله عباد الله ولا تلوثوا أخلاقكم بالغيبة فقد نهاكم الله تعالى عنها في قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: ١٢] ثم صور لكم بعد ذلك حالة المغتاب تصويرا بشعا تشمئز منه النفوس وتنفر منه الطباع البشرية فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] فهل تطيب نفس – يا عباد الله – ذات إباء ودين وشهامة أن تأكل لحما اجتمع فيه ثلاث صفات كل واحدة منهن في منتهى القبح والفظاعة، وهذه الثلاث هي: كونه لحم." (٢)

"قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦)﴾ [الحجرات: ٦].

وقال سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)﴾ [الحجرات: ١١: ١٢].

ولهذا لما سئلت عائشة رضي الله عنها ما كان النبي – صلى الله عليه وسلم – يصنع في بيته؟ قالت: كان يكون في مهنة أهله –تعني خدمة أهله– فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة" (١).

وهكذا كان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يمتثل أمر الله تعالى في كل شأنه قولا وعملا، وكان خلقه القرآن.

---

(١) دليل الواعظ إلى أدلة المواعظ شحاتة صقر ١/٥٤٧

(٢) خطب مختارة مجموعة من المؤلفين ص/٢٥٤

٢ – أنها طاعة لرسول الله – صلى الله عليه وسلم:

عن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: (اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن" (٢).

٣ – أنها سبب لمحبة الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين (١٩٥)﴾ [البقرة: ١٩٥].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان (٦٧٦ – فتح).

(٢) حسن. أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣ – ١٥٨)، والترمذي (١٩٨٧)، وحسنه شيخنا العلامة الألباني في "صحيح الجامع" (٩٧)..". (١)

"وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "المسلم أخو المسلم لا يخونه ولا يكذبه ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه وماله ودمه، التقوى هاهنا –وأشار إلى القلب– بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم" (١).

عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار" (٢).

٢٣ – حسن الظن به.

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ [الحجرات: ١٢].

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: "إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، وكونوا عباد الله إخوانا" (٣).

والصاحب الأريب الذي لا يجعل للشكوك في نفسه سبيلا، ولا يوقع في قلبه تهمة دون دليل.

*****

---

(١) صحيح. أخرجه الترمذي، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٦٧٠٦).

---

(١) موسوعة الأخلاق – الخراز خالد الخراز ص/٣٤

(٢) صحيح. أخرجه أحمد (٦/ ٤١٦)، وصححه الألباني في "صحيح الجامع" (٦٢٤٠).

(٣) أخرجه البخاري، ومسلم (٢٥٦٣).." (١)

"النداء الثالث والسبعون: في وجوب اجتناب كثير من الظن وحرمة التجسس والغيبة. ووجوب تقوى الله عز وجل

الآية (١٢) من سورة الحجرات

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ .

الشرح:

هذا النداء الخامس من نداءات الرحمن لعباده المؤمنين في سورة الحجرات، وكل هذه النداءات تدور حول إصلاح الفرد المؤمن في المجتمع الإسلامي، إذ الأول دعا المؤمن أن لا يقدم رأيه على الكتاب والسنة بحال من الأحوال لتبقى الشريعة هي الحكم، وإليها التحاكم فما أشرعته، فهو الشرع، وما أوجبته فهو الواجب، وما حرمته فهو الحرام. والنداء الأول: قرر الأدب الواجب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه وعلماء أمته هذا أولا. والثاني: الأدب سمة من سمات أهل الإيمان، فلا يحل التخلي عنها أبدا، إذ هي ميزة الأمة الإسلامية، والثالث: أوجب التثبت والتروى في إصدار الأحكام في كل قول وحادثة حتى لا يقع الفرد أو الأمة في خطر يزعزع أمنها ويحط من قدرها أو يحملها ما هي في غنى عنه، والرابع: حرم السخرية والاستهزاء بالمؤمن، واحتقاره والانتقاص من كرامته وشرفه كما حرم ألقاب السوء المفضية إلى النزاع والقتال بين المؤمنين؛ لأنهم أمة واحدة. وهذا الخامس من النداءات: فقد حرم على المؤمن اجتناب كثير من الظن بإخوانه المؤمنين؛ إذ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ أي يا من آمنتم بالله ربا، وبالإسلام دينا، ومحمد رسولا ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ ، وعلل لذلك الأمر بالاجتناب فقال: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ . وما دام بعضه إثما." (٢)

"تناجش، ولا تحاسد، ولا تباغض، ولا تدابر. بهذا الفعل والترك تتحقق الإخوة الإيمانية.

وقوله تعالى في هذا النداء: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي بأن يذكر المؤمن في غيبته بما يكره أن يذكر به وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال صلى الله عليه وسلم للسائل: " ذكرك أخاك بما يكره " قطعا هذا في حال غيابه عن المجلس فقال السائل: أرأيت إن كان في آخى ما يكره فقال صلى الله عليه وسلم: " إن كان فيه ما يكره فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما يكره فقد بهته "، والبهتان اعظم. وهو أسوأ أنواع الغيبة. وقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ؟ والجواب معلوم هو: لا، لا، قطعا إذا، فكما عرض عليكم لحم أخيكم ميتا فكرهتموه فاكرهوا إذا أكل لحمه حيا، وهو عرضه، والعرض أعز وأغلى من الجسم، وإليك هذا البيت من الحكمة فاحفظه وتأمله:

فإن أكلوا لحمى وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

---

(١) موسوعة الأخلاق - الخراز خالد الخراز ص/٤١٠

(٢) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/١٩٩

وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي في غيبة بعضكم بعضا، فإن الغيبة من عوامل الدمار والخراب والفساد بين المؤمنين وقوله تعالى: ﴿إن الله تواب رحيم﴾ ، جملة تعليله للآمر بالتوبة؛ إذ من اتقى الله، خافه وترك الغيبة وتاب. فأعلمهم الله عز وجل أنه تواب رحيم يقبل توبة من تاب، ويرحمه فلا يعذبه بحال من الأحوال.

فالحمد لله والمنة له، اللهم إنا تائبون إليك فتب علينا وارحمنا آمين

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.." (١)

"كتَاب الأمُور المَنهي عَنْهَا

٢٥٤ - باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَلاَ يَغْتَبْ بَعضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

في هذه الآية: النهي عن الغيبة، وهي ذكرك المسلم بما يكره، وإن كان ذلك فيه.

قال ابن كثير: والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يُستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة. كقوله - صلى الله عليه وسلم - لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة». وكقوله - صلى الله عليه وسلم - لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وقد خطبها معاوية، وأبو الجهم: «أما معاوية فصعلوك، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه»، وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال عزَّ وجلّ: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [الحجرات: ١٢]، أي: كما تكرهون هذا طبعًا، فاكرهوا ذاك شرعًا، فإن عقوبته أشد من هذا.

وهذا من التنفير عنها، والتحذير منها. كما قال - صلى الله عليه وسلم - في العائد في هبته: «كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه». وقد قال: «ليس منا مثل السوء».." (٢)

" قوله (هذا حديث حسن) وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وبن ماجة

- .

(باب ما جاء في الذب عن المسلم)

في القاموس ذب عنه أي دفع عنه ومنع

قوله [١٩٣١] (عن أبي بكر النهشلي) الكوفي صدوق رمي بالإرجاء من السابعة (عن مرزوق أبي بكر التيمي) مقبول من السادسة

---

(١) نداءات الرحمن لأهل الإيمان أبو بكر الجزائري ص/٢٠١

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل المبارك ص/٨٣٣

قوله (من رد عن عرض أخيه) أي منع غيبة عن أخيه (رد الله عن وجهه النار) أي صرف الله عن وجه الراد نار جهنم

قال المناوي أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الايلام وأشد في الهوان

قوله (وفي الباب عن أسماء بنت يزيد) أخرجه البيهقي في شعب الايمان عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه و سلم من ذب عن لحم أخيه بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار كذا عزاه صاحب المشكاة إلى البيهقي

قال القارىء في المرقاة وفي التصحيح رواه الطبراني محيي السنة وفي سنده ضعف وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه أحمد بسند حسن وبن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم نقله ميرك انتهى ما في المرقاة

قوله (هذا حديث حسن) ورواه أحمد وبن أبي الدنيا وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ ولفظه من ذب عن أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة وتلا رسول الله صلى الله عليه و سلم وكان حقا علينا نصر المؤمنين ." (١)

"والغفلة

المحمودة ترك ما لا يحسن في دين أو مروءة

وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

استعارة أي لا تغتاب أحدا ممن هو غافل من مثل هذا الفعل قال تعالى

) ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (

وقوله

أهل الجنة البله

لم يرد قلة المعرفة بالواجبات عليه ولكن أراد عدم المعرفة بالمكر والخديعة وسائر ما لا يحسن استعماله في الدين ولا في العشرة

ما نافح عن رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾

أي ما دافع

والولق

الكذب يقال ولق الرجل يلق إذا كذب وقيل الولق الاستمرار في الكذب

الحمس

قريش ومن ولدت قريش وكنانة وجديلة قيس سموا حمسا لأنهم تحمسوا في دينهم أي تشددوا والحماسة الشجاعة والأحمس الشجاع وكانوا لا يقفون بعرفة ولا يخرجون من الحرم ويقولون نحن أهل الله فلا نخرج من حرم الله وكانوا لا يدخلون البيوت من أبوابها وحكى الحربي أنهم إنما سموا حمسا بالكعبة لأنها حمساء وحجرها يضرب إلى السواد وقيل الحمسة الحرمة وإنما سموا حمسا لنزولهم بالحرم

الأبطح

---

(١) تحفة الأحوذي، ٦/٤٩

والبطيحة والبطحاء كل مكان متسع ثم يرتفع أحدها على مكان بعينه كالأبطح الذي يبيت الناس به في انصرافهم إلى مكة عند تمام الحج وهو الذي كان ينزله رسول الله ﴿صلى الله عليه وسلم﴾ لأنه كان أسمح لخروجه وانفصاله من مكة

لاك

اللقمة في فيه يلوكها إذا رددها بالمضع ويقال فلان يلوك أعراض الناس إذا وقع بهم واذاهم بلسانه

التحنيك

أن تمضع التمر ثم تدلكه بحنك الصبي وموضع تحنيك الصبي يقال له الحنك وهما حنكان والحنك الأعلى سقف أعلى الفم والأسفل سطح الفم

كداء

الممدود بفتح الكاف هو بأعلى مكة إذا صعد فيه الاتي من طريق العمرة وما هنالك انحدر منه

وكدى

بالكسر وتنوين الدال

". (١)

"قال الله تعالى : ؟ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ؟ [الحجرات (١٢)] .

في هذه الآية : النهي عن الغيبة ، وهي ذكرك المسلم بما يكره ، وإن كان ذلك فيه .

قال ابن كثير : والغيبة محرمة بالإجماع ، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته ، كما في الجرح والتعديل والنصيحة . كقوله – صلى الله عليه وسلم – لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر : « ائذنوا له بئس أخو العشيرة » . وكقوله – صلى الله عليه وسلم – لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها ، وقد خطبها معاوية ، وأبو الجهم : « أما معاوية فصعلوك ، وأما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه » ، وكذا ما جرى مجرى ذلك ، ثم بقيتها على التحريم الشديد ، وقد ورد فيها الزجر الأكيد ، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت ، كما قال عز وجل : ؟ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ؟ [الحجرات (١٢)] ، أي : كما تكرهون هذا طبعا ، فاكرهوا ذاك شرعا ، فإن عقوبته أشد من هذا .

وهذا من التنفير عنها ، والتحذير منها . كما قال – صلى الله عليه وسلم – في العائد في هبته : « كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه » . وقد قال : « ليس منا مثل السوء » .

وقال تعالى : ؟ ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ؟ [الإسراء (٣٦)] .

قال ابن عباس : يقول : لا تقل .

---

(١) تفسير غريب ما فى الصحيحين البخارى ومسلم، ص/٢٦٠

وقال قتادة : لا تقل رأيت ولم تر ، وسمعت ولم تسمع ، وعلمت ولم تعلم . فإن الله تعالى سائلك عن ذلك كله .

وقال تعالى : ﴿ ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق : ١٨] .

أي : ما يتكلم من كلام إلا وله حافظ يكتبه .." (١)

"أخبرنا أبو عاصم عن عبيد الله بن أبي زياد عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * من ذب عن لحم أخيه بالغيب كان حقا على الله أن يعتقه من النار

عبد بن حميد في مسنده ج١/ص٤٥٧ ح١٥٧٩." (٢)

"حدثنا أحمد قال حدثنا عبد الصمد بن محمد بن معدان السلمسيني قال حدثنا محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق عن موسى بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب إليه يوم القيامة فيقال له كله حيا كما أكلته ميتا فيأكله ويكلح ويصيح لم يرو هذا الحديث عن بن إسحاق إلا محمد بن سلمة

الطبراني في معجمه الأوسط ج٢/ص١٨٣ ح١٦٥٦." (٣)

" وحديثه هذا في الغيبة محفوظ عن النبي صلى الله عليه و سلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رواه عنه شعبة والدراوردي وبن عيينة وغيرهم

حدثني يونس بن عبد الله قال حدثني محمد بن معاوية قال حدثني جعفر بن محمد الفريابي قال حدثني محمد بن المثنى قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثني شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن يحدث عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكره قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته

قال أبو عمر هذا الحديث مخرج في التفسير في المسند في قول الله عز و جل (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) الحجرات ١٢ ويقتضي معنى الغيبة ومعنى البهتان وإن كان البهتان عندهم المواجهة بالقبيح

وروي عن الحسن البصري أن رجلا سأله فقال له يا أبا سعيد إني اغتبت فلانا وإني أريد أن أستحله فقال أما يكفيك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته

وقال محمد بن سيرين ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه حدثني عبد الله قال حدثني محمد قال حدثني أبو داود قال حدثني محمد بن عوف قال حدثني أبو اليمان قال حدثني بن أبي حسين قال حدثني نوفل بن مساحق عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه و سلم قال إن من أربى الربى الاستطالة في عرض المسلم بغير حق

حدثني خلف بن قاسم قال حدثني أحمد بن أسامة بن عبد الرحمن بن أبي السمح قال حدثني أبي قال حدثني هارون بن سعيد قال حدثني عبد الله بن وهب قال حدثني عبد الرحمن بن زيد قال محمد بن المنكدر رأيت النبي صلى الله

---

(١) تطريز رياض الصالحين، ٣٠٢/٢

(٢) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١٢٠٦٩/١

(٣) التبويب الموضوعي للأحاديث، ١٣٠٢٢/١

عليه و سلم في النوم يخرج من هذا البيت فمر برجلين أعرفهما وأعرف أنسابهما فقال عليكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قلت فما ذنبهما قال ذنبهما أنهما يأكلان لحوم الناس

قال أبو عمر يصحح هذا قوله صلى الله عليه و سلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت ." (١)

" وحدثني عبد الرحمن بن يحيى قال حدثني علي بن محمد قال حدثني أحمد بن داود قال حدثني سحنون قال حدثني بن وهب عن بن لهيعة قال أخبرني سليمان بن كيسان قال كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال كيف هو عنده إذا ذكر إخوانه فإن قالوا إنه ينتقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما يقولون وإن قالوا إنه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون إن شاء الله

وعن عمر بن الخطاب قال من أدى الأمانة وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل

فقد استثنى من هذا الباب من لا غيبة فيه من الفساق المعلنين المجاهرين وأهل البدع المضلين

وقد روي عن النبي صلى الله عليه و سلم أنه قال من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له

وقد روي عنه عليه السلام أنه قال المجالس بالأمانة إلا مجلس سفك فيه دم حرام أو فرج حرام أو مال بغير حقه

وقال معاوية ما بقي من العبادة إلا الوقعة في أهل الريبة لأنهم ليس لهم غيبة

وأصل هذا كله قوله صلى الله عليه و سلم في الأحمق المطاع عيينة بن الحصين الفزاري بئس بن العشيرة

قال أبو عمر لقد أحسن الشاعر في قوله

(وأخلاق ذي الفضل معروفة ... ببذل الجميل وكف الأذى) وقال آخر

(احذر الغيبة فهي ال ... فسق لا رخصة فيه)

(إنما المغتاب كالآكل ... من **لحم أخيه**) وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب التمهيد ." (٢)

"من النار) يكوى به صاحبه في جهنم (والشعر) بالكسر الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) إذا كان محرما (والخمر جماع الإثم) مجمعه ومظنته (والنساء حبالة الشيطان) مصايده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد به (والشباب شعبة من الجنون) لأنه يميل إلى الشهوات ويوقع في المضار (وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زنية (وشر المأكل) أي المأكول (مال اليتيم) ظلما لأن آكله إنما يأكل في بطنه نارا (والسعيد من وعظ بغيره) أي من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن قبيحها (والشقي من شقي في بطن أمه) فلا اختيار للسعيد في تحصيل السعادة ولا اقتدار للشقي على تبديل الشقاوة (وإنما يصير أحدكم) إذا مات (إلى موضع أربعة أذرع) وهو اللحد (والأمر بآخره) بالمد إنما الأعمال بخواتيمها (وملاك العمل) بالكسر قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (خواتمه) يعني أحكام عمل الخير وثباته موقوفة على سلامة عاقبته (وشر الروايا روايا

---

(١) الاستذكار، ٥٦٢/٨

(٢) الاستذكار، ٥٦٣/٨

الكذب وكل ما هو آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه أنهم يرونه بعيد أو نراه قريبا (وسباب المؤمن) بكسر المهملة سبه وشمته (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه) أي غيبته وهو ذكره بما يكرهه في غيبته (من معصية الله) أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شيء (١) ".

" أخبرنا عبد الرحمن حدثنا علي حدثنا أحمد حدثنا سحنون حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة قال أخبرني سليمان بن كيسان قال كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه فإن قالوا إنه ينتقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما تقولون وإن قالوا إنه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون إن شاء الله

قال أبو عمر يكفي في ذم الغيبة قول الله عز و جل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخية ميتا

وقال الشاعر احذر الغيبة فهي ال فسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالآكل من لحم أخيه وروى ابن علية عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه

وعن الحسن البصري أنه سأله رجل فقال يا أبا سعيد اغتبت فلانا وأنا أريد أن أستحله فقال لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته ." (٢)

"الترهيب من النميمة وقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات

إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس (عن جابر بن عبد الله) (١) قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتدرون ما هذه الريح ؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين (عن أسماء بنت يزيد) (٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من ذب عن لحم أخيه في الغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار (عن ابن عمر) (٣) قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال (باب ما جاء في الترهيب من النميمة) (عن حذيفة) (٤) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة (٥) قتات (عن عبد الله) (٦) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا انبئكم ما العضه ؟ قال هي النميمة القالة بين الناس وان محمد صلى الله عليه وسلم قال إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقا ويكذب حتى يكتب كذابا (عن أسما بنت يزيد) (٧) الانصارية أن النبي صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بخياركم ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال الذين اذا رؤا ذكر الله تعالى ثم قال ألا أخبركم بشراركم ؟ المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون البرآء العنت (٨)." (٣)

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير ـ للمناوى، ١/٤٧٢

(٢) التمهيد، ٢٣/٢٢

(٣) الفتح الرباني/ الساعاتي (أجزاء منه)، ١/٢٢

"لحم أخيه ميتا﴾ . و "الغوافل" جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة، ومناسبة تسمية "الغيبة" بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم، فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر. وزاد ابن هشام في السيرة في هذا الشعر على أبي زيد الأنصاري:

عقيلة حي من لؤي بن غالب ... كرام المساعي مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل

وفيه عن ابن إسحاق:

فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

وزاد فيه الحاكم في رواية له من غير رواية ابن إسحاق:

حليلة خير الخلق دينا ومنصبا ... نبي الهدى والمكرمات الفواضل

رأيتك وليغفر لك الله حرة ... من المحصنات غير ذات الغوائل

و "الخيم" بكسر المعجمة وسكون التحتانية الأصل الثابت، وأصله من الخيمة يقال خام يخيم إذا أقام بالمكان. قوله: "فقالت عائشة: لست كذاك" ذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت: حصان رزان البيت. فقالت عائشة: لكن أبوها. وهو بتخفيف النون، فإن كان محفوظا أمكن تعدد القصة ويكون قوله في بعض طرق رواية مسروق "يشبب ببنت له" بالنون لا بالتحتانية، ويكون نظم حسان في بنته لا في عائشة، وإنما تمثل به، لكن بقية الأبيات ظاهرة في أنها في عائشة، وهذا البيت في قصيدة لحسان يقول فيها:

فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

وإن الذي قد قيل ليس بلائق ... بك الدهر بل قيل امرئ متماحل

قوله: "قالت: لكن أنت" في رواية شعيب "قالت: لست كذاك" وزاد في آخره: "وقالت: قد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:"وتقدم في المغازي من وجه آخر عن شعبة بلفظ: "أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ودل قول عائشة: "لكن أنت لست كذلك" على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك، وهذه الزيادة الأخيرة تقدمت هناك من طريق عروة عن عائشة أتم من هذا، وتقدم هناك أيضا في أثناء حديث الإفك من طريق صالح بن كيسان عن الزهري "قال عروة: كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء

"قوله: "باب ﴿ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ "ذكر فيه بعض حديث مسروق عن عائشة، وقد بينت ما فيه في الباب الذي قبله، وقوله في أول السند: "حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سليمان"١ كذا للأكثر غير منسوب وهو

_

(١) في هامش طبعة بولاق: هذه الجملة ليست في نسخ الصحيح التي بأيدينا، ولعلها رواية الشارح." (١)

"باب الغيبة

...

٤٦ - باب الغيبة. وقول الله تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾

٦٠٥٢- حدثنا يحي حدثنا وكيع عن الأعمش قال سمعت مجاهدا يحدث عن طاوس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله وأما هذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا" .

قوله: "باب الغيبة وقول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية" هكذا اكتفى بذكر الآية المصرحة بالنهي عن الغيبة ولم يذكر حكمها كما ذكر حكم النميمة بعد بابين حيث جزم بأن النميمة من الكبائر، وقد اختلف في حد الغيبة وفي حكمها، فأما حدها فقال الراغب: هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك. وقال الغزالي: حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه. وقال ابن الأثير في النهاية: الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه. وقال النووي في "الأذكار" تبعا للغزالي: ذكر المرء بما يكرهه، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز. قال النووي: وممن يستعمل التعريض في ذلك كثير من الفقهاء في التصانيف وغيرها كقولهم قال بعض من يدعي العلم أو بعض من ينسب إلى الصلاح أو نحو ذلك مما يفهم السامع المراد به، ومنه قولهم عند ذكره: الله يعافينا، الله يتوب علينا، نسأل الله السلامة ونحو ذلك، فكل ذلك من الغيبة. وتمسك من قال: إنها لا يشترط فيها غيبة الشخص بالحديث المشهور الذي أخرجه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رفعه: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكرهه. قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" وله شاهد مرسل عن المطلب بن عبد الله عند مالك، فلم يقيد ذلك بغيبة الشخص فدل على أن لا فرق بين أن يقول ذلك في غيبته أو في حضوره، والأرجح اختصاصها بالغيبة مراعاة لاشتقاقها؛ وبذلك جزم أهل اللغة. قال ابن التين: الغيبة ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب. وكذا قيده الزمخشري وأبو نصر القشيري في." (٢)

"التفسير وابن خميس في جزء له مفرد في الغيبة والمنذري وغير واحد من العلماء من آخرهم الكرماني قال: الغيبة أن تتكلم خلف الإنسان بما يكرهه لو سمعه وكان صدقا. قال: وحكم الكناية والإشارة مع النية كذلك. وكلام من أطلق منهم

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤٨٦/٨

(٢) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤٦٩/١٠

محمول على المقيد في ذلك. وقد وقع في حديث سليم بن جابر(١) والحديث سيق لبيان صفتها واكتفي باسمها على ذكر محلها. نعم المواجهة بما ذكر حرام لأنه داخل في السب والشتم، وأما حكمها فقال النووي في "الأذكار": الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك. وذكر في "الروضة" تبعا للرافعي أنها من الصغائر، وتعقبه جماعة. ونقل أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الإجماع على أنها من الكبائر لأن حد الكبيرة صادق عليها لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه. وقال الأذرعي لم أر من صرح بأنها من الصغائر إلا صاحب العدة(٢) والغزالي. وصرح بعضهم بأنها من الكبائر. وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل، فمن اغتاب وليا لله أو عالما ليس كمن اغتاب مجهول الحالة مثلا. وقد قالوا: ضابطها ذكر الشخص بما يكره، وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه، وقد يشتد تأذيه بذلك وأذى المسلم محرم. وذكر النووي من الأحاديث الدالة على تحريم الغيبة حديث أنس رفعه: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم. قلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" أخرجه أبو داود وله شاهد عن ابن عباس عند أحمد وحديث سعيد بن زيد رفعه: "إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق" أخرجه أبو داود، وله شاهد عند البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة، وعند أبي يعلى من حديث عائشة، ومن حديث أبي هريرة رفعه: "من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا، فيأكله ويكلح ويصيح" سنده حسن. وفي "الأدب المفرد" عن ابن مسعود قال: "ما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن" الحديث، وفيه أيضا وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة في قصة ماعز ورجمه في الزنا "وإن رجلا قال لصاحبه انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم كلا من جيفة هذا الحمار – لحمار ميت – فما نلتما من عرض هذا الرجل أشد من أكل هذه الجيفة" وأخرج أحمد والبخاري في "الأدب المفرد" بسند حسن عن جابر قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين" وهذا الوعيد في هذه الأحاديث يدل على أن الغيبة من الكبائر، لكن تقييده في بعضها بغير حق قد يخرج الغيبة بحق لما تقرر أنها ذكر المرء بما فيه. حديث ابن عباس قال: "مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين يعذبان" الحديث وقد تقدم شرحه في كتاب الطهارة، وليس فيه ذكر الغيبة بل فيه يمشي بالنميمة، قال ابن التين: إنما ترجم بالغيبة وذكر النميمة لأن الجامع بينهما ذكر ما يكرهه المقول فيه يظهر الغيب. وقال الكرماني: الغيبة نوع من النميمة لأنه لو سمع المنقول عنه ما نقل عنه لغمه. قلت: الغيبة قد توجد في بعض صور النميمة، وهو أن يذكره في غيبته بما فيه مما يسوؤه قاصدا بذلك الإفساد، فيحتمل أن تكون قصة الذي كان يعذب في قبره كانت كذلك، ويحتمل أن يكون أشار إلى ما رد في بعض طرقه بلفظ الغيبة صريحا، وهو ما أخرجه هو في "الأدب المفرد" من حديث جابر قال: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتى على قبرين – فذكر فيه نحو حديث الباب وقال فيه – أما أحدهما فكان يغتاب الناس" الحديث. وأخرج أحمد والطبراني بإسناد صحيح عن أبي بكرة قال: "مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال: إنهما

---

(١) بياض بأصله.

(٢) في نسخة العمدة.." (١)

"مطابقته للترجمة مثل ما ذكرنا في الحديث الماضي وبشر بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة ابن خالد أبو محمد العسكري الفرائضي وهو شيخ مسلم أيضا ومحمد بن جعفر وهو الملقب بغندر وسليمان هو الأعمش وأبو الضحى بضم الضاد المعجمة اسمه مسلم بن صبيح الكوفي والحديث أخرجه البخاري أيضا في التفسير عن محمد بن بشار وعن محمد بن يوسف وأخرجه مسلم في الفضائل عن بشر بن خالد وعن محمد بن مثنى قوله يشبب بالشين المعجمة من التشبيب وهو ذكر الشاعر ما يتعلق بالغزل ونحوه قوله حصان إلى آخره وهو من قصيدة من الطويل وحصان بفتح الحاء أي عفيفة تمتنع من الرجال قوله رزان بفتح الراء وتخفيف الزاي أي صاحبة الوقار وقيل يقال امرأة رزان إذا كانت رزينة في مجلسها والرزان والثقال بمعنى واحد وهي قليلة الحركة وكلاهما على وزن فعال بفتح الفاء وهو يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام قوله ما تزن بضم التاء المثناة من فوق وفتح الزاي وتشديد النون أي ما تتهم بريبة يقال أزننت الرجل إذا اتهمته بريبة والريبة بكسر الراء التهمة قوله غرثى بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالثاء المثلثة أي جائعة يعني لا تغتاب الناس إذ لو كانت مغتابة لكانت آكلة من لحم أخيها فتكون شبعانة لا جوعانة ويقال رجل غرثان وامرأة غرثى ويقال وتصبح غرثى أي خميصة البطن من لحوم الغوافل وهن العفيفات قال تعالى إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات جعلهن الله غافلات لأن الذي رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن فهن في غفلة عنه وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف قوله لكنك لست كذلك الخطاب لحسان فيه إشارة إلى أنه اغتاب عائشة رضي الله تعالى عنها حين وقعت قصة الإفك وقد عمي في آخر عمره قوله فقلت لها أي لعائشة لم تأذني له أي لحسان قوله أن يدخل أي بأن يدخل وكلمة أن مصدرية قوله أنه كان ينافح أي أن حسان كان يذب عن رسول الله بالشعر ويخاصم عنه." (٢)

"أي وفي جواز ما لا يراد به شين الرجل أي غيبه وهو مذهب جماعة ورأى قوم من السلف أن وصف الرجل بما فيه من الصفة غيبة له قال شعبة سمعت معاوية بن قرة يقول لو مر بك أقطع فقلت ذاك الأقطع كانت منك غيبة ولكن مذهب الآخرين أنه إذا كان على وجه التعريف به فلا بأس به كما ذكرناه وهو ظاهر إيراد البخاري بقوله وما لا يراد به شين الرجل وأما إذا كان يراد بالتلقيب عيبه فلا يجوز لأن فيه تنقيصا

٤٦ -(باب الغيبة)

أي هذا باب في بيان تحريم الغيبة بكسر الغين وهي أن يتكلم خلف إنسان بما يغمه لو سمعه وكان صدقا أما إذا كان كذبا فيسمى بهتانا وفي حكمه الكتابة والإشارة ونحوهما

وقول الله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (الحجرات١٢)

وقول الله بالجر عطفا على قوله الغيبة وفي بعض النسخ ذكر بعده أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه الآية واكتفى البخاري

---

(١) فتح الباري- تعليق ابن باز، ٤٧٠/١٠

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٤٩٨/٢٥

بذكر الآية المصرحة بالنهي عن الغيبة ولم يذكر حكمها في الترجمة كما ذكر في النميمة حكما حيث قال باب النميمة من الكبائر كما يأتي عن قريب

٦٠٥٢ – حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش قال سمعت مجاهدا يحدث عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال مر رسول الله على قبرين فقال إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله وأما هاذا فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بعسيب رطب فشقه بإثنين فغرس على هاذا واحدا وعلى هاذا واحدا ثم قال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا." (١)

"٤٣٨٦ – قوله : (فشبب)

بمعجمة وموحدتين الأولى ثقيلة أي تغزل ، يقال شبب الشاعر بفلانة أي عرض بحبها وذكر حسنها ، والمراد ترقيق الشعر بذكر النساء ، وقد يطلق على إنشاد الشعر وإنشائه ولم يكن فيه غزل كما وقع في حديث أم معبد " فلما سمع حسان شعر الهاتف شبب يجاريه " أخذ في نظم جوابه .

قوله : (حصان)

بفتح المهملة قال السهيلي : هذا الوزن يكثر في أوصاف المؤنث وفي الإعلام منها كأنهم قصدوا بتوالي الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى " حصان " من الحصين والتحصين يراد به الامتناع على الرجال ومن نظرهم إليها ، وقوله : " رزان " من الرزانة يراد قلة الحركة ، " وتزن " بضم أوله ثم زاي ثم نون ثقيلة أي ترمى ، وقوله : " غرثى " بفتح المعجمة وسكون الراء ثم مثلثة أي خميصة البطن أي لا تغتاب أحدا ، وهي استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب : (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) . و " الغوافل " جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر ، والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ، ومناسبة تسمية " الغيبة " بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم ، فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر . وزاد ابن هشام في السيرة في هذا الشعر على أبي زيد الأنصاري : عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل وفيه عن ابن إسحاق : فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم فلا رفعت سوطي إلي أناملي فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل وزاد فيه الحاكم في رواية له من غير رواية ابن إسحاق : حليلة خير الخلق دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات الغوائل و " الخيم " بكسر المعجمة وسكون التحتانية الأصل الثابت ، وأصله من الخيمة يقال خام يخيم إذا أقام بالمكان .

قوله : (فقالت عائشة : لست كذاك) ذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت : حصان رزان البيت . فقالت عائشة : لكن أبوها . وهو بتخفيف النون ، فإن كان محفوظا أمكن تعدد القصة ويكون قوله في بعض طرق رواية مسروق " يشبب بنت له " بالنون لا بالتحتانية ، ويكون نظم حسان في بنته لا في عائشة ، وإنما تمثل به ، لكن بقية الأبيات ظاهرة في أنها في عائشة ، وهذا البيت في قصيدة لحسان يقول فيها : فإن كنا قد قلت

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ٢٣٣/٣٢

الذي زعموا لكم فلا رفعت سوطي إلي أناملي وإن الذي قد قيل ليس بلائق بك الدهر بل قيل امرئ متماحل قوله : (قالت : لكن أنت) في رواية شعيب " قالت : لست كذاك " وزاد في آخره " وقالت : قد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " وتقدم في المغازي من وجه آخر عن شعبة بلفظ " أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم " ودل قول عائشة : " لكن أنت لست كذلك " على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك ، وهذه الزيادة الأخيرة تقدمت هناك من طريق عروة عن عائشة أتم من هذا ، وتقدم هناك أيضا في أثناء حديث الإفك من طريق صالح بن كيسان عن الزهري " قال عروة : كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول : إنه الذي قال : فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء " قوله : (باب ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) ذكر فيه بعض حديث مسروق عن عائشة ، وقد بينت ما فيه في الباب الذي قبله ، وقوله في أول السند : " حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سليمان كذا للأكثر غير منسوب وهو سليمان بن كثير أخو محمد الراوي عنه صرح به ، ووقع في رواية الأصيلي عن أبي زيد كالجماعة ، وعن الجرجاني سفيان بدل سليمان ، قال أبو علي الجياني : وسليمان هو الصواب .." (١)

"قوله : (باب الغيبة وقول الله تعالى : (ولا يغتب بعضكم بعضا) الآية)

هكذا اكتفى بذكر الآية المصرحة بالنهي عن الغيبة ولم يذكر حكمها كما ذكر حكم النميمة بعد بابين حيث جزم بأن النميمة من الكبائر ، وقد اختلف في حد الغيبة وفي حكمها ، فأما حدها فقال الراغب : هي أن يذكر الإنسان عيب غيره من غير محوج إلى ذكر ذلك . وقال الغزالي : حد الغيبة أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه . وقال ابن الأثير في النهاية : الغيبة أن تذكر الإنسان في غيبته بسوء وإن كان فيه . وقال النووي في " الأذكار " تبعا للغزالي : ذكر المرء بما يكرهه ، سواء كان ذلك في بدن الشخص أو دينه أو دنياه أو نفسه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو والده أو ولده أو زوجه أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته أو عبوسته أو غير ذلك مما يتعلق به ، سواء ذكرته باللفظ أو بالإشارة والرمز . قال النووي : وممن يستعمل التعريض في ذلك كثير من الفقهاء في التصانيف وغيرها كقولهم قال بعض من يدعي العلم أو بعض من ينسب إلى الصلاح أو نحو ذلك مما يفهم السامع المراد به ، ومنه قولهم عند ذكره : الله يعافينا ، الله يتوب علينا ، نسأل الله السلامة ونحو ذلك ، فكل ذلك من الغيبة . وتمسك من قال : إنها لا يشترط فيها غيبة الشخص بالحديث المشهور الذي أخرجه مسلم وأصحاب السنن عن أبي هريرة رفعه " أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : ذكرك أخاك بما يكرهه . قال : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " وله شاهد مرسل عن المطلب بن عبد الله عند مالك ، فلم يقيد ذلك بغيبة الشخص فدل على أن لا فرق بين أن يقول ذلك في غيبته أو في حضوره ، والأرجح اختصاصها بالغيبة مراعاة لاشتقاقها ؛ وبذلك جزم أهل اللغة . قال ابن التين : الغيبة ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب . وكذا قيده الزمخشري وأبو نصر القشيري في التفسير وابن خميس في جزء له مفرد في الغيبة والمنذري وغير واحد من العلماء من آخرهم الكرماني قال : الغيبة أن تتكلم خلف الإنسان بما يكرهه لو سمعه وكان صدقا . قال : وحكم الكناية والإشارة مع النية كذلك . وكلام من أطلق منهم محمول على المقيد في ذلك . وقد وقع

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢٦٨/١٣

في حديث سليم بن جابر والحديث سيق لبيان صفتها واكتفي باسمها على ذكر محلها . نعم المواجهة بما ذكر حرام لأنه داخل في السب والشتم ، وأما حكمها فقال النووي في " الأذكار " : الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين ، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك . وذكر في " الروضة " تبعا للرافعي أنها من الصغائر ، وتعقبه جماعة . ونقل أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الإجماع على أنها من الكبائر لأن حد الكبيرة صادق عليها لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه . وقال الأذرعي لم أر من صرح بأنها من الصغائر إلا صاحب العدة والغزالي . وصرح بعضهم بأنها من الكبائر . وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل ، فمن اغتاب وليا لله أو عالما ليس كمن اغتاب مجهول الحالة مثلا . وقد قالوا : ضابطها ذكر الشخص بما يكره ، وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه ، وقد يشتد تأذيه بذلك وأذى المسلم محرم . وذكر النووي من الأحاديث الدالة على تحريم الغيبة حديث أنس رفعه " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم . قلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم " أخرجه أبو داود وله شاهد عن ابن عباس عند أحمد وحديث سعيد بن زيد رفعه " إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق " أخرجه أبو داود ، وله شاهد عند البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة ، وعند أبي يعلى من حديث عائشة ، ومن حديث أبي هريرة رفعه " من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا ، فيأكله ويكلح ويصيح " سنده حسن . وفي " الأدب المفرد " عن ابن مسعود قال : " ما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن " الحديث ، وفيه أيضا وصححه ابن حبان من حديث أبي هريرة في قصة ماعز ورجمه في الزنا " وإن رجلا قال لصاحبه انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب ، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم كلا من جيفة هذا الحمار – لحمار ميت – فما نلتما من عرض هذا الرجل أشد من أكل هذه الجيفة " وأخرج أحمد والبخاري في " الأدب المفرد " بسند حسن عن جابر قال : "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين " وهذا الوعيد في هذه الأحاديث يدل على أن الغيبة من الكبائر ، لكن تقييده في بعضها بغير حق قد يخرج الغيبة بحق لما تقرر أنها ذكر المرء بما فيه .." (١)

"معه وكان صائمين عطف أو حال فلما قضى النبي الصلاة أي فرغ عن أدائها قال أي النبي للرجلين أعيدوا بصيغة الجمع على أن الاثنين أقله بقرينة ما بعده وفي نسخة أعيدا وضوءكما وصلاتكما وامضيا بهمز وصل وكسر ضاد أي أنفذا في صومكما يعني لا تقطعاه بالإفطار عن مضي في أمره إذا نفذ فيه ولم يتوقف واقضياه أي صومكما يوما آخر قال الطيبي وهذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا الحجرات وأما في الصلاة فلأنه شرب دم أخيه ولحمه فحمل النجاسة اه وحاصله أن الإتيان بالمعصية قبل الطاعة ينقص كمالها كما أن الحسنة بعد السيئة توجب زوالها فإن قوله تعالى إن الحسنات يذهبن السيئات هود ورد فيمن قبل امرأة أجنبية ولعله هنا أظهر الزجر الشديد والتغليظ والوعيد لما يتعلق بالغيبة من حق العباد وربما تذهب العبادة بالكلية حيث يعطى لصاحب الغيبة النافلة الطوية فيبقى المذنب بلا صوم وصلاة فلهذا أمرهما بإعادتهما وقضائه وهذا من قبيل فتوى الخاصة لا من قبيل أحكام العامة وفي مسند الفردوس

---

(١) فتح الباري لابن حجر، ٢٠٧/١٧

للديلمي عن ابن عمر مرفوعا الغيبة تنقض الوضوء والصلاة قالا وفي نسخة فقالا لم يا رسول الله أي لأي سبب قال اغتبتم فلانا أي قبل الصلاة وبعد الطهارة ومباشرة الصوم و وعن أبي سعيد وجابر رضي الله تعالى عنهما قالا قال رسول الله الغيبة أشد من الزنا أي أصعب منه لتعلقها بحق العباد ألبتة بخلافه قالوا أي بعض الصحابة ويمكن أن يكون هما المراد بهم وكيف الغيبة أشد من الزنا أي والحال أن الزنا ذنب كبير وقد وقع عليه وعيد كثير وتعلق به الحد والرجم ونحو ذلك قال الطيبي أشد من الزنا مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله وكيف خبره أي كيف قولك هذا قال إن الرجل ليزني فيتوب أي بينه وبين الله فيتوب الله عليه أي فيقبل توبته ويفقه على ثباته وفي رواية فيتوب فيغفر له له وإن صاحب الغيبة عطف على ما سبق لا يغفر له أي ولو تاب بينه وبين ربه حتى يغفر هاله أي لصاحب." (١)

"بالذكور على صيغة الجمع لأن الولد اسم جنس أو الجنسية هنا مستفادة من الإضافة ولعل العدول في التفسير عن الذكر إلى الذكور تحاشيا عن ذكر الذكر فتدبر أدخله الله الجنة أي مع السابقين قال الطيبي في وضع الأنثى موضع البنت تحقير لشأنها كما وضع الولد موضع مكان الابن تعظيما له إيذانا بمخالفة عظيمة لهوى النفس وإيثار رضا الله على رضاه ولذلك رتب عليه دخول الجنة رواه أبو داود وعن أنس رضي الله تعالى عنه عن النبي قال من اغتيب يجوز كسر النون وضمها وصلا أي من تكلم بالغيبة عنده أخوه المسلم وهو يقدر على نصره الجملة حال من ضمير من فنصره عطف على الشرط أي فمنعه ودفعه وجزاؤه نصره الله في الدنيا والآخرة فإن لم ينصره وهو يقدر على نصره أدركه الله أي عاقبه به أي بسبب عدم نصره عند وجود قدرته في الدنيا والآخرة رواه في شرح السنة وفي سنده ضعف لكن له شواهد يقوي بها نقله ميرك عن التصحيح وعن أسماء بنت يزيد أي ابن السكن قالت قال رسول الله من ذب أي دفع عن **لحم أخيه** كناية عن غيبته على طبق الآية والمعنى من دفع أو من منع مغتابا عن غيبة أخيه بالمغيبة أي في زمان كون أخيه غائبا وهو مصدر أو اسم زمان أو مكان قال الطيبي كأنه قيل من ذب عن غيبة أخيه في غيبته وعلى هذا بالمغيبة ظرف ويجوز أن يكون حالا وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان ولم يقتصر عليه بل جعلها **كلحم أخيه** لأنه أشد نفارا من لحم الأجانب وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتا كان حقا على الله أي ثابتا عنده أو واجبا عليه بمقتضى وعده أن يعتقه من النار وهو إما في أول وهلة قبل دخولها أو بعده قبل استيفاء العقوبة رواه البيهقي في شعب الإيمان وفي التصحيح رواه الطبراني ومحيي السنة وفي سنده ضعيف وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه أحمد بسند حسن وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم نقله ميرك وفي الجامع الصغير بلفظ من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن." (٢)

"٨. وقد تظاهرت نصوص الشريعة بالمؤاخذة على عزم القلب المستقر كقوله تعالى ﴿ إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة ﴾(١)الآية ، وقوله ﴿ اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾(٢)وغير ذلك.

٥٥. عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/ ١٤٤

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، ١٤/ ٢٧٢

فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ فَيَقُولُ هَلْ رَضِيتُمْ فَيَقُولُونَ وَمَا لَنَا لا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَيَقُولُ أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا .

الشرح : -

١. قوله (أُحِل) أي أنزل .

---

(١) سورة النور (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ(١٩).

(٢) سورة الحجرات (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنْ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ(١٢) .." (١)

" ١٦٠٩ – (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله) القرآن لأنه يستحيل الكذب في خبره وإنما تكذب الظنون في فهم خطابه وإنما ينتفي الريب عن سامعه بقدر قوة إيمانه ومتانة إبقائه وسماه حديثا لنزوله منجما لا لكونه ضد القديم (وأوثق العرى كلمة التقوى) كلمة الشهادة إذ هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى انها سبب التقوى وأسها وقيل كلمة أهل التقوى ذكره في الكشاف وقوله اوثق العرى من باب التمثيل مثلت حال المتقي بحال من أراد التدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بتمسكه بعروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وخير الملل ملة إبراهيم) الخليل ومن ثم أمر صلى الله عليه و سلم باتباعها ﴿ أن اتبع ملة إبراهيم ﴾ (وخير السنن سنة محمد) صلى الله عليه و سلم وهي قوله أو فعله أو تقريره لأنها أهدى من كل سنة وأقوم من كل طريقة (وأشرف الحديث ذكر الله) لأن الشيء يشرف بشرف من هو له (وأحسن القصص هذا القرآن) لأنه برهان ما في سائر الكتب ودليل صحتها لأنه معجزة وليس تلك بمعجزة فهي مفتقره إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة ذكره الزمخشري (وخير الأمور عوازمها (١) وشر الأمور محدثاتها) بضم فسكون جمع محدثة (٢) وهي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع (وأحسن الهدي) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة السمت والطريقة والسيرة أي خير السيرة والطريقة سيرة محمد صلى الله عليه و سلم وطريقته وروي أيضا بضم الهاء وفتح الدال ومعناه الدلالة والرشاد (هدي الأنبياء) لأنه تعالى تولى هدايتهم وتأديبهم وعصمتهم عن الضلال والإضلال والهدي بضم الهاء وفتح الدال والقصر الارشاد واللام في الهدي للاستغراق لأن أفعل التفضيل لا تضاف إلا إلى متعدد وهو داخل فيه ولأنه لو لم يكن للاستغراق لم يفد المعنى المقصود (وأشرف الموت قتل الشهداء) لأنه في الله ولإعلاء كلمة الله فأعقبهم الحياة بالله ولهذا نهى الله الخلق عن إطلاق الموت عليهم (وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى) أي الكفر

---

(١) قبس من نور النبوة، ص/١٠٧

بعد الإسلام فهو العمى على الحقيقة (وخير العلم ما نفع) وفي رواية بدل العلم العمل بأن صحبه إخلاص فإن العلم الذي لا ينفع لا خير فيه لصاحبه بل هو وبال عليه

[ص ١٧٦] (وخير الهدى ما اتبع) بالبناء للمجهول أي اقتدي به كنشر العلم للمريدين وتهذيب المشايخ لأحوال السالكين وهي سيرة المرسلين وشر العمى عمى القلب لأن عماه يفقد نور الإيمان بالغيب فيثمر الغفلة عن الله والآخرة ﴿ ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا ﴾ فعمى البصيرة أشد من عمى البصر لأنه عظيم الضرر ﴿ فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ﴾ (واليد العليا خير من اليد السفلى) أي اليد المعطية خير من اليد الآخذة (٣) (وما قل) من الدنيا (وكفى) الإنسان لمؤنته ومؤنة من عليه مؤنته (خير مما كثر وألهى) عن الله والدار الآخرة لأن الاستكثار من الدنيا يورث الهم والغم وقسوة القلب وشدة الحرص وينسي الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة (وشر المعذرة حين يحضر الموت) فإن العبد إذا اعتذر إلى الله بالتوبة عند احتضاره ووقوعه في الفزع لا يفيده فمراده الاعتذار عند الغرغرة ومعاينة ملك الموت وهي حالة كشف الغطاء واليأس من البقاء ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ﴾ (وشر الندامة) أي الحزن . وقال الراغب : الندم التحسر على ما فات (يوم القيامة) فإنها لا تنفع يومئذ ولا تفيد . (ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرا) بفتح أو ضم المهملة كذا ذكره بعضهم وقال العسكري : الصواب بضمتين ونصبه على الظرف أي بعد فوت الوقت (ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا) أي تاركا للإخلاص كأن قلبه هاجر للسانه ﴿ يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾ لا يدعوهم إلى موافقة العاملين إلا استقباح المذمة من الناس والسطوة من السلطان أو العيب من الإخوان والجيران ﴿ ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون ﴾ (وأعظم الخطايا اللسان الكذوب) وهو الذي تكرر كذبه حتى صار صفة له حتى يأتي بالكبائر كلها كالقذف والبهتان وشهادة الزور وغيرها وربما أفضى إلى الكفر فإن اللسان أعظم عملا من سائر الجوارح فإذا تعود الكذب أورد صاحبه المهالك . (وخير الغنى غنى النفس) فإنه الغنى على الحقيقة وفقير النفس لا يزال في هم وغم على تحصيل الدنيا والحرص على جمعها بقوله أخاف الفقر في الكبر وغير ذلك (وخير الزاد) إلى الآخرة (التقوى) ﴿ وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ﴾ قال الغزالي : جمعت خيرات الدنيا والآخرة تحت هذه الخصلة التي هي التقوى وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير ووعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة ومدار العبادة على ثلاثة أصول : الأول : التوفيق والتأييد وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿ أن الله مع المتقين ﴾ . الثاني : إصلاح العمل واتقاء التقصير وهو للمتقين . قال الله تعالى ﴿ يصلح لكم أعمالكم ﴾ . الثالث : قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿ إنما يتقبل الله من المتقين ﴾ فالتقوى هي الجامعة للخيرات الكافية للمهمات الرافعة للدرجات (ورأس الحكمة مخافة الله) أي الخوف منه أصلها واسمها فمن لم يخف الله فباب الحكمة عليه مسدود (وخير ما وقر في القلب اليقين) أي خير ما سكن فيه نور اليقين فإنه المزيل لظلمة الريب . قال الزمخشري : من المجاز وقر في قلبه كذا وقع وبقي أثره وكلمته وقرت في إذنه ثبتت (والارتياب) أي الشك في شيء مما جاء به الرسول (من الكفر) بالله تعالى (والنياحة من عمل الجاهلية) أي النوح على الميت بنحو واكهفاه واجبلاه من عادة الجاهلية وقد جاء الإسلام بتحريمه (والغلول)

أي الخيانة الخفية (من جثا جهنم) جمع جثوة بالضم الشيء المجموع كذا في النهاية وفي التقريب الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وقيل معنى

[ص ١٧٧] من جثاء جهنم من جماعتها وفي رواية للقضاعي من جمر جهنم . قال شارحه : لأن الغلول يصير على الغال جورا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الذي غل شملة إنها تضرم عليه نارا (والكنز) أي المال الذي لم تؤد زكاته (كي من النار) أي يكوي صاحبه في نار جهنم (والشعر) بكسر الشين الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) أي الشعر المحرم لا الجائز (والخمر جماع الإثم) أي مجمعه ومظنته والجماع اسم لما يجمع ويضم يقال هذا الباب جماع الأبواب من جمعت الشيء ضممته كالكفات من كفت الشيء إليه إذا ضمه وجمعه ذكره الكشاف . وفي الفائق جماع كل شيء مجمتمع أصله يقال لما اجتمع في الغصن من النور هذا جماع الثمر (والنساء حبالة الشيطان) أي مصائده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كأن دعى رجل إلى قتل نفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى الخمر فشرب فزنا فقتل وقيل ما أيس الشيطان من آدمي من قبل النساء ومن ثم قال سليمان عليه الصلاة و السلام : امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة وسمع عمر رضي الله عنه تعالى امرأة تقول :

إن النساء رياحين خلقن لكم . . . وكلكم يشتهي شم الرياحين

فقال :

إن النساء شياطين خلقن لنا . . . نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الحكماء : إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم ولفظها سم (والشباب شعبة من الجنون) لأن الجنون يزيل العقل وكذا الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقبال على المضار لحداثة السن سيما مع الجدة

إن الشباب والفراغ والجده . . . مفسدة للمرء أي مفسدة

(وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زينة كما يجيء في أخبار (وشر المآكل أكل مال اليتيم) ظلما ﴿ إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ﴾ (٤) ولذا كان من أكبر الكبائر (والسعيد من وعظ بغيره) أي السعيد من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن سيئها قال :

إن السعيد له من غيره عظة . . . وفي التجارب تحكيم معتبر

وقال حجة الإسلام : المراد أن الإنسان يشاهد من خبائث من اضطر إلى مرافقته وأحواله وصفاته ما يستقبحه فيجتنبه وقيل لعيسى عليه الصلاة و السلام من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته . قال الحجة : ولقد صدق فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن مؤدب فاطلع في القبور واعتبر بالنشور وانظر إلى مصارع آبائك وفناء إخوانك ومن أمثالهم كم قذف الموت في هوة من جمجمة من هوة وكفى بالموت واعظا ونظر الحسن رضي الله عنه إلى ميت يقبر فقال : والله إن أمرا هذا أوله لحري أن يخاف آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله . وقال مطرف : أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه . وقال الحكماء : للباقين بالماضين معتبرا

وللآخرين بالأولين مزدجر والسعيد من لا يركن إلى الخدع ولا يغتر بالطمع . وقالوا : السعيد من اعتبر بأمه واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه (والشقي من شقي في بطن أمه) فلا اختيار للسعيد في تحصيل السعادة ولا اقتدار للشقي على تبديل الشقاوة . قال ابن الكمال : ومعنى الحديث أن السعيد مقدر سعادته وهو في بطن أمه والشقي مقدر شقاوته وهو في بطن أمه وتقدير الشقاوة له قبل أن يولد لا يدخله في حيز

[ص ١٧٨] ضرورة السعادة كما دل عليه خبر كل مولود يولد على الفطرة (وإنما يصير أحدكم) إذا مات (إلى موضع أربع أذرع) وهو اللحد وانظر إلى ما تصير وفيم تسكن وقيل في آية ﴿ وكان تحته كنز لهما ﴾ هو لوح من ذهب فيه : عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن يعرف النار كيف يضحك ولمن يعرف الدنيا وتحويلها كيف يطمئن إليها ؟ وقال ثابت : أي عبد أصعب حالا ممن يأتيه ملك الموت وحده ويقبر بلحده وحده وقيل لبشر بن الحارث : عظنا قال : ما أقول فيمن القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة موقفه والله مسائله فلا يعلم إلى جنة فيهنئ أم إلى نار فيعزى (والأمر بآخره) بالمد إنما الأعمال بخواتيمها (وملاك العمل) بكسر الميم وفتحها أي قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (خواتمه) وأصل الملاك استحكام القدرة ومعناه أن أحكام عمل الخير وثباته موقوفة على سلامة عاقبته إنما الأعمال بالخواتيم فقد يبتدىء بالصلاة وغيرها بنية خالصة ثم يعرض له آفة تمنع صحته أو تبطل أجره من نحو عجب أو رياء أو عزم على تركه فإن لم يعرض آفة قبل تمامه أو عرضت وردها بالعلم وختم بما بدأ استحكم عمله باستدراكه ما فرط في الأثناء بإخلاص خاتمته . قال ابن بطال : في تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف لأنه لو علم وكان ناجيا أعجب وكسل وإن كان هالكا زاد عتوا فحجب عنه ذلك ليكون بين خوف ورجاء . إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا سوى مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة كما سيجيء في الخبر (وشر الروايا (٥) روايا الكذب وكل ما هو آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه ﴿ إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾ فالجاهل يراه بعيدا لعمى قلبه والمؤمن الكامل يراه بنور إيمانه قريبا كأنه يعاينه فبذل دنياه لأخراه وسلم نفسه لمولاه فلا تغرنك الدنيا فجديدها عما قليل يبلى ونعيمها يفنى ومن لم يتركها اختيارا فعما قريب يتركها اضطرارا ومن لم تزل نعمته في حياته زالت بمماته قال ابن عطاء رضي الله عنه : لا بد لهذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو أبقى أوثق منه بما هو يفنى . وقال بعض الحكماء : من كان يؤمل أن يعيش غدا فهو يؤمل أن يعيش أبدا . قال الماوردي : ولعمري إنه صحيح إذ كل يوم غدا فإذا يفضى به الأمل إلى الفوت من غير ويؤديه الرجاء إلى الإهمال بغير تلاف . وقال الحكماء : لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو آت كائن (وسباب المؤمن) بكسر السين المهملة أي سبه وشتمه (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه من معصية الله) أي غيبته وهي ذكره بما يكرهه حرام ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شيء من ماله بغير حق . قال في الكشاف : الحرمة ما لا يحل هتكه (ومن يتأل على

الله) أي يحكم عليه ويحلف كقوله والله ليدخلن فلان النار من الألية وهي اليمين (يكذبه) بأن يفعل خلاف ما حلف عليه مجازاة له على جراءته وفضوله (ومن يغفر يغفر الله له) أي ومن يستر على أخيه فضيحة اطلع عليها يستر الله ذنوبه فلا يؤاخذه بها (ومن يعف) أي عن الجاني عليه (يعف الله عنه) أي ومن يمحو أثر جناية غيره يمحو الله سيئاته جزاءا وفاقا (ومن يكظم الغيظ) أي يرده ويكتمه مع قدرته على إنفاذه (يأجره الله) أي يثيبه الله لأنه [ص ١٧٩] محسن يحب المحسنين وكظم الغيظ إحسان . قال الزمخشري : كظم البعير جرته ازدردها وكف عن الاجترار وكظم القربة ملأها وشد كظم الباب سده ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ انتهى (ومن يصبر على الرزية) أي المصيبة احتسابا لله (يعوضه الله) عنها خيرا مما فاته منها (ومن يتبع الشمعة يسمع الله به) قال في الفردوس : قال العسكري هكذا يروى من هذا الطريق الشمعة بشين معجمة وهي المزاح والضحك ومنه امرأة شموع كثيرة الضحك والمعنى أن من عبث بالناس واستهزأ بهم يعبث به ويستهزأ منه ومن رواه بسين مهملة أراد من يرائي بعمله يفضحه الله (ومن يصبر يضعف الله له) الثواب أي ثوابه جزاء صبره أي يؤته أجره مرتين (ومن يعص الله يعذبه الله) إن شاء وإن شاء عفى عنه فهو تحت المشيئة (اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي) المراد أمة الإجابة وكرره ثلاثا لأن الله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء (أستغفر الله لي ولكم) هذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الحكم والأمثال وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه

(البيهقي في الدلائل) أي في كتاب دلائل النبوة (وابن عساكر) في تاريخه (عن عقبة بن عامر الجهني) قال خرجنا في غزوة تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه و سلم إذ كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح فقال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر فقال : يا رسول الله ذهب بي الذي ذهب بك فانتقل غير بعيد ثم صلى ثم حمد الله ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد إلى آخره (أبو نصر) عبد الله بن سعيد (السجزي) بكسر السين المهملة وسكون الجيم نسبة لسجستان على غير قياس (في الإبانة) أي في كتاب الإبانة له (عن أبي الدرداء) مرفوعا (ش) وكذا أبو نعيم في الحلية والقضاعي في الشهاب قال بعض شراحه حسن غريب (عن ابن مسعود موقوفا) ورواه العسكري والديلمي عن عقبة

---

(١) أي فرائضها التي فرض الله على الأمة فعلها

(٢) أي ما أحدث من البدع بعد الصدر الأول

(٣) أي إذا لم يكن الآخذ محتاجا لخبر ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا

(٤) قوله في بطونهم أي ملئها نارا لأنه يؤول إليها وسيصلون بالبناء للفاعل أي يدخلون سعيرا أي نارا شديدة

(٥) الروايا بفتح الراء المهملة جمع راوية بمعنى ناقل وفي حديث : والراوية أحد الشاتمين : أي وشر النافلين نافلي الكذب ." (١)

---

(١) فيض القدير، ١٧٥/٢

"قوله: (إن أحدكم إذا صلى...) الخ. فليست تلك الصلاة جماعة ليتشجع منها أحد من الشافعية رحمهم الله تعالى فيستدل به على الفاتحة، ويقول: إن الاستماع يخالف المناجاة على أنك قد علمت أن صلاة الجماعة صلاة واحدة بالعدد في نظر الشرع؛ والإمام يناجي فيها فلا تخلو عن المناجاة على طورنا أيضا.

ثم لو أخذنا المناجاة من كل فليست هي إلا في السرية وأما في الجهرية فهي منازعة لا مناجاة، ومخالفة لأمر الإنصات والاستماع؛ لا مبادرة إلى الامتثال، ولم أر في نقل عن الإمام أن القراءة في السرية لا تجوز، أما في الجهرية فأمرها كما صرح به النص.

٥٣١ - قوله: (فلا يتفلن) وقد حققت مناطه أنه كان المصلي على سمت حسن، ولذا نهى عن إقعاء الكلب، وافتراش الثعلب، ونقر الغراب، وبروك الجمل، وأن يخفض رأسه في الركوع كالحمار، كل ذلك لأجل كونه على هيئات حسنة بين يدي ربه، فالبزاق في اليمين وإن كان منها من أجل الملك لكن رعايته أيضا لكون المصلي بين يدي ربه في هذا الحين، أما البزاق أمامه فهو أشد وأشد وأقبح وأقبح.

ثم إن سياق الحديث - «من تفل أمامه في الصلاة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه» أو كما قال - ليس عندي كسياق: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ (الحجرات: ١٢). لأن الحديث إنما سيق بيانا للجزاء من جنس العمل، بخلاف الآية.." (١)

"وهكذا للصوم حقيقة، وهذه تنتقص عند التلبس بالنجاسات، فليست تلك النقيصة حكما من الشرع، بل بحسب حقيقته. وهذه النقيصة تدخل من الحجامة أيضا، ولذا قال النبي صلى الله عليه وسلم «أفطر الحاجم والمحجوم»، لأن الحجامة أيضا توجب التلطخ بالدماء، والتلبس بالنجاسة. وهذا وإن لم يقله أحد من الفقهاء، لكني أخذته من الأحاديث. وقد مر التنبيه على أن التعارض بين الأدلة قد يوجب التخفيف في المقام. فإذا ورد النهي عنها في قوله: «أفطر الحاجم والمحجوم»، مع ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أورث التخفيف، ودل على ثبوت المراتب. وأن المراد من الإفطار هو الإفطار في النظر المعنوي، كما في الغيبة، فإن الشرع سماها أكلا، قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ (الحجرات: ١٢). ثم لم يحكم الفقهاء أن صوم من اغتاب فاسد، فكذلك في الحجامة. ولو لم يثبت عندنا خلافه لقلنا بفساده من الحجامة، كما ذهب إليه أحمد.

وفي «حاشية ما لا بد منه» - رسالة للقاضي ثناء الله المحدث الفاني فتى - عن «جامع الفتاوى»: أن الصوم حال الجنابة مكروه. ولم أره في غيرها، ولعل المراد منها الكراهة بحسب الحقيقة، دون الكراهة عند الشرع. كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلمأنه أصبح جنبا، وصام. وقد استدل عليه محمد في «موطئه» من قوله تعالى: ﴿فالن بشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم﴾ ...إلخ،(البقرة: ١٨٧) حيث رخص فيه بالجماع وغيره إلى طلوع الفجر، ومن لوازمه صومه مع الجنابة، فإنه لا يغتسل إذن إلا بعد الفجر، والشرع لم يكلفه بالغسل قبله.

صحيح البخاري

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٢/٢٨١

باب اغتسال الصائم

(٣١٧/٤)

___." (١)

"فكأنه أخبرهم أن الملعون لا ينبغي أن يكون مركوبا للمسلم، فنبه على القبح فقط، لا أنه صار ملعونا وبالجملة أحكام الفقهاء تتعلق بالظاهر، وأما ما يتعلق بالنظر المعنوي، فهم قلما يبحثون عنه، ولما لم توجب تلك اللطخة أثرا في صاحبها في الظاهر، تركوا ذكرها، فتركهم ليس بناء على نفيهم، بل لعدم كونها من موضوعهم.

٦٠٤٧ - قوله: (من حلف على ملة غير الإسلام)... إلخ، وقد مر شرحه.

باب ما يجوز من ذكر الناس، نحو قولهم: الطويل والقصير

وقال النبي صلى الله عليه وسلم «ما يقول ذو اليدين؟». وما لا يراد به شين الرجل.

أي إن كانت تلك الكلمات تستعمل لتعريف أحد، وتفيد معرفته، جازت، إذا لم يتأذ بها صاحبها. فمن كان معروفا بالطويل، ثم ذكره أحد في غيبته، لم يدخل في الغيبة، ونحوه: ذو اليدين، كما في الحديث، فإنه كان رجل يزاول الأمور بيديه، فاشتهر بذي اليدين. وعامة الناس يستعملون أيمانهم، ويتركون شمائلهم في عامة الأفعال. ثم إن بعض تلك الأسامي عجيب، كالضعيف، فإنه اسم لراو، مع كونه ثقة عندهم، وإنما كان اشتهر عندهم بالضعيف، لكونه ضعيفا في الأمور الدنيوية، وإلا فلا وجه له، وكذا: ضال، اسم لراو آخر، مع كونه طيبا، وثقة عندهم.

باب الغيبة

___

وقول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١٢).

باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «خير دور الأنصار»." (٢)

"بشاعة تصوير الكتاب والسنة للغيبة

وتأتي قضية الغيبة والنميمة، والآثار الكبيرة فيها، يقول تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ﴾ [الحجرات:١٢].

---

(١) فيض الباري شرح البخاري، ٣٠٩/٤

(٢) فيض الباري شرح البخاري، ١٦٢/٧

يشبه القرآن الكريم المغتاب بشخص ذهب إلى المقبرة ونبش القبر وأخرج الميت وانهال عليه يأكل من لحمه، وهذه صورة فظيعة، ويا لفظاعتها! وصورة قريبة من تلك الصورة حكاها النبي صلى الله عليه وسلم عندما (كان يمشي مع جماعة من الصحابة، فتكلم شخص بكلمة عن شخص غائب، ثم مر صلى الله عليه وسلم بجيفة حمار شائل، فقال: أين المتكلم بكلمة كذا؟ قالوا: هذا هو، قال: انزل فكل من هذه الجيفة، قال: يغفر الله لي ولك، ومن يأكل من هذه؟ قال: للكلمة التي قلتها أشد جيفة من هذه).

انظر التشبيه العملي، نلاحظ أنه لما سمع عليه الصلاة والسلام كلام ذلك الرجل سكت عنه، لكن لما رأى تلك الجيفة تكلم تصديقا لكتاب الله ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ [الحجرات:١٢] فجعله كمن يأكل من **لحم أخيه** ميتا؛ لأن الأخوة تقتضي الحفاظ عليه، والأخوة تمنع من أن تعضه بالفم وهو حي، أو أن تناله بأبسط مكروه، فكيف بأكله ميتا؟ بل لو كان حيا وبينك وبينه عداوة وقد مات، فلن يبقى للعداوة أثر بعد الموت.

وأما النميمة -عياذا بالله- فتوقع بين القوم فتنا، والفتنة أكبر من القتل، فقد تقع بين القبائل حروب تأتي على الأخضر واليابس بسببها، وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم).." (١)

" صفحة رقم ٢٢١

بالنفاق لقوله عز وجل :) كأنهم خشب مسندة ([المنافقون : ٤]

والحجارة تعبر بالقسوة لقوله جل ذكره :) فهي كالحجارة أو أشد قسوة (

[البقرة : ٣٤] والمريض بالنفاق ، لقوله تبارك وتعالى : (في قلوبهم مرض (

[البقرة : ١٠] والبيض يعبر بالنساء ، لقوله سبحانه وتعالى : (كأنهن

بيض مكنون ([الصافات : ٤٩] وكذلك اللباس ، لقوله سبحانه

وتعالى : (هن لباس لكم ([البقرة : ١٨٧] واستفتاح الباب

يعبر بالدعاء ، لقوله سبحانه وتعالى : (إن تستفتحوا ([الأنفال : ١٩]

أي : تدعوا. والماء يعبر بالفتنة في بعض الأحوال لقوله عز وجل :

) لأسقيناهم ماء غدقا ، لنفتنهم فيه ([الجن : ١٦ ، ١٧] وأكل اللحم

النيء يعبر بالغيبة ، لقوله سبحانه وتعالى : (أيحب أحدكم أن يأكل

لحم أخيه ميتا ([الحجرات : ١٢] ودخول الملك محلة ، أو بلدة ،

أو دارا تصغر عن قدره ، وينكر دخول مثله مثلها ، يعبر بالمصيبة

والذل ينال أهلها ، لقوله تبارك وتعالى : (إن الملوك إذا دخلوا قرية

أفسدوها ([النمل : ٣٤].

---

(١) شرح الأربعين النووية، ٨/٦٨

وأما التأويل بدلالة الحديث كالغراب ، يعبر بالرجل الفاسق ، لأن
النبي (صلى الله عليه وسلم) سماه فاسقا ، والفأرة يعبر بالمرأة الفاسقة ، لأن النبي (صلى الله عليه وسلم)
سماها فويسقة. والضلع يعبر بالمرأة ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : " إن المرأة خلقت
من ضلع أعوج ". والقوارير تعبر بالنساء ، لقوله (صلى الله عليه وسلم) : " يا انجشه." (١)
" صفحة رقم ١٠٧
٣٥٢٩ - أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أبو عاصم والمكي بن
إبراهيم ، عن عبيد الله بن أبي زياد ، عن شهر بن حوشب
عن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت : قال رسول الله
[ ] : " من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة ، كان حقا على الله
أن يعتقه من النار ".
٣٥٣٠ - أخبرنا عبد الواحد المليحي ، أنا أبو منصور السمعاني ،
نا أبو جعفر الرياني ، نا حميد بن زنجوية ، نا آدم بن أبي إياس ، نا
إسماعيل بن عياش ، عن أبان بن أبي عياش
عن أنس بن مالك قال : سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول :
" من اغتيب عنده أخوه المسلم ، وهو يقدر على نصره ،
فنصره ، نصره الله في الدنيا والآخرة ".
٣٥٣١ - وأخبرنا الصالحي ، أنا ابن بشران ، أخبرنا إسماعيل الصفار ،
نا الرمادي ، نا عبد الرزاق ، أنا معمر والثوري عن أبان بإسناده مثله. ." (٢)

"وقال - صلى الله عليه وسلم - (إن الكذب يهدي إلى الفجور ، وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً) متفق عليه .

وقال - صلى الله عليه وسلم - (آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، ..) متفق عليه .

وقال - صلى الله عليه وسلم - (ويل للذي يحدث فيكذب ، ليضحك القوم ، ويل له ويل له) رواه أبو داود .

عدم الاحتقار : فلا يجوز للمسلم أن يحتقر وأن يستصغر أخاه المسلم .

وهو ناشيء عن الكبر ، كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم .

وغمط الناس : الطعن عليهم وازدراؤهم .

وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً

---

(١) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ٢٢١/١٢

(٢) شرح السنة ـ للإمام البغوى متنا وشرحا، ١٠٧/١٣

منهن ﴾ .
وقال – صلى الله عليه وسلم – كما في هذا الحديث (بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم) يعني يكفيه من الشر احتقاره أخاه المسلم ، فإنه إنما يحقر أخاه المسلم لتكبره عليه ، والكبر من أعظم خصال الشر .

أن المسلم على المسلم حرام : دمه ، وماله ، وعرضه .

دمه : سبقت الأدلة على تحريم قتل المسلم بغير حق .

ماله : لا يجوز أخذ مال المسلم بغير حق .

قال تعالى ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾ .

وقال – صلى الله عليه وسلم – (لا يحل مال امرىء مسلم إلا بطيب نفس منه) رواه البخاري .

عرضه : فلا يجوز أن يغتابه .

والغيبة حرام بالكتاب والسنة والإجماع .

قال تعالى ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتاً فكرهتموه ﴾ .

وقال – صلى الله عليه وسلم – (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا) متفق عليه .

وعن أنس . قال : قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم) رواه أبو داود .." (١)

"بكسر الراء بتهمة (وتصبح غرثى) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح المثلثة أي جائعة لا تغتاب الناس إذ لو كانت مغتابة لكانت آكلة من **لحم أخيها** فتكون شبعانة أو تصبح خميصة البطن (من لحوم الغوافل) عما يرمين به من الشر لأنهن لم يتهمن قط ولا خطر على قلوبهن فهن في غفلة عنه، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف (فقالت له عائشة: لكنك لست كذلك) أي بل اغتبت وخضت في قول أهل الإفك.

(قال مسروق: فقلت لها لم تأذني له) بحذف نون الرفع لمجرد التخفيف. قال ابن مالك: وهو ثابت في الكلام الفصيح نثره ونظمه ولأبي ذر لم تأذنين له (أن يدخل عليك) أي في الدخول عليك (وقد قال الله) عز وجل: (﴿والذي تولى كبره﴾) عظمه (﴿منهم﴾) من العصبة (﴿له عذاب عظيم﴾) [النور: ١١] وقوله في التنقيح: أنكر ذلك عليه، وإنما الذي تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول، وإنما كان حسان من الجملة تعقبه في المصابيح بأن هذا في الحقيقة إنكار على عائشة فإنها سلمت لمسروق ما قال: بقولها وأي عذاب أشد من العمى (فقالت) عائشة: (وأي عذاب أشد من العمى) وكان قد عمي (قالت): ولأبي ذر فقالت (له: إنه) أي حسان (كان ينافح) يذب (أو يهاجي) بشعره (عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–) ويخاصم عنه وسقط لفظ له لأبي ذر.

وهذا الحديث أخرجه أيضا في التفسير ومسلم في الفضائل.

---

(١) شرح الأربعين النووية/اللهيميد، ص/١١٠

٣٥ - باب غزوة الحديبية وقول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾ [الفتح: ١٨] الآية

(باب غزوة الحديبية) بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون التحتية وكسر الموحدة وتخفيف التحتية. قال ابن الأثير: وكثير من المحدثين يشددونها. وقال أبو عبيد البكري: وأهل العراق يثقلون، وأهل الحجاز يخففون. وقال في الفتح: وأنكر كثير من أهل اللغة التخفيف. وقال في

القاموس: والحديبية كدويهية وقد تشدد بئر قرب مكة حرسها الله تعالى ولأبي ذر عن الكشميهني عمرة الحديبية بدل غزوة (وقول الله تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾) [الفتح: ١٨] (الآية) وسقط لأبي ذر تحت الشجرة.

٤١٤٧ - حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال قال: حدثني صالح بن كيسان، عن عبيد الله بن عبد الله، عن زيد بن خالد -رضي الله عنه- قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصبح، ثم أقبل علينا فقال: «أتدرون ماذا قال ربكم»؟ قلنا الله ورسوله أعلم فقال: «قال الله أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنجم كذا فهو مؤمن بالكوكب كافر بي».

وبه قال: (حدثنا خالد بن مخلد) البجلي قال: (حدثنا سليمان بن بلال) أبو محمد مولى الصديق (قال: حدثني) بالإفراد (صالح بن كيسان عن عبيد الله) بضم العين (ابن عبد الله) بن عتبة بن مسعود (عن زيد بن خالد) الجهني (-رضي الله عنه-) أنه (قال: خرجنا مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عام الحديبية) من المدينة يوم الاثنين مستهل ذي القعدة سنة ست قاصدين العمرة (فأصابنا مطر ذات ليلة فصلى لنا) أي لأجلنا (رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصبح) ولأبي ذر عن الكشميهني صلاة الصبح (ثم أقبل علينا بوجهه) الكريم (فقال):

(أتدرون ماذا قال ربكم)؟ عز وجل استفهام على سبيل التنبيه (قلنا: الله ورسوله أعلم) بذلك (فقال) عليه الصلاة والسلام: (قال): (الله) تعالى (أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر بي) الكفر الحقيقي وسقط قوله بي لأبي ذر (فأما من قال: مطرنا برحمة الله وبرزق الله وبفضل الله فهو مؤمن بي كافر بالكوكب) ولأبي ذر وابن عساكر: بالكواكب بالجمع (وأما من قال: مطرنا بنجم كذا) زاد الكشميهني وكذا (فهو مؤمن بالكوكب) ولأبي ذر وابن عساكر بالكواكب بالجمع (كافر بي) الكفر الحقيقي لأنه قابله بالإيمان حقيقة لأنه أعتقد ما يفضي إلى الكفر وهو اعتقاد أن الفعل للكواكب.

وسبق هذا الحديث في باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم من كتاب الصلاة.

٤١٤٨ - حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة أن أنسا -رضي الله عنه- أخبره قال: اعتمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته، عمرة من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة، وعمرة من الجعرانة حيث قسم غنائم حنين في ذي القعدة، وعمرة مع حجته.

وبه قال: (حدثنا هدبة بن خالد) بضم الهاء وسكون الدال المهملة بعدها موحدة ابن الأسود

القيسي البصري قال: (حدثنا همام) بفتح الهاء والميم المشددة ابن يحيى بن دينار العوذي البصري (عن قتادة) بن دعامة (أن

أنسا -رضي الله عنه- أخبره قال):

(اعتمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-) ولأبوي ذر والوقت النبي (-صلى الله عليه وسلم- أربع عمر كلهن في ذي القعدة إلا) العمرة (التي كانت مع حجته) في ذي الحجة ثم بين الأربعة بقوله: (عمرة) نصب بدل من السابق (من الحديبية في ذي القعدة وعمرة من العام المقبل في ذي القعدة) وهي عمرة القضية (وعمرة من الجعرانة) بسكون." (١)

"مليكة) عبد الله (قال: استأذن ابن عباس قبل موتها) ولأبي ذر قبيل موتها بضم القاف مصغرا (على عائشة وهي مغلوبة) من كرب الموت (قالت: أخشى أن يثني علي) لأن الثناء يورث العجب (فقيل) هو (ابن عم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومن وجوه المسلمين) والقائل لها ذلك هو ابن أخيها عبد الله بن عبد الرحمن والذين استأذن لابن عباس عليها ذكوان مولاها كما عند أحمد في روايته (قالت ائذنوا له فقال) ابن عباس لها بعد أن أذن له في الدخول

ودخل (كيف تجدينك) أي كيف تجدين نفسك فالفاعل والمفعول ضميران لواحد وهو من خصائص أفعال القلوب (قالت) عائشة: أجدني (بخير إن اتقيت الله) أي إن كنت من أهل التقوى وسقطت الجلالة من اليونينية وآل ملك وغيرهما وثبتت في الفرع ولأبي ذر عن الكشميهني إن أبقيت بضم الهمزة وسكون الموحدة وكسر القاف وسكون التحتية وفتح الفوقية من البقاء (قال) ابن عباس (فأنت بخير إن شاء الله زوجة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولم ينكح بكرا غيرك ونزل عذرك) عن قصة الإفك (من السماء) وفي رواية ذكوان المذكورة: وأنزل الله براءتك من فوق سبع سماوات جاء به الروح الأمين فليس في الأرض مسجدا إلا وهو يتلى فيه آناء الليل وأطراف النهار.

(ودخل) عليها (ابن الزبير) عبد الله (خلافه) بعد أن خرج ابن عباس فتخالفا في الدخول والخروج ذهابا وإيابا وافق رجوع ابن عباس مجيء ابن الزبير (فقالت) له عائشة: (دخل ابن عباس فأثنى علي ووددت أي كنت نسيا منسيا) أي لم أكن شيئا.

وهذا على طريق أهل الورع في شدة خوفهم على أنفسهم.

٤٧٥٤ - حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد، حدثنا ابن عون عن القاسم، أن ابن عباس -رضي الله عنه- استأذن على عائشة. نحوه ولم يذكر نسيا منسيا.

وبه قال: (حدثنا محمد بن المثنى) الزمن قال: (حدثنا عبد الوهاب بن عبد المجيد) بفتح الميم وكسر الجيم الثقفي قال: (حدثنا ابن عون) بالنون عبد الله (عن القاسم) بن محمد بن أبي بكر الصديق (إن ابن عباس -رضي الله عنه- استأذن على عائشة نحوه) أي ذكر نحو الحديث المذكور (ولم يذكر) فيه (نسيا منسيا).

ومطابقة الحديث للترجمة في قوله ونزل عذرك من السماء.

١٠ - باب قوله: ﴿يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا﴾ الآية

(قولها ﴿يعظكم الله﴾) ولأبي ذر باب بالتنوين في قوله: ﴿يعظكم الله﴾. قال ابن عباس: يحرم الله عليكم، وقال مجاهد:

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٦/٣٤٥

ينهاكم الله (﴿أن تعودوا لمثله﴾) كراهة أن تعودوا مفعول من أجله أو في أن تعودوا على حذف في (﴿أبدا﴾) ما دمم أحياء مكلفين (الآية﴾) [النور: ١٧] وسقط قوله الآية لغير أبي ذر.

٤٧٥٥ - حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لكن أنت.

وبه قال: (حدثنا محمد بن يوسف) الفريابي قال: (حدثنا سفيان) الثوري (عن الأعمش) سليمان بن مهران (عن أبي الضحى) مسلم بن صبيح (عن مسروق) هو ابن الأجدع (عن عائشة -رضي الله عنها-) أنها (قالت): ولأبي ذر عن الكشميهني قال: (جاء حسان بن ثابت) الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- (يستأذن عليها) فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة قال مسروق: (قلت) لعائشة: (أتأذنين لهذا) وهو ممن تولى كبر الإفك؟ (قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم. قال سفيان) الثوري: (تعني ذهاب بصره. فقال) حسان: (حصان رزان) بفتح الحاء المهملة والزاي من الثاني وقبلها راء مهملة مخففة أي عفيفة كاملة العقل (ما تزن) بضم الفوقية وفتح الزاي وتشديد النون أي ما تتهم (بريبة) براء مهملة فتحتية ساكنة فموحدة.

(وتصبح غرثى) بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وفتح المثلثة جائعة (من لحوم الغوافل) العفيفات أي لا تغتابهن إذ لو كانت تغتاب لكانت آكلة وهو استعارة فيها تلميح بقوله تعالى في المغتاب ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢].

وهذا البيت من جملة قصيدة لحسان.

(قالت) عائشة: (لكن) أي لست (أنت) كذلك إشارة إلى أنه اغتابها حين وقعت قصة الإفك.

١١ - باب ﴿ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم﴾ [النور: ١٨]

هذا (باب) بالتنوين في قوله: (﴿ويبين الله لكم الآيات﴾) في الأمر والنهي (﴿والله عليم﴾) بأمر عائشة وصفوان (﴿حكيم﴾) [النور: ١٨] في شرعه وقدرته.

٤٧٥٦ - حدثني محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، أنبأنا شعبة عن الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة فشبب وقال

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لست كذاك. قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك وقد أنزل الله: ﴿والذي تولى كبره منهم﴾ فقالت: وأي عذاب

أشد من العمى. وقالت: وقد كان يرد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

وبه قال: (حدثني) بالإفراد ولأبي ذر حدثنا (محمد بن بشار) بندار العبدي البصري قال: (حدثنا." (١)

"في يكلماه حذف النون، والجملة كلها في الحقيقة مفسرة لمعنى قوله: وفي القوم أبو بكر وعمر لأنه لو لم يقل فهاباه لقيل فما منعهما وهما أقرب من غيرهما وأدل عليه -صلى الله عليه وسلم- (وخرج) بلفظ الماضي، وللحموي والمستملي: ويخرج (سرعان الناس) بفتح السين المهملة والراء أوائلهم جمع سريع، وحكى المنذري تجويز كسر السين وسكون الراء عن بعضهم، وحكى ابن سيده عن ثعلب أنه إذا كان السرعان وصفا في الناس فالتحريك أفصح من التسكين (فقالوا: قصرت الصلاة) بفتح القاف وضم الصاد المهملة مبنيا للفاعل وبضم القاف وكسر الصاد للمفعول. أي قال بعضهم لبعض لما رأوا من فعله -صلى الله عليه وسلم- وأداة الاستفهام مقدرة (وفي القوم رجل) اسمه الخرباق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء بعدها موحدة فألف فقاف (وكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يدعوه ذا اليدين) لطولهما (فقال: يا نبي الله أنسيت الركعتين (أم قصرت)؟ بفتح القاف وضم الصاد للفاعل وللمفعول أيضا (فقال) عليه الصلاة والسلام:

(لم أنس) في ظني (ولم تقصر) بفتح أوله وضم ثالثه أو مبنيا للمفعول وأم حرف عطف

متصلة لأنها جاءت على شرطها من تقدم الاستفهام والسؤال بأي والجواب بأحد الشيئين المستفهم عنهما أو الأشياء، وجملة لم أنس ولم تقصر محكية بالقول، وجزم أن بحذف الألف وتقصر بالسكون ولما كانت أم هنا المتصلة لم يحسن في الجواب لا أو نعم (قالوا: بل نسيت يا رسول الله) لأنه لما نفى الأمرين وكان قد تقرر عندهم أن السهو غير جائز في الأمور البلاغية جزموا بوقوع النسيان لا القصر، وقوله بل بسكون اللام (قال: صدق ذو اليدين فقام فصلى ركعتين) بانيا على ما سبق بعد أن تذكر أنه لم يتمها إذ لم يطل الفصل (ثم سلم ثم كبر فسجد) للسهو سجودا (مثل سجوده أو أطول) منه بالشك من الراوي (ثم رفع رأسه) من السجود (وكبر ثم وضع) رأسه فكبر فسجد سجودا (مثل سجوده أو أطول) منه (ثم رفع رأسه) من السجود (وكبر).

ومطابقة الحديث في قوله يدعوه ذا اليدين لأنه إنما كان يعرف بذلك.

والحديث سبق في الصلاة.

٤٦ - باب الغيبة وقول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢]

(باب) تحريم (الغيبة) بكسر المعجمة وهي ذكر المسلم غير المعلن بفجوره في غيبته بما يكره ولو بغمز أو بكتابة أو إشارة. قال الثوري: وممن يستعمل التعريض في ذلك كثير من الفقهاء في التصانيف وغيرها كقولهم: قال بعض من يدعي العلم أو بعض من ينسب إلى الصلاح أو نحو ذلك مما يفهم السامع المراد به، ومنه قولهم عند ذكره الله يعافينا ونحوه إلا أن يكون ذلك نصحا لطالب شيئا لا يعلم عيبه ونحو ذلك.

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٢٦٦/٧

(وقول الله تعالى) بالجر عطفا على السابق: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ نهي عن الغيبة نهي تحريم اتفاقا وهل هي من الكبائر أو الصغائر؟ قال النووي في الروضة تبعا للرافعي: من الصغائر، وتعقب بأن حد الكبيرة صادق عليها فهي منها ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام التقريري وجعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناده الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا، ومنها لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتا. ووجه المناسبة أن إدارة حنكة بالغيبة كالأكل، وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي، وانتصب ميتا على الحال من اللحم أو من أخيه ولما قرر لهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله ﴿فكرهتموه﴾ أي فتحققت كراهتكم له باستقامة العقل، فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة باستقامة الدين ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾
[الحجرات: ١٢] التواب البليغ في قبول التوبة، والمعنى: واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما وجد منكم فإنكم إن اتقيتم تقبل الله توبتكم وأنعم عليكم." (١)

"بثواب المتقين التائبين، وفي حديث أبي هريرة عند أبي يعلى مرفوعا: من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب له لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا. قال: فيأكله ويكلح ويصيح وقال الحافظ ابن كثير: غريب جدا، وصح: دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام وسامعها شريكه ما لم ينكرها بلسانه ومع خوفه فبقلبه، وقيل غيبة الخلق إنما تكون بالغيبة عن الحق. عافانا الله من المكاره بمنه وكرمه، وسقط لأبي ذر قوله: أيحب إلى آخره وقال بعد قوله ﴿بعضا﴾ الآية.

٦٠٥٢ - حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش قال: سمعت مجاهدا يحدث عن طاوس، عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان فى كبير أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشى بالنميمة» ثم دعا بعسيب رطب فشقه باثنين فغرس على هذا واحدا، وعلى هذا واحدا ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا».

وبه قال: (حدثنا يحيى) هو ابن موسى الحداني بضم الحاء وتشديد الدال المهملتين وبعد الألف نون أو هو ابن جعفر البلخي قال: (حدثنا وكيع) هو ابن الجراح (عن الأعمش) سليمان بن مهران أنه (قال: سمعت مجاهدا) هو ابن جبر (يحدث عن طاوس) اليماني (عن ابن عباس -رضي الله عنهما-) أنه (قال: مر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على) صاحبي (قبرين) عبر عن صاحبيهما بهما تسمية للحال باسم المحل (فقال): معطوف على مر أو على محذوف أي فوقف فقال: (إنهما) أي صاحبي المقبرين ولم يسميا (ليعذبان وما يعذبان في كبير) قال ابن مالك في هنا للتعليل أي لأجل كبير، والنفي يحتمل أن يكون باعتبار اعتقاد المعذبين أو أنه ليس بكبير على النفس بل هو سهل والاحتراز عنه هين أو ليس بأكبر الكبائر، وإن كان كبيرا فالكبائر تتفاوت، وحينئذ فيه تنبيه على التحرز من ارتكاب غيره والزجر عنه، أو قاله قبل أن يطلع على أنه من الكبائر فلما اطلع على ذلك قال: بلى إنه لكبير، وقيل غير ذلك مما سبق في الجنائز وغيرها (أما هذا) أي

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٩/ ٤٠

صاحب أحد المقبرين (فكان لا يستتر من بوله) بمثناتين فوقيتين الأولى مفتوحة والثانية مكسورة أي يستنزه بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء كما في مسلم وأبي داود.

ووجه دلالة لا يستتر على هذا المعنى أن المستتر عن الشيء يبعد عنه ويحتجب منه فهو مجاز والحمل عليه أولى لأن البول بالنسبة إلى عذاب القبر خصوصية فالحمل على ما يقتضيه الحديث المصرح بهذه الخصوصية أولى.

(وأما) صاحب (هذا) القبر الآخر (فكان يمشي) في الناس متصفا (بالنميمة) بأن ينقل كلام بعضهم لبعض على جهة الإفساد، وقيل النميمة كشف ما يكره كشفه وهذا شامل لما يكرهه المنقول

عنه أو المنقول إليه أو غيرهما سواء كان بالقول أو الكتابة أو الرمز أو الايماء.

فإن قلت: ليس في الحديث ذكر ما ترجم به وهو الغيبة. أجاب السفاقسي: بأن الجامع بينهما ذكر ما يكرهه المقول فيه بظهر الغيب. انتهى. وأشار إلى ما في بعض طرف الحديث بلفظ الغيبة رواه البخاري في الأدب المفرد من حديث جابر وأحمد والطبراني بإسناد صحيح من حديث أبي بكرة ولفظهما: وما يعذبان إلا في الغيبة، وأحمد والطبراني أيضا من حديث يعلى بن شبابة بلفظ: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- مر على قبر يعذب صاحبه فقال: "إن هذا كان يأكل لحوم الناس". (ثم دعا) -صلى الله عليه وسلم- (بعسيب رطب) بفتح العين وكسر السين المهملتين سعف لم ينبت عليه خوص ورطب بفتح الراء وسكون الطاء المهملة (فشقه باثنين) الباء زائدة في الحال والحال هنا مقدرة كقوله تعالى: ﴿لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم﴾ [الفتح: ٢٧]. وعند الدخول لا يكونون محلقين كما أن العصا عند شقها لا تكون نصفين (فغرس على هذا) القبر نصفا (واحدا وعلى هذا) القبر نصفا (واحدا ثم قال) عليه الصلاة والسلام بعد أن قالوا: لم فعلت هذا يا رسول الله؟ (لعله يخفف) ولأبي ذر أن يخفف (عنهما) العذاب (ما لم ييبسا) وما ظرفية مصدرية أي مدة انتفاء يبسهما فحذف الظرف وخلفه ما وصلتها كما جاء في المصدر الصريح في قولهم: جئتك صلاة العصر وأتيتك قدوم الحاج، فقوله: لم ييبسا في موضع جر لأن التقدير مدة دوام رطوبتهما، فلو جاء الكلام لعله يخفف عنهما ما ييبسان لم يصح المعنى لأن التأقيت يصير مقدرا بمدة اليبس وليس هو المراد لأن سر ذلك تسبيحهما ما داما رطبين.

وسبق الحديث في الطهارة والجنائز مع مباحث." (١)

"فالجواب: أنه عام قيد خاص.

فائدة: قال ابن القيم في كتابه أقسام القرآن: فإن قيل: ما الحكمة في جعل الله سبحانه وتعالى اللسان عضوا لحميا لا عظم فيه ولا عصب؟

ثم أجاب بإذن الله خلقه كذلك لتسهل حركته، ولهذا لا تجد في الأعضاء من لا يكترث بكثرة الحركة سواه، فأي عضو من الأعضاء حركته كما يحرك اللسان لم يطاوعك كما يطاوعك اللسان، بل لابد أن يحصل التعب والملل إلا اللسان فلو كان عظما لم ينتهي منه الكلام التام ولا الذوق التام.

ثم قال فإن قيل: ما الحكمة في أن الله تعالى جعل على اللسان علقين أحدهما الأسنان والثاني الشفتان، وجعل على العين

---

(١) شرح القسطلاني = إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ٤١/٩

غطاء واحد ولم يجعل على الأذن غطاء، ثم أجاب بأنه سبحانه وتعالى جعل ذلك إشارة إلى أن آفة الكلام أكثر من آفة النظر وآفة النظر أكثر من آفة السمع، فجعل الأكثر آفات طبقتين لخطره وشرفه، وخطر حركاته، وكونه في الفم بمنزلة القلب في الصدر وجعل، للمتوسط طبقة واحدة، وجعل الأقل آفة بلا طبقة فتبنه لهذه اللطيفة الإلهية والحكمة الربانية.

وقال ابن جماعة في شرح الأربعين فإن قيل: لم تعددت العين والأذن والأنف والخد دون اللسان.

ثم أجاب: بأن الله صنع ذلك إشارة إلى مطلوبية قلة الكلام.

قال العلماء: في الحديث دلالة على التحذير من أذى اللسان ومن آفاته، وآفاته كثيرة لا تنحصر، وأكثر معاصي ابن آدم فيه من أقبحها وأضرها للناس وأفحشها الغيبة.

والغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما يكرهه وإن كان فيه، حتى أن قلت عن طويل: فلان طويل أو عن قصير: فلان قصير، وكان يكره ذلك فإنه حرام ويعد غيبة، وهي حرام سواء بلقبك أو لسانك أو خطك أو إشارتك بعين ورأس أو نحوها، وسواء كان في ماله أو ولده أو زوجته أو نحو ذلك.

والذي يدل على إنها محرمة الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الله تعالى ؟ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه؟[الحجرات: ١٢].." (١)

"""""""""" صفحة رقم ٢٥ """""""""

القبيح ، وقال الأوزاعى : إنه يفطر بالسب والغيبة ، واحتج بما روى أن الغيبة تفطر الصائم . قال ابن القصار : معناه أنه يصير فى معنى المفطر فى سقوط الأجر لا أنه يفطر فى الحقيقة ، كقوله تعالى : (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) [الحجرات : ١٢] ، ومن اغتاب فلم يكن آكلا لحم أخيه ميتا فى الحقيقة ، وإنما يصير فى معناه ويجوز أن يكون فى معنى التغليظ ، كما قال : الكذب مجانب للإيمان ، فإن قيل : فما معنى قوله : (فليقل إنى صائم) ، والمندوب إليه أن يستتر بعمله ليكثر ثوابه ؟ قيل : إذا قال : إنى صائم ، ارتدع وعلم أنه إذا اجترأ عليه فى صوم كان أعظم فى الإثم ، فليعلم أيضا أن الصوم يمنع من الرد عليه ، ومثل هذا لا يكره إذا كان لعذر ، وقيل معناه : أن يقول ذلك لنفسه ، وقد تقدم هذا المعنى فى باب : فضل الصوم .

- باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة

/ ١٢ - فيه : ابن مسعود قال : كنا مع النبى ، عليه السلام ، فقال : (من استطاع الباءة فليتزوج ، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء) . قال المؤلف : ندب النبى ، عليه السلام ، لأمته النكاح ، ليكونوا على كمال من أمر دينهم ، وصيانة لأنفسهم فى غض أبصارهم." (٢)

"""""""""" صفحة رقم ٢٤٧ """""""""

الوليد ، عن الربيع بن يزيد ، عن أبان ، عن أنس ، عن النبى عليه السلام قال : (من خلع جلباب الحياء فلا غيبة فيه)

---

(١) شرح صحيح البخاري لشمس الدين السفيري، ١٤/١٩

(٢) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٢٥/٤

وفسره ابن سعدان قال : معناه من عمل عملا قبيحا كشفه للناظرين ، ولم يرع وقوفهم عليه فلا باس بذكره عنه من حيث لايسمع ؛ لأنه كمن أذن فى ذلك لكشفه عن نفسه ، فأما من استتر بفعله فلا يحل ذكره لمن رآه ؛ لأنه غير آذن فى ذكره وإن كان كافرا . وقد سئل وهب عن غيبة النصرانى ، فقال : لا وقولوا للناس حسنا وهو من الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) فجعل هذا لهم مثلا . وفى الحديث : (اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذروه الناس) . قال ابن أبي زيد : يقال : لاغيبة فى أمير جائز ولاصاحب بدعة يدعو إليها ، ولافيمن يشاور فى إنكاح أو شهادة ونحو ذلك ، وقد قال الرسول عليه السلام لفاطمة بنت قيس حين شاورته فيمن خطبها إلى معاوية : (إن معاوية صعلوك لا مال له) وكذلك رأى الأئمة أن يقبل قوله من أهل الفضل ويجوز له أن يبين له أمر من يخاف أن يتخذ إماما فيذكر مافيه من كذب أو غيره مما يوجب ترك الراوية عنه ، وكان شعبه يقول : اجلس بنا نغتاب فى الله .

٤٥ - باب : قول النبى (صلى الله عليه وسلم) خير دور الأنصار

/ ٧٦ - فيه : أبو أسيد ، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (خير دور الأنصار بنو النجار) . قال المهلب : ترجم له باب خير دور الأنصار وأدخل فيه : (خير." (١)

"وقد ذكر الله تعالى تحريم الغيبة في كتابه فقال سبحانه وتعالى : " ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه " [الحجرات] قال النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ " [أخرجه مسلم] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ : سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ ؟ فَقَالَ : " تَقْوَى اللَّهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ " ، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ ؟ فَقَالَ : " الْفَمُ وَالْفَرْجُ " [أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد] ، واللسان كما هو معلوم من أسباب دخول الجنة أو النار ، فمن أمسك لسانه عن الحرام ، وحصن فرجه عن الحرام ضمن له النبي صلى الله عليه وسلم الجنة ، ومن أفلت زمامهما ، كان قريبا من النار ، وعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رضي الله عنه ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ ، وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ، أَضْمَنْ لَهُ الْجَنَّةَ " [أخرجه البخاري] ، ما أقبح اللسان إذا أطلق له العنان ، لأنه يسلك بصاحبه طريقاً ممهداً إلى الجنة أو النار والعياذ بالله ، عَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ ، يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ " [أخرجه أبو داود وأحمد] ، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّه." (٢)

"الحكمة في النهي عن سب الأموات

هل من حق الميت بعد دفنه، وبعد أن فارق الدنيا وتركها، أن تلحقوه بدعوة خير وثناء عليه، أم أن تنبشوا دفاتر أعماله، وتفتشوا عن سيئاته؟! أليس يكفي أنه ترك الدنيا بما فيها وذهب؟! قوله: (لا تسبوا الأموات) أنت في حياتك مع الشخص وهو حي، لا يحق لك أن تذكر مساوئه في غيبته، قال تعالى: ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ [الحجرات:١٢]،

---

(١) شرح صحيح البخارى ـ لابن بطال، ٩/٢٤٧

(٢) شرح حديث أم زرع، ص/١٥

ثم مثل سبحانه غيبة الحي من الحي بقوله: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ [الحجرات:١٢]؛ فالذي يذكر مساوئه كأنه أكل لحمه ميتا؛ ووجه الشبه: أن الغائب لا يستطيع أن يدفع عن نفسه الغيبة، والميت لا يستطيع أن يدفع عن نفسه من يأكله.

ومعنى أن الميت قد أفضى إلى ما قدم، يعني: ليس بزائد على ما كان منه من عمل، وليس بناقص عنه شيئا، وقد صار بين يدي الله.

وكما يقول الشوكاني : لقد أفضى إلى ربه، وجثا بين يدي مولاه، أفتحاسبه أنت وتناقشه؟ ليس لك حق في ذلك؛ فإنه أفضى إلى ما قدم، وسيلقى جزاء عمله بين يدي ربه، وقد يجد ربه غفورا رحيما يغفر له ما تسيء به إليه، ويرحمه فيما تعاتبه فيه، فيكون ربه قد رحمه، وأدركه بلطفه، وأنت هنا تتمسك بمثالبه، فأنت إذا كالقابض على الريح.

وقد قال بعض العلماء: ذكر مساوئ الأموات كغيبة الأحياء، ولكن الصحيح أنها أشد؛ لأن الحي ربما تصله غيبته فيدفع عن نفسه؛ ولكن الميت لا يستطيع ذلك.

قد يقول بعض الناس: لو كان هذا الميت مجاهرا بالمعاصي، فاسدا فاسقا، فلا مانع من ذكر مساوئه، ونقول: مهما تصورت من سوء فعاله، فهي معه وقد لقي ربه بها، وربه أولى به منك، فلا حاجة إلى أن تتعرض له.

ولا يدخل في ذلك الجرح والتعديل، كقولهم فلان المدلس، وفلان صفته كذا، لأن هذه فيها فائدة للمسلمين، بأن يحذروا رواياته؛ لأنه يبنى عليها أحكام، وكذلك وصفه بوصف لا يعرف إلا به، كقولهم: فلان الأعرج، أو الأعمش، أو الأعشى، والنهي وارد على السب الذي لا يقصد من ورائه عرض صحيح.

ثم الرواية الأخرى: (لا تسبوا الأموات فتؤذوا الأحياء) فالميت قد ذهب، ثم يأتي من يقول لابنه: والدك كانت صفته كذا، فهو يقول: لكن يا أخي! لماذا تسيء إلي في أبي، وقد انتقل إلى رحمة الله، وأفضى إلى ما قدم.." (١)

"معنى قوله: (فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه)

من لم يدع هذه الأشياء فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه، إذا لم يتركها فليس لله حاجة في أن يصوم؛ لأنه صام عن جزئية من الصوم، والصوم صوم عن كل شيء نهى الله عنه، فمن لم يدع هذه الأشياء فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه.

سؤال: إذا تركها الإنسان، وأصبح المسلمون على أعلى مثالية في الآداب والأخلاق، فهل لله حاجة في ذلك؟ يقول الفقهاء: هل مفهوم المخالفة مراد في قوله: ليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه؟ أي: فهل لله حاجة فيمن لم يرتكب ذلك؟ الجواب: لا، فالله سبحانه وتعالى غني عن عبادة العباد، وغني عن عمل العباد، وإنما مردود العمل راجع إليهم (إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها) والله غني عن ذلك، لا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين.

إذا: (فليس لله حاجة في أن يدع ...) لا مفهوم لذلك؛ لأنه ليست له حاجة فيما لو ترك الصائم هذه الخصال الذميمة، ولكن المراد بهذا: أنت تركت الطعام والشراب، وهذا أنت مأمور به، ولكنك تذهب وترتكب قول الزور والعمل

---

(١) شرح بلوغ المرام، ١٤/١٢٣

به والجهالة، وأنت منهي عنه، فهل إذا لم تأكل ولم تشرب وعملت بالزور، وفرت في خزائن الله زيادة؟ لا، لم يكن تركك الطعام والشراب لحاجة عند الله أو قلة في العطاء، أو لأنه يزيد في خزائنه، كل ذلك لا أصل له، إنما ليس هناك داع أو ليس هناك موجب لأن تبقى على ترك الطعام والشراب وأنت أفطرت بغيره، كما جاء في حديث المرأتين اللتين صامتا في يوم حار، وسألتا رسول الله أن يسمح لهما بالفطر فأبى، وسمح لغيرهما ولم يسمح لهما، ثم استدعاهما وأحضر قدحا وأعطاه للأولى وقال: قيئي في هذا.

فتقيأت، وما تقيأت طعاما: دما ولحما عبيطا -أي: طريا- حتى تناصف القدح، ثم أعطاه للثانية ففعلت كذلك، ثم قال: (تصومان عن الحلال -أي: الطعام والشراب- وتفطران على الحرام) ، أي: على غيبة الناس، كانتا تأكلان لحوم الناس، فهذا الدم العبيط واللحم العبيط الذي قاءتاه من الغيبة: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ﴾ [الحجرات:١٢] ، فهما صامتا عن الطعام والشراب، وأكلتا لحوم المسلمين.

إذا: هذا تناقض؛ ولهذا جاء الحديث بالعموم: (من لم يدع قول الزور والعمل به والجهل فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ؛ لأنه لا فائدة له.

وبعض العلماء يقول: الغرض من هذا هو إبطال هذا الصوم وإن أسقط الفرض عنه، ولا نقول: عليه القضاء.

والعجب أن بعض الطوائف -وهم موجودون الآن- يقولون: من كذب على الله أو على رسوله في نهار رمضان فعليه القضاء والكفارة، ومن كذب على أحد من عامة الناس في نهار رمضان فعليه القضاء! ويدينون بذلك نظرا لهذا الحديث: (فليس لله حاجة في أن يدع) ويقولون: أي: ليس له حاجة في صومك، فصومك مردود، ويقولون: الكذب يبطل الصوم، فإن كذب على الخلق فعليه القضاء، وإن كذب على الله أو على رسوله فمع القضاء كفارة.

والله أسأل أن يحفظ لنا صيامنا.." (١)

"شرح سنن أبي داود [٤٩٩]

إن الإنسان مفطور على الخطأ لقول النبي عليه الصلاة والسلام :(كل ابن آدم خطاء) ولكن المطلوب منه أن يبادر بالتوبة من ذلك الخطأ ولا يستأنس له أو يتمادى فيه، بل يتوب، وذلك الذي قال فيه المصطفى عليه الصلاة والسلام: (وخير الخطائين التوابون). وماعز بن مالك والغامدية ضربا مثلا أعلى للبشرية حين أتيا إلى النبي عليه الصلاة والسلام تائبين مستغفرين طالبين إقامة الحد عليهما وتطهيرهما من جريمة الزنا.

تابع ما جاء في رجم ماعز بن مالك

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق عاشرة

---

(١) شرح بلوغ المرام، ٧/١٤٧

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير عن ابن عم أبي هريرة عن أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه زاد: واختلفوا علي، فقال بعضهم: ربط إلى شجرة، وقال بعضهم: وقف]. أورد أبو داود هذه الطريق لحديث رجم ماعز وهي والطريق التي قبلها فيهما عبد الرحمن بن الصامت ابن عم أبي هريرة ، وهو ضعيف، فما كان من حديثه جاء متفقاً مع أحاديث أخرى فيكون له شواهد، وما كان منفرداً به فإنه يضعف به. وقد مر في الحديث السابق ذكر القصة التي ساق متنها مطولاً، وبقي منه ما يتعلق بالطريق الثانية التي فيها ذكر الاختلاف، وأنهم اختلفوا في الهيئة التي كان عليها ماعز بن مالك حين رجم، هل هو قد ربط أو حفر له، أو أنه لم يحصل ربطه؟ وقد سبق أن مر أنه لم يكن مربوطاً ولا محفوراً له، وإنما كان مطلقاً، ولهذا هرب، ولو كان مربوطاً أو محفوراً له لم يتمكن من الهرب، فالصحيح في ذلك أنه كان مطلقاً وأنهم احتوشوه من جميع الجهات يرجمونه بالحجارة وغيرها، وأنه هرب منهم وكان ذلك بالمصلى الذي هو عند البقيع بين المسجد النبوي والبقيع، وهو مصلى الجنائز، وأنه هرب حتى أدركوه بالحرة فتم قتله برميه في الحرة، وقد كان رمي بالمصلى الذي هو عند البقيع، فالبداية كانت عند البقيع والنهاية التي كان بها موته وانتهاء حياته كانت بالحرة، وهنا ذكر أنه حصل الاختلاف في حاله وقت الرجم هل ربط أو وقف؟ والصحيح أنه لم يربط ولم يحفر له، وإنما كان واقفاً ورموه بالحجارة حتى قتلوه في آخر الأمر في الحرة.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق عاشرة

قوله: [حدثنا الحسن بن علي]. هو الحسن بن علي الحلواني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا النسائي . [حدثنا أبو عاصم]. هو الضحاك بن مخلد النبيل ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، كنيته: أبو عاصم ، ولقبه: النبيل ، واسمه: الضحاك بن مخلد ، وهو من كبار شيوخ البخاري الذين روى عنهم الثلاثيات؛ لأن الثلاثيات رواها عن بعض شيوخه وفيهم هذا الذي هو أبو عاصم ، و مكي بن إبراهيم و محمد بن عبد الله المثنى هؤلاء هم الذين روى عنهم الثلاثيات، وإذاً فهو من كبار شيوخه، ولهذا يروي عنه أبو داود بواسطة، ولا يروي عنه مباشرة، وأما البخاري فيروي عنه بلا واسطة، وهو من أتباع التابعين الذين أدركوا التابعين؛ لأن الإسناد الثلاثي الذي عند البخاري صحابي وتابعي وتابع تابعي فأبو عاصم النبيل هو من أتباع التابعين. [حدثنا ابن جريج]. هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: أخبرني أبي الزبير]. هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن عم أبي هريرة]. ابن عم أبي هريرة هو عبد الرحمن بن الصامت، وهو مقبول، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و أبو داود و النسائي . وفيه هذا المقبول، وفيه عنعنة أبي الزبير . [عن أبي هريرة]. هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر أصحابه حديثاً على الإطلاق رضي الله عنه وأرضاه.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق حادية عشرة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني و الحسن بن علي قالا: حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن أبي سلمة عن جابر بن عبد الله : (أن رجلاً من أسلم جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا فأعرض عنه، ثم اعترف فأعرض عنه، حتى شهد على نفسه أربع شهادات فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أبك جنون؟ قال: لا. قال: أحصنت؟ قال: نعم. قال: فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فرجم في المصلى، فلما أذلقته الحجارة فر، فأدرك فرجم حتى مات، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيراً، ولم يصل عليه)]. أورد أبو داود حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما، أن رجلاً من أسلم -وهو ماعز بن مالك الأسلمي - جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم واعترف بالزنا، فأعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم حتى شهد على نفسه أربع شهادات، يعني: كرر ذلك أربع مرات، ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: (أبك جنون؟) يعني: يريد أن يعرف هل هو سليم العقل؟ وأن هذا الاعتراف الذي حصل منه وهو في سلامة من عقله أو أن به جنوناً؟ وهذا من الاحتياط والتوثيق والاطمئنان، ولهذا جاء هنا أنه سأله: (أبك جنون؟)، وسأل قومه عنه: (هل به جنون؟)، وفي بعض الروايات سيأتي أمر من يستنكهه، يعني: يشمه هل فيه رائحة خمر؟ فكونه يسأله: هل به جنون؟ وكونه يستنكهه، وكونه يسأل عنه من يعرفه من قومه: هل به جنون؟ كل ذلك إنما هو احتياط منه؛ لأن الأمر خطير؛ ولأن الأمر يتعلق به رجم، وهي عقوبة من أكبر العقوبات التي جاءت بها الشريعة، وهي الرجم فيمن زنى وهو محصن. ثم إنه بعد ذلك قال: (أحصنت؟) يعني: هل حصل الإحصان؟ وهل أنت متزوج؟ فقال: نعم، فأمر به فرجم؛ لأنه كان أقر على نفسه وهو محصن، فحده الرجم، ومعلوم أن الذي لم يحصن حده جلد مائة وتغريب سنة، والجلد جاء في القرآن في أول سورة النور: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ [النور:٢]، والتغريب جاء في السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قوله: [(فلما أذلقته الحجارة فر، فأدرك فرجم حتى مات، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيراً ولم يصل عليه)]. يعني: فلما أصابته الحجارة بحدها وشعر بالألم هرب من شدة ما أصابه من هذه الحجارة، فأدركوه فقتلوه، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيه خيراً ولم يصل عليه، وجاء في عدة روايات أنه لم يصل عليه، لكنه ما منع الصلاة عليه، ومعلوم أن ترك الصلاة على من ارتكب أمراً محرماً من أجل التخويف، ومن أجل زجر غيره، بحيث يعرف أن من له شأن ومكانة ومنزلة يتخلف عن الصلاة عليه؛ فيفوته شفاعته والصلاة عليه، يعني: هذا أمر خطير وليس بالهين، فيحرص الناس على ألا يقعوا في مثل هذا الذي وقع فيه؛ حتى لا تفوتهم تلك الشفاعة التي هي شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وكذلك غيره ممن يحرص على أن يكون من المصلين على الجنازة، فإذا امتنع أمثال هؤلاء عن الصلاة على العاصي من أجل أن يكون في ذلك ردع وزجر وتخويف، فذلك فيه اقتداء بالرسول صلى الله عليه وسلم. وجاء في بعضها أنه صلى عليه، وقد صلى على المرأة فيكون معنى ذلك أن الإمام له أن يصلي وله ألا يصلي، والذي له منزلة له أن يصلي وله ألا يصلي، ولكن حيث يترتب على ذلك مصلحة وفائدة، وهو أن الناس يحذرون من الوقوع في الأمر المحرم.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق حادية عشرة

قوله: [حدثنا محمد بن المتوكل العسقلاني]. محمد بن المتوكل العسقلاني هو ابن أبي السري ، وهو صدوق له أوهام كثيرة،

أخرج له أبو داود . [و الحسن بن علي]. الحسن بن علي مر ذكره، وهو قرين لهذا العسقلاني ؛ لأن كلاً منهما شيخ لأبي داود . [قالا: حدثنا عبد الرزاق]. هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا معمر]. هو معمر بن راشد الأزدي البصري ثم اليماني، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الزهري]. هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب الزهري ، وهو ثقة فقيه، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي سلمة]. هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف المدني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن جابر بن عبد الله]. هو جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، وهو صحابي جليل، أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثانية عشرة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أبو كامل حدثنا يزيد -يعني ابن زريع – قال: ح وحدثنا أحمد بن منيع عن يحيى بن زكريا وهذا لفظه عن داود عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال: (لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم برجم ماعز بن مالك خرجنا به إلى البقيع، فوالله ما أوثقناه ولا حفرنا له، ولكنه قام لنا. قال أبو كامل قال: فرميناه بالعظام والمدر والخزف، فاشتد واشتددنا خلفه حتى أتى عرض الحرة فانتصب لنا فرميناه بجلاميد الحرة حتى سكت قال: فما استغفر له ولا سبه)]. أورد أبو داود حديث أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه، أن ماعز بن مالك رضي الله عنه لما زنى وأمر النبي صلى الله عليه وسلم برجمه خرجوا به إلى البقيع، وقد جاء في بعض الروايات أنه المصلى، ولا تنافي بين ذلك كما أشرت لذلك من قبل؛ لأن البقيع المقصود به قرب البقيع وليس في المقبرة، وإنما هو في المصلى، ومعلوم أنه قد يطلق على الشيء اسم ما يكون عنده وإن لم يكن فيه، واللفظ الآخر جاء في المصلى الذي هو ليس في البقيع وإنما هو دون البقيع، فرجموه هناك؛ فهرب. قوله: [(فرميناه بالعظام والمدر والخزف)]. وهذا يدل على أن الرمي بالحجارة ليس بمتعين، وأنه لا يرمى إلا بها، بل يمكن أن يرمى بغير ذلك، كما رموه بالحجارة وبالخزف -وهو: الطين المتحجر الذي أحرق حتى صار فخاراً- وكذلك رموه بالمدر الذي هو عبارة عن طين يابس، فيرمونه بما أمكنهم، فتعين على أن الرمي لا يكون خاصاً بالحجارة بل يكون بالعظام وغيرها. قوله: [(فاشتد واشتددنا خلفه حتى أتى عرض الحرة فانتصب لنا)]. (فاشتد) يعني: أسرع هارباً (واشتدوا خلفه) يعني: أسرعوا وراءه يتبعونه حتى أدركوه بالحرة (فانتصب لهم) يعني: وقف فرموه بأحجار الحرة (حتى سكت) يعني: حتى مات، وبهذا يتبين أن ما جاء في بعض الروايات من ذكر المصلى، والبقيع، والحرة، أنه لا تنافي بين ذلك، فبالنسبة للبقيع والمصلى المعنى واحد؛ لأن المصلى بجوار البقيع، وبالنسبة للحرة لم يكن بدئ الرمي بالحرة وإنما هرب إلى الحرة فأدركوه بها، فكان بدء الرمي في المصلى، ونهايته في الحرة، فما جاء بأنه كان بالحرة العبرة بالنهاية، وما كان في المصلى فالمعتبر البداية.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثانية عشرة

قوله: [حدثنا أبو كامل]. هو الفضيل بن حسين الجحدري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم و أبو داود و النسائي . [حدثنا يزيد -يعني ابن زريع –]. يزيد بن زريع ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ح وحدثنا أحمد بن

منيع]. أحمد بن منيع ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن يحيى بن زكريا]. هو يحيى بن زكريا بن أبي زائدة ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [وهذا لفظه عن داود]. (وهذا لفظه) يعني: الطريق الثاني هو لفظ يحيى بن زكريا . و داود بن أبي هند ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي نضرة]. هو المنذر بن مالك بن قطعة ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن أبي سعيد]. هو أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، واسمه: سعد بن مالك بن سنان ، صحابي جليل، وهو أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثالثة عشرة، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مؤمل بن هشام حدثنا إسماعيل عن الجريري عن أبي نضرة قال: (جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وليس بتمامه، قال: ذهبوا يسبونه فنهاهم، قال: ذهبوا يستغفرون له فنهاهم، قال: هو رجل أصاب ذنباً حسيبه الله)]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى وهو مرسل، وفيه: (ذهبوا يسبونه فنهاهم، وذهبوا يستغفرون له فنهاهم وقال: إنه أصاب ذنباً حسيبه الله)، ولكن هذا مرسل ليس بمتصل؛ لأن أبا نضرة لم يدرك النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا زيادة بطريق مرسلة. قوله: [حدثنا مؤمل بن هشام]. مؤمل بن هشام ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و النسائي . [حدثنا إسماعيل]. هو إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم المشهور بابن علية نسبة إلى أمه، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن الجريري]. هو سعيد بن إياس الجريري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن أبي نضرة]. أبو نضرة قد مر ذكره.

شرح حديث (أن النبي استنكه ماعزاً)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن أبي بكر بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يعلى بن الحارث حدثنا أبي عن غيلان عن علقمة بن مرثد عن ابن بريدة عن أبيه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم استنكه ماعزاً)]. أورد أبو داود حديث بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه: (أن النبي صلى الله عليه وسلم استنكه ماعزاً) يعني: أنه أمر من يستنكهه ويشمه ليعرف هل شرب خمراً؟ لأنه سبق وأن سأله: هل هو مجنون؟ ثم سأل قرابته وقومه: هل هو مجنون؟ وكل ذلك للتحقق من سلامته، وصحة عقله، وأن هذا الاعتراف حصل مع صحة عقل وليس باختلال العقل.

تراجم رجال إسناد حديث (أن النبي استنكه ماعزاً)

قوله: [حدثنا محمد بن أبي بكر بن أبي شيبة]. هو محمد بن أبي بكر بن أبي شيبة ، وهو ثقة، أخرج له أبو داود ، والحافظ ابن حجر ما حكم عليه، ولكن أبو الأشبال وضعها بين قوسين وزادها وقال: كان في أمنية الحافظ أن يكتب ترجمته فقال في ترجمته: يأتي، ولكن نسي أن يكتبها فكتبناها حسب أمنيته، وقال محمد عوامة : محمد بن أبي بكر بن أبي شيبة ، وهو الذي في التحفة، وهو الذي يساعد عليه رموز المزي في ترجمته محمد هذا، وترجمة يحيى بن يعلى في التهذيب، بل هو الذي

يستفاد من ترجمتهما في تهذيب التهذيب أيضاً، و محمد بن أبي بكر هذا قال عنه في الكاشف: لا يكاد يعرف، وكون أبي داود لا يروي إلا عن ثقة لا يسمح بتوثيقه كما فعل من عبث بتقريب التهذيب، وانظر ما كتبته في دراسات الكاشف، أما قول صاحب الخلاصة: موثق فقد يقبل منه على تجوز أيضاً. لأنه لا يوجد لا في تهذيب الكمال ولا في تهذيب التهذيب شيء يفيد التوثيق. وعلى كل: الشيخ ناصر صحح الحديث، لكن الاستنكاه لعله له شواهد، وجاء في مسلم بطوله وفيه: (فقام رجل فاستنكهه). [حدثنا يحيى بن يعلى بن الحارث]. يحيى بن يعلى بن الحارث ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [حدثنا أبي]. هو يعلى بن الحارث ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [عن غيلان]. هو ابن جامع ، وهو ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن علقمة بن مرثد]. علقمة بن مرثد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن بريدة]. هو سليمان بن بريدة ، وهو ثقة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [عن أبيه]. هو بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه، وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وما له إلا حديث واحد عند أبي داود .

شرح حديث بريدة (كنا أصحاب رسول الله نتحدث أن الغامدية وماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي حدثنا أبو أحمد حدثنا بشير بن مهاجر حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: (كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نتحدث أن الغامدية و ماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهما، أو قال: لو لم يرجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما وإنما رجمهما عند الرابعة)]. أورد أبو داود حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه، قال: (كنا أصحاب رسول الله نتحدث أن الغامدية و ماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهما أو قال: لو لم يرجعا بعد اعترافهما)]. يعني: شك في أنهما لو لم يرجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما، يعني: هذا مثلما تقدم فيما مضى أن الرسول قال: (هلا تركتموه)، وليس المقصود من ذلك أنه يخلى سبيله، وإنما المقصود من ذلك أنه إن رجع عن اعترافه فإنه يقبل رجوعه، وكذلك أيضاً قد يكون عنده شبهة يذكرها فيعول على ذلك كما سبق أن مر، وقد سبق كلام الصحابي الذي قال: إن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما قال: (هلا تركتموه؟) من أجل الاستثبات، وأما في ترك الحد فلا، يعني: ليس معنى ذلك أنه ليس عليه حد، وإنما المقصود من ذلك أنه إن رجع عن اعترافه أو ذكر شبهة تدرأ عنه الحد فيقبل منه ذلك. قوله: [(وإنما رجمهما عند الرابعة)]. يعني: بعد الاعتراف في المرة الرابعة، وهذا ضعفه الألباني ولعله بسبب بشير بن المهاجر الذي في إسناده. والغامدية سيأتي أنها قالت له: (لا ترددني كما رددت ماعزاً فإني حبلى). فالترداد بالنسبة لها قد حصل، ولكنها طلبت منه ألا يفعل كما فعل بماعز لكن هل بلغت أربعاً؟ لا ندري!

تراجم رجال إسناد حديث بريدة (كنا أصحاب رسول الله نتحدث أن الغامدية وماعز بن مالك لو رجعا بعد اعترافهما لم يطلبهما...)

قوله: [حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي]. أحمد بن إسحاق الأهوازي صدوق، أخرج له أبو داود . [حدثنا أبو أحمد]. هو أبو أحمد محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا بشير بن مهاجر

]. بشير بن مهاجر صدوق لين الحديث، أخرج له مسلم وأصحاب السنن. [حدثني عبد الله بن بريدة عن أبيه]. عبد الله بن بريدة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وأبوه مر ذكره.

شرح حديث الرجل الذي اعترف بنسبة ولد الزنا إليه

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عبدة بن عبد الله و محمد بن داود بن صبيح قال عبدة : أخبرنا حرمي بن حفص قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز أن خالد بن اللجلاج حدثه: أن اللجلاج أباه أخبره : (أنه كان قاعداً يعتمل في السوق فمرت امرأة تحمل صبياً فثار الناس معها وثرت فيمن ثار، فانتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول: من أبو هذا معك؟ فسكتت فقال شاب حذوها: أنا أبوه يا رسول الله! فأقبل عليها فقال: من أبو هذا معك؟ قال الفتى: أنا أبوه يا رسول الله! فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض من حوله يسألهم عنه فقالوا: ما علمنا إلا خيراً، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أحصنت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم، قال: فخرجنا به فحفرنا له حتى أمكنا، ثم رميناه بالحجارة حتى هدأ، فجاء رجل يسأل عن المرجوم فانطلقنا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: هذا جاء يسأل عن الخبيث، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لهو أطيب عند الله من ريح المسك، فإذا هو أبوه فأعناه على غسله وتكفينه ودفنه، وما أدري قال: والصلاة عليه أم لا؟) وهذا حديث عبدة وهو أتم]. أورد أبو داود حديث اللجلاج صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان في السوق، وأنه مرت امرأة فثار الناس وثار معهم -يعني: تبعوها- فلما جاءوا عند النبي صلى الله عليه وسلم قال لها: (من أبو هذا معك؟ فسكتت) فسكتت ولم تجب شيئاً، فقام فتى وقال: أنا، يعني: هو الذي فعل ذلك، ثم أعاد السؤال مرة أخرى فأعاد ذلك الفتى الجواب، وأنه هو أبوه، وهنا ليس المقصود من ذلك الأبوة الشرعية، وإنما معناه أنه متخلق من مائه، فليست أبوة شرعية؛ لأن الزاني لا يكون أباً للولد من الزنا، وإنما يتخير له نسباً بأن يقال: فلان ابن عبد الله أو ابن عبد الرحمن أو ابن عبد العزيز أو غير ذلك، وإلا فإنه لا ينسب إليه، ولا يحصل الزاني ولداً بزناه، وإنما يحصل الخيبة ويحصل الحجر، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (وللعاهر الحجر). قوله: [(فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بعض من حوله يسألهم عنه فقالوا: ما علمنا إلا خيراً)]. يعني: المقصود به الاستثبات أبه جنون أو كذا؟ قالوا: ما علمنا به إلا خيراً. قوله: [(فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أحصنت؟ قال: نعم. فأمر به فرجم)]. فالرسول صلى الله عليه وسلم قال له: (أحصنت؟)، قال: نعم فأمر به فرجم. قوله: [(فخرجنا به فحفرنا له حتى أمكنا)]. (حتى أمكنا) يعني: أمكنا رميه، وهذا يخالف ما جاء فيما تقدم في قصة ماعز أنه قال: (والله ما حفرنا له وإنما قام لنا فضربناه بالخزف وكذا حتى أذلقته الحجارة فهرب فأدركناه بالحرة) فهذا فيه أنهم حفروا له، والمعروف أن الحفر يكون للنساء؛ لأنهن يحتجن إلى الستر بخلاف الرجل فإنه لا يحتاج إلى ذلك. قوله: [(ثم رميناه بالحجارة حتى هدأ)]. يعني: حتى مات. قوله: [(فجاء رجل يسأل عن المرجوم؟ فانطلقنا به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا: هذا جاء يسأل عن الخبيث)]. فجاء رجل يسأل عن المرجوم، فأتوا به النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا: جاء يسأل عن الخبيث، فالرسول صلى الله عليه وسلم أنكر عليهم قولهم ذلك وقال: إنه عند الله ريحه كريح المسك. قوله: [(لهو أطيب عند الله من ريح المسك)]. يعني: إن تلك الجناية التي قد حصلت منه قد سلم منها، وأنه قد طهر من ذلك الذي وقع فيه فلا

يؤاخذ عليه مرة أخرى، وهذا ثناء عليه. قوله: [(فإذا هو أبوه)]. يعني: كان ذلك الرجل الذي يسأل عنه هو أبوه. قوله: [(فأعناه على غسله وتكفينه ودفنه، وما أدري قال: والصلاة عليه أم لا؟)]. يعني: قاموا مع أبيه بهذه الأمور التي هي غسله وتكفينه ودفنه، والصلاة عليه مشكوك فيها، ولكن كما هو معلوم كل من مات مسلماً فإنه يصلى عليه، ولكن ترك الصلاة عليه من بعض الناس الذين يؤثر تركهم للصلاة عليه ينبغي أن يحصل في بعض الأحيان؛ لما في ذلك من الزجر اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يترك الصلاة أحياناً على بعض أصحاب المعاصي، وذلك للزجر من الوقوع في مثل تلك المعصية.

تراجم رجال إسناد حديث الرجل الذي اعترف بنسبة ولد الزنا إليه

قوله: [حدثنا عبدة بن عبد الله]. هو عبدة بن عبد الله الصفار ، وهو ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [و محمد بن داود بن صبيح]. محمد بن داود بن صبيح ثقة، أخرج له أبو داود و النسائي . [قال عبدة : أخبرنا حرمي بن حفص]. حرمي بن حفص ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و النسائي . [قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن علاثة]. محمد بن عبد الله بن علاثة صدوق يخطئ، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز]. عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز صدوق يخطئ، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أن خالد بن اللجلاج حدثه]. خالد بن اللجلاج صدوق، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن أبيه]. هو اللجلاج، وهو صحابي، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و أبو داود و الترمذي و النسائي . قوله: [وهذا حديث عبدة وهو أتم]. يعني: ليس حديث الشيخ الثاني الذي هو محمد بن داود ، وهو في أول الإسناد قال عبدة : كذا.

إيراد حديث الغامدية وماعز من صحيح مسلم

وهذا الحديث في صحيح مسلم ، يقول الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه: حدثنا محمد بن العلاء الهمداني حدثنا يحيى بن يعلى –وهو ابن الحارث المحاربي – عن غيلان –وهو ابن جامع المحاربي – عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: (جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله! طهرني فقال: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال: فرجع غير بعيد، ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ويحك ارجع فاستغفر الله وتب إليه، قال: فرجع غير بعيد ثم جاء فقال: يا رسول الله! طهرني فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك، حتى إذا كانت الرابعة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: فيم أطهرك؟ قال: من الزنا قال: فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبه جنون؟ فأخبر أنه ليس بمجنون فقال: أشرب خمراً؟ فقام رجل فاستنكهه فلم يجد منه ريح خمر، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أزنيت؟ فقال: نعم. فأمر به فرجم، وكان الناس فيه فرقتين، قائل يقول: لقد هلك لقد أحاطت به خطيئته وقائل يقول: ما توبة أفضل من توبة ماعز ، إنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده في يده، ثم قال: اقتلني بالحجارة، قال: فلبثوا في ذلك يومين أو ثلاثة، ثم جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم جلوس فسلم ثم جلس فقال: استغفروا لماعز بن مالك قال: فقالوا: غفر الله لماعز بن مالك قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لقد تاب

توبة لو قسمت بين أمة لوسعتهم، قال: ثم جاءته امرأة من غامد من الأزد فقالت: يا رسول الله! طهرني فقال: ويحك ارجعي فاستغفري الله وتوبي إليه فقالت: أراك تريد أن ترددني كما رددت ماعز بن مالك قال: وما ذاك؟ قالت: إنها حبلى من الزنا فقال: آنت؟ قالت: نعم. فقال لها: حتى تضعي ما في بطنك قال: فكفلها رجل من الأنصار حتى وضعت، قال: فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: قد وضعت الغامدية فقال: إذاً لا نرجمها وندع ولدها صغيراً ليس له من يرضعه، فقام رجل من الأنصار فقال: إلي رضاعه يا نبي الله! قال: فرجمها). وهذا ليس فيه ذكر أنه حصل التكرار معها، وإنما الاعتراف الذي هو إخبار عن الحبل من الزنا.

شرح حديث الرجل الذي اعترف بنسبة ولد الزنا إليه من طريق ثانية، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد ح وحدثنا نصر بن عاصم الأنطاكي حدثنا الوليد جميعاً قالا: حدثنا محمد ، وقال هشام : محمد بن عبد الله الشعيثي عن مسلمة بن عبد الله الجهني عن خالد بن اللجلاج عن أبيه رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم ببعض هذا الحديث]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى، وأشار إلى أن الحديث من هذه الطريق الثانية كان ببعض لفظ الحديث الأول، ومعناه أن الطريق الأولى التي ساقها أتم. قوله: [حدثنا هشام بن عمار]. هشام بن عمار صدوق، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [حدثنا صدقة بن خالد]. صدقة بن خالد ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [ح وحدثنا نصر بن عاصم الأنطاكي]. نصر بن عاصم الأنطاكي لين الحديث، أخرج له أبو داود . [حدثنا الوليد]. هو الوليد بن مسلم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [جميعاً قالا: حدثنا محمد وقال هشام : محمد بن عبد الله الشعيثي]. محمد بن عبد الله الشعيثي صدوق، أخرج له أصحاب السنن. [عن مسلمة بن عبد الله الجهني]. مسلمة بن عبد الله الجهني مقبول، أخرج له أبو داود و النسائي و ابن ماجة . [عن خالد بن اللجلاج عن أبيه]. خالد بن اللجلاج وأبوه قد مر ذكرهما.

شرح حديث (أن رجلاً أتى النبي فأقر عنده أنه زنى بامرأة سماها له...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا طلق بن غنام حدثنا عبد السلام بن حفص حدثنا أبو حازم عن سهل بن سعد : (عن النبي صلى الله عليه وسلم: أن رجلاً أتاه فأقر عنده أنه زنى بامرأة سماها له، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فسألها عن ذلك، فأنكرت أن تكون زنت فجلده الحد وتركها)]. أورد أبو داود حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه. قوله: [(أن رجلاً أتاه فأقر عنده أنه زنى بامرأة سماها له)]. أنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأقر أنه زنى بامرأة سماها له، فالرسول أرسل إليها فأنكرت فجلده وتركها. قوله: [(فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المرأة فسألها عن ذلك، فأنكرت أن تكون زنت؛ فجلده الحد وتركها)]. يعني: جلده الحد لأنه بكر وليس ثيباً فكان حده الجلد، ومعلوم أن التغريب يكون معه أيضاً، وتركها لأنها لم تعترف، ولم يكن هناك شهود.

تراجم رجال إسناد حديث (أن رجلاً أتى النبي فأقر عنده أنه زنى بامرأة سماها له...)

قوله: [حدثنا عثمان بن أبي شيبة]. عثمان بن أبي شيبة ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي و النسائي فقد أخرج له في عمل اليوم والليلة. [عن طلق بن غنام]. طلق بن غنام ثقة، أخرج له البخاري وأصحاب السنن. [حدثنا عبد السلام بن حفص]. عبد السلام بن حفص وثقه ابن معين ، أخرج له أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا أبو حازم]. هو سلمة بن دينار الأعرج ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سهل بن سعد]. هو سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة.

شرح حديث (أن رجلاً زنى بامرأة فأمر به النبي فجلد الحد...)

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا قتيبة بن سعيد قال: حدثنا ح وحدثنا ابن السرح المعنى قال: أخبرنا عبد الله بن وهب عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر: (أن رجلاً زنى بامرأة فأمر به النبي صلى الله عليه وسلم فجلد الحد، ثم أخبر أنه محصن فأمر به فرجم)]. أورد أبو داود حديث جابر رضي الله عنه: (أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبر أنه زنى، فجلده، ثم أخبر بأنه أحصن فرجمه)، معناه: أنه جلده أولاً ورجمه ثانياً، وهذا فيه أبو الزبير عن جابر وهو مدلس، وفيه نكارة من جهة أن كونه جلده، وبعد ذلك أخبر أنه رجمه، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يقيم الحد إلا بعد معرفة حال الشخص؛ لأنه كما سبق في بعض الأحاديث يسأل الشخص: هل أحصنت؟ يعني: إذا أخبر بأنه زنى فإنه لا يحكم فيه حتى يعرف أن حده الجلد أو الرجم، وإنما ذلك يمكن أن يصح إذا كان هو كذب وزعم أنه غير محصن، ثم بعد ذلك أخبر بأنه محصن أو ثبت أنه محصن فيتصور هذا، أما بالنسبة للرسول صلى الله عليه وسلم فلا يتصور أنه يقيم عليه الحد وهو لا يعرف حاله، وإنما كما عرف من طريقته صلى الله عليه وسلم أنه يسأل عن الشخص هل هو محصن أو غير محصن؟ فإن كان محصناً أمر برجمه، وإن كان غير محصن أمر بجلده، والحديث ضعفه الألباني ، ولعل ذلك بسبب أبي الزبير عن جابر ، فهو مدلس وقد رواه بالعنعنة.

تراجم رجال إسناد حديث (أن رجلاً زنى بامرأة فأمر به النبي فجلد الحد...)

قوله: [حدثنا قتيبة بن سعيد]. قتيبة بن سعيد ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: حدثنا ح وحدثنا ابن السرح]. هو أحمد بن عمرو بن السرح ، وهو ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي و ابن ماجة ، وهنا ذكر التحويل مع أنه ما ذكر إلا شيخين لاختلاف الصيغة، فإن قتيبة عبر بحدثنا و ابن السرح عبر بأخبرنا، ولهذا أتى بحاء التحويل، وهذا كما عرفنا قد مر له نظائر كثيرة، وهو يدل على عناية المحدثين ودقتهم وحرصهم على الإتيان بالصيغ التي يأتي بها الرواة. [أخبرنا عبد الله بن وهب]. عبد الله بن وهب ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن جريج عن أبي الزبير]. عبد الملك بن جريج المكي ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. و أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس مر ذكره. [عن جابر]. جابر مر ذكره، وفيه عنعنة أبي الزبير و ابن جريج .

شرح حديث (أن رجلاً زنى بامرأة فأمر به النبي فجلد الحد...) موقوفاً من طرق أخرى، وتراجم رجال إسناده

[قال أبو داود : روى هذا الحديث محمد بن بكر البرساني عن ابن جريج موقوفاً على جابر]. ثم ذكر أنه روي من طرق أخرى وفيها اختلاف، يعني: الذي مر جاء مرفوعاً، وهنا جاء موقوفاً على جابر . [ورواه أبو عاصم عن ابن جريج بنحو ابن وهب لم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن رجلاً زنى فلم يعلم بإحصانه فجلد، ثم علم بإحصانه فرجم)]. وهذا أيضاً فيه وقف. [قال أبو داود : روى هذا الحديث محمد بن بكر البرساني]. محمد بن بكر البرساني صدوق قد يخطئ، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [ورواه أبو عاصم عن ابن جريج]. أبو عاصم مر ذكره ، و ابن جريج مر ذكره.

شرح حديث (أن رجلاً زنى بامرأة فلم يعلم بإحصانه فجلد، ثم علم بإحصانه فرجم) من طريق أخرى

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز أخبرنا أبو عاصم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر : (أن رجلاً زنى بامرأة فلم يعلم بإحصانه، فجلد ثم علم بإحصانه فرجم)]. أورد الحديث من طريق أخرى، قال: (لم يعلم بإحصانه فجلد، ثم علم بإحصانه فرجم) وهذا كما قلت: لعله كذب بزعمه أنه غير محصن، فأقيم عليه الحد الأول، ثم لما علم إحصانه أقيم عليه الحد الثاني، ولكن الإسناد هو نفس الإسناد الأول، ففيه ابن جريج و أبو الزبير ، وكل منهما قد عنعن.

تراجم رجال إسناد حديث (أن رجلاً زنى بامرأة فلم يعلم بإحصانه فجلد، ثم علم بإحصانه فرجم) من طريق أخرى

قوله: [حدثنا محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز]. محمد بن عبد الرحيم أبو يحيى البزاز الملقب: صاعقة ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [عن أبي عاصم عن ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر]. وقد مر ذكرهم جميعاً.

الأسئلة

سبب ذكر أحاديث في ترجمة ماعز بن مالك لم يرد ذكره فيها

السؤال: ذكر المصنف: باب رجم ماعز بن مالك بينما الأحاديث الأخيرة لم ترد في ذكره؟ الجواب: كأنه أتى بها تبعاً؛ لأن أكثر الأحاديث جاءت في ماعز وتلك جاءت تبعاً.

ذكر شواهد حديث (والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها)

السؤال: هل وردت شواهد للحديث الأول الذي فيه عبد الرحمن بن الصامت ابن عم أبي هريرة في قوله: (والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها) ؟ الجواب: بعض الحديث له شواهد، فالذي له شواهد العبرة بالشواهد، والذي

ليس له شواهد يكون جاء عن طريق هذا الشخص الذي هو مقبول.

جواز الاستدلال بحديث (انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار...) على ذم الغيبة

السؤال: هل يجوز الاستدلال على ذم الغيبة بحديث: (انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه)؟ الجواب: كما هو معلوم الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولكن جاء في القرآن: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات:١٢] يعني: ذم الغيبة جاء في القرآن، وهذا المعنى الذي جاء فيه موجود في القرآن، إلا أن هذا جيفة حمار، وذاك أكل الميت.

كيفية تغريب المرأة البكر إذا زنت

السؤال: الزانية غير المحصنة هل تغرب عاماً بعد جلدها؟ الجواب: أي نعم، تغرب ومعها وليها.

حكم تعدد ألفاظ أحاديث ماعز بن مالك

السؤال: وردت أحاديث متعددة في ماعز بن مالك ، فهل كل هذه الألفاظ عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أم هو لفظ واحد؟ الجواب: معلوم أنه كغيره من الأحاديث الكثيرة يختلف باختلاف الرواة، فبعضها روي بالمعنى، وبعضها باللفظ، فكل أتى بما عنده، وهذا له شواهد كثيرة مثل قصة جابر ، وما جاء فيها من اختلاف كثير، وكل ذلك على اختلاف الرواة، وأيضاً من حيث الرواية بالمعنى، فمعلوم أن الرواية بالمعنى سائغة، وإن كان الإتيان باللفظ هو المطلوب الذي لا ينبغي العدول عنه؛ لأن كلام الرسول صلى الله عليه وسلم إذا عرف على حقيقته ولفظه فيعض عليه بالنواجذ، وتعقد عليه الخناصر، ويحرص عليه ويحافظ عليه، ولكن إذا تمكن الإنسان من معرفة المعنى ولم يتمكن من حفظ اللفظ فإنه يروي بالمعنى؛ لأن المقصود هو إثبات الشريعة وإثبات ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم، فالذي لم يتمكن من حفظ لفظه وعرف معناه وأتقنه فإنه يؤتى به بالرواية بالمعنى.

ترجيح عدم صلاة النبي على ماعز بن مالك

السؤال: ذكرتم أنه جاءت الرواية بالصلاة على ماعز والرواية بعدم الصلاة عليه، فما الراجح؟ الجواب: الألباني ذكر أن رواية الصلاة عليه جاءت في البخاري وقال: إنها شاذة، وكأن رواية الذين ذكروا أنه لم يصل عليه أكثر. وما جاء في البخاري هو قوله: (فقال له النبي صلى الله عليه وسلم خيراً وصلى عليه) ثم قال بعدها: ولم يقل يونس و ابن جريج عن الزهري : وصلى عليه، سئل أبو عبد الله هل قوله: فصلى عليه يصح أم لا؟ قال: رواه معمر ، قيل له: هل رواه غير معمر ؟ قال: لا. انتهى.

وقال الألباني رحمه الله: رواه البخاري و مسلم ، إلا أن البخاري قال: (وصلى عليه) وهي شاذة، فهل معمر لا يقوى على تحمل هذه الزيادة؟ لا أدري، ولكن لعله لكثرة الذين نفوا الصلاة عليه، وفي الجملة فالصلاة غير منفية؛ لأن كل مسلم يصلى عليه، ومعلوم أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك الصلاة في بعض الأحيان على بعض أصحاب المعاصي، بل وعلى صاحب الدين.

ورود الصلاة على الغامدية في بعض الروايات

السؤال: هل ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على الغامدية ؟ الجواب: ورد في الحديث: (ثم أمرهم فصلوا عليها، فقال عمر : يا رسول الله! تصلي عليها وقد زنت؟ قال: والذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم) فإذاً: هو صلى عليها.

الحكمة في الصلاة على الغامدية دون ماعز بن مالك

السؤال: ورد أن ماعزاً محصن والغامدية محصنة، فلماذا صلى عليها وترك الصلاة على ماعز ؟ الجواب: لعله والله أعلم أنه في بعض الأحيان يترك من أجل الزجر.

التعليق على ما ذكره صاحب عون المعبود من إثبات رواية الصلاة على ماعز

السؤال: ذكر صاحب العون رواية في إثبات أن الرسول صلى الله عليه وسلم صلى عليه في اليوم الثاني يقول: وفي رواية البخاري : (وصلى عليه)، وقد أخرجه عبد الرزاق أيضاً وهو في السنن لأبي قرة من وجه آخر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في قصة ماعز قيل: (يا رسول الله! أتصلي عليه؟ قال: لا. قال: فلما كان من الغد قال: صلوا على صاحبكم، فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم والناس). فهذا الخبر يجمع الاختلاف فتحمل رواية النفي على أنه لم يصل عليه حين رجم؟ الجواب: إذا ثبت الإسناد عند عبد الرزاق فيمكن أن يصير هناك جمع بين النفي والإثبات. وهو يقول: وقد أخرجه عبد الرزاق أيضاً وهو في السنن لأبي قرة من وجه آخر عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف في قصة ماعز . ولا أدري ما المقصود بالسنن هذه؟ وأبو قرة موسى بن طارق الزبيدي بفتح الزاي القاضي، ثقة يغرب، من التاسعة، أخرج له النسائي ، فهو متأخر، فلا ندري هل حديثه موجود عند النسائي أو عند الترمذي لكن هذا أو هذا، أو أنه له مؤلف السنن؟!

حكم اليتيم بعد الاحتلام

السؤال: في الحديث أن ماعزاً كان في حجر رجل من الصحابة فهل كان يتيماً؟ الجواب: كأنه كان في حجره في صغره ثم

كبر وصار الوصف باعتبار ما مضى، وأما إذا بلغ فلا يتم بعد احتلام.

حكم إقامة الحد على المحصن برميه بالرصاص

السؤال: الزاني المحصن لابد أن يقام عليه الحد بالرمي بالحجارة فلو قتله الحاكم بالسيف أو بالرصاص ألا يكون قد أقام عليه الحد؟ الجواب: الواجب هو فعل ما جاء في الكتاب من الآية المنسوخة، وجاء في السنة الثابتة من وجوه كثيرة أنه إنما يقتل بطريقة معينة، فيجب أن يؤتى بالطريقة المعنية الواردة.

حكم سب من فعل كبيرة من الكبائر

السؤال: هل في الحديث دليل على أنه لا يجوز سب من ارتكب الكبائر؟ الجواب: الذي أقيم عليه الحد لا يسب بتلك المعصية التي أقيم عليه فيها الحد؛ لأن الحد كفرها وصار كأنه لم يفعلها، وأما من كان مرتكباً للكبائر وذكر من أجل التحذير منه أو من أجل بيان حاله في أمر من الأمور فلا بأس بذلك، والحدود -كما عرفنا- عند أهل السنة جوابر وزواجر، كما جاء في حديث عبادة بن الصامت : (من فعل شيئاً من ذلك فأقيم عليه الحد كان كفارة له، ومن ستره الله فكان أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه).

حكم المرأة التي فعل بها الزنا

السؤال: في الحديث أن ماعزاً أقيم عليه الحد، والمرأة التي فعل بها ذلك هل يقام عليها الحد؟ الجواب: إذا اعترفت يقام عليها الحد، وأما إذا أنكرت فلا يقام عليها الحد، مثل ما مر بنا في قصة الرجل الذي قال: إنه زنى فقال: بمن زنيت؟ فقال: بفلانة، فأرسل إليها فأنكرت، فجلده وتركها، فهي إذا اعترفت أقيم عليها الحد وإن أنكرت يؤاخذ هو باعترافه وهي يعمل بإنكارها حيث لا بينة ولا اعتراف.

حكم ربط الزاني المحصن عند الرجم

السؤال: هل يربط الرجل عند الرجم؟ الجواب: الذي يظهر أنه لا يربط؛ لأنه كما جاء في الحديث أنهم ما ربطوه وإنما حفروا له حفرة، فرموه وهرب، وإنما الحفر خاص بالمرأة."
". (١)

(١) شرح سنن أبي داود - عبدالمحسن العباد، ص/٢

"شرح سنن أبي داود [٤٩٨]

ماعز بن مالك الأسلمي صحابي من صحابة رسول الله، زلت قدمه في معصية وكبيرة من كبائر الذنوب، وهي الزنا، ولكنه لم تهدأ نفسه حتى جاء إلى رسول الله تائباً معترفاً بجريرته، وأبى إلا أن يطهره رسول الله بإقامة الحد عليه، فأمر به رسول الله فرجم فمات تائباً رضي الله تعالى عنه.

ما جاء في رجم ماعز بن مالك

شرح حديث رجم ماعز بن مالك

قال المصنف رحمه الله تعالى: [باب رجم ماعز بن مالك. حدثنا محمد بن سليمان الأنباري حدثنا وكيع عن هشام بن سعد قال: حدثني يزيد بن نعيم بن هزال عن أبيه قال: (كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر أبي فأصاب جارية من الحي فقال له أبي: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنعت لعله يستغفر لك، وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجاً، فأتاه فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله، حتى قالها أربع مرار، قال صلى الله عليه وسلم: إنك قد قلتها أربع مرات فبمن؟ قال: بفلانة، فقال: هل ضاجعتها؟ قال: نعم. قال: هل باشرتها؟ قال: نعم. قال: هل جامعتها؟ قال: نعم. قال: فأمر به أن يرجم، فأخرج به إلى الحرة، فلما رجم فوجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد، فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه، فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله، ثم أتي النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه)]. سبق لأبي داود رحمه الله أن أورد قبل هذا باب الرجم، وأورد جملة من الأحاديث المختلفة المتعددة عن جماعة من الصحابة في بيان الرجم وحكمه، وأنه ثابت في كتاب الله في القرآن الذي نسخ لفظه وبقي حكمه، وكذلك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله وفعله في قضايا متعددة، ولما كان من جملة من اشتهر في الرجم ماعز رضي الله عنه وكذلك الغامدية رضي الله عنها، فقد أفرد كلاً منهما بترجمة، وأورد الأحاديث المختلفة المتعلقة بما حصل منهما وكذلك رجمهما، وما جرى من الأمور التي حصلت قبل ذلك وبعد ذلك. فقال: [باب رجم ماعز بن مالك] أي: ما ورد فيه من الأحاديث، وقد أورد أبو داود عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة كلها تحكي قصة رجم ماعز رضي الله تعالى عنه، وما جرى قبل رجمه من اعترافه وطلب تطهيره، وما جرى في رجمه، وكيف انتهى أمره! فأورد أبو داود حديث نعيم بن هزال رضي الله تعالى عنه أنه قال: إن ماعزاً كان يتيماً في حجر أبي وأنه زنى بجارية من الحي أي: أمة من الحي أو من القبيلة فقال له هزال رضي الله عنه: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بالذي حصل، وكان يريد من وراء ذلك رجاء أن يكون له مخرج مما قد حصل له، فجاء إلى رسول الله عليه الصلاة والسلام وأخبره بالذي حصل، فالرسول صلى الله عليه وسلم سأله عدة أسئلة للتحقق من حصول الجماع، وحصول

الزنا حقيقة، وأنه في الفرج، وأنه ليس مجرد لمس ولا نظر، وإنما هو الجماع الحقيقي، فعند ذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر برجمه، وذهبوا يرجمونه، ولما أصابته الحجارة وحصل له الوجع من الرمي بها جزع وهرب، ولقيه عبد الله بن أنيس وأخذ وظيفاً -أي: عظماً- من ساق بعير أو حيوان فرماه به فقتله. قوله: [عن نعيم بن هزال قال: (كان ماعز بن مالك يتيماً في حجر أبي، فأصاب جارية من الحي فقال له أبي: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بما صنعت لعله يستغفر ذلك، وإنما يريد بذلك رجاء أن يكون له مخرجاً)]. هذه كلمة: (أن يكون له مخرجاً) الأصل: أن يكون له مخرج؛ لأن كان وأخواتها إذا جاء الخبر جاراً ومجروراً فإنه يكون الاسم الذي بعده مرفوعاً، على عكس إن وأخواتها فإنه إذا جاء الجار والمجرور يكون الاسم بعد ذلك منصوباً، وهنا جاء مخرجاً منصوباً، والأصل أن يكون مرفوعاً، وسواءً قيل: إن كان تامة أو ناقصة؛ لأنها إن كانت تامة فيكون مخرج هو الفاعل، وإن كانت ناقصة يكون اسمها مؤخر وخبرها جار ومجرور مقدم. وقال الطيبي : اسم كان يرجع إلى المذكور وخبره مخرجاً. و(له) ظرف لغو كما في قوله تعالى: وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ [الإخلاص:٤]، والمعنى: يكون إتيانك وإخبارك رسول الله صلى الله عليه وسلم مخرجاً لك. فإذا كان المقصود به شيء مقدر بمعنى: يكون إتيانك مخرجاً فهو سائغ. قوله: [(فأتاه فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله، فأعرض عنه، فعاد فقال: يا رسول الله! إني زنيت فأقم علي كتاب الله حتى قالها أربع مرار)]. ذكر أنه قال ذلك أربع مرات، وجاء في بعضها مرتين، وفي بعضها ثلاث مرات، وأعلى ما جاء هو أربع مرات، ولهذا اختلف العلماء هل لابد من الاعتراف أربع مرات، كما أن الشهود يكونون أربعة، فإذا لم يوجد شهود يكون الاعتراف أربع مرات؟ فمن العلماء من قال بذلك، وأن الروايات جاءت متعددة، وكلها فيها أربع مرات، وفي بعضها أنه شهد على نفسه أربع مرات، قالوا: فيكون الإقرار أربع مرات، وذهب إلى هذا كثير من أهل العلم، وبعضهم قال: إنه يكفي الاعتراف مرة واحدة، وإنما حصل التكرار من أجل التحقق والاستثبات، وليس المقصود من ذلك أنه لابد من الاعتراف أربع مرات، ولا شك أن القول بحصول التكرار أو اعتبار ذلك أربع مرات هو الأحوط؛ لأنه سواءً كان أريد به التحقق أو أريد به أنه مقصود، فالإتيان به أربع مرات لا شك أن هذا فيه الاحتياط والسلامة وقطع الشك باليقين. قوله: [قال صلى الله عليه وسلم: (إنك قد قلتها أربع مرار فبمن؟ قال: بفلانة)]. قالوا: ويؤيد ذلك أنه قال: إنك قد قلتها أربع مرات، فكونه ذكر أربع مرات وكرر أربع مرات وقال: قلت أربع مرات، عند ذلك أراد أن يزداد تحققاً قال: بمن؟ يعني: حصل الزنا بمن؟ وهذا يدل على أنه لا بأس بالسؤال عن المزني بها، وهذا للتحقق، ولكن اعتراف الزاني لا يثبت حقاً عليها، بل لابد من اعترافها، ولهذا كما جاء في أحاديث صاحب العسيف الذي قال: إن ابني كان عسيفاً على هذا فزنى بامرأته، ثم بعد ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (واغد يا أنيس ! إلى امرأة هذا فإن اعترفت فارجمها). قوله: [(بفلانة)]. يعني: فيه إبهام وعدم تسمية في الرواية، وإلا فإنها قد سميت وقد سماها فلانة، ولكن في الرواية أتوا بها مكناة دون أن يفصح عن اسمها. قوله: [(قال: هل ضاجعتها؟ قال: نعم، قال: هل باشرتها؟ قال: نعم)]. يعني: أنت كنت وإياها في فراش وصرت ضجيعاً لها، والضجيع: هو الذي ينام بجوار من يضاجعه ومن يبيت معه، فيكون معه في فراش واحد فيكون قريباً منه، وقد يلتصق به، ثم زاد فقال: (هل باشرتها؟) يعني: مست بشرتك بشرتها، ثم بعد ذلك قال: نعم. قال: (هل جامعتها؟) يعني: حصل الجماع، قال: نعم. وسؤاله له هذه الأسئلة لأنه خشي أن يكون ظن ما ليس بزنا زنا كما جاء في

الحديث: (العين تزني وزناها النظر) وهكذا، فقد يظن أن مثل ذلك يعتبر زنا، وأنه يستحق عليه إقامة الحد، فأراد أن يتبين أن ما حصل منه أنه الجماع الذي يستحق عليه إقامة الحد، وأنه ليس شيئاً مما هو دون الزنا الذي لا يستحق معه حداً كأن يكون قبلها أو باشرها ولم يحصل منه جماع، أو استمتع بها فيما دون الفرج، فإن هذا لا يوجب حداً، وإنما يوجب تعزيراً وعقوبة. قوله: [(فأمر به أن يرجم، فأخرج به إلى الحرة)]. فأمر به فأخرج إلى الحرة، وقد جاء في بعض الأحاديث أنه إلى المصلى، وفي بعضها إلى البقيع، والمقصود بذلك المصلى الذي عند البقيع، وهو مصلى الجنائز الذي كانوا يصلون فيه على الجنازة يعني: بين المسجد وبين البقيع، وهنا جاء ذكر الحرة، ويجمع بينها أنه ذهب به المصلى وأنه هرب، وأنهم لحقوه فيكون ذكر الحرة ليس ابتداء في الرجم، وإنما هو في المكان الذي جاءت الأحاديث بذكره وهو المصلى أو البقيع، وذكر الحرة فيما آل إليه الأمر، وأنه هرب والناس تبعوه حتى وصل إلى الحرة. قوله: [(فلما وجد مس الحجارة جزع فخرج يشتد)]. يعني: شدتها وألم الرمي بالحجارة عليه هرب يشتد، يعني: يجري ويركض بسرعة هارباً، وهذا يفيد بأنهم ما ربطوه ولا حفروا له حفرة؛ لأنه لو كان مربوطاً ما استطاع أن يهرب، ولو كان لما استطاع أن يهرب. قوله: [(فلقيه عبد الله بن أنيس وقد عجز أصحابه فنزع له بوظيف بعير)]. وقد عجز أصحابه أي: الذين لحقوه أن يدركوه. قوله: [(فنزع له بوظيف بعير فرماه به فقتله)]. يعني: عظم ساق البعير، فرماه به أو حذفه به فأصابه وقتله. قوله: [(ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له فقال: هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه؟)]. يعني: أنه إذا كان هرب أو اعتذر بشيء أنه يترك، ولعله حصلت عنده شبهة تدرأ الحد بأن يبينها ثم بينها فيما بعد. قوله: [(فيتوب الله عليه)]. يعني: معلوم أنه جاء تائباً وطلب التطهير، فالتوبة موجودة. قوله: [(لعله أن يتوب فيتوب الله عليه)]، يعني: كونه يتوب فيتوب الله عليه سيأتي في بعض الأحاديث ما يدل على أنه حصل على خير، ومعلوم أن الحد كفارة وأن من حصل له الحد في الدنيا لا يعاقب على هذه الجريمة في الآخرة، وإنما إذا لم يحد في الدنيا وستره الله عز وجل ولم يتب فإن أمره إلى الله عز وجل إن شاء عفا عنه وإن شاء عذبه. وعلى هذا فيكون قوله: (يتوب فيتوب الله عليه) معناه: أنه يحصل له سلامة من القتل بالتوبة فالتوبة موجودة من قبل، وهو الذي طلب أن يرجم، وطلب أن يقام عليه حكم الله، وأن يحصل له التطهير بذلك، فتكون هذه الجملة فيها نكارة من جهة أن التوبة موجودة وأنه قد حصل على السلامة من مغبة هذه الجريمة بإقامة الحد عليه، ولكن لعل المقصود من ذلك أنه يحصل له شيء يسلم به من القتل. ومعلوم أن من أخذ ثم قال: إنه تائب ما ي

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك

قوله: [حدثنا محمد بن سليمان الأنباري]. محمد بن سليمان الأنباري صدوق، أخرج له أبو داود . [حدثنا وكيع]. هو وكيع بن الجراح الرؤاسي الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن هشام بن سعد]. هشام بن سعد صدوق له أوهام، أخرج حديثه البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [قال: حدثني يزيد بن نعيم بن هزال]. يزيد بن نعيم بن هزال مقبول، أخرج له مسلم و أبو داود و النسائي . [عن أبيه]. هو نعيم بن هزال ، وهو صحابي، أخرج له أبو داود و النسائي .

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثانية

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة حدثنا يزيد بن زريع عن محمد بن إسحاق قال: ذكرت لعاصم بن عمر بن قتادة قصة ماعز بن مالك فقال لي: حدثني حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: (حدثني ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا تركتموه؟ من شئتم من رجال أسلم ممن لا أتهم، قال: ولم أعرف هذا الحديث قال: فجئت جابر بن عبد الله رضي الله عنهما فقلت: إن رجالاً من أسلم يحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم حين ذكروا له جزع ماعز من الحجارة حين أصابته: ألا تركتموه؟! وما أعرف الحديث قال: يا ابن أخي! أنا أعلم الناس بهذا الحديث، كنت فيمن رجم الرجل، إنا لما خرجنا به فرجمناه فوجد مس الحجارة صرخ بنا: يا قوم! ردوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإن قومي قتلوني وغروني من نفسي، وأخبروني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاتلي، فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما رجعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه قال: فهلا تركتموه وجئتموني به، ليستثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فأما لترك حد فلا، قال: فعرفت وجه الحديث)]. أورد أبو داود حديث جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه في قصة رجم ماعز ، وأن حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية قال: إنه حدثني من لا أتهم من أسلم الذين هم قوم ماعز أنه جاء في الحديث أنه قال صلى الله عليه وسلم: (ألا تركتموه؟) وأنه ما عرف وجه الحديث فقال له جابر : (أنا عندي العلم في هذا، وإنني كنت فيمن رجمه، وإننا لما رجمناه صرخ وقال: ردوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قومي عملوا كذا وكذا فقتلناه، فلما بلغ ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم قال: ألا تركتموه؟) ثم بين جابر رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم إنما قال: (ألا تركتموه؟) يقصد من وراء ذلك الاستثبات والتحقق من أمره، أو يذكر شيئاً يعذر به، ويدرأ به الحد، (أما لترك الحد فلا) يعني: أن يقول الرسول: (هلا تركتموه؟) معناه: بدون حد وأنه لا يقام عليه حد، فهذا ليس بمقصود، وإنما الذي يريده رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله: (ألا تركتموه؟) أي: حتى يتحقق من أمره ويستثبت وأنه ربما يرجع عن إقراره أو يذكر شيئاً يكون عذراً له في عدم إقامة الحد عليه. أما كونه يترك ولا يقام عليه حد فهذا لا يكون، وهذا هو الذي فهمه جابر بن عبد الله رضي الله عنه من قول النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا تركتموه؟)، حيث فهم أن المقصود الاستثبات، وليس المقصود من ذلك ترك الحد. قوله: [عن محمد بن إسحاق قال: ذكرت لعاصم بن عمر بن قتادة قصة ماعز بن مالك فقال لي: حدثني حسن بن محمد بن علي بن أبي طالب قال: (حدثني ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا تركتموه)]. ولم يعرف وجه الحديث، فجاء حسن بن محمد بن علي إلى جابر وأخبره فقال: أنا الذي كنت شاهداً، فصار الحديث عن جابر رضي الله عنه، وهو الذي يحدث بهذا الحديث وبهذا الذي ذكر أنه سمعه ممن لا يتهم من أسلم الذين هم قوم وقبيلة ماعز ، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد قال ذلك، وقال: (ألا تركتموه؟) وأنه يقصد من وراء ذلك الاستثبات، لا ترك الحد؛ لأنه هرب أو قال: اتركوني. قوله: [قال: (حدثني ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهلا تركتموه؟ من شئتم من رجال أسلم ممن لا أتهم)]. (من شئتم) هذا فاعل حدثني، يعني: من تريدون ممن هو من أهل الثقة والعدالة ممن لا يتهمون، ولكنه ما وقف عند هذا، وإنما ذهب إلى جابر بن عبد الله رضي الله عنه وحدثه بالحديث فصار الحديث متصلاً عن جابر رضي الله عنه وفيه

وجه الترك. قوله: [(قال: ولم أعرف هذا الحديث قال: فجئت جابر بن عبد الله فقلت: إن رجالاً من أسلم يحدثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم حين ذكروا له جزع ماعز من الحجارة حين أصابته: ألا تركتموه؟)]. المقصود هذه الجملة: (ألا تركتموه؟) ولهذا قال في الأول: (من لا أتهم) في الحديث أنه قال: (ألا تركتموه؟). قوله: [(وما أعرف الحديث، قال: يا ابن أخي! أنا أعلم الناس بهذا الحديث كنت فيمن رجم الرجل، إنا لما خرجنا به فرجمناه فوجد مس الحجارة صرخ بنا: يا قوم! ردوني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن قومي قتلوني وغروني من نفسي، وأخبروني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير قاتلي)]. معناه: أنه فهم هذا من قولهم: (لعله يستغفر لك) كما مر في حديث ابن هزال الذي قيل له فيه: اذهب إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. قوله: [(فلم ننزع عنه حتى قتلناه، فلما رجعنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه قال: فهلا تركتموه وجئتموني به؟ ليستثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم منه، فأما لترك حد فلا، قال: فعرفت وجه الحديث)].

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثانية

قوله: [حدثنا عبيد الله بن عمر بن ميسرة]. هو عبيد الله بن عمر بن مسيرة القواريري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و مسلم و أبو داود و النسائي . [حدثنا يزيد بن زريع]. يزيد بن زريع ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن محمد بن إسحاق]. هو محمد بن إسحاق المدني ، وهو صدوق، أخرج حديثه البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [قال: ذكرت لعاصم بن عمر بن قتادة]. هو عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثني حسن بن محمد بن علي]. حسن بن محمد بن علي أبوه محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن جابر]. هو جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله تعالى عنهما، وهو صحابي جليل، أحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثالثة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا أبو كامل حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد -يعني الحذاء- عن عكرمة عن ابن عباس : (أن ماعز بن مالك أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إنه زنى فأعرض عنه، فأعاد عليه مراراً فأعرض عنه، فسأل قومه: أمجنون هو؟ قالوا: ليس به بأس، قال: أفعلت بها؟ قال: نعم. فأمر به أن يرجم، فانطلق به فرجم، ولم يصل عليه)]. أورد أبو داود حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن ماعزاً جاء واعترف عند النبي صلى الله عليه وسلم بأنه زنى، وأنه أعرض عنه، وأن ماعزاً كرر قوله مراراً، فالرسول صلى الله عليه وسلم عندما كرر ذلك عليه سأل قومه وقال: (هل تعلمون به جنون؟) بمعنى: أنه في عقله خلل، وأن هذا الذي حصل منه لكونه غير سليم العقل، وأنه فاقد الوعي، فقالوا: إنهم لا يعلمون بشيء من ذلك، ثم فقال له في الأخير: أفعلت؟ قوله: [(فقال: إنه زنى فأعرض عنه، فأعاد عليه مراراً فأعرض عنه، فسأل قومه: أمجنون هو؟ قالوا: ليس به بأس، قال: أفعلت بها؟ قال: نعم)]. يعني: أزنيت بها؟ وهذا إجمال للفعل، ولكنه جاء توضيحه بأنه جامعها كما ذكر في الحديث الأول: هل ضاجعتها؟ هل باشرتها؟ هل جامعتها؟ قوله: [(قال:

فانطلق به فرجم ولم يصل عليه)]. لم تترك الصلاة عليه مطلقاً، ولكنه صلى الله عليه وسلم هو الذي ترك الصلاة عليه، فلم يصل عليه صلى الله عليه وسلم، ولكن جاء في بعض الروايات أنه صلى عليه.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثالثة

قوله: [حدثنا أبو كامل]. هو أبو كامل الفضيل بن حسين الجحدري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم و أبو داود و النسائي . [حدثنا يزيد بن زريع حدثنا خالد]. يزيد بن زريع مر ذكره. و خالد هو ابن مهران الحذاء ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن عكرمة]. هو عكرمة مولى ابن عباس ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن عباس]. هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد العبادلة الأربعة من الصحابة، وأحد السبعة المعروفين بكثرة الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق رابعة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن سماك عن جابر بن سمرة قال: (رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً قصيراً أعضل، ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه قد زنى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فلعلك قبلتها؟ قال: لا والله إنه قد زنى الآخر، قال: فرجمه ثم خطب فقال: ألا كلما نفرنا في سبيل الله عز وجل خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة، أما إن الله إن يمكني من أحد منهم إلا نكلته عنهن)]. أورد أبو داود حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه في قصة ماعز رضي الله عنه، وأنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم واعترف مراراً بأنه قد زنى. قوله: [(رأيت ماعز بن مالك حين جيء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً قصيراً أعضل ليس عليه رداء)]. يعني: هذا وصف لماعز أنه رجل قصير، ليس بالطويل، أعضل يعني: مشتد العضلات، أو عنده عضلات قوية، فهذا هو المقصود بالأعضل. قوله: [(ليس عليه رداء، فشهد على نفسه أربع مرات أنه قد زنى)]. يعني: شهد على نفسه بأن قال: إني زنيت ويكررها أربع مرات. قوله: [فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (فلعلك قبلتها؟ قال: لا والله إنه قد زنى الآخر)]. يعني: اعتبر أن التقبيل زنى، أي: خشي أن يكون اعتبر ما ليس بزنى أنه زنى، كالتقبيل أو المباشرة أو اللمس أو ما إلى ذلك، ومعلوم أن الحد إنما يكون إذا حصل الجماع الذي لا خفاء فيه، والذي فيه الإيلاج، وأما ما يتعلق بالمباشرة فإن ذلك لا يكون فيه الحد، وإنما يكون فيه التعزير، ثم قال: إنه قد زنى الآخر يعني: يذم نفسه. قوله: [(قال: فرجمه ثم خطب)]. يعني: أمر برجمه، والرسول صلى الله عليه وسلم ما باشر رجمه ولكنه أمر برجمه، ولهذا ينسب الفعل إليه؛ لكونه الآمر به وليس لكونه المباشر له، ولهذا الرسول قال: (ارجموه)، وهم ذهبوا به ورجموه، وقد مر أنه قال: ردوني إلى رسول الله، فإذاً: قوله: (رجمه) أي: أمر برجمه. قوله: [(ثم خطب فقال: ألا كلما نفرنا في سبيل الله عز وجل خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة، أما إن الله إن يمكني من أحد منهم إلا نكلته عنهن)]. خطب عليه الصلاة والسلام وقال: ما بال الرجل إذا سافر للجهاد في سبيل الله ويخلف بعض الأشخاص الذين يوصونهم بأهاليهم فتحدثه نفسه بالسوء فيعطي الواحدة من نساء من سافروا للجهاد واستخلفوا ذلك

الشخص الذي يكون قائماً بشئونهن ومشرفاً عليهن، وقاضياً لحوائجهن، يمنحها الكثبة يعني: المقدار من اللبن أو غيره، ثم يفعل بها الفاحشة ثم إنه قال: إن مكنني الله من أحد منهم لأجعلنه نكالاً لغيره، يعني: من حصل منه شيء من ذلك، وهذا فيه تهديد وتخويف حتى لا يقدم من تحدثه نفسه بسوء إلى فعل تلك الفاحشة التي هي من أعظم الفواحش وهي الزنا.
قوله: [(ألا كلما نفرنا في سبيل الله عز وجل خلف أحدهم له نبيب كنبيب التيس)]. خلف أحدهم يعني: غيره في أهله، ولهذا جاء في الحديث: (من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلف غازياً في أهله فقد غزا) معناه: أنه يقوم بالنيابة عنه في قضاء حوائجهم، والمحافظة عليهم، ودفع الشر عنهم، فيكون وكيلاً له يقوم مقامه، (يكون له نبيب كنبيب التيس) وهو الصوت الذي يحصل له من شدة الشهوة والرغبة في الجماع. قوله: [(له نبيب كنبيب التيس يمنح إحداهن الكثبة، أما إن الله إن يمكني من أحد منهم إلا نكلته عنهن)]. يعني: جعلته نكالاً لغيره.
تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق رابعة

قوله: [حدثنا مسدد]. هو مسدد بن مسرهد البصري ، وهو ثقة، أخرج له البخاري و أبو داود و الترمذي و النسائي . [حدثنا أبو عوانة]. هو وضاح بن عبد الله اليشكري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سماك]. هو سماك بن حرب ، وهو صدوق، أخرج له البخاري تعليقاً و مسلم وأصحاب السنن. [عن جابر بن سمرة]. جابر بن سمرة رضي الله عنه، وهو صحابي، أخرج له أصحاب الكتب الستة، وهذا رباعي وهو من أعلى الأسانيد عند أبي داود رحمه الله.
شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق خامسة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا محمد بن المثنى عن محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال: سمعت جابر بن سمرة بهذا الحديث، والأول أتم، قال: (فرده مرتين) قال سماك : فحدثت به سعيد بن جبير فقال: (إنه رده أربع مرات)]. أورد أبو داود الحديث من طريق أخرى وفيه: أنه رده مرتين، وعن سعيد بن جبير قال: أربع مرات، ولعل المقصود من ذلك أن مرتين صارت مع بعض، ومرتين مع بعض، فتكون أربع مرات، فيكون الأول فيه اختصار بمعنى: أنه ذكر المرتين الأوليين دون المرتين الأخريين، فلا ينافي ما جاء من أنه رده أربع مرات، فيكون جاء بعض الرواة فذكر المرتين الأوليين وترك ذكر المرتين الأخيرتين، وبعضهم ذكر الأربع.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق خامسة

قوله: [حدثنا محمد بن المثنى]. هو محمد بن المثنى العنزي أبو موسى ، الملقب الزمن ، وهو مشهور بكنيته، ولهذا يأتي ذكره عند الحافظ ابن حجر عندما يذكر الشيوخ والتلاميذ يقول: و أبو موسى ولا يقول: محمد المثنى وإنما يذكر روى عن فلان وفلان و أبي موسى ، فأبو موسى المراد به محمد بن المثنى ؛ لأنه مشهور بكنيته، ولهذا يذكر بها اختصاراً عن الاسم واسم الأب ولقبه الزمن ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، بل هو شيخ لأصحاب الكتب الستة، رووا عنه

مباشرة وبدون واسطة، وهو من صغار شيوخ البخاري ؛ لأنه توفي قبل وفاة البخاري بأربع سنوات؛ لأن البخاري توفي سنة مائتين وستة وخمسين و محمد بن المثنى توفي سنة مائتين واثنتين وخمسين ومثله في ذلك محمد بن بشار و يعقوب بن إبراهيم الدورقي ، فإن هؤلاء الثلاثة محمد بن المثنى و محمد بن بشار و يعقوب بن إبراهيم الدورقي من شيوخ أصحاب الكتب الستة وماتوا في سنة واحدة، وهم من صغار شيوخ البخاري الذي هو أول أصحاب الكتب الستة. [عن محمد بن جعفر]. محمد بن جعفر وهو الملقب بغندر البصري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن شعبة]. هو شعبة بن الحجاج الواسطي ثم البصري، وهو ثقة، وصف بأنه أمير المؤمنين في الحديث، وحديثه أخرجه أصحاب الكتب الستة. [عن سماك قال: سمعت جابر بن سمرة]. سماك و جابر بن سمرة قد مر ذكرهما. [عن سعيد بن جبير]. سعيد بن جبير ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة.

أثر سماك في تعريف الكثبة الواردة في حديث رجم ماعز، وتراجم رجال إسناده

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا عبد الغني بن أبي عقيل المصري حدثنا خالد -يعني ابن عبد الرحمن – قال: قال شعبة : فسألت سماكاً عن الكثبة فقال: اللبن القليل]. أورد أبو داود هذا الأثر المقطوع عن سماك بن حرب وأن شعبة الذي روى عنه سأله عن الكثبة ما معناها؟ فقال: اللبن القليل، وهذا يقال له: مقطوع؛ لأنه متن انتهى إلى من دون الصحابي، وكل متن ينتهي إلى من دون الصحابي يقال له: مقطوع وهو غير المنقطع، فإن المنقطع من صفات الأسانيد، والمقطوع من صفات المتون، فسقوط بعض الرواة من الإسناد يقال له: منقطع، وأما المقطوع فهو: أن يكون الإسناد متصلاً وقد يكون منقطعاً، ولكن المقصود أنه انتهى إلى من دون الصحابي. قوله: [حدثنا عبد الغني بن أبي عقيل المصري]. عبد الغني بن أبي عقيل المصري ثقة، أخرج له أبو داود . [عن خالد -يعني ابن عبد الرحمن –]. خالد بن عبد الرحمن صدوق له أوهام، أخرج له أبو داود و النسائي . [عن شعبة عن سماك]. شعبة و سماك قد مر ذكرهما.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق سادسة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لماعز بن مالك : (أحق ما بلغني عنك؟ قال: وما بلغك عني؟ قال: بلغني عنك أنك وقعت على جارية بني فلان؟ قال: نعم. فشهد أربع شهادات فأمر به فرجم)]. أورد أبو داود حديث ابن عباس ، وأنه بلغه أنه حصل منه كذا وكذا، وقد جاء هو بنفسه، يعني: يكون هو جاء بنفسه فاستوضح صلى الله عليه وسلم منه، وأن هذا الذي بلغني عنك أنه صحيح فقال: نعم، وكرر ذلك أربع مرات يطلب منه أن يطهره، فأمر برجمه عليه الصلاة والسلام. قوله: [(فشهد أربع شهادات فأمر به فرجم)]. ويكون الجمع بين الإتيان وأنه بلغه عنه: كأنه جاء والرسول قد بلغه ذلك من قبل فقال: أحق؟ قال: نعم، وكرر ذلك يطلب منه أن يطهره، فيكون معنى ذلك أن الرسول بلغه الخبر من قبل، ولم يطلبه، ولكنه جاء بنفسه يطلب إقامة الحد عليه ويطلب تطهيره، فالرسول صلى الله عليه وسلم أعرض عنه، ثم

بعد ذلك شهد على نفسه أربع شهادات فأمر برجمه. قوله: [حدثنا مسدد عن أبي عوانة عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس]. قد مر ذكر الإسناد.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق سابعة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا نصر بن علي أخبرنا أبو أحمد أخبرنا إسرائيل عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: (جاء ماعز بن مالك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاعترف بالزنا مرتين فطرده، ثم جاء فاعترف بالزنا مرتين، فقال: شهدت على نفسك أربع مرات اذهبوا به فارجموه)]. أورد أبو داود حديث ابن عباس من طريق أخرى، وفيه تفصيل المرات، وهناك سبق أن مر وقال: مرتين، وهنا قال: مرتين، ثم مرتين، فمعنى ذلك أنه جاءت مرتين على حدة مع بعض، ثم جاءت مرتين بعدها، فصار المجموع أربعاً، فلا ينافي ما جاء في بعض الروايات أنها مرتين، وفي بعضها أنها أربع؛ لأنه ذكر المرتين فيه اختصار، فلا تنافي بين ما جاء من ذكر المرتين وما جاء من ذكر الأربع، فإن بعضها ذكرت فيها الأربع مع بعض، وفي بعضها ذكرت الأربع مفرقة ثنتين ثنتين، وفي بعضها ذكرت الثنتين مختصرة، يعني: باختصار دون أن يضاف إليها المرتان الأخريان.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق سابعة

قوله: [حدثنا نصر بن علي]. هو نصر بن علي بن نصر بن علي الجهضمي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا أبو أحمد]. هو محمد بن عبد الله بن الزبير الزبيري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أخبرنا إسرائيل]. هو إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن سماك بن حرب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس]. قد مر ذكر الثلاثة.

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثامنة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا جرير حدثني يعلى عن عكرمة أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ح وحدثنا زهير بن حرب و عقبة بن مكرم قالا: حدثنا وهب بن جرير حدثنا أبي قال: سمعت يعلى -يعني: ابن حكيم - يحدث عن عكرمة عن ابن عباس : (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لماعز بن مالك : لعلك قبلت، أو غمزت، أو نظرت؟ قال: لا. قال: أفنكتها؟ قال: نعم. قال: فعند ذلك أمر برجمه) ولم يذكر موسى عن ابن عباس وهذا لفظ وهب]. أورد أبو داود حديث ابن عباس من طريق أخرى، فذكر طريقين: إحداهما مرسلة، عكرمة يضيف ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا مرسل، والطريق الثانية: متصلة فيها ذكر عكرمة عن ابن عباس والتحويل جاء بعد نهاية الإسناد ثم رجع إلى الإسناد الثاني من أوله. قوله: [(أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لماعز بن مالك : لعلك قبلت أو غمزت أو نظرت؟)]. لما جاء إليه وقال: إنه زنى قال: (لعلك قبلت أو نظرت أو غمزت؟) يعني: لعله فهم أن ما ليس بزنا زنا، وظن أن التقبيل يكون زنا، وظن أن كونه نظر بشهوة زنا، أو كونه لمسها يكون زنا، وأنه يستحق عليه إقامة الحد، فكل ذلك

يقول: لا، ثم بعد ذلك أفصح فقال: (أنكتها؟) والرسول صلى الله عليه وسلم ما كان من عادته أن يفصح، ولكنه كان يكني، ولكن لما كان الأمر فيه خطورة وشدة، والأمر ليس بالهين ذكره بالاسم الصريح، كل ذلك من أجل التحقق من أن الذنب الذي حصل يستحق عليه الرجم، وهو الزنا الحقيقي، فلهذا أمر برجمه صلوات الله وسلامه وبركاته عليه.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق ثامنة

قوله: [حدثنا موسى بن إسماعيل]. هو موسى بن إسماعيل التبوذكي البصري ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا جرير]. هو جرير بن عبد الحميد الضبي الكوفي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثني يعلى]. هو يعلى بن حكيم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [عن عكرمة عن النبي صلى الله عليه وسلم]. عكرمة عن النبي، وهذا مرسل؛ لأن التابعي إذا أضاف الشيء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام يقال له: مرسل، وهذا اصطلاح المحدثين، وليس كما جاء في البيقونية: ومرسل منه الصحابي سقط. فلو كان الساقط صحابياً فلا يضر؛ لأنه لو ذكر الصحابي وهو مبهم فهو معتبر وحجة؛ لأن الصحابة المجهول فيهم في حكم المعلوم، والمرسل من قبيل المردود ليس من أجل أن الساقط صحابي؛ لأنه لو كان ما سقط إلا الصحابي ما فيه إشكال، ولكن كان ضعيفاً أو مردوداً أو من قبيل المردود؛ لأن الساقط يحتمل أن يكون صحابياً وأن يكون تابعياً، وعلى فرض أنه تابعي يحتمل أن يكون ضعيفاً وأن يكون ثقة، فمن أجل ذلك رد المرسل، وأما لو كان السقوط للصحابي فقط فهذا لا يؤثر. وهنا الطريق الثانية بينت أن الساقط هو صحابي، وهو عبد الله بن عباس ، فإذاً: هذه الطريق المرسلة عرف الواسطة فيها، وأنه صحابي، وعلى هذا فتعريف صاحب البيقونية في أن المرسل ما سقط منه الصحابي هذا تعبير غير دقيق؛ لأن المرسل في اصطلاح المحدثين هو الذي يقول فيه التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، ويحتمل أن يكون واسطته صحابياً أو تابعياً، وإذا كان تابعياً يحتمل أن يكون ثقة وأن يكون ضعيفاً، وأما الصحابي فلا يحتاج إلى أن يضاف إليه كلام، وإنما الكلام والتعديل والتجريح يكون لغير الصحابة، أما الصحابي فيكفيه شرفاً أن يقال: أنه صحب النبي صلى الله عليه وسلم، أو أن له صحبة. وأما المرسل باصطلاح الفقهاء أو الاصطلاح العام فإنه يطلق على السقوط في الإسناد؛ لكون الراوي يروي عمن لم يعاصره أو من عاصره ولم يعرف أنه لقيه، وهذا يسمى المرسل الخفي. وأما إن روى عمن لم يعاصره فإنه يكون مرسلاً واضحاً، فهو السقوط وهو أعم، ولهذا يأتي في بعض تراجم الرجال وهم متأخرون ليسوا من التابعين يقال: يرسل، أو أرسل عن فلان، معناه: أنه يطلق الإرسال على الانقطاع. [ح وحدثنا زهير بن حرب]. ح التحويل أتى بها بعد نهاية الإسناد ثم رجع إلى إسناد جديد. وزهير بن حرب هو أبو خيثمة ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي ، وهو من الذين أكثر عنهم الإمام مسلم رحمه الله؛ لأنه روى عنه ألفاً ومائتي حديث، وأكثر منه عند مسلم أبو بكر بن أبي شيبة ؛ لأنه روى عنه ألفاً وخمسمائة وزيادة، فيعتبر أبو خيثمة زهير بن حرب ممن أكثر عنهم الإمام مسلم ، حيث روى عنه ألفاً ومائتي حديث وزيادة، وقد أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا الترمذي . [و عقبة بن مكرم]. عقبة بن مكرم ثقة، أخرج له مسلم و أبو داود و الترمذي و ابن ماجة . [قالا: حدثنا وهب بن جرير]. هو وهب بن جرير بن حازم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [حدثنا أبي]. هو جرير بن حازم ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال:

سمعت يعلى -يعني ابن حكيم - يحدث عن عكرمة عن ابن عباس]. يعلى بن حكيم و عكرمة و ابن عباس قد مر ذكرهم. [قالا: ولم يذكر موسى عن ابن عباس وهذا لفظ وهب]. ولم يذكر موسى عن ابن عباس الذي هو الإسناد الأول. وهذا لفظ وهب أي: الذي فيه الاتصال، وهو أعرف بحديث أبيه من غيره؛ لأنه يروي عن أبيه جرير .

شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق تاسعة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أن عبد الرحمن بن الصامت ابن عم أبي هريرة أخبره: أنه سمع أبا هريرة يقول: (جاء الأسلمي نبي الله صلى الله عليه وسلم، فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم. قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم. قال: كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال: نعم. قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، فأمر به فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله! قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله! من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما آنفاً أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها)]. أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ماعز وأنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إن الأسلمي -وهو ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه ذكره هنا بنسبته، ولم يذكر اسمه ولا اسم أبيه - جاء نبي الله وقال: إنه زنى أربع مرات، يعني: ليس المقصود أنه زنى أربع مرات، وإنما المقصود من ذلك أنه شهد على نفسه أربع مرات، إذاً: المرات ترجع إلى الإخبار عن نفسه كما جاء ذلك مبيناً في الروايات، ولا يرجع إلى تكرار وتعدد الزنا. قوله: [(جاء الأسلمي نبي الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراماً أربع مرات)]. يعني: شهد أربع مرات، وكلمة: (أربع مرات) ترجع إلى: شهد ولا ترجع إلى أصاب أو أتى. قوله: [(كل ذلك يعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم.)]. يعني: صرح باسم الجماع الذي لا يحتمل شيئاً آخر سواه، وكل هذا كما عرفنا من أجل التحقق من أن الذي حصل منه شيء يستحق عليه الحد، وأنه ليس شيئاً دون الحد مما يكون حكمه التعزير كالتقبيل واللمس والمباشرة بدون جماع، ثم أراد أن يستوضح من أن الجماع تم وأنه بالإيلاج، وأنه كما يدخل الميل في المكحلة وكذلك الرشا في البئر، أي: أنه حصل الإيلاج والجماع، ولم يكن ذلك مباشرة بحيث تمس البشرة البشرة. قوله: [(قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراماً ما يأتي الرجل من امرأته حلالاً)]. وهذا اللفظ ليس مثل ما تقدم من ذكر الرشا والمكحلة؛ لأن الإنسان يمكن أن يأتي من امرأته شيئاً دون الفرج ودون الإيلاج، وهو حرام على غير الزوج، وهذا اللفظ محتمل، ولكن الشيء الذي لا يحتمل قوله: (أنكتها؟) وقوله: (كما يدخل الميل في المكحلة)، أو يدخل الرشا في البئر. قوله: [(فأمر به فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار

شائل برجله فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله! قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار)]. وهذا كلام سيئ، كونهما يصفان الشخص بهذا الوصف الذي لا ينبغي، ولهذا اعتبر الرسول هذا غيبة، وأن هذا كلاماً يسوء من يقال فيه، فالرسول صلى الله عليه سكت حتى مروا بجيفة حمار قد ارتفعت يده من الانتفاخ والنتن، والميتة إذا انتفخت ترتفع القوائم؛ بخلاف ما إذا كانت لم يحصل منها الانتفاخ فإن الأرجل تكون منضمة بعضها إلى بعض، ولكن مع الانتفاخ وصل إلى هذا الحد، فقال: (أين فلان وفلان؟ قالوا: ها نحن، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، قالوا: ومن يأكل من هذه؟ قال: ما نلتما من عرض أخيكما أعظم من هذا)، وهذا مثلما قال الله عز وجل: أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات:١٢]، أي: أنه مثل أكل الميتة. قوله: [(والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها)]. ينقمس وينغمس بمعنى واحد، وهي بمعنى الغوص أو الاستمتاع والاستفادة من تلك الأنهار.

تراجم رجال إسناد حديث رجم ماعز بن مالك من طريق تاسعة

قوله: [حدثنا الحسن بن علي]. هو الحسن بن علي الحلواني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة إلا النسائي . [حدثنا عبد الرزاق]. هو عبد الرزاق بن همام الصنعاني اليماني ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [عن ابن جريج]. هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج المكي ، وهو ثقة، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [قال: أخبرني أبو الزبير]. هو محمد بن مسلم بن تدرس المكي ، وهو صدوق، أخرج له أصحاب الكتب الستة. [أن عبد الرحمن بن الصامت]. عبد الرحمن بن الصامت ابن عم أبي هريرة ، وهو مقبول، أخرج له البخاري في الأدب المفرد و أبو داود و النسائي . [أنه سمع أبا هريرة]. هو أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأكثر أصحابه حديثاً على الإطلاق رضي الله عنه وأرضاه."

". (١)

"شرح حديث رجم ماعز بن مالك من طريق تاسعة

قال المصنف رحمه الله تعالى: [حدثنا الحسن بن علي حدثنا عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير أن عبد الرحمن بن الصامت ابن عم أبي هريرة أخبره: أنه سمع أبا هريرة يقول: (جاء الأسلمي نبي الله صلى الله عليه وسلم، فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما أربع مرات، كل ذلك يعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم، فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم.

قال: حتى غاب ذلك منك في ذلك منها؟ قال: نعم.

قال: كما يغيب المرود في المكحلة والرشاء في البئر؟ قال: نعم.

قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا، قال: فما تريد بهذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني، فأمر به فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا

---

(١) شرح سنن أبي داود – عبدالمحسن العباد، ص/٢

الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله، فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله! قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، فقالا: يا نبي الله! من يأكل من هذا؟ قال: فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها)].

أورد أبو داود حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ماعز وأنه جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: إن الأسلمي – وهو ماعز بن مالك الأسلمي رضي الله عنه ذكره هنا بنسبته، ولم يذكر اسمه ولا اسم أبيه – جاء نبي الله وقال: إنه زنى أربع مرات، يعني: ليس المقصود أنه زنى أربع مرات، وإنما المقصود من ذلك أنه شهد على نفسه أربع مرات، إذا: المرات ترجع إلى الإخبار عن نفسه كما جاء ذلك مبينا في الروايات، ولا يرجع إلى تكرار وتعدد الزنا.

قوله: [(جاء الأسلمي نبي الله صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه أنه أصاب امرأة حراما أربع مرات)].

يعني: شهد أربع مرات، وكلمة: (أربع مرات) ترجع إلى: شهد ولا ترجع إلى أصاب أو أتى.

قوله: [(كل ذلك يعرض عنه النبي صلى الله عليه وسلم فأقبل في الخامسة فقال: أنكتها؟ قال: نعم)].

يعني: صرح باسم الجماع الذي لا يحتمل شيئا آخر سواه، وكل هذا كما عرفنا من أجل التحقق من أن الذي حصل منه شيء يستحق عليه الحد، وأنه ليس شيئا دون الحد مما يكون حكمه التعزير كالتقبيل واللمس والمباشرة بدون جماع، ثم أراد أن يستوضح من أن الجماع تم وأنه بالإيلاج، وأنه كما يدخل الميل في المكحلة وكذلك الرشا في البئر، أي: أنه حصل الإيلاج والجماع، ولم يكن ذلك مباشرة بحيث تمس البشرة البشرة.

قوله: [(قال: فهل تدري ما الزنا؟ قال: نعم، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا)].

وهذا اللفظ ليس مثل ما تقدم من ذكر الرشا والمكحلة؛ لأن الإنسان يمكن أن يأتي من امرأته شيئا دون الفرج ودون الإيلاج، وهو حرام على غير الزوج، وهذا اللفظ محتمل، ولكن الشيء الذي لا يحتمل قوله: (أنكتها؟) وقوله: (كما يدخل الميل في المكحلة)، أو يدخل الرشا في البئر.

قوله: [(فأمر به فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما، ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: أين فلان وفلان؟ فقالا: نحن ذان يا رسول الله! قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار)].

وهذا كلام سيئ، كونهما يصفان الشخص بهذا الوصف الذي لا ينبغي، ولهذا اعتبر الرسول هذا غيبة، وأن هذا كلاما يسوء من يقال فيه، فالرسول صلى الله عليه سكت حتى مروا بجيفة حمار قد ارتفعت يده من الانتفاخ والنتن، والميتة إذا انتفخت ترتفع القوائم؛ بخلاف ما إذا كانت لم يحصل منها الانتفاخ فإن الأرجل تكون منضمة بعضها إلى بعض، ولكن مع الانتفاخ وصل إلى هذا الحد، فقال: (أين فلان وفلان؟ قالوا: ها نحن، قال: انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار، قالوا: ومن يأكل من هذه؟ قال: ما نلتما من عرض أخيكما أعظم من هذا)، وهذا مثلما قال الله عز وجل: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات:١٢]، أي: أنه مثل أكل الميتة.

قوله: [(والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينقمس فيها)].

ينقمس وينغمس بمعنى واحد، وهي بمعنى الغوص أو الاستمتاع والاستفادة من تلك الأنهار.." (١)

"جواز الاستدلال بحديث (انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار) على ذم الغيبة

Q هل يجوز الاستدلال على ذم الغيبة بحديث: (انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار فما نلتما من عرض أخيكما آنفا أشد من أكل منه)؟

A كما هو معلوم الحديث بهذا الإسناد ضعيف، ولكن جاء في القرآن: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات:١٢] يعني: ذم الغيبة جاء في القرآن، وهذا المعنى الذي جاء فيه موجود في القرآن، إلا أن هذا جيفة حمار، وذاك أكل الميت.." (٢)

"الخوف من الله عز وجل عند الكلام في الآخرين

فأما القاعدة الأولى التي ينبغي أن يحرص عليها المرء في حكمه على الرجال والأشخاص، وعلى الكتب والمصنفات، وعلى الجماعات، وعلى الأمم وغير ذلك هي: الخوف من الله عز وجل عند الكلام في الآخرين.

حرم الله عز وجل الغيبة في كتابه وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم، فقال في كتابه: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات:١٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة عنه: (أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم.

قال: ذكرك أخاك بما يكره.

قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته) أي: ظلمته وجرت عليه، والنبي صلى الله عليه وسلم حرم ذلك في حجة الوداع كما ورد في حديث جابر بن عبد الله الأنصاري، وحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: (إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا -أي: يوم عرفة- في شهركم هذا -أي: شهر ذي الحجة- في بلدكم هذا -أي: في بلد الله الحرام مكة المكرمة- قال: ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد).

بل جاءت الأحاديث ببيان أشد مما سبق، فجعلت الخوض في عرض المؤمن أشد من أن ينكح الرجل أمه كما ورد في حديث البراء بن عازب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الربا اثنان وسبعون بابا أدناها مثل إتيان الرجل أمه، وإن أربى الربا استطالة الرجل في عرض أخيه) أي: أن تطلق لسانك في عرض أخيك.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حالت شفاعته دون حد من حدود الله فقد ضاد الله في أمره، ومن مات وعليه دين فليس بالدينار والدرهم ولكن بالحسنات والسيئات، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال وليس

---

(١) شرح سنن أبي داود للعباد، عبد المحسن العباد ١٩/٤٩٨

(٢) شرح سنن أبي داود للعباد، عبد المحسن العباد ٢٨/٤٩٩

بخارج).

وعن ابن عمر أيضا رضي الله عنهما مرفوعا قال: (يا معشر من أسلم بلسانه ولم يدخل الإيمان في قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم، فإن من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته).

فهذه النصوص -في الحقيقة- كلها تدل دلالة واضحة على أنه ينبغي عليك أن تحرص على أن تراقب الله عز وجل في أقوالك وأفعالك، خاصة في التي لها تعلق بغيرك من بني البشر.." (١)

"خطورة الغيبة

Q هل الغيبة من الكبائر؟ ولماذا لم يذكرها الذهبي في كتابه الكبائر؟

A لا أدري هل ذكرها الذهبي أو لم يذكرها، لكن الذهبي إنما ذكر في كتابه سبعين كبيرة ختمها بكبيرة سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، ولكن جاء في القرآن الكريم ما يدل على خطورة الغيبة وأنها في غاية القبح، حيث قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات:١٢] ثم قال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات:١٢] فمثل هذا يدل على خطورة هذا الأمر.." (٢)

"القبيح، وقال الأوزاعى: إنه يفطر بالسب والغيبة، واحتج بما روى أن الغيبة تفطر الصائم. قال ابن القصار: معناه أنه يصير فى معنى المفطر فى سقوط الأجر لا أنه يفطر فى الحقيقة، كقوله تعالى: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا) [الحجرات: ١٢] ، ومن اغتاب فلم يكن آكلا **لحم أخيه** ميتا فى الحقيقة، وإنما يصير فى معناه ويجوز أن يكون فى معنى التغليظ، كما قال: الكذب مجانب للإيمان، فإن قيل: فما معنى قوله: (فليقل إنى صائم) ، والمندوب إليه أن يستتر بعمله ليكثر ثوابه؟ قيل: إذا قال: إنى صائم، ارتدع وعلم أنه إذا اجترأ عليه فى صوم كان أعظم فى الإثم، فليعلم أيضا أن الصوم يمنع من الرد عليه، ومثل هذا لا يكره إذا كان لعذر، وقيل معناه: أن يقول ذلك لنفسه، وقد تقدم هذا المعنى فى باب: فضل الصوم.

- باب الصوم لمن خاف على نفسه العزوبة

/ ١٢ - فيه: ابن مسعود قال: كنا مع النبى، عليه السلام، فقال: (من استطاع الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء) . قال المؤلف: ندب النبى، عليه السلام، لأمته النكاح، ليكونوا على كمال من أمر دينهم، وصيانة لأنفسهم فى غض أبصارهم." (٣)

"الوليد، عن الربيع بن يزيد، عن أبان، عن أنس، عن النبي عليه السلام قال: (من خلع جلباب الحياء فلا غيبة فيه) وفسره ابن سعدان قال: معناه من عمل عملا قبيحا كشفه للناظرين، ولم يرع وقوفهم عليه فلا باس بذكره عنه من حيث

---

(١) شرح صحيح مسلم - حسن أبو الأشبال، حسن أبو الأشبال الزهيري ١٥/٣

(٢) شرح الأربعين النووية - العباد، عبد المحسن العباد ٢٥/١٩

(٣) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٢٥/٤

لايسمع؛ لأنه كمن أذن فى ذلك لكشفه عن نفسه، فأما من استتر بفعله فلا يحل ذكره لمن رآه؛ لأنه غير آذن فى ذكره وإن كان كافرا. وقد سئل وهب عن غيبة النصرانى، فقال: لا وقولوا للناس حسنا وهو من الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) فجعل هذا لهم مثلا. وفى الحديث: (اذكروا الفاسق بما فيه كى يحذروه الناس) . قال ابن أبى زيد: يقال: لاغيبة فى أمير جائز ولاصاحب بدعة يدعو إليها، ولافيمن يشاور فى إنكاح أو شهادة ونحو ذلك، وقد قال الرسول عليه السلام لفاطمة بنت قيس حين شاورته فيمن خطبها إلى معاوية: (إن معاوية صعلوك لا مال له) وكذلك رأى الأئمة أن يقبل قوله من أهل الفضل ويجوز له أن يبين له أمر من يخاف أن يتخذ إماما فيذكر مافيه من كذب أو غيره مما يوجب ترك الراوية عنه، وكان شعبه يقول: اجلس بنا نغتاب فى الله.

٤٥ – باب: قول النبى (صلى الله عليه وسلم) خير دور الأنصار

/ ٧٦ – فيه: أبو أسيد، قال النبى (صلى الله عليه وسلم) : (خير دور الأنصار بنو النجار) . قال المهلب: ترجم له باب خير دور الأنصار وأدخل فيه: (خير." (١)

"وحديثه هذا في الغيبة محفوظ عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رواه عنه شعبة والدراوردي وبن عيينة وغيرهم

حدثني يونس بن عبد الله قال حدثني محمد بن معاوية قال حدثني جعفر بن محمد الفريابي قال حدثني محمد بن المثنى قال حدثني محمد بن جعفر قال حدثني شعبة قال سمعت العلاء بن عبد الرحمن يحدث عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكر أخاك بما يكره قال أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته

قال أبو عمر هذا الحديث مخرج في التفسير في المسند في قول الله عز وجل (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) الحجرات ١٢ ويقتضي معنى الغيبة ومعنى البهتان وإن كان البهتان عندهم المواجهة بالقبيح

وروي عن الحسن البصري أن رجلا سأله فقال له يا أبا سعيد إني اغتبت فلانا وإني أريد أن أستحله فقال أما يكفيك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته

وقال محمد بن سيرين ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه حدثني عبد الله قال حدثني محمد قال حدثني أبو داود قال حدثني محمد بن عوف قال حدثني أبو اليمان قال حدثني بن أبي حسين قال حدثني نوفل بن مساحق عن سعيد بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن من أربى الربى الاستطالة في عرض المسلم بغير حق

حدثني خلف بن قاسم قال حدثني أحمد بن أسامة بن عبد الرحمن بن أبي السمح قال حدثني أبي قال حدثني هارون بن سعيد قال حدثني عبد الله بن وهب قال حدثني عبد الرحمن بن زيد قال محمد بن المنكدر رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم يخرج من هذا البيت فمر برجلين أعرفهما وأعرف أنسابهما فقال عليكم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قلت فما

---

(١) شرح صحيح البخارى لابن بطال ابن بطال ٢٤٧/٩

ذنبهما قال ذنبهما أنهما يأكلان لحوم الناس

قال أبو عمر يصحح هذا قوله صلى الله عليه وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت." (١)

"وحدثني عبد الرحمن بن يحيى قال حدثني علي بن محمد قال حدثني أحمد بن داود قال حدثني سحنون قال حدثني بن وهب عن بن لهيعة قال أخبرني سليمان بن كيسان قال كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال كيف هو عنده إذا ذكر إخوانه فإن قالوا إنه ينتقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما يقولون وإن قالوا إنه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون إن شاء الله

وعن عمر بن الخطاب قال من أدى الأمانة وكف عن أعراض المسلمين فهو الرجل

فقد استثنى من هذا الباب من لا غيبة فيه من الفساق المعلنين المجاهرين وأهل البدع المضلين

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له

وقد روي عنه عليه السلام أنه قال المجالس بالأمانة إلا مجلس سفك فيه دم حرام أو فرج حرام أو مال بغير حقه

وقال معاوية ما بقي من العبادة إلا الوقعة في أهل الريبة لأنهم ليس لهم غيبة

وأصل هذا كله قوله صلى الله عليه وسلم في الأحمق المطاع عيينة بن الحصين الفزاري بئس بن العشيرة

قال أبو عمر لقد أحسن الشاعر في قوله

(وأخلاق ذي الفضل معروفة ... ببذل الجميل وكف الأذى) وقال آخر

(احذر الغيبة فهي ال ... فسق لا رخصة فيه)

(إنما المغتاب كالآكل ... من **لحم أخيه**) وقد زدنا هذا المعنى بيانا في كتاب التمهيد." (٢)

"أخبرنا عبد الرحمن حدثنا علي حدثنا أحمد حدثنا سحنون حدثنا ابن وهب عن ابن لهيعة قال أخبرني سليمان بن كيسان قال كان عمر بن عبد العزيز إذا ذكر عنده رجل بفضل أو صلاح قال كيف هو إذا ذكر عنده إخوانه فإن قالوا إنه ينتقصهم وينال منهم قال عمر ليس هو كما تقولون وإن قالوا إنه يذكر منهم جميلا وخيرا ويحسن الثناء عليهم قال هو كما تقولون إن شاء الله

قال أبو عمر يكفي في ذم الغيبة قول الله عز وجل يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا

وقال الشاعر احذر الغيبة فهي ال فسق لا رخصة فيه إنما المغتاب كالآكل من **لحم أخيه** وروى ابن علية عن يونس بن عبيد عن محمد بن سيرين قال ظلم لأخيك المسلم أن تقول أسوأ ما تعلم فيه

---

(١) الاستذكار ابن عبد البر ٨/٥٦٢

(٢) الاستذكار ابن عبد البر ٨/٥٦٣

وعن الحسن البصري أنه سأله رجل فقال يا أبا سعيد اغتبت فلانا وأنا أريد أن أستحله فقال لم يكفك أن اغتبته حتى تريد أن تبهته." (١)

"تعالى تكذيبا لهم: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب ...﴾ (١) الآية. فإن كانت اليهود وجدت هذه اللفظة في التوارة فذلك جائز، ولكني أخطات في حملها على ظاهرها، فقد جاء في القرآن أمثالها ولكن من حملها على ظاهرها كان أخا لليهود، وقد مر مالك بن دينار على قوم يتحدثون فيكثرون، فقال لهم: لو اشتريتم الرق والمداد من دراهمكم للكتبة لكان كلامكم أقل.

سمعت الشيخ الإمام أبا سعد بالمسجد الأقصى يقول: سمعت الإمام أبا القاسم القشيري يقول بنيسابور: قال الله تعالى: ﴿ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ وقد كان قادرا أن يخلقها في لحظة ولكنه أراد أن يعلم الناس ترك العجلة مع القدرة.

وأما الباب الرابع في الغيبة فقد قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ (٢) معناه يذكره بما فيه مما يكره، فإن ذكره بغير ما فيه فهو البهتان (٣) حرم الله تعالى ذلك لأنه يتناول الأعراض، وكما حرم على الناس تناول أموال الناس ودمائهم بغير حق، كذلك حرم غليهم تناول أعراضهم بغير حق، ولا فرق بين الأحوال الثلاثة، وقد حف الله تعالى الدماء بالقصاص وحف الأموال بالقطع، وحف الأعراض بالحد كل ذلك حجب لا يحل اختراقها، فمن اخترقها بالأذى أدب ومن اخترقها بالأقصى حد. ترتيب حكيم للمصلحة وتدبير عزيز له القهر والغلبة.

أخبرنا أبو سعيد الزنجاني قال: قال لنا أبو القاسم القشيري: قال الله تعالى في الغيبة: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ فذكر وجوها أولها وأولاها تنزيل الغائب منزلة الميت لأن الحاضر ينتصر لنفسه إذا سمع عرضه، والغائب لا ناصر له من نفسه كالميت.

وأما الباب الخامس (٤) في مناجاة بعض الناس دون بعض فاختلف الناس فيه على أربعة أقوال:

---

(١) سورة ق (٣٨).

(٢) سورة الحجرات (١٢).

(٣) روى مسلم من حديث أبي هريرة أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (أتدرون ما الغيبة)؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟، قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته) مسلم في كتاب البر والصلة باب تحريم الغيبة (٢٥٨٩).

(٤) الموطأ ٢/ ٩٨٨.." (٢)

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ابن عبد البر ٢٢/٢٣

(٢) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس ابن العربي ص/١١٦٨

"يعتد المظلوم)].

* في هذا الحديث ما يدل على أن البادئ بالسباب، هو الذي أثار ذلك الشر، فكان عليه إثمه وإثم من أجابه أو اقتدى به فيهن إلا أن يعتدي المظلوم اعتداء يخرجه عن الحق، فعليه من ذلك مقدار اعتدائه.

- ٢٤٠٩ -

الحديث الثالث والخمسون بعد المائة:

[عن أبي هريرة، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: (أتدرون ما الغيبة؟) قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: (ذكرك أخاك بما يكره) قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: (إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)].

* في هذا الحديث ما يدل على أن حد الغيبة: الصدق في وصف من يغتاب انتهازا للفرصة.

* (٦٥/ب) الغيبة من الشخص ليؤكل لحمه وذلك معنى قوله عز وجل: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ومعنى ذلك أن الغائب قد وضع عرضه عند الحاضر بمنزلة الميتة ليس دونه من يدافع عنه، ولا يناضل دونه، فإذا رضي الإنسان لنفسه أن يغتاب فقد قام مقام أكل الميتة التي ليس." (١)

"ــــــ

النار، وشبه فشو ذلك الكشف في مشارق الأرض ومغاربها بإضاءة تلك النار ما حول المستوقد، وشبه الناس وعدم مبالاتهم بذلك البيان والكشف، وتعديهم حدود الله، وحرصهم على استيفاء تلك اللذات والشهوات، ومنع رسول الله صلى الله عليه وسلم إياهم عنه بأخذ حجزهم — بالفراش التي يقتحمن في النار، ويغلبن المستوقد على دفعه إياها عن الاقتحام، وكما أن المستوقد كان غرضه من فعله انتفاع الخلق به من الاهتداء والاستدفاء وغير ذلك، والفراش بجهلها جعلت له سببا لهلاكها —كذلك كان القصد بتلك البيانات اهتداء الأمة وانتهاؤها عما هو سبب هلاكهم، وهم مع ذلك لجهلهم جعلوهم موجبة لترديهم. وفي قوله: ((آخذ بحجزكم)) استعارة مثلت حالة منعه الأمة عن الهلاك بحالة رجل أخذ بحجرة صاحبه الذي يهوى أن يهوى في قعر بئر مردية.

وفي رواية البخاري: ((فأنا آخذ)) بالفاء، فالفاء فيه فصيحة، كما في قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ فإنه تعالى لما سال بقوله: ((أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)) وأجابوا: لا، قال: فإذا كان كذلك ((فكرهتموه)) وكذلك أنه عليه الصلاة والسلام لما قال: ((مثلي ومثل الناس)) أي صفتي وصفة الناس، ثم شرع في بيان المشبه به بقوله: ((مثل رجل)) إلى آخره، وعلم أنه ما يقابله على ما بيناها آنفا — أتى بما هو أهم وأولى منها، وهو قوله: ((فأنا آخذ بحجزكم)) بالفاء، كأنه قيل: إذا صح هذا التمثيل، وأنا مثل المستوقد، وأنتم كالفراش تقتحمون في النار — فأنا آخذ بحجزكم، ولهذه الدقيقة التفت من الغيبة في قوله: ((مثل الناس)) إلى الخطاب في قوله: ((فأنا آخذ بحجزكم)) كما أنك إذا أخذت في حديث من لك عناية بشأنه، والحال أنه مشتغل بشيء يورطه في الهلاك، ثم أنك من غاية رأفتك عليه

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح ابن هُبَيْرَة ١٧٥/٨

وشدة حرصك على نجاته تجد في نفسك أنه حاضر عندك فتتحرى خلاصه.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان إلى النذر أحوج منه إلى البشير، ولذلك أفرده في قوله تعالى: ﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا﴾ وذلك أن جبلة الإنسان مائلة إلى الحظوظ العاجلة دون الآجلة، كما قال الله تعالى: ﴿كلا بل تحبون العاجلة (٢٠) وتذرون الآخرة﴾ فأوجب قلعها أولا لتيمكن من تحري ما يزلفه إلى الله تعالى، ومن ثم قيل: التحلية بعد التخلية. وفي الحديث إظهار لرأفته ورحمته على الأمة، وحرصه على نجاتهم، كما قال الله تعالى: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾.." (١)

"في صومكما، واقضياه يوما آخر)).قالا: لم يا رسول الله؟ قال: ((اغتبتم فلانا)). [٤٨٧٣]

٤٨٧٤ - ٤٨٧٥ - وعن أبي سعيد، وجابر، قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الغيبة أشد من الزنا)) قالوا: يا رسول الله! وكيف الغيبة أشد من الزنا؟ قال: ((إن الرجل ليزني فيتوب، فيتوب الله عليه)) -وفي رواية: ((فيتوب فيغفر الله له، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفرها له صاحبه)). [٤٨٧٤]، [٤٨٧٥]

٤٨٧٦ - وفي رواية أنس ((رضي الله عنه))،قال: ((صاحب الزنا يتوب، وصاحب الغيبة ليس له توبة)).روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في ((شعب الإيمان)). [٤٨٧٦]

٤٨٧٧ - وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: اللهم اغفر لنا وله)).رواه البيهقي في ((الدعوات الكبير)) وقال: في هذا الإسناد ضعف. [٤٨٧٧]

من ((مضى في أمره)) إذا نفذ فيه ولم يتوقف، وهذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى:﴾ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴿وأما في الصلاة فإنه أكل لحم أخيه وشرب دمه فحمل النجاسة، هذا وارد على سبيل التشديد والتغليظ، والله أعلم.

الحديث الثالث عشر عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: ((كيف الغيبة أشد من الزنا؟)) ((الغيبة أشد من الزنا)) مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، و ((كيف)) خبره، أي كيف قولك هذا؟

الحديث الرابع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: ((إن من كفارة الغيبة أن تستغفر)) ((مح)):رأيت في فتاوى الطحاوي: أنه يكفي الندم والاستغفار في الغيبة، وإن بلغته فالطريق أن يأتي المغتاب ويستحل منه. فإن تعذر لموته أو لغيبته البعيدة، استغفر الله تعالى. ولا اعتبار بتحليل الورثة.." (٢)

"٤٩٨١ - وعن أسماء بنت زيد، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار)). رواه البيهقي في ((شعب الإيمان)). [٤٩٨١]

٤٩٨٢ - وعن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة)). ثم تلا هذه الآية: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾. رواه في ((شرح

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٢/٦١٥

(٢) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ١٠/٣١٣٦

السنة)).

٤٩٨٣ – وعن جابر، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما من امرئ مسلم يخذل أمرا مسلما في موضع ينتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى في موطن

وخذلانه أن يدركه بسخطه. والضمير في ((به)) راجع إلى عدم النصر عند القدرة. والباء للسببية.

الحديث الرابع عشر عن أسماء: قوله: ((عن **لحم أخيه**)) هو كناية عن الغيبة لاستعمال التنزيل فيها، كأنه قيل: من ذب عن غيبة أخيه في غيبته، وعلى هذا ((بالمغيبة)) ظرف، ويجوز أن يكون حالا. وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل كأكل لحم الإنسان ولم يقتصر، بل جعلها كأكل **لحم أخيه**؛ لأنه أشد نفارا من لحم الأجانب. وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتا.

الحديث الخامس عشر عن أبي الدرداء: قوله: ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ استشهاد لقوله: ((إلا كان حقا على الله أن يرد عنه)) والضمير في ((عنه)) راجع إلى المسلم الذاب عن عرض أخيه. أتى بالعام فيدخل فيه من سيق له الكلام دخولا أوليا، كما في قوله تعالى: ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنه الله على الكافرين﴾ وهو أبلغ من لو قيل عليهم لموقف الكناية، وفيه أن مفهوم المسلم والمؤمن واحد، كما في قوله تعالى: ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾.

الحديث السادس عشر عن جابر رضي الله عنه: قوله: ((ينتهك)) الجوهري: انتهك عرضه أي بالغ في شتمه. ويقال أيضا: نهكته الحمى إذا جهدته ونقصت لحمه.." (١)

"٥١٥٦ – وعن المستورد بن شداد، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم؛ فلينظر بم يرجع؟)). رواه مسلم.

٥١٥٧ – وعن جابر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بجدي أسك ميت. قال: ((أيكم يحب أن هذا له بدرهم؟)) فقالوا: ما نحب أنه لنا بشيء. قال: ((فوالله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم)). رواه مسلم.

٥١٥٨ – وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)). رواه مسلم.

فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في قوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾ والشكر كما علمت في إزاء النعمة. وشكر العباد لله تعالى عبارة عن آداب الجوارح في طاعته وتحرى مراضيه بقلبه. والنداء على التحميد بلسانه وبناء المبالغة في الشكور ينبئ عن هذه الأقسام. والله أعلم.

الحديث الثاني عن المستورد رضي الله عنه: قوله: ((ما الدنيا في الآخرة)) أي مثل الدنيا في جنب الآخرة. قوله (فلينظر بم يرجع)) وضع موضع قوله: فلا يرجع بشيء، كأنه صلى الله عليه وسلم يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣١٩٠/١٠

بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيء أم لا؟ هذا تمثيل على سبيل التقريب، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي؟
الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه: قوله: ((الأسك)) الأسك الصغير الأذن، ويقال للذي لا أذن له. قوله: ((أيكم يحب؟)) في هذا الاستفهام إرشاد منه صلى الله عليه وسلم وتنبيه، ينبههم صلى الله عليه وسلم على إلقاء السمع للخطاب الخطير، وشهود القلب لما يعني به من الخطب الجليل؛ وهو هوان الدنيا ليوطن ذلك في قلوبهم مزيد توطين، ويقرره تقريرا بعد تقرير وهو على منوال قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾
الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: ((الدنيا سجن المؤمن)). ((فا)): أراد أن الدنيا للمؤمن كالسجن في جنب ما أعد له من المثوبة، وللكافر كالجنة في جنب ما أعدله من العقوبة. وقيل: إن المؤمن غرب نفسه عن الملاذ وأخذها بالشدائد، فكأنه في السجن، والكافر [روحها] في الشهوات فهي له كالجنة، انتهى كلامه. ولما مات داود الطائي، سمع هاتفا يهتف: أطلق داود من السجن.." (١)

"قال ابن حزم: فهؤلاء من الصحابة عمر وعلي وأنس وأبو ذر وأبو هريرة وجابر (١)، يرون بطلان الصوم بالمعاصي؛ لأنهم خصوا الصوم باجتنابها، ولا يعرف لهم مخالف من الصحابة، ومن التابعين مجاهد وحفصة بنت سيرين وميمون بن مهران والنخعي (٢)، وفي هذا رد على قول ابن التين لما نقل عن الأوزاعي أنه يفطر من اغتاب مسلما. وعند كافة الفقهاء أن ذلك نقص من حظه من الصيام لا في الإجزاء. واحتج الأوزاعي بالحديث السالف، وهذا عندنا على وجه التغليظ والمجاز، ومعناه: سقوط الثواب.
قلت: قد علمت ضعفه وأن الأوزاعي لم ينفرد به، وكذا قال ابن بطال (٣): اتفق جمهور الفقهاء على أن الصائم لا يفطره السب والشتم والغيبة، وإن كان مأمورا أن ينزه صيامه عن اللفظ القبيح، ثم نقل عن الأوزاعي أنه يفطره السب والغيبة، واحتج بما روي أن الغيبة تفطر الصائم، وكذا قال القرطبي.
قال: وبه قال الحسن فيما أحسب. وقال ابن القصار: معناه: أنه يصير في معنى المفطر في سقوط الأجر لا أنه أفطر في الحقيقة لقوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] فلم يكن آكلا في الحقيقة، وإنما يصير في معناه، ويجوز أن يكون في معنى التغليظ كما قال: "الكذب مجانب

---

(١) تقدم تخريج هذه الآثار.
(٢) انظرها في: "مصنف ابن أبي شيبة" ٢/ ٢٧٣ (٨٨٨٣، ٨٨٨٧ - ٨٨٨٩) كتاب: الصيام، باب: ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب، و"شعب الإيمان" ٣/ ٣١٧ - ٣١٨ وانظر "المحلى" ٦/ ١٧٩.
(٣) "شرح ابن بطال" ٤/ ٢٤ - ٢٥.." (٢)

---

(١) شرح المشكاة للطيبي الكاشف عن حقائق السنن الطيبي ٣٢٧٢/١٠
(٢) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٨٣/١٣

"٤٦ – باب الغيبة

وقول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه**﴾ الآية [الحجرات: ١٢]

٦٠٥٢ – حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش قال: سمعت مجاهدا يحدث عن طاوس، عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قبرين فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة». ثم دعا بعسيب رطب، فشقه باثنين، فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا، ثم قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا». [انظر: ٢١٦ – مسلم: ٢٩٢ – فتح ١٠/ ٤٦٩]

ذكر فيه حديث ابن عباس – رضي الله عنهما –: مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قبرين، الحديث.

وموضع الحاجة قوله: "أما أحدهما فكان لا يستتر من (بوله) (١)، وأما هذا فكان يمشي بالنميمة".

الشرح:

الغيبة قد فسرها الشارع في مرسل مالك، عن الوليد بن عبد الله بن صياد، أن المطلب بن عبد الله بن حنطب أخبره أن رجلا سأل رسول الله – صلى الله عليه وسلم –: ما الغيبة؟ قال: "أن تذكر من المرء ما يكره أن يسمع وإن كان حقا، فإن قلت باطلا فذلك البهتان" (٢)، (وحديث متصل أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه –، أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: "أتدرون ما الغيبة؟ " قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: "ذكرك أخاك بما يكره" قيل: أرأيت

---

(١) في (ص٢): البول.

(٢) "الموطأ" ص ٦١٠.." (١)

"كشفه للناظرين، ولم يرع وقوفهم عليه، فلا بأس بذكره عنه من حيث لا يسمع؛ لأنه كمن أذن في ذلك لكشفه عن نفسه، فأما من استتر بفعله فلا يحل ذكره لمن رآه؛ لأنه غير آذن في ذكره، وإن كان كافرا. وقد سئل ابن وهب عن غيبة النصراني فقال: لا؛ لقول الله تعالى: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾ [البقرة: ٨٣] وهو من الناس، ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] فجعل هذا لهم مثلا، وفي الحديث: "اذكروا الفاسق بما فيه كي يحذره الناس" (١).

قال ابن أبي زيد: يقال لا غيبة في أمير جائر، ولا في صاحب بدعة يدعو إليها، ولا لمن يشاور في إنكاح أو شهادة أو نحو ذلك. وقد قال – عليه السلام – لفاطمة بنت قيس، حين شاورته فيمن خطبها: "إن معاوية صعلوك لا مال له" (٢)، وكذلك رأت الأئمة أن من يقبل قوله من أهل الفضل يجوز له أن يبين أمر من يخاف أن يتخذ إماما، فيذكر ما فيه من كذب أو غيبة، مما يوجب ترك الرواية عنه. وكان شعبة يقول: اجلس بنا نغتاب في الله.

فصل:

قوله: ("إن شر الناس من تركه الناس (اتقاء شره) (٣)، أو ودعه اتقاء فحشه") معنى (ترك) و (ودع) واحد.

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٧٨/٢٨

= وروي أيضا من طريق أبي سعد، عن أنس. رواه البيهقي في "الشعب" ٧/ ١٠٨ - ١٠٩ (٩٦٦٤)، وغيره انظر: "المقاصد الحسنة" (٩٢١)، "السلسلة الضعيفة" (٥٨٥).

(١) رواه بنحوه الطبراني في "الأوسط" ٤/ ٣٣٨ - ٣٣٩ (٤٣٧٢) من طريق بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده.

(٢) رواه مسلم (١٤٨٠) كتاب: الطلاق: باب: المطلقة ثلاثا لا نفقة لها، من حديث فاطمة بنت قيس.

(٣) من (ص٢).." (١)

"**لحم أخيه** ميتا والغوافل جمع غافلة وهي العفيفة الغافلة عن الشر والمراد تبرئتها من اغتياب الناس بأكل لحومهم من الغيبة ومناسبة تسمية الغيبة بأكل اللحم أن اللحم ستر على العظم فكأن المغتاب يكشف ما على من اغتابه من ستر وزاد بن هشام في السيرة في هذا الشعر على أبي زيد الأنصاري عقيلة حي من لؤي بن غالب كرام المساعي مجدهم غير زائل مهذبة قد طيب الله خيمها وطهرها من كل سوء وباطل وفيه عن بن إسحاق فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم فلا رفعت سوطي إلي أناملي فكيف وودي ما حييت ونصرتي لآل رسول الله زين المحافل وزاد فيه الحاكم في رواية له من غير رواية بن إسحاق حليلة خير الخلق دينا ومنصبا نبي الهدى والمكرمات الفواضل رأيتك وليغفر لك الله حرة من المحصنات غير ذات الغوائل والخيم بكسر المعجمة وسكون التحتانية الأصل الثابت وأصله من الخيمة يقال خام يخيم إذا أقام بالمكان قوله فقالت عائشة لست كذاك ذكر بن هشام عن أبي عبيدة أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة فقالت حصان رزان البيت فقالت عائشة لكن أبوها وهو بتخفيف النون فإن كان محفوظا أمكن تعدد القصة ويكون قوله في بعض طرق رواية مسروق يشبب ببنت له بالنون لا بالتحتانية ويكون نظم حسان في بنته لا في عائشة وإنما تمثل به لكن بقية الأبيات ظاهرة في أنها في عائشة وهذا البيت في قصيدة لحسان يقول فيها فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم فلا رفعت سوطي إلي أناملي وإن الذي قد قيل ليس بلائق بك الدهر بل قيل امرئ متماحل قوله قالت لكن أنت في رواية شعيب قالت لست كذاك وزاد في آخره وقالت قد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم في المغازي من وجه آخر عن شعبة بلفظ أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ودل قول عائشة لكن أنت لست كذلك على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك وهذه الزيادة الأخيرة تقدمت هناك من طريق عروة عن عائشة أتم من هذا وتقدم هناك أيضا في أثناء حديث الإفك من طريق صالح بن كيسان عن الزهري قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء قوله باب ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ذكر فيه بعض حديث مسروق عن عائشة وقد بينت ما فيه في الباب الذي قبله وقوله في أول السند حدثنا محمد بن كثير أنبأنا سليمان كذا للأكثر غير منسوب وهو." (٢)

---

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح ابن الملقن ٣٨٥/٢٨

(٢) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ٤٨٦/٨

"التفسير وبن خميس في جزء له مفرد في الغيبة والمنذري وغير واحد من العلماء من آخرهم الكرماني قال الغيبة أن تتكلم خلف الإنسان بما يكرهه لو سمعه وكان صدقا قال وحكم الكناية والإشارة مع النية كذلك وكلام من أطلق منهم محمول على المقيد في ذلك وقد وقع في حديث سليم بن جابر والحديث سيق لبيان صفتها واكتفي باسمها على ذكر محلها نعم المواجهة بما ذكر حرام لأنه داخل في السب والشتم وأما حكمها فقال النووي في الأذكار الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين وقد تظاهرت الأدلة على ذلك وذكر في الروضة تبعا للرافعي أنها من الصغائر وتعقبه جماعة ونقل أبو عبد الله القرطبي في تفسيره الإجماع على أنها من الكبائر لأن حد الكبيرة صادق عليها لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه وقال الأذرعي لم أر من صرح بأنها من الصغائر إلا صاحب العدة والغزالي وصرح بعضهم بأنها من الكبائر وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل فمن اغتاب وليا لله أو عالما ليس كمن اغتاب مجهول الحالة مثلا وقد قالوا ضابطها ذكر الشخص بما يكره وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه وقد يشتد تأذيه بذلك وأذى المسلم محرم وذكر النووي من الأحاديث الدالة على تحريم الغيبة حديث أنس رفعه لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم قلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم أخرجه أبو داود وله شاهد عن بن عباس عند أحمد وحديث سعيد بن زيد رفعه إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق أخرجه أبو داود وله شاهد عند البزار وبن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة وعند أبي يعلى من حديث عائشة ومن حديث أبي هريرة رفعه من أكل لحم أخيه في الدنيا قرب له يوم القيامة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويصيح سنده حسن وفي الأدب المفرد عن بن مسعود قال ما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن الحديث وفيه أيضا وصححه بن حبان من حديث أبي هريرة في قصة ماعز ورجمه في الزنا وإن رجلا قال لصاحبه انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم كلا من جيفة هذا الحمار لحمار ميت فما نلتما من عرض هذا الرجل أشد من أكل هذه الجيفة وأخرج أحمد والبخاري في الأدب المفرد بسند حسن عن جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فهاجت ريح منتنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين وهذا الوعيد في هذه الأحاديث يدل على أن الغيبة من الكبائر لكن تقييده في بعضها بغير حق قد يخرج الغيبة بحق لما تقرر أنها ذكر المرء بما فيه ثم ذكر المصنف حديث بن عباس قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على قبرين يعذبان الحديث وقد تقدم شرحه في كتاب الطهارة وليس فيه ذكر الغيبة بل فيه يمشي بالنميمة قال بن التين إنما ترجم بالغيبة وذكر النميمة لأن الجامع بينهما ذكر ما يكرهه المقول فيه بظهر الغيب وقال الكرماني الغيبة نوع من النميمة لأنه لو سمع المنقول عنه ما نقل عنه لغمه قلت الغيبة قد توجد في بعض صور النميمة وهو أن يذكره في غيبته بما فيه مما يسوؤه قاصدا بذلك الإفساد فيحتمل أن تكون قصة الذي كان يعذب في قبره كانت كذلك ويحتمل أن يكون أشار إلى ما ورد في بعض طرقه بلفظ الغيبة صريحا وهو ما أخرجه هو في الأدب المفرد من حديث جابر قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فأتى على قبرين فذكر فيه نحو حديث الباب وقال فيه أما أحدهما فكان يغتاب

الناس الحديث وأخرج أحمد والطبراني بإسناد صحيح عن أبي بكرة قال مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين فقال إنهما." (١)

"فقالت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تأذني له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى ﴿والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ فقالت وأي عذاب أشد من العمى قالت له إنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم –) مطابقته للترجمة مثل ما ذكرنا في الحديث الماضي وبشر بكسر الباء الموحدة وسكون الشين المعجمة ابن خالد أبو محمد العسكري الفرائضي وهو شيخ مسلم أيضا ومحمد بن جعفر وهو الملقب بغندر وسليمان هو الأعمش وأبو الضحى بضم الضاد المعجمة اسمه مسلم بن صبيح الكوفي والحديث أخرجه البخاري أيضا في التفسير عن محمد بن بشار وعن محمد بن يوسف وأخرجه مسلم في الفضائل عن بشر بن خالد وعن محمد بن مثنى قوله يشبب بالشين المعجمة من التشبيب وهو ذكر الشاعر ما يتعلق بالغزل ونحوه قوله حصان إلى آخره وهو من قصيدة من الطويل وحصان بفتح الحاء أي عفيفة تمتنع من الرجال قوله رزان بفتح الراء وتخفيف الزاي أي صاحبة الوقار وقيل يقال امرأة رزان إذا كانت رزينة في مجلسها والرزان والثقال بمعنى واحد وهي قليلة الحركة وكلاهما على وزن فعال بفتح الفاء وهو يكثر في أوصاف المؤنث وفي الأعلام قوله " ما تزن " بضم التاء المثناة من فوق وفتح الزاي وتشديد النون أي ما تتهم بريبة يقال أزننت الرجل إذا اتهمته بريبة والريبة بكسر الراء التهمة قوله " غرثى " بفتح الغين المعجمة وسكون الراء وبالثاء المثلثة أي جائعة يعني لا تغتاب الناس إذ لو كانت مغتابة لكانت آكلة من لحم أخيها فتكون شبعانة لا جوعانة ويقال رجل غرثان وامرأة غرثى ويقال وتصبح غرثى أي خميصة البطن من لحوم الغوافل وهن العفيفات قال تعالى ﴿إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات﴾ جعلهن الله غافلات لأن الذي رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن فهن في غفلة عنه وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف قوله لكنك لست كذلك الخطاب لحسان فيه إشارة إلى أنه اغتاب عائشة رضي الله تعالى عنها حين وقعت قصة الإفك وقد عمي في آخر عمره قوله فقلت لها أي لعائشة لم تأذني له أي لحسان قوله أن يدخل أي بأن يدخل وكلمة أن مصدرية قوله أنه كان ينافح أي أن حسان كان يذب عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالشعر ويخاصم عنه –

٣٦ – (باب غزوة الحديبية)

أي: هذا باب في بيان غزوة الحديبية وفي رواية الكشميهني باب عمرة الحديبية بدل غزوة الحديبية وهي بضم الحاء وفتح الدال المهملتين وسكون الياء آخر الحروف وكسر الباء الموحدة قال الأصمعي هي مخففة الياء الأخيرة وزعم صاحب تثقيف اللسان أن تشديدها لحن، وقال أبو الخطاب خفف ياءها المتقنون وعامة المحدثين والفقهاء يشد دونها وهي قرية ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة بينها وبين المدينة تسع مراحل ومرحلة إلى مكة شرفها الله تعالى والشجرة سمرة بايع الصحابة تحتها قال مالك هي من الحرم وقال ابن القصار بعضها من الحل وبعضها من الحرم وكان يضارب النبي

---

(١) فتح الباري لابن حجر ابن حجر العسقلاني ١٠/٤٧٠

صلى الله عليه وسلم في الحل ومصلاه في الحرم وقال الخطابي: أهل الحديث يشددونها وكذلك راء الجعرانة وأهل العربية يخففونها وقال البكري أهل العراق يشددون الياء وأهل الحجاز يخففونها وقال أبو جعفر النحاس سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف وقيل سميت الحديبية بشجرة هناك حدباء فصغرت.

وقول الله تعالى لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة

وقول الله بالجر عطف على قوله غزوة الحديبية وأراد بذكر هذه الآية الكريمة الإشارة إلى أنها نزلت في قصة الحديبية وقد مر بيان قصة الحديبية في كتاب الصلح في أبواب متفرقة وكانت في هلال ذي القعدة يوم الاثنين سنة ست قال البيهقي هذا هو الصحيح وإليه ذهب الزهري وقتادة وابن عقبة وابن إسحاق وغيرهم واختلف فيه على عروة فقيل مثل الجماعة وقيل في رمضان فروى عنه خرج رسول الله، صلى الله عليه وسلم في رمضان وكانت العمرة في شوال وقال ابن سعد ولم يخرج." (١)

"الظهر ركعتين وسلم، فقال ذو اليدين: أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله؟ ما يقول ذو اليدين؟ وقد مر في أوائل كتاب الصلاة في: باب تشبيك الأصابع في المسجد، ولكن لفظه: أكما يقول ذو اليدين؟ وهو المطابق للترجمة المذكورة.

وما لا يراد به شين الرجل

أي: وفي جواز ما لا يراد به شين الرجل أي: غيبه، وهو مذهب جماعة، ورأى قوم من السلف أن وصف الرجل بما فيه من الصفة غيبة له. قال شعبة: سمعت معاوية بن قرة يقول: لو مر بك أقطع فقلت: ذاك الأقطع، كانت منك غيبة، ولكن مذهب الآخرين أنه إذا كان على وجه التعريف به فلا بأس به كما ذكرناه، وهو ظاهر إيراد البخاري، بقوله: وما لا يراد به شين الرجل وأما إذا كان يراد بالتلقيب عيبه فلا يجوز لأن فيه تنقيصا.

٤٦ - (باب الغيبة)

أي: هذا باب في بيان تحريم الغيبة بكسر الغين وهي أن يتكلم خلف إنسان بما يغمه لو سمعه وكان صدقا، أما إذا كان كذبا فيسمى بهتانا، وفي حكمه الكتابة والإشارة ونحوهما.

وقول الله تعالى: ﴿ (٩٤) ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١٢) [/ ح.

وقول الله، بالجر عطفا على قوله: الغيبة، وفي بعض النسخ ذكر بعده: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه**﴾ الآية. واكتفى البخاري بذكر الآية المصرحة بالنهي عن الغيبة ولم يذكر حكمها في الترجمة، كما ذكر في النميمة حكما، حيث قال: باب النميمة من الكبائر، كما يأتي عن قريب.

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ٢١٢/١٧

٦٠٥٢ – حدثنا يحياى حدثنا وكيع عن الأعمش قال: سمعت مجاهدا يحدث عن طاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم، على قبرين، فقال: إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير! أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هاذا فكان يمشي بالنميمة، ثم دعا بعسيب رطب فشقه بإثنين، فغرس على هاذا واحدا وعلى هاذا واحدا، ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لع ييبسا.." (١)

"ثم أجاب: بأن الله صنع ذلك إشارة إلى مطلوبية قلة الكلام.

قال العلماء: في الحديث دلالة على التحذير من أذى اللسان ومن آفاته، وآفاته كثيرة لا تنحصر، وأكثر معاصي ابن آدم فيه من أقبحها وأضرها للناس وأفحشها الغيبة.

والغيبة: أن يذكر الإنسان غيره بما يكرهه وإن كان فيه، حتى أن قلت عن طويل: فلان طويل أو عن قصير: فلان قصير، وكان يكره ذلك فإنه حرام ويعد غيبة، وهي حرام سواء بلقبك أو لسانك أو خطك أو إشارتك بعين ورأس أو نحوها، وسواء كان في ماله أو ولده أو زوجته أو نحو ذلك.

والذي يدل على إنها محرمة الكتاب والسنة وإجماع الأمة قال الله تعالى ؟ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه؟ [الحجرات: ١٢] .

؟ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا؟ [الإسراء: ٣٦] .

واختلف العلماء رضي الله عنهم فيها: هل هي من الكبائر أو من الصغائر فقال صاحب «العدة» وأقره الرافعي: أنها من صغائر الذنوب لعموم البلوى.

وقال القرطبي في تفسير القرآن: إنها من الكبائر بلا خلاف، قال الزركشي: وقد ظفرت بنص الإمام الشافعي على إنها من الكبائر فالقول: بأنها صغيرة ضعيف أو باطل.

لكن قال القاضي زكريا: يمكن حمل نص الشافعي على ما إذا أصر على الغيبة، فإنها تصير من الكبائر بلا خلاف، وكذا لو اغتاب عدلا.

قال الشيخ ولي الله تقي الدين الحصيني: وقد يحتقر الشخص بالكلمة الواحدة من الغيبة، لكثرة إدمانه عليها، وتعود لسانه بها ومخالطته من الاعتناء له بحفظ أمر الله تعالى وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – لا سيما المتفقهة والصوفية، فإن غيبتهم غالبا تكون في المساجد، والربط المبنية لذكر الله تعالى وعبادته، فيرتكبون مخالفة أمر الله وأمر رسوله – صلى الله عليه وسلم – في أطهر البقاع مع علمهم بأن الكلمة الواحدة من الغيبة عظيم أمرها، فقد صح في الحديث أن عائشة رضي الله عنها اغتابت ضرتها صفية وقالت للنبي – صلى الله عليه وسلم –: حسبك من صفية إنها كذا أي: يكفيك منها إنها امرأة قصيرة فقال – صلى الله عليه وسلم –: «قلت كلمة لو مزجت." (٢)

---

(١) عمدة القاري شرح صحيح البخاري بدر الدين العيني ١٢٧/٢٢

(٢) شرح البخاري للسفيري = المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية شمس الدين السفيري ٣٧٩/١

"٤٨٧٣ - وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - «أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر، وكانا صائمين، فلما قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة قال: " أعيدا وضوءكما وصلاتكما، وامضيا في صومكما، واقضياه يوما آخر ". قالا: لم يا رسول الله؟ قال: " اغتبتم فلانا» .

٤٨٧٣ - (وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رجلين صليا صلاة الظهر أو العصر) أي: معه - صلى الله عليه وسلم - (وكانا صائمين) ، عطف أو حال (فلما قضى النبي - صلى الله عليه وسلم - الصلاة) أي: فرغ عن أدائها (قال) أي: النبي - صلى الله عليه وسلم - للرجلين (أعيدوا) : بصيغة الجمع على أن الاثنين أقله بقرينة ما بعده، وفي نسخة أعيدا (وضوءكما وصلاتكما، وامضيا) : بهمز وصل وكسر ضاد أي: انفذا (في صومكما) : يعني لا تقطعاه بالإفطار من مضى في أمره: إذا نفذ فيه، ولم يتوقف (واقضياه) أي: صومكما (يوما آخر) . قال الطيبي: وهذا في الصوم ظاهر لقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] ، وأما في الصلاة ؛ فلأنه شرب دم أخيه ولحمه فحمل النجاسة. اهـ.

وحاصله أن الإتيان بالمعصية قبل الطاعة ينقص كمالها، كما أن الحسنة بعد السيئة توجب زوالها، فإن قوله تعالى: ﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾ [هود: ١١٤] ، ورد فيمن قبل امرأة أجنبية، ولعله - صلى الله عليه وسلم - هنا أظهر الزجر الشديد والتغليظ والوعيد لما يتعلق بالغيبة من حق العباد، وربما تذهب العبادة بالكلية ؛ حيث يعطى لصاحب الغيبة النافلة الطوية فيبقى المذنب بلا صوم وصلاة، فلهذا أمرهما بإعادتهما وقضائه، وهذا من قبيل فتوى الخاصة لا من قبيل أحكام العامة، وفي مسند الفردوس للديلمي، عن ابن عمر مرفوعا " «الغيبة تنقض الوضوء والصلاة» " (قالا) : وفي نسخة فقالا: (لم يا رسول الله؟) أي: لأي سبب (قال: اغتبتم فلانا) أي: قبل الصلاة وبعد الطهارة ومباشرة الصوم.." (١)

"٤٩٨١ - وعن أسماء بنت يزيد - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " «من ذب عن لحم أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار» ". رواه البيهقي في " شعب الإيمان ".

٤٩٨١ - (وعن أسماء بنت يزيد) أي: ابن السكن (قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من ذب) أي: دفع (عن لحم أخيه) : كناية عن غيبته على طبق الآية، والمعنى من دفع أو من منع مغتابا عن غيبة أخيه (بالمغيبة) أي: في زمان كون أخيه غائبا وهو مصدر أو اسم زمان أو مكان. قال الطيبي: كأنه قيل من ذب عن غيبة أخيه في غيبته، وعلى هذا بالمغيبة ظرف، ويجوز أن يكون حالا، وفي هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان، ولم يقتصر عليه، بل جعلها كلحم أخيه ؛ لأنه أشد نفارا من لحم الأجانب، وزاد في المبالغة حيث جعل الأخ ميتا. (كان حقا على الله) أي: ثابتا عنده أو واجبا عليه، بمقتضى وعده (أن يعتقه من النار) . وهو إما في أول وهلة قبل دخولها أو بعده قبل استيفاء العقوبة (رواه البيهقي في شعب الإيمان) : وفي التصحيح: رواه الطبراني ومحيي السنة، وفي سنده ضعف. وقال الحافظ المنذري في

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣٠٥٦/٧

الترغيب: رواه أحمد بسند حسن وابن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم نقله ميرك. وفي الجامع الصغير بلفظ: " «من ذب عن عرض أخيه بالمغيبة كان حقا على الله أن يقيه من النار» " رواه أحمد والطبراني في الكبير عن أسماء بنت يزيد.." (١)

"الأنبياء) لعصمتهم من الضلال والإضلال (وأشرف الموت قتل الشهداء) لأنه في الله ولله ولإعلاء كلمة الله فأعقبهم الحياة بالله (وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى) الكفر بعد الإيمان فهو العمى على الحقيقة (وخير العلم ما نفع) بأن صحبه إخلاص (وخير الهدي ما اتبع) بالبناء للمجهول أي اقتدى به كنشر علم وتأديب مريد وتهذيب أخلاق (وشر العمى عمى القلب) لأن عماه بفقد نور الإيمان بالغيب فيثمر الغفلة عن الله والآخرة ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى (واليد العليا خير من اليد السفلى) أي المعطية خير من الآخذة (وما قل) من الدنيا (وكفى) الإنسان لمؤنته ومؤنة ممونه (خير مما كثر وألهى) عن الله والدار الآخرة لأن الاستكثار من الدنيا يورث الهم والغم والقسوة (وشر المعذرة حين يحضر الموت) فإن العبد إذا اعتذر بالتوبة عند الغرغرة لا يفيده لانها حالة كشف الغطاء (وشر الندامة) التحسر على مافات (يوم القيامة) فانها لا تنفع يومئذ ولا تفيد (ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرا) بضمتين أي بعد فوت الوقت (ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا) أي تاركا للإخلاص كأن قلبه هاجر للسانه (وأعظم الخطايا اللسان الكذوب) وهو الذي تكرر كذبه حتى صار صفة له (وخير الغنى غنى النفس) فإنه الغنى على الحقيقة (وخير الزاد) إلى الآخرة (التقوى ورأس الحكمة مخافة الله) أي الخوف منه فمن لم يخف منه فباب الحكمة وطريق السعادة دونه مسدود (وخير ما وقر في القلب اليقين) أي خير ما سكن فيه نور اليقين فإنه المزيل لظلمة الريب (والارتياب) أي الشك في شيء مما جاء به الرسول (كفر) بالله (والنياحة من عمل الجاهلية) أي النوح على الميت بنحو واكهفاه من عادة الجاهلية وقد حرمه الإسلام (والغلول) الخيانة الخفية (من جثا جهنم) جمع جثوة بالضم الشيء المجموع يعني الحجارة المجموعة (والكنز) المال الذي لم تؤد زكاته (كي من النار) يكوى به صاحبه في جهنم (والشعر) بالكسر الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) إذا كان محرما (والخمر جماع الإثم) مجمعه ومظنته (والنساء حبالة الشيطان) مصايده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد به (والشباب شعبة من الجنون) لأنه يميل إلى الشهوات ويوقع في المضار (وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زنية (وشر المأكل) أي المأكول (مال اليتيم) ظلما لأن آكله إنما يأكل في بطنه نارا (والسعيد من وعظ بغيره) أي من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن قبيحها (والشقي من شقي في بطن أمه) فلا اختيار للسعيد في تحصيل السعادة ولا اقتدار للشقي على تبديل الشقاوة (وإنما يصير أحدكم) إذا مات (إلى موضع أربعة أذرع) وهو اللحد (والأمر بآخره) بالمد إنما الأعمال بخواتيمها (وملاك العمل) بالكسر قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (خواتمه) يعني أحكام عمل الخير وثباته موقوفة على سلامة عاقبته (وشر الروايا روايا الكذب وكل ما هو آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه أنهم يرونه بعيد أو نراه قريبا (وسباب المؤمن) بكسر المهملة سبه وشتمه (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه) أي غيبته وهو ذكره بما

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح الملا على القاري ٣١٢٠/٨

يكرهه في غيبته (من معصية الله) أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شيء." (١)

"١٦٠٩ - (أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله) القرآن لأنه يستحيل الكذب في خبره وإنما تكذب الظنون في فهم خطابه وإنما ينتفي الريب عن سامعه بقدر قوة إيمانه ومتانة إبقائه وسماه حديثا لنزوله منجما لا لكونه ضد القديم (وأوثق العرى كلمة التقوى) كلمة الشهادة إذ هي الوفاء بالعهد ومعنى إضافتها إلى التقوى انها سبب التقوى وأسها وقيل كلمة أهل التقوى ذكره في الكشاف وقوله اوثق العرى من باب التمثيل مثلت حال المتقي بحال من أراد التدلي من شاهق فاحتاط لنفسه بتمسكه بعروة من حبل متين مأمون انقطاعه (وخير الملل ملة إبراهيم) الخليل ومن ثم أمر صلى الله عليه وسلم باتباعها ﴿أن اتبع ملة إبراهيم﴾ (وخير السنن سنة محمد) صلى الله عليه وسلم وهي قوله أو فعله أو تقريره لأنها أهدى من كل سنة وأقوم من كل طريقة (وأشرف الحديث ذكر الله) لأن الشيء يشرف بشرف من هو له (وأحسن القصص هذا القرآن) لأنه برهان ما في سائر الكتب ودليل صحتها لأنه معجزة وليس تلك بمعجزة فهي مفتقره إلى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج عليه إلى شهادة الحجة ذكره الزمخشري (وخير الأمور عوازمها (١) وشر الأمور محدثاتها) بضم فسكون جمع محدثة (٢) وهي ما لم يكن معروفا في كتاب ولا سنة ولا إجماع (وأحسن الهدي) بفتح الهاء وسكون الدال المهملة السمت والطريقة والسيرة أي خير السيرة والطريقة سيرة محمد صلى الله عليه وسلم وطريقته وروي أيضا بضم الهاء وفتح الدال ومعناه الدلالة والرشاد (هدي الأنبياء) لأنه تعالى تولى هدايتهم وتأديبهم وعصمتهم عن الضلال والإضلال والهدي بضم الهاء وفتح الدال والقصر الارشاد واللام في الهدي للاستغراق لأن أفعل التفضيل لا تضاف إلا إلى متعدد وهو داخل فيه ولأنه لو لم يكن للاستغراق لم يفد المعنى المقصود (وأشرف الموت قتل الشهداء) لأنه في الله ولإعلاء كلمة الله فأعقبهم الحياة بالله ولهذا نهى الله الخلق عن إطلاق الموت عليهم (وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى) أي الكفر بعد الإسلام فهو العمى على الحقيقة (وخير العلم ما نفع) وفي رواية بدل العلم العمل بأن صحبه إخلاص فإن العلم الذي لا ينفع لا خير فيه لصاحبه بل هو وبال عليه

-[١٧٦]- (وخير الهدى ما اتبع) بالبناء للمجهول أي اقتدي به كنشر العلم للمريدين وتهذيب المشايخ لأحوال السالكين وهي سيرة المرسلين وشر العمى عمى القلب لأن عماه يفقد نور الإيمان بالغيب فيثمر الغفلة عن الله والآخرة ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ فعمى البصيرة أشد من عمى البصر لأنه عظيم الضرر ﴿فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾ (واليد العليا خير من اليد السفلى) أي اليد المعطية خير من اليد الآخذة (٣) (وما قل) من الدنيا (وكفى) الإنسان لمؤنته ومؤنة من عليه مؤنته (خير مما كثر وألهى) عن الله والدار الآخرة لأن الاستكثار من الدنيا يورث الهم والغم وقسوة القلب وشدة الحرص وينسي الموت والقبر والثواب والعقاب وأحوال الآخرة (وشر المعذرة حين يحضر الموت) فإن العبد إذا اعتذر إلى الله بالتوبة عند احتضاره ووقوعه في الفزع لا يفيده فمراده الاعتذار عند الغرغرة ومعاينة ملك الموت وهي حالة كشف الغطاء واليأس من البقاء ﴿وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى

---

(١) التيسير بشرح الجامع الصغير المناوي ١/٢٣٤

إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن﴾ (وشر الندامة) أي الحزن. وقال الراغب: الندم التحسر على ما فات (يوم القيامة) فإنها لا تنفع يومئذ ولا تفيد. (ومن الناس من لا يأتي الصلاة إلا دبرا) بفتح أو ضم المهملة كذا ذكره بعضهم وقال العسكري: الصواب بضمتين ونصبه على الظرف أي بعد فوت الوقت (ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا) أي تاركا للإخلاص كأن قلبه هاجر للسانه ﴿يراؤون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا﴾ لا يدعوهم إلى موافقة العاملين إلا استقباح المذمة من الناس والسطوة من السلطان أو العيب من الإخوان والجيران ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ (وأعظم الخطايا اللسان الكذوب) وهو الذي تكرر كذبه حتى صار صفة له حتى يأتي بالكبائر كلها كالقذف والبهتان وشهادة الزور وغيرها وربما أفضى إلى الكفر فإن اللسان أعظم عملا من سائر الجوارح فإذا تعود الكذب أورد صاحبه المهالك. (وخير الغنى غنى النفس) فإنه الغنى على الحقيقة وفقير النفس لا يزال في هم وغم على تحصيل الدنيا والحرص على جمعها بقوله أخاف الفقر في الكبر وغير ذلك (وخير الزاد) إلى الآخرة (التقوى) ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾ قال الغزالي: جمعت خيرات الدنيا والآخرة تحت هذه الخصلة التي هي التقوى وتأمل ما في القرآن من ذكرها كم علق بها من خير ووعد عليها من ثواب وكم أضاف إليها من سعادة ومدار العبادة على ثلاثة أصول: الأول: التوفيق والتأييد وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿أن الله مع المتقين﴾ . الثاني: إصلاح العمل واتقاء التقصير وهو للمتقين. قال الله تعالى ﴿يصلح لكم أعمالكم﴾ . الثالث: قبول العمل وهو للمتقين قال الله تعالى ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ فالتقوى هي الجامعة للخيرات الكافية للمهمات الرافعة للدرجات (ورأس الحكمة مخافة الله) أي الخوف منه أصلها واسمها فمن لم يخف الله فباب الحكمة عليه مسدود (وخير ما وقر في القلب اليقين) أي خير ما سكن فيه نور اليقين فإنه المزيل لظلمة الريب. قال الزمخشري: من المجاز وقر في قلبه كذا وقع وبقي أثره وكلمته وقرت في إذنه ثبتت (والارتياب) أي الشك في شيء مما جاء به الرسول (من الكفر) بالله تعالى (والنياحة من عمل الجاهلية) أي النوح على الميت بنحو واكهفاه واجبلاه من عادة الجاهلية وقد جاء الإسلام بتحريمه (والغلول) أي الخيانة الخفية (من جثا جهنم) جمع جثوة بالضم الشيء المجموع كذا في النهاية وفي التقريب الجثوة مثلثة الحجارة المجموعة وقيل معنى

-[١٧٧]- من جثاء جهنم من جماعتها وفي رواية للقضاعي من جمر جهنم. قال شارحه: لأن الغلول يصير على الغال جورا لقوله صلى الله عليه وآله وسلم في الذي غل شملة إنها تضرم عليه نارا (والكنز) أي المال الذي لم تؤد زكاته (كي من النار) أي يكوي صاحبه في نار جهنم (والشعر) بكسر الشين الكلام المقفى الموزون قصدا (من مزامير إبليس) أي الشعر المحرم لا الجائز (والخمر جماع الإثم) أي مجمعه ومظنته والجماع اسم لما يجمع ويضم يقال هذا الباب جماع الأبواب من جمعت الشيء ضممته كالكفات من كفت الشيء إليه إذا ضمه وجمعه ذكره الكشاف. وفي الفائق جماع كل شيء مجمتمع أصله يقال لما اجتمع في الغصن من النور هذا جماع الثمر (والنساء حبالة الشيطان) أي مصائده وفخوخه واحدها حبالة بالكسر وهي ما يصاد بها من أي شيء كأن دعى رجل إلى قتل نفس فأبى ثم إلى الزنا فأبى ثم إلى الخمر فشرب فزنا فقتل وقيل ما أيس الشيطان من آدمي من قبل النساء ومن ثم قال سليمان عليه الصلاة والسلام: امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة وسمع عمر رضي الله عنه تعالى امرأة تقول:

إن النساء رياحين خلقن لكم. . . وكلكم يشتهي شم الرياحين

فقال:

إن النساء شياطين خلقن لنا. . . نعوذ بالله من شر الشياطين

وقال بعض الحكماء: إياك ومخالطة النساء فإن لحظات المرأة سهم ولفظها سم (والشباب شعبة من الجنون) لأن الجنون يزيل العقل وكذا الشباب قد يسرع إلى قلة العقل لما فيه من كثرة الميل إلى الشهوات والإقبال على المضار لحداثة السن سيما مع الجدة

إن الشباب والفراغ والجده. . . مفسدة للمرء أي مفسدة

(وشر المكاسب كسب الربا) أي التكسب به لأن درهما منه أشد من ثلاث وثلاثين زينة كما يجيء في أخبار (وشر المآكل أكل مال اليتيم) ظلما ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾ (٤) ولذا كان من أكبر الكبائر (والسعيد من وعظ بغيره) أي السعيد من تصفح أفعال غيره فاقتدى بأحسنها وانتهى عن سيئها قال:

إن السعيد له من غيره عظة. . . وفي التجارب تحكيم معتبر

وقال حجة الإسلام: المراد أن الإنسان يشاهد من خبائث من اضطر إلى مرافقته وأحواله وصفاته ما يستقبحه فيجتنبه وقيل لعيسى عليه الصلاة والسلام من أدبك فقال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فجانبته. قال الحجة: ولقد صدق فلو اجتنب الناس ما يكرهونه من غيرهم لكملت آدابهم واستغنوا عن مؤدب فاطلع في القبور واعتبر بالنشور وانظر إلى مصارع آبائك وفناء إخوانك ومن أمثالهم كم قذف الموت في هوة من جمجمة من هوة وكفى بالموت واعظا ونظر الحسن رضي الله عنه إلى ميت يقبر فقال: والله إن أمرا هذا أوله لحري أن يخاف آخره وإن أمرا هذا آخره لجدير أن يزهد في أوله. وقال مطرف: أفسد الموت على أهل النعيم نعيمهم فاطلبوا نعيما لا موت فيه. وقال الحكماء: للباقين بالماضين معتبرا وللآخرين بالأولين مزدجر والسعيد من لا يركن إلى الخدع ولا يغتر بالطمع. وقالوا: السعيد من اعتبر بأمه واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه (والشقي من شقي في بطن أمه) فلا اختيار للسعيد في تحصيل السعادة ولا اقتدار للشقي على تبديل الشقاوة. قال ابن الكمال: ومعنى الحديث أن السعيد مقدر سعادته وهو في بطن أمه والشقي مقدر شقاوته وهو في بطن أمه وتقدير الشقاوة له قبل أن يولد لا يدخله في حيز

-[١٧٨]- ضرورة السعادة كما دل عليه خبر كل مولود يولد على الفطرة (وإنما يصير أحدكم) إذا مات (إلى موضع أربع أذرع) وهو اللحد وانظر إلى ما تصير وفيم تسكن وقيل في آية ﴿وكان تحته كنز لهما﴾ هو لوح من ذهب فيه: عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح ولمن يعرف النار كيف يضحك ولمن يعرف الدنيا وتحويلها كيف يطمئن إليها؟ وقال ثابت: أي عبد أصعب حالا ممن يأتيه ملك الموت وحده ويقبر بلحده وحده وقيل لبشر بن الحارث: عظنا قال: ما أقول فيمن القبر مسكنه والصراط جوازه والقيامة موقفه والله مسائله فلا يعلم إلى جنة فيهنئ أم إلى نار فيعزى (والأمر بآخره) بالمد إنما الأعمال بخواتيمها (وملاك العمل) بكسر الميم وفتحها أي قوامه ونظامه وما يعتمد عليه فيه (خواتمه) وأصل الملاك استحكام القدرة ومعناه أن أحكام عمل الخير وثباته موقوفة على سلامة عاقبته إنما الأعمال بالخواتيم فقد يبتدىء بالصلاة وغيرها بنية خالصة ثم يعرض له آفة تمنع صحته أو تبطل أجره من نحو عجب أو رياء أو عزم على تركه فإن لم يعرض آفة قبل تمامه أو عرضت وردها بالعلم وختم بما بدأ استحكم عمله باستدراكه ما فرط في الأثناء بإخلاص خاتمته. قال ابن بطال: في

تغييب خاتمة العمل عن العبد حكمة بالغة وتدبير لطيف لأنه لو علم وكان ناجيا أعجب وكسل وإن كان هالكا زاد عتوا فحجب عنه ذلك ليكون بين خوف ورجاء. إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا سوى مقدار شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة كما سيجيء في الخبر (وشر الروايا (٥) روايا الكذب وكل ما هو آت) من الموت والقيامة والحساب والوقوف (قريب) وأنت سائر على مراحل الأيام والليالي إليه ﴿إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾ فالجاهل يراه بعيدا لعمى قلبه والمؤمن الكامل يراه بنور إيمانه قريبا كأنه يعاينه فبذل دنياه لأخراه وسلم نفسه لمولاه فلا تغرنك الدنيا فجديدها عما قليل يبلى ونعيمها يفنى ومن لم يتركها اختيارا فعما قريب يتركها اضطرارا ومن لم تزل نعمته في حياته زالت بمماته قال ابن عطاء رضي الله عنه: لا بد لهذا الوجود أن تنهدم دعائمه وأن تسلب كرائمه فالعاقل من كان بما هو أبقى أوثق منه بما هو يفنى. وقال بعض الحكماء: من كان يؤمل أن يعيش غدا فهو يؤمل أن يعيش أبدا. قال الماوردي: ولعمري إنه صحيح إذ كل يوم غدا فإذا يفضى به الأمل إلى الفوت من غير ويؤديه الرجاء إلى الإهمال بغير تلاف. وقال الحكماء: لا تبت على غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ومن عمرك في فسحة فإن الدهر خائن وكل ما هو آت كائن (وسباب المؤمن) بكسر السين المهملة أي سبه وشتمه (فسوق) أي فسق (وقتال المؤمن) بغير حق (كفر) إن استحل قتله بلا تأويل سائغ (وأكل لحمه من معصية الله) أي غيبته وهي ذكره بما يكرهه حرام ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما يمتنع سفك دمه بغير حق يمتنع أخذ شيء من ماله بغير حق. قال في الكشاف: الحرمة ما لا يحل هتكه (ومن يتأل على الله) أي يحكم عليه ويحلف كقوله والله ليدخلن فلان النار من الألية وهي اليمين (يكذبه) بأن يفعل خلاف ما حلف عليه مجازاة له على جراءته وفضوله (ومن يغفر يغفر الله له) أي ومن يستر على أخيه فضيحة اطلع عليها يستر الله ذنوبه فلا يؤاخذه بها (ومن يعف) أي عن الجاني عليه (يعف الله عنه) أي ومن يمحو أثر جناية غيره يمحو الله سيئاته جزاءا وفاقا (ومن يكظم الغيظ) أي يرده ويكتمه مع قدرته على إنفاذه (يأجره الله) أي يثيبه الله لأنه -[١٧٩]- محسن يحب المحسنين وكظم الغيظ إحسان. قال الزمخشري: كظم البعير جرته ازدردها وكف عن الاجترار وكظم القربة ملأها وشد كظم الباب سده ومن المجاز كظم الغيظ وعلى الغيظ انتهى (ومن يصبر على الرزية) أي المصيبة احتسابا لله (يعوضه الله) عنها خيرا مما فاته منها (ومن يتبع الشمعة يسمع الله به) قال في الفردوس: قال العسكري هكذا يروى من هذا الطريق الشمعة بشين معجمة وهي المزاح والضحك ومنه امرأة شموع كثيرة الضحك والمعنى أن من عبث بالناس واستهزأ بهم يعبث به ويستهزأ منه ومن رواه بسين مهملة أراد من يرائي بعمله يفضحه الله (ومن يصبر يضعف الله له) الثواب أي ثوابه جزاء صبره أي يؤته أجره مرتين (ومن يعص الله يعذبه الله) إن شاء وإن شاء عفى عنه فهو تحت المشيئة (اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي اللهم اغفر لي ولأمتي) المراد أمة الإجابة وكرره ثلاثا لأن الله سبحانه وتعالى يحب الملحين في الدعاء (أستغفر الله لي ولكم) هذا الحديث قد عده العسكري وغيره من الحكم والأمثال وفيه أنه ينبغي للإنسان إذا دعا لغيره أن يبدأ بنفسه

(البيهقي في الدلائل) أي في كتاب دلائل النبوة (وابن عساكر) في تاريخه (عن عقبة بن عامر الجهني) قال خرجنا في غزوة

تبوك فاسترقد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان منها على ليلة فلم يستيقظ حتى كانت الشمس كرمح فقال ألم أقل لك يا بلال اكلأ لنا الفجر فقال: يا رسول الله ذهب بي الذي ذهب بك فانتقل غير بعيد ثم صلى ثم حمد الله ثم أثنى عليه ثم قال أما بعد إلى آخره (أبو نصر) عبد الله بن سعيد (السجزي) بكسر السين المهملة وسكون الجيم نسبة لسجستان على غير قياس (في الإبانة) أي في كتاب الإبانة له (عن أبي الدرداء) مرفوعا (ش) وكذا أبو نعيم في الحلية والقضاعي في الشهاب قال بعض شراحه حسن غريب (عن ابن مسعود موقوفا) ورواه العسكري والديلمي عن عقبة

---

(١) أي فرائضها التي فرض الله على الأمة فعلها

(٢) أي ما أحدث من البدع بعد الصدر الأول

(٣) أي إذا لم يكن الآخذ محتاجا لخبر ما المعطي من سعة بأفضل من الآخذ إذا كان محتاجا

(٤) قوله في بطونهم أي ملئها نارا لأنه يؤول إليها وسيصلون بالبناء للفاعل أي يدخلون سعيرا أي نارا شديدة

(٥) الروايا بفتح الراء المهملة جمع راوية بمعنى ناقل وفي حديث: والراوية أحد الشاتمين: أي وشر النافلين نافلي الكذب." (١)

"١٦- كتاب الأمور المنهي عنها

٢٥٤- باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان

قال الله تعالى (١) : (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم) .

وقال تعالى (٢) : (ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) .

كتاب الأمور

بضم أوليه جمع أمر بمعنى الحال أما الأمر بمعنى الطلب فجمعه أوامر (المنهي عنها) تحريما أو تنزيها بالمعنى الشامل لخلاف الأولى. (باب تحريم الغيبة) بكسر المعجمة وسكون التحتية (والأمر بحفظ اللسان) أي: عن كل منهي عنه من الكلام ومنه المباح الذي لا يعني. (قال الله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا) والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، مع أنه فيه فإن لم يكن فيه فبهتان (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه**) تمثيل لما ينال من عرض أخيه على أفحش وجه (ميتا) حال من اللحم والأخ (فكرهتموه) الفاء فصيحة أي إن عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، فهو تقرير وتحقيق للأول (واتقوا الله إن الله تواب) بليغ في قبول التوبة (رحيم) بالغ الرحمة. وقال تعالى: (ولا تقف) أي: تتبع (ما ليس لك به علم) ما لم يتعلق به علمك من قول وفعل، فيدخل فيه شهادة الزور والكذب والبهتان (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك) أي: السمع والبصر والفؤاد، وأولئك تجيء لغير العقلاء (كان عنه مسؤولا) من جوز تقديم مفعول ما لم يسم فاعله: لأنه في المعنى مفعول سيما

---

(١) فيض القدير المناوي ٢/١٧٥

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٢.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.." (١)

"الإصبع الوسطى وهو مؤنث وقد يذكر وجرد اسم العدد عن التاء ملاحظة لتأنيثه والمراد القبر فإنه غاية كل حي (والأمر) عام في كل أمر (بآخره) فلا اعتبار بأوائل الأمور فقد يجري على السداد ثم ينقلب أو على خلافه ثم يصلح في أمور الدين والدنيا (وملاك) بفتح الميم وكسرها وهو قوام (العمل خواتمه) وفي النهاية (١): ملاك الشيء بالفتح والكسر قوامه ونظامه وما يعتمد عليه (وشر الروايا روايا الكذب) في النهاية (٢): في حديث عبد الله: "شر الروايا روايا الكذب" هي جمع روية وهي ما يروي الإنسان في قلبه من القول والعمل أي يزور ويفكر وأصله الهمز، ويقال: روات في الأمر، وقيل: هي جمع راوية للرجل الكثير الرواية والهاء للمبالغة، وقيل: جمع رواية أي الذين يروون الكذب، أو تكثر رواياتهم فيه انتهى. (وكل ما هو آت قريب) فإن الليالي والأيام يقربان البعيد (وسباب المؤمن) بكسر السين المهملة في النهاية (٣): السب الشتم يقال سبه سبا وسبابا فهو مصدر أضيف إلى مفعوله أي سبابك المؤمن (فسوق) خروج عن الدين (وقتال المؤمن) كالأول في تركيبه (كفر) قيل: هو محمول على من سب أو قاتل مؤمنا من غير تأويل وقيل إنما قال ذلك على جهة التغليظ وأنه يخرجه إلى الكفر والفسق ذكره في النهاية (٤) (وأكل لحمه من معصية الله) كناية عن الاغتياب من قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] (وحرمة ماله كحرمة دمه) فكما لا يحل دمه فإنه لا يحل ماله (ومن يتآل) من

(١) النهاية (٤/ ٣٥٨).

(٢) النهاية (٢/ ٢٧٩).

(٣) النهاية (٢/ ٣٣٠).

(٤) النهاية (٣/ ٨٣٠).." (٢)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما الغيبة (١) ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تذكر (٢) من المرء ما يكره أن يسمع، قال: يا رسول الله، وإن كان حقا (٣) ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا قلت باطلا (٤) فذلك

(١) قوله: ما الغيبة، أي ما حقيقتها وما هيتها التي أمرنا الله تعالى بالاجتناب عنها بقوله: (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) (سورة الحجرات: الآية ١٢) .

(٢) قوله: أن تذكر، أي هو ذكرك من المرء مسلما كان أو كافرا، بالغا كان أو صبيا، متقيا كان أو فاجرا، سواء كان الذكر

(١) دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين ابن علان ٣٣٩/٨

(٢) التنوير شرح الجامع الصغير الصنعاني ٢٢٦/٣

كتابة أو نطقا، أو رمزا أو إشارة أو محاكاة، ونحو ذلك، لكن يشترط أن يكون في الغيبة فإن كان في حالة الحضرة فهو ليس بغيبة بل من أنواع السب مشافهة. ما يكره أن يسمع، أي شيئا يكرهه ويحزن منه إن سمعه المغتاب في دينه أو دنياه أو خلقه أو أهله، أو خادمه أو ثوبه أو حركته أو طلاقته إلى غير مما يتعلق به. وقد استثنى الفقهاء صورا (قال عيسى بن دينار: لا غيبة في ثلاث: إمام جائر، وفاسق معلن فسقه، وصاحب بدعة المنتقى ٣١٢/٧) من الغيبة حكموا بجوازها لضرورة أو لمصلحة، بسطها الغزالي في "إحياء العلوم"، وقد شرعت في تأليف رسالة طويلة في هذا الباب مشتملة على الأحاديث والحكايات مع ذكر ما يجوز منها، وما لا يجوز منها، في السنة الثانية والثمانين بعد الألف والمائتين من الهجرة وكتبت منها أجزاء كثيرة ثم وقعت عوائق عن إتمامها وأسأل الله أن يوفقني لاختتامها.

(٣) أي وإن كان ما ذكره حقا صادقا كأنه ظن أن الغيبة لا يكون إلا بالكذب فاستفسر عن حقيقة الأمر.

(٤) أي قولا كاذبا في حقه.." (١)

"أنك قد علمت أن صلاة الجماعة صلاة واحدة بالعدد في نظر الشرع؛ والإمام يناجي فيها فلا تخلو عن المناجاة على طورنا أيضا.

ثم لو أخذنا المناجاة من كل فليست هي إلا في السرية وأما في الجهرية فهي منازعة لا مناجاة، ومخالفة لأمر الإنصات والاستماع؛ لا مبادرة إلى الامتثال، ولم أر في نقل عن الإمام أن القراءة في السرية لا تجوز، أما في الجهرية فأمرها كما صرح به النص.

٥٣١ - قوله: (فلا يتفلن) وقد حققت مناطه أنه كان المصلي على سمت حسن، ولذا نهى عن إقعاء الكلب، وافتراش الثعلب، ونقر الغراب، وبروك الجمل، وأن يخفض رأسه في الركوع كالحمار، كل ذلك لأجل كونه على هيئات حسنة بين يدي ربه، فالبزاق في اليمين وإن كان منها من أجل الملك لكن رعايته أيضا لكون المصلي بين يدي ربه في هذا الحين، أما البزاق أمامه فهو أشد وأشد وأقبح وأقبح.

ثم إن سياق الحديث - «من تفل أمامه في الصلاة جاء يوم القيامة وتفله بين عينيه» أو كما قال - ليس عندي كسياق: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢]. لأن الحديث إنما سيق بيانا للجزاء من جنس العمل، بخلاف الآية.

قوله: (اعتدلوا) وفسره ابن دقيق العيد برفع العجيزة، ومجافاة العضدين عن الجنبين؛ ولم أزل أتفكر في تفسيره، لأن غاية ما يدل عليه لفظ الاعتدال، هو التعديل على خلاف نقر الديك حتى رأيت كلام ابن العربي في العارضة (١) فتبين منه المراد. وحاصله: أن الاعتدال لبيان الهيئة المتوسطة بين القبض والبسط، فلا يبسط في السجود بحيث يشبه بالمستلقى على وجهه، ولا يقبض أعضاءه حتى يصير كالعضو الواحد، ولا يحصل لكل عضو حظه من السجود مع ما في الحديث: أن ابن آدم يسجد على سبعة آراب، ولا يتيسر هذا إلا في الهيئة المسنونة فتفسيره به بهذا الطريق لا أنه مدلول اللفظ. ثم إن التعديل المعروف أيضا يدخل في عمومه.

---

(١) التعليق الممجد على موطأ محمد اللكنوي، أبو الحسنات ٤٩٢/٣

٩ - باب الإبراد بالظهر فى شدة الحر

٥٣٣ و ٥٣٤ - حدثنا أيوب بن سليمان قال حدثنا أبو بكر عن سليمان قال صالح بن كيسان حدثنا الأعرج عبد الرحمن وغيره عن أبى هريرة، ونافع مولى عبد الله بن عمر عن عبد الله بن عمر أنهما حدثاه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال «إذا

---

(١) قال أبو بكر بن العربي في "شرح الترمذي": معنى قوله: اعتدلوا، أراد به كون السجود عدلا باستواء الاعتماد على الرجلين والركبتين واليدين والوجه، ولا يأخذ عضو من الاعتدال أكثر من الآخر وبهذا يكون ممتثلا لقوله: "أمرت بالسجود على سبعة أعظم" وإذا فرش ذراعيه فرش الكلب، كان الاعتماد عليها دون الوجه، فيسقط فرض الوجه، ولهذا روى أبو عيسى بعده في باب حديث أبي هريرة: اشتكى أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - مشقة السجود إذا انفرجوا، فقال: استعينوا بالركب، معناه يكفيكم الاعتماد عليها راحة. وفي سنن أبي داود نهى عن نقرة الغراب، وافتراش السبع اهـ.." (١)

"وإن لم يقله أحد من الفقهاء، لكني أخذته من الأحاديث. وقد مر التنبيه على أن التعارض بين الأدلة قد يوجب التخفيف في المقام. فإذا ورد النهي عنها في قوله: «أفطر الحاجم والمحجوم»، مع ثبوتها عن النبي صلى الله عليه وسلم أورث التخفيف، ودل على ثبوت المراتب. وأن المراد من الإفطار هو الإفطار في النظر المعنوي، كما في الغيبة، فإن الشرع سماها أكلا، قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه**﴾ [الحجرات: ١٢]. ثم لم يحكم الفقهاء أن صوم من اغتاب فاسد، فكذلك في الحجامة. ولو لم يثبت عندنا خلافه لقلنا بفساده من الحجامة، كما ذهب إليه أحمد.

وفي «حاشية ما لا بد منه» - رسالة للقاضي ثناء الله المحدث الفاني فتى - عن «جامع الفتاوى»: أن الصوم حال الجنابة مكروه. ولم أره في غيرها، ولعل المراد منها الكراهة بحسب الحقيقة، دون الكراهة عند الشرع. كيف وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أصبح جنبا، وصام. وقد استدل عليه محمد في «موطئه» من قوله تعالى: ﴿فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم﴾ [البقرة: ١٨٧] إلخ، حيث رخص فيه بالجماع وغيره إلى طلوع الفجر، ومن لوازمه صومه مع الجنابة، فإنه لا يغتسل إذن إلا بعد الفجر، والشرع لم يكلفه بالغسل قبله.

٢٣ - باب المباشرة للصائم

وقالت عائشة - رضى الله عنها - يحرم عليه فرجها.

١٩٢٧ - حدثنا سليمان بن حرب قال عن شعبة عن الحكم عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة - رضى الله عنها - قالت كان النبى - صلى الله عليه وسلم - يقبل ويباشر، وهو صائم، وكان أملككم لإربه. وقال قال ابن عباس ﴿مآرب﴾

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ١٤٠/٢

[طه: ١٨] حاجة. قال طاوس ﴿أولي الإربة﴾ [النور: ٣١] الأحمق لا حاجة له فى النساء. طرفه ١٩٢٨ - تحفة ١٥٩٣٢ - ٣٩/ ٣

وقال جابر بن زيد إن نظر فأمنى يتم صومه.

٢٤ - باب القبلة للصائم

١٩٢٨ - حدثنا محمد بن المثنى حدثنا يحيى عن هشام قال أخبرنى أبى عن عائشة عن النبى - صلى الله عليه وسلم - ح وحدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن هشام عن أبيه عن عائشة - رضى الله عنها - قالت إن كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ليقبل بعض أزواجه وهو صائم. ثم ضحكت. طرفه ١٩٢٧ - تحفة ١٧٣١٣، ١٧١٧٠

١٩٢٩ - حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن هشام بن أبى عبد الله حدثنا يحيى بن أبى كثير عن أبى سلمة عن زينب ابنة أم سلمة عن أمها - رضى الله عنهما - قالت بينما أنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى الخميلة إذ حضت فانسللت، فأخذت ثياب حيضتى فقال «ما لك أنفست». قلت نعم. فدخلت معه فى الخميلة، وكانت هى ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - يغتسلان من إناء واحد، وكان يقبلها وهو صائم. أطرافه ٢٩٨، ٣٢٢، ٣٢٣ - تحفة ١٨٢٧٠، ١٨٢٧١، ١٨٢٧٢." (١)

"الغيبة، ونحوه: ذو اليدين، كما في الحديث، فإنه كان رجل يزاول الأمور بيديه، فاشتهر بذي اليدين. وعامة الناس يستعملون أيمانهم، ويتركون شمائلهم في عامة الأفعال. ثم إن بعض تلك الأسامي عجيب، كالضعيف، فإنه اسم لراو، مع كونه ثقة عندهم، وإنما كان اشتهر عندهم بالضعيف، لكونه ضعيفا في الأمور الدنيوية، وإلا فلا وجه له، وكذا: ضال، اسم لراو آخر، مع كونه طيبا، وثقة عندهم.

٤٦ - باب الغيبة

وقول الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢].

٦٠٥٢ - حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش قال سمعت مجاهدا يحدث عن طاوس عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال مر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على قبرين فقال «إنهما ليعذبان، وما يعذبان فى كبير، أما هذا فكان لا يستتر من بوله، وأما هذا فكان يمشى بالنميمة». ثم دعا بعسيب رطب، فشقه باثنين، فغرس على هذا واحدا وعلى هذا واحدا ثم قال «لعله يخفف عنهما، ما لم ييبسا». أطرافه ٢١٦، ٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٥ - تحفة ٥٧٤٧

وتعريفها بأوجز الكلمات، مع فخامة المعنى ما عند الترمذي: أنها ذكرك أخاك بما يكره. وقد ذكر الشامي فيهال المستثنيات، وملخصا يرجع عندي إلى كلمة واحدة، وهي أن الغيبة هي التي كانت لتبريد الصدر (١)، والتلذذ بها، وجعلها شغلا. أما

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ٣٣٩/٣

إذا كان بصدد ذكر حوادث الأيام، وصروفها، فذكر فيه أشياء، لا يكون من الغيبة المحظورة، ولذا ترجم البخاري بعده: باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب.

*شر الورى بمساوى الناس مشتغل، ... مثل الذباب يراعي موضع العلل

٦٠٥٢ - قوله: (وأما هذا فكان يمشي بالنميمة) وإنما أتى بحديث النميمة، مع كون الترجمة في الغيبة، لكونهما متقاربتين، ولأن في بعض الألفاظ لفظ: الغيبة أيضا.

قوله: (ثم دعا بعسيب رطب، فشقه اثنين) وفي بعض الروايات أنه دعا بعسيبين. قلت: والأدخل في الإعجاز هو شقه، ثم غرزه.

٤٧ - باب قول النبي - صلى الله عليه وسلم -: «خير دور الأنصار».

٦٠٥٣ - حدثنا قبيصة حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن أبي سلمة عن أبي أسيد الساعدى قال قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «خير دور الأنصار بنو النجار». أطرافه ٣٧٨٩، ٣٧٩٠، ٣٨٠٧ - تحفة ١١٢٠٠

---

(١) وراجع له شرح علي القاري "للشمائل" من حديث: "بئس أخو العشيرة"، وهو مهم.." (١)

"قوله (هذا حديث حسن) وأخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وبن ماجه

٠ - (باب ما جاء في الذب عن المسلم)

في القاموس ذب عنه أي دفع عنه ومنع

قوله [١٩٣١] (عن أبي بكر النهشلي) الكوفي صدوق رمي بالإرجاء من السابعة (عن مرزوق أبي بكر التيمي) مقبول من السادسة

قوله (من رد عن عرض أخيه) أي منع غيبة عن أخيه (رد الله عن وجهه النار) أي صرف الله عن وجه الراد نار جهنم

قال المناوي أي عن ذاته العذاب وخص الوجه لأن تعذيبه أنكى في الإيلام وأشد في الهوان

قوله (وفي الباب عن أسماء بنت يزيد) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن **لحم أخيه** بالغيبة كان حقا على الله أن يعتقه من النار كذا عزاه صاحب المشكاة إلى البيهقي

قال القارىء في المرقاة وفي التصحيح رواه الطبراني محيي السنة وفي سنده ضعف وقال الحافظ المنذري في الترغيب رواه أحمد بسند حسن وبن أبي الدنيا والطبراني وغيرهم نقله ميرك انتهى ما في المرقاة

---

(١) فيض الباري على صحيح البخاري الكشميري ١٣٨/٦

قوله (هذا حديث حسن) ورواه أحمد وبن أبي الدنيا وأبو الشيخ في كتاب التوبيخ ولفظه من ذب عن أخيه رد الله عنه عذاب النار يوم القيامة وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكأن حقا علينا نصر المؤمنين." (١)

"بشاعة تصوير الكتاب والسنة للغيبة

وتأتي قضية الغيبة والنميمة، والآثار الكبيرة فيها، يقول تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله﴾ [الحجرات:١٢] .

يشبه القرآن الكريم المغتاب بشخص ذهب إلى المقبرة ونبش القبر وأخرج الميت وانهال عليه يأكل من لحمه، وهذه صورة فظيعة، ويا لفظاعتها! وصورة قريبة من تلك الصورة حكاها النبي صلى الله عليه وسلم عندما (كان يمشي مع جماعة من الصحابة، فتكلم شخص بكلمة عن شخص غائب، ثم مر صلى الله عليه وسلم بجيفة حمار شائل، فقال: أين المتكلم بكلمة كذا؟ قالوا: هذا هو، قال: انزل فكل من هذه الجيفة، قال: يغفر الله لي ولك، ومن يأكل من هذه؟ قال: للكلمة التي قلتها أشد جيفة من هذه) .

انظر التشبيه العملي، نلاحظ أنه لما سمع عليه الصلاة والسلام كلام ذلك الرجل سكت عنه، لكن لما رأى تلك الجيفة تكلم تصديقا لكتاب الله ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات:١٢] فجعله كمن يأكل من **لحم أخيه** ميتا؛ لأن الأخوة تقتضي الحفاظ عليه، والأخوة تمنع من أن تعضه بالفم وهو حي، أو أن تناله بأبسط مكروه، فكيف بأكله ميتا؟ بل لو كان حيا وبينك وبينه عداوة وقد مات، فلن يبقى للعداوة أثر بعد الموت.

وأما النميمة -عياذا بالله- فتوقع بين القوم فتنا، والفتنة أكبر من القتل، فقد تقع بين القبائل حروب تأتي على الأخضر واليابس بسببها، وقد جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم) .." (٢)

"وكذلك أيضا من أكل الأموال: أن يدعي شخص على آخر ما ليس له، ويقيم على ذلك البينة بالشهادة الزور، ويحكم له بذلك، فإن هذا من أكل المال بالباطل، والأمثلة على ذلك كثيرة، ولكنها كلها محرمة إذا لم تكن بحق ولهذا قال ـ عز وجل ـ (فلا تظالموا) .

أما الأعراض فهي أيضا حرام، فلا يحل للإنسان أن يقع في عرض أخيه، فيغتابه في المجلس أو يسبه، فإن ذلك من كبائر الذنوب. قال الله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) (الحجرات: ١٢) أنظر للترتيب: أجتنبوا كثيرا من الظن، فإن ظن الإنسان بأخيه شيئا تجسس عليه، ولهذا قال: (ولا تجسسوا) ، فإذا تجسس صار يغتابه، ولهذا قال في الثالثة: (ولا يغتب بعضكم بعضا) . ثم قال تعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا) ؟ الجواب: لا. لا يحب، بل يكره، ولهذا قال: (فكرهتموه) ، قال بعض المفسرين: إذا كان يوم القيامة، فإنه يؤتي بالرجل الذي اغتابه الشخص، يمثل له بصورة إنسان ميت، ثم يقال له: كل من لحمه، ويكره على ذلك، وهو

---

(١) تحفة الأحوذي عبد الرحمن المباركفوري ٦/٤٩

(٢) شرح الأربعين النووية لعطية سالم عطية سالم ٦٨/٨

يكرهه، لكن يكره على هذا عقوبة له، والعياذ بالله.

فالغيبة ـ وهي انتهاك عرض أخيك ـ محرمة، وقد روى أبو داود أن النبي صلى الله عليه وسلم مر ليلة عرج به بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، يعني يكرون الوجوه والصدور بهذه الأظفار التي من النحاس، فقال: (يا جبريل، من هؤلاء؟) قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم." (١)

"الذي اغتابه بهدية وقال له: أنت أهديتني حسنات أنتفع بها يوم القيامة، وأنا أهديك هذه الهدية تنتفع بها في الدنيا، وآخر أمرها أن تكون خراءة أو بولا.

المهم يا إخوان نصيحتي لنفسي ولكم أن تتجنبوا الغيبة، وأن تتجنبوا الخوض في مساوئ ولاة الأمور من العلماء والأمراء والسلاطين وغيرهم، إذا كنتم تريدون الخير والإصلاح، فالباب مفتوح، اتصلوا بأنفسكم، اتصلوا بقنوات أخرى إذا لم تستطيعوا أن تتصلوا بأنفسكم، ثم إذا أديتم الواجب سقط عنكم ما وراء ذلك، ثم اعلم يا أخي، هل غيبتك هذه للعلماء أو الأمراء هل تصلح من الأمور شيئا؟ أبدا بل هي إفساد الواقع لا تزيد الأمر إلا شكا ولا ترتفع بها مظلمة ولا يصلح بها فاسد، وإنما الطرق موجودة، ثم على الإنسان أن يتكلم بالعدل كما قلت، إذا ابتليت بنشر مساوئ الناس فانشر المحاسن حتى تتعادل الكفة أو ترجح إحدى الكفتين على الأخرى، أما أن تبتلى بنشر المعايب وتكون أخرس في نشر المحاسن، فهذا ليس بعدل.

وفقنا الله وإياكم لما فيه الخير والصلاح

قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾

وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ .

وقال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ .

EXقال المؤلف رحمه الله في كتابه رياض الصاحين باب تحريم الغيبة والأمر بحفظ اللسان، سبق لنا أن الغيبة هي أن تذكر أخاك بما يكره في دينه أو خلقه أو خلقته." (٢)

"أو غير ذلك، كل شيء يكرهه أخوك فلا تذكره به في حال غيبته، وسبق لنا أن الغيبة من الكبائر من كبائر الذنوب، وأنه لا تكفرها الصلاة ولا الصدقة ولا الصيام ولا الحج إلا أنها كغيرها من الكبائر يوازن بينها وبين الحسنات، وسبق لنا أن الغيبة تختلف، أي يختلف حكمها وقبحها بحسب ما تقضي إليه من مفاسد، وسبق لنا أن غيبة ولاة الأمور من العلماء والأمراء أشد من غيبة غيرهم لما يترتب على ذلك من المفاسد العظيمة، أما ما ساقه المؤلف من الآيات فأولها قوله تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا.

وهذه معطوفة على ما ذكر في أول الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ١٢١/٢

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ١٠٨/٦

يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ ، فنهى الله عن الغيبة ثم ضرب مثلا ينفر منه كل أحد، فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ ، لو قدم لك أخوك المسلم ميتا هل تحب أن تأكل لحمه؟ الجواب: لا.

الكل يقول: لا أحب ذلك، ولا يمكن، فإذا قال قائل: ما هي مناسبة الغيبة لهذا المثل؟ قلنا: لأن الذي تغتابه غائب لا يمكن أن يدافع عن نفسه، كالميت إذا قطعت لحمه لا يمكن أن يقوم ليدافع عن نفسه، ولهذا إذا ذكرت أخاك بما يكره في حال وجوده فإن ذلك لا يسمى غيبة فإن بل يسمى سبا وشتما.

﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ ، فأمر بتقوى الله عز وجل بعد أن نهى عن الغيبة، وهذا إشارة إلى أن الذين يغتابون الناس لم يتقوا الله عز وجل.

واعلم أنك إذا سلطت على عيب أخيك ونشرته وتتبعت عورته فإن الله تعالى." (١)

"من العيوب حتى لا ينتشر عيبه بين الناس؛ والأمثلة على هذا كثيرة، والمهم أنه إذا كان ذكرك أخاك بما يكره من أجل النصيحة فلا بأس.

وقد شاع عند الناس كلمة غير صحيحة وهي قولهم: [لا غيبة لفاسق] هذا ليس حديثا وليس قولا مقبولا بل الفاسق له غيبة مثل غيره، وقد لا يكون له غيبة فإذا ذكرنا فسقه على وجه العيب والسب فإن ذلك لا يجوز، وإذا ذكرناه على سبيل النصيحة والتحذير منه فلا بأس بل قد يجب، والمهم أن هذه العبارة ليست حديثا عن الرسول عليه والسلام

قال الله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ وقال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ وقال تعالى ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾

EXقد سبق الكلام عن الآية الأولى ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم أما الآية الثانية فهي قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ .

(لا تقف) يعني: لا تتبع ما ليس بك به علم، وهذا النهي يشمل كل شيء، كل شيء ليس لك به علم فلا تتبعه أعرض عنه ولا تتكلم فيه لأنك على خطأ، وهذا إذا كان بالنسبة لما تنسبه إلى الله ورسوله كان محرما من أشد المحرمات إثما، إذا قلت مثلا: قال الله تعالى كذا وكذا والله لم يقله، أو تفسر الآية بما تهواه لا بما تدل عليه الآية، فقد قلت على الله ما لا تعلمه، ولهذا سيأتي." (٢)

"أي: جائعة لا تغتاب أحدا، إذ لو كانت مغتابة لكانت آكلة فتكون شبعانة، وهي استعارة فيها تلميح إلى قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ١٠٩/٦

(٢) شرح رياض الصالحين ابن عثيمين ١١١/٦

(من لحوم الغوافل) جمع: غافلة، وهي العفيفة، وهذا البيت من جملة قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه يقول فيها:
فإن كنت قد قلت الذي زعموا لكم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي
وإن الذي قد قيل ليس بلائق ... ولكنه قول امرئ بي ما حل [١]
(قالت) أي: عائشة رضي الله عنها (لكن أنت) أي: لست كذلك إشارة إلى أنه اغتابها حين وقعت قصة الإفك، وفي رواية شعبة [خ¦٤٧٥٦]: قالت: لست كذلك، وزاد في آخره: وقالت: قد كان يرد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقدم في «المغازي» [خ¦٤١٤٦] من وجه آخر عن شعبة بلفظ: أنه كان ينافح أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
ودل قول عائشة رضي الله عنها لكن أنت لست كذلك على أن حسان كان ممن تكلم في ذلك، وهذه الزيادة الأخيرة تقدمت هناك من طريق عروة عن عائشة رضي الله عنها بأتم من هذا، وتقدم هناك أيضا في أثناء «حديث الإفك» [خ¦٤١٤١] من طريق صالح بن كيسان، عن الزهري قال عروة: كانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان وتقول: إنه الذي قال:
فإن أبي ووالدتي وعرضي ... لعرض محمد منكم وقاء
==========
[١] في الفتح (بك الدهر بل قيل امرئ متماحل)

==================." (١)

"وقال ابن التين: الغيبة: ذكر المرء بما يكرهه بظهر الغيب. وكذا قيده الزمخشري، وأبو نصر بن القشيري في «التفسير»، وابن خميس في جزء له مفرد في «الغيبة»، والمنذري، وغير واحد من العلماء من آخرهم الكرماني، وكلام من أطلق منهم محمول على المقيد في ذلك.
نعم، المواجهة بما ذكر حرام، لكنه داخل في السب والشتم، وأما حكمها فقال النووي في «الأذكار»: الغيبة والنميمة محرمتان بإجماع المسلمين، وقد تظاهرت الأدلة على ذلك. انتهى.
وذكر في «الروضة» تبعا للرافعي: أنها من الصغائر، وتعقبه جماعة. ونقل أبو عبد الله القرطبي في «تفسيره» الإجماع على أنها من الكبائر؛ لأن حد الكبيرة صادق عليها؛ لأنها مما ثبت الوعيد الشديد فيه.
وقال الأذرعي: لم أر من صرح بأنها من الصغائر، إلا صاحب «العدة» والغزالي، وصرح بعضهم: بأنها من الكبائر.
وإذا لم يثبت الإجماع فلا أقل من التفصيل، فمن اغتاب وليا لله أو عالما ليس كمن اغتاب مجهول الحال مثلا، وقد قالوا ضابطها: ذكر الشخص بما يكره، وهذا يختلف باختلاف ما يقال فيه، وقد يشتد تأذيه بذلك وأذى المسلم محرم.
وذكر النووي من الأحاديث الدالة على تحريم الغيبة: حديث أنس رضي الله عنه رفعه: ((لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، قلت: من هؤلاء يا جبريل،

---
(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/١٦٧١٢

[ج ٢٥ ص ٤٨٧]
قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم)) أخرجه أبو داود. وله شاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما عند أحمد.

وحديث سعيد بن زيد رضي الله عنه رفعه: ((إن من أربى الربا الاستطالة في عرض المسلم بغير حق)) أخرجه أبو داود. وله شاهد عند البزار وابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وعند أبي يعلى من حديث عائشة رضي الله عنها، ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: ((من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب له لحمه يوم القيامة فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا فيأكله ويكلح ويصيح)) سنده حسن. وقال الحافظ ابن كثير: غريب جدا، وصح: ((دماؤكم وأموالكم وأعراضكم حرام وسامعها شريكه ما لم ينكرها بلسانه ومع خوفه بقلبه))..." (١)

"وفي «الأدب المفرد»: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: ((ما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن ...)) الحديث. وفيه أيضا ــ وصححه ابن حبان ــ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه في قصة ماعز ورجمه في الزنا: وأن رجلا قال لصاحبه: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى رجم رجم الكلب، فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: ((كلا من جيفة هذا الحمار لحمار ميت، فما نلتما من عرض هذا الرجل أشد من أكل هذه الجيفة)).

وأخرج أحمد والبخاري في «الأدب المفرد» بسند حسن عن جابر رضي الله عنه، قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فهاجت ريح منتنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين)).

وهذا الوعيد الشديد في هذه الأحاديث يدل على أن الغيبة من الكبائر، لكن تقييده في بعضها بغير حق قد يخرج الغيبة لما تقرر أنها ذكر المرء بما فيه.

(أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا) تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه، وفيه مبالغات، منها: الاستفهام التقريري وجعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلى «أحدكم»، والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها: أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا، ومنها: أنه لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتا. ووجه المناسبة: إدارة حنكه

[ج ٢٥ ص ٤٨٨]
كالآكل. وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها؛ كذلك فاكره لحم أخيك وهو حي.

وانتصب «ميتا» على الحال من اللحم، أو من «أخيه»، ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله:." (٢)

"فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته)) والبهتان أشد الكذب.

وبين القرآن الكريم أن المغتاب مثله كمثل من يأكل **لحم أخيه** ميت ا؛ قال تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم

---

(١) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٠٣٤

(٢) نجاح القاري لصحيح البخاري ص/٢١٠٣٥

أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١٢).

وجاءت أحاديث كثيرة ترهب من الكذب؛ ف إ ن أكبر أدبا من آداب الحديث الصدق في القول وعدم الكذب في الحديث، وأفظع أنواع الكذب؛ الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ومن أدب الحديث ترك المزاح إلا في حق، وترك الجدال والمراء، وعدم تشقيق الكلام والتخلل فيه تخلل البقر، وا دعاء البلاغة والفصاحة، وا زدراء الناس.

وجاء في كتاب (الفتح الرباني) ترتيب (مسند الإمام أحمد) الذي رتبه الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي جاء فيه كثير من الأحاديث تحت عنوان: كتاب "آفات اللسان" في الجزء ١٩ ص٢٥٧ إلى ٢٧١ قال: باب: ما جاء في الترهيب من كثرة الكلام وما جاء في الصمت؛ عن تميم بن يزيد مولى بني زمعة عن رجل من أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– قال: خطبنا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذات يوم ثم قال: ((أيها الناس ثنتان من وقاه الله شرهما دخل الجنة)) قال: فقام رجل من الأنصار فقال: يا رسول الله لا تخبرنا ما هما، ثم قال: ((اثنان من وقاه الله شرهما دخل الجنة)) حتى إذا كانت الثالثة أجلسه أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقالوا للرجل: ترى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يريد يبشرنا فتمنعه، فقال: إني أخاف أن يتكل الناس، فقال –صلى الله عليه وسلم–: ((ثنتان ما وقاه الله شرهما دخل الجنة؛ ما بين لحييه وما بين رجليه)) أي من وقي شر لسانه؛ فلا يكذب ولا يخادع ولا يكون نماما ولا مغتابا، وأن يقيه الله – سبحانه وتعالى – ما." (١)

"وقت الظهيرة الشديد الحر قال الرجل: يا نبي الله أنهما والله قد ماتتا أو كادتا أن تموتا، قال: ((أدعوهما)) قال: فجاءتا قال: ((فجيء بقدح أو عس)) يعني إناء فقال لإحداهما: ((قيئي)) فقاءت قيحا أو دما وصديدا ولحما حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: ((قيئي)) فقاءت من قيح ودما وصديدا ولحما ع ب ي ط – أي كثير – وغيره حتى ملئت القدح ثم قال –صلى الله عليه وسلم–: ((إن هاتين –يعني المرأتين– صامتا عن ما أحل الله، وأفطرتا على ما حرم الله –عز وجل– عليهما؛ جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس)).

وعن جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: كنا مع النبي –صلى الله عليه وسلم– فارتفع ريح جيفة منتنة فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين)) انظر إلى أهل الغيبة؛ فأين أدب اللسان تظهر منهم رائحة خبيثة يشعر بها الصحابة، ويخبر النبي –صلى الله عليه وسلم– عن أن ريحهم ريح خبيثة.

عن أسماء بنت يزيد أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((من ذب عن لحم أخيه في الغيبة كان حقا عليه أن يعتقه من النار)) يعني إذا رأيت رجلا يغتابه الناس فادفع عنه، وقل للذين يغتابونه: لا تغتابوه إ نه غير ذلك، إذا فعلت ذلك أعتقك الله من النار.

وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول: ((من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال)) وردغة الخبال واد في جهنم.

ثم جاء باب آخر في الترهيب من النميمة؛ عن حذيفة قال: قال – صلى الله عليه وسلم –: ((لا يدخل الجنة قتات))

---

(١) الحديث الموضوعي – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٣٢

والقتات هو النمام فهنا يجب أن نراعي أدب الحديث فنبتعد عن النميمة.
عن عبد الله أي ابن مسعود أن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: ((ألا أنبئكم ما العضة؟)) قال: ((هي النميمة القالة بين الناس)) وأن محمدا –صلى الله عليه وسلم– قال: ((إن الرجل يصدق حتى يكتب صديقا، ويكذب حتى يكتب كذابا)).." (١)

"لين الكلام واختيار الألفاظ

أما لين الكلام واختيار الألفاظ؛ فذلك أدبا عظيم من آداب الحديث، بل من أهمها، ولقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعو إلى لين الكلام واختيار الألفاظ وعدم التنابز بالألفاظ، كما جاءت أحاديث شريفة تدعو إلى لين الكلام.
فمن الآيات الكريمة الجامعة لهذا الأمر ما جاء في سورة " الحجرات " قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون * يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ (الحجرات: ١١، ١٢)، وقال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ (الأعراف: ١٩٩)، وقال تعالى: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين﴾ (آل عمران: ١٥٩).
ومن الأحاديث الشريفة في ذلك؛ قال – صلى الله عليه وسلم –: ((ألينوا الكلام، وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام؛ تدخلون الجنة بسلام)).
وإليكم ما كتبه فضيلة الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله تعالى – في هذا الموضوع في كتاب (خلق المسلم) قال: تحت عنوان؛ أدب الحديث: نعمة البيان من أجل النعم التي أسبغها الله تعالى على الإنسان، وكرمه بها على سائر الخلق: ﴿الرحمن * علم القرآن * خلق الإنسان * علمه البيان﴾ (الرحمن: ١ – ٤) وعلى قدر جلال النعمة يعظم حقها ويستوجب شكرها ويستنكر كنودها؛ أي جحودها.." (٢)

"منهم من يقول: إن النبي –عليه الصلاة والسلام– قال: ((أفطر الحاجم والمحجوم)) لأنه مر على رجلين أحدهما يحجم الآخر، وهما يغتابان الناس، فقال: ((أفطر الحاجم والمحجوم)) ابن خزيمة في صحيحه انتقد هذا الكلام، يقول: هذا القائل هل يقول بفطر المغتاب؟ هل يقول: إن الغيبة تفطر الصائم؟ ((أفطر الحاجم والمحجوم)) لأنهما يغتابان الناس، طيب هل يقول قائل هذا الكلام: بأن الغيبة تفطر؟ استدرك عليه ابن خزيمة، المغتاب آكل، شاء أم أبى، آكل **لحم أخيه** ميتا، كما جاء النص على ذلك في القرآن، والآكل مفطر، وقد يكون الفطر حقيقي، وقد يكون معنويا، فقوله: ((أفطر)) لأنه أكل **لحم أخيه**، ولا يلزم من الأكل إذا لم يكن حقيقيا الفطر الحقيقي الذي يبطل الصيام، فهو مفطر باعتباره آكل لحم،

---

(١) الحديث الموضوعي – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٣٧

(٢) الحديث الموضوعي – جامعة المدينة جامعة المدينة العالمية ص/٣٤٥

كما جاء ذلك في القرآن ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ [(١٢) سورة الحجرات] فهو آكل لعرض أخيه، آكل للحم أخيه، فهو مفطر بهذا الاعتبار، فالأكل معنوي والفطر معنوي ليس بحقيقي.

وعلى كل حال عامة أهل العلم على أن الحجامة لا تفطر، طيب إذا احتاط الحاجم لنفسه، وحجم بآلات كهربائية ما يسمى حاجم؟ هل نستطيع نقول: أفطر؟ هل يمكن أن يقال: أفطر وهو احتجم بآلات كهربائية؟ ولو احتجم بآلات تقليدية، وجزم على بأنه لم يصل إلى جوفه شيء يكون أفطر وإلا ما أفطر؟ ما أفطر حقيقة، وإذا جرى هذا الاحتمال بالنسبة للحاجم فليجر الاحتمال بالنسبة للمحجوم، قد يكون الدم المأخوذ منه مما يزيده نشاطا، إذا كان السبب في كون الحجامة تضعف، فقد تكون الحجامة مما تزيده نشاطا، منهم من يفرق بين من تضعفه الحجامة وبين من لا تؤثر فيه الحجامة، فالذي تضعفه الحجامة يحكم بفطره؛ لئلا يستمر في صيامه فيحصل له نوع من الضرر، والذي لا تضعفه الحجامة يستمر في صيامه؛ لأنه لا يتضرر بذلك، وعلى كل حال مثلما ذكرنا، عامة أهل العلم أن الحجامة لا تفطر، والمذهب عند الحنابلة أنها تفطر، ويختاره شيخ الإسلام وابن القيم، ويفتي به كثير من أهل العلم، ولا شك في ظهور مذهب الجمهور.." (١)

"الأخوين، أو ذكر (بين أخويكم)، وأراد به الاثنين اللذين كان الاقتتال بينهما، وفيهما هاج القتال بينهم، فأما أن يكون اسم الطائفة يقع على الواحد فلا؛ بل هو في اللغة وعرف اللسان على الجماعة، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (واتقوا الله لعلكم ترحمون) أي: اتقوا مخالفة أمر الله لكي تقع بكم الرحمة، أو لكي يلزمكم الرحمة.

* * *

قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣).

وقوله - عز وجل -: (يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم) ظاهر الآية نهي للجماعة عن سخرية جماعة؛ لأن السخرية

---

(١) شرح المحرر في الحديث - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ١٥/٥٨

إنما تقع وتكون في الأغلب بين قوم وقوم، وقلما تقع بين الأفراد والآحاد؛ فعلى ذلك جرى النهي، ولكن يكون ذلك النهي للجماعة والأفراد والآحاد جميعا، والله أعلم.

ثم يحتمل السخرية المذكورة في الآية وجهين:

أحدهما: في الأفعال، يقول: لا يسخر قوم من قوم في الأفعال عسى أن يكونوا خيرا منهم في النية في تلك الأفعال أو خيرا منهم؛ أي: أفعالهم أخلص عند الله من أفعال أولئك، وأقرب إلى القبول.

والثاني: سخرية في الخلقة، وذلك راجع إلى منشئها، لا إليهم، وهم قد رضوا بالخلقة التي أنشئوا عليها، وعسى أن يكونوا هم على تلك الخلقة عندهم خيرا منهم.

ثم قوله – عز وجل –: (عسى أن يكونوا خيرا منهم) يحتمل وجهين:

أحدهما: عسى أن يصيروا من بعدهم خيرا من تلك الأحوال والأفعال التي هم عليها اليوم.

والثاني: عسى أن يكونوا هم عند الله خيرا منهم في الحال؛ كقوله – عز وجل –: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) أخبر أن الأكرم منهم عند الله – تعالى – هو أتقاهم، لا ما افتخروا بما هو أسباب الفخار عندهم، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن) ذكر سخرية نساء من." (١)

"ويقولون: يا كافر، يا فاسق، ونحو ذلك، ودل على ذلك قوله – تعالى –: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان).

وجائز أن يلقبوا بذلك وبغيره من الألقاب، فنهوا عن أن يسموهم بغير أسمائهم التي كانت لهم، وأن يعرفوا بأسمائهم التي لهم، ونهوا عن التعريف بالألقاب وتغيير الأنساب والأسماء التي لهم إذا كان التعريف بذلك يسوءهم ويغيظهم، والله أعلم.

ثم قال الله – تعالى –: (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) أي: واضعون الشيء في غير موضعه، والله أعلم.

ثم قوله – عز وجل –: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) يحتمل وجهين:

أحدهما: ما ذكرنا؛ أي: بئس النسبة إلى الفسق التي كانت والتسمية بها بعد الإيمان إلى الاسم والفعل الذي كان له ومنه قبل الإيمان؛ كأنه قال: لا تسموهم بتلك الأسماء بعد الإيمان، والله أعلم.

والثاني: (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أي: بئس ما اختار من اسم الفسق بعدما كان اختار اسم الإيمان وفعله، فهذا يرجع إلى اختيار الفسق بعد الإيمان، والله أعلم.

وقوله – عز وجل –: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢).

هاهنا أسماء ثلاثة يجب أن يتعرف ما محلها؟ وما قدرها؟ وكيف أسبابها؟ أحدها: الظن، والثاني: الشك، والثالث: العلم واليقين.

أما الظن فكأنه هو الذي له ظاهر الأسباب التي لها خوف الزوال والانتقال.

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣٣٣/٩

والشك هو الذي فقد ظاهر أسبابه، أو له استواء الأسباب، ومقابلة بعضها بعضا، فهو المتردد بين الحالين، لا يقر قلبه على شيء.

واليقين هو الذي له الأسباب الظاهرة التي ليس لها خوف الزوال والانتقال، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (اجتنبوا كثيرا من الظن) كأنه نهى أن يحقق أو يعمل في صاحبه بسوء على ظاهر الأسباب التي هي على شرف الزوال وطرف الانتقال يجوز أن تكون غير متحققة في الأصل أو زائلة، والله أعلم.

ثم في الآية دليل على أنه ليس كل ظن يجتنب عنه، ولا كل الظن يكون إثما؛ لأنه استثنى منه بعضه بقوله: (بعض الظن إثم) فجائز أن يكون ما استثنى من الظن، ولا يأمر بالاجتناب عنه هو ما يغلب عليه الأسباب، وغالب الأسباب ربما تعمل عمل العلم واليقين بحق المكره على شيء يرخص له أو يباح العمل إذا رأى من ظاهر حال المكره أنه فاعل به." (١)

"ما أوعده، وإن كان يجوز ألا يفعل به أو لا يقدر على ما أوعده، وعلى ذلك موضوع عامة الأحكام والشرائع بين الخلق أنها على غالب الظن وضعت ليس على التحقيق، والله أعلم.

ويحتمل أن يرجع ما استثنى من الظن القليل الذي لا إثم فيه إلى الظن الحسن؛ إذ يجوز أن يظن بالإنسان الظن الحسن؛ ولا إثم فيه، إنما الأمر بالاجتناب إلى الظن بالسوء على غير تحقق أسباب أو غير تحقيق عين ذلك، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (ولا تجسسوا) التجسس: هو تكلف طلب المساوئ في الناس من غير أن يظهر منهم من أسبابها شيء، فنهى عن تكلف طلب ذلك أو من الإظهار وأمر بالستر، وبمثل ذلك روي في الأخبار عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

وروي عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أنه قيل له: هل لك في فلان يعطر لحيته خمرا، فقال عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: إن يظهر لنا شيء نأخذه، وإلا فإن الله - تعالى - قد نهانا عن التجسس، والله أعلم.

وفرق بعضهم بين التجسس والتحسس، فقال بعضهم: بالجيم في الشرور والمساوئ، وبالحاء في الخير وفيما يباح طلبه، والله أعلم.

وقوله - عز وجل -: (ولا يغتب بعضكم بعضا) الغيبة ترجع إلى وجهين:

أحدهما: أن يذكر ما فيه من مساوئ الأفعال التي سترها عن أعين الناس مما يكره إظهار ذلك عنه.

والثاني: يذكر ما فيه من قبح الأحوال والأخلاق التي لا يكاد يذكر ذلك منه أو يظهر، وعلى ذلك روي في الخبر عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه نهى أن يذكر الرجل أخاه بما فيه مما يكره، فقيل: إنما كنا نذكره بالشيء الذي فيه، لا بما ليس فيه، قال: " ذلك البهتان ".

وقوله - عز وجل -: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي: لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد موته، فكأنه يقول: فإذا لم يحب هذا وكرهه؛ بل يستقذره كل استقذار فالغيبة هي تناول من أخيك وهو حي، فهو في القبح يبلغ التناول منه بعد موته، فإن كان لا أحد يتناول من لحم أخيه بعد موته، لا في حال اختياره، ولا في حال اضطراره، فلا

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٩/٣٣٥

تغتابوا ولا تذكروا منه ما فيه؛ فإنه في القبح ذلك.

وقوله – عز وجل –: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ... (١٣) تأويل الآية على وجهين:." (١)

"وقال البرجمي:

١١٠٨ – وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ... ويخطئ في الظن الفتى ويصيب.

(ولا تجسسوا)

لا تتبعوا عثرات الناس.

وقيل: لا تبحثوا عما خفي، كما قال الشاعر:

١١٠٩ – تجنبت سعدى أن يشيد بذكرها ... إذا زرت سعدى الكاشح المتجسس.

(أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا)." (٢)

"أي: كما يكره **لحم أخيه** الميت بطبعه، ينبغي أن يكره اغتيابه بعقله، بل أولى، لأن داعية الطبع عمياء جاهلة، وداعية العقل بصيرة عالمة.

وفي معناه للمقنع الكندي:

١١١٠ – إذا ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا

١١١١ – وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا.

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)

نبه تعالى على علة اختلاف القبائل أنها للتعارف لا للتفاخر.." (٣)

"الزمخشري:" روي عن النبي صلى الله عليه وسلم] من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه [. ولهذا كانت التكنية من السنة والأدب الحسن، قال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكنى فإنها منبهة. ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله. وقل من المشاهير في الجاهلية والإسلام من ليس له لقب. ولم تزل هذه الألقاب الحسنة في الأمم كلها– من العرب والعجم– تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير". قال الماوردي: فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره. وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الألقاب. قلت– فأما ما يكون ظاهرها الكراهة إذا أريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير. وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الأعمش، وحميد الأعرج، ومروان الأصغر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به. وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت الأصلع– يعني عمر–

---

(١) تفسير الماتريدي = تأويلات أهل السنة، أبو منصور المَاتُرِيدي ٣٣٦/٩

(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٣٤٧/٣

(٣) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، النيسابوري، بيان الحق ١٣٤٨/٣

يقبل الحجر. في رواية الأصيلع. قوله تعالى:" ومن لم يتب" أي عن هذه الألقاب التي يتأذى بها السامعون." فأولئك هم الظالمون" لأنفسهم بارتكاب هذه المناهي.

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

فيه عشر مسائل: الأولى- قوله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن" قيل: إنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما. وذلك أن النبي صلى." [١]

"قال:] إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته [. يقال: اغتابه اغتيابا إذا وقع فيه، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب «١». قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والإفك والبهتان. فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه. وأما الإفك فأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه. وعن شعبة قال: قال لي معاوية- يعني ابن قرة-: لو مر بك رجل أقطع، فقلت هذا أقطع كان غيبة. قال شعبة: فذكرته لأبي إسحاق فقال صدق. وروى أبو هريرة أن الأسلمي ما عزا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه بالزنى فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما. ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال:] أين فلان وفلان [؟ فقالا: نحن ذا يا رسول الله، قال:] انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار [فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا! قال:] فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الأكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها [. السادسة- قوله تعالى:" أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا" مثل الله الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. وقال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لأن أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس. وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيا. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية. قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا «٢»

---

(١). الظهر: ما غاب عنك.

(٢). البيت للمقنع الكندي، واسمه محمد بن عميرة.." [٢]

---

(١) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٠/١٦

(٢) تفسير القرطبي، شمس الدين القرطبي ٣٣٥/١٦

"ابن عطية: [ولم يبح*] في هذا المعنى إلا ما تدعو الضرورة إليه من تجريح [في الشهود*]، [وفي التعريف لمن استنصح في الخطاب ونحوهم*]، انتهى، ولما عرف عياض في المدارك بالشيخ العابد أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد بن علي السجستاني، قال: قال أبو الحسن القابسي: لما خرجنا عنه هربت من يد صبي دابة كان يمسكها لنا، فقلت: أعطيتموها لصبي لم [يقم*] لها فضاعت، فقال لي أبو إسحاق: قد [اغتبته*]؟ فقلت له: وصفته بحاله، وفي السنة ما يبيح ذلك، وهو قوله عليه السلام للتي شاورته في النكاح: "أما أبو جهم، فلا يضع عصاه عن عاتقه، وأما معاوية فصعلوك لا مال له"، فقال لي: لا حجة فيها لأن المستشار مؤتمن، وأيضا فإنما شاورته لتنكح في أنه يدخلها في النكاح أو يصرفها عنه، ومسلما ليست كذلك؛ بل في السنة، وذلك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتاه طبيبان وكانا نصرانيين فلما خرجا، قال: "لولا أن يكون غيبة لأخبرتكم أيهما أطب".

قال أبو الحسن: ولم أكن أعرف أنهما نصرانيين قبل ذلك، ثم قال لي: أرأيت هذا الصبي لو سمعك لكان توجهه نفسه، وإنما كان أحب إليك [تجده*] في صحيفتك أولا، فقلت: له صدقت، انتهى.

قال شيخنا ابن عرفة: يحتمل أن يكون معنى الحديث في الطبيبين أنهما استويا في القدر المجزئ منهما المحتمل [للفرض*]، وزاد أحدهما بأمور تكميلية لا يضر تركها ولا ينقص من معرفة العلاج والمعاناة، فزاد بعلم الطبيعيات، فحينئذ يكون تفضيل أحدهما على الآخر غيبة، وأما حيث يكون المرجوح منهما لا يحصل المقصود منه في التطبيب، فالظاهر أن التعريف بذلك ليس بغيبة.

قوله تعالى: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا).

الهمزة للإنكار على غير المخاطبين؛ لأن المخاطبين لم يفعلوا ذلك، وهذا من [**الخطاب الشعري]. الفخر، وفيه معنى آخر وهو أن [الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا، ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي، فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب*]، انتهى. لو أريد هذا المعنى لقيل: أيأكل أحدكم، والذي في الآية إنما هو: (أيحب أحدكم أن يأكل) والمضطر يأكل الميتة وهو كاره لها غير محب لها، فصدق نفي المحبة مطلقا مع الاختيار والاضطرار. الفخر، (ميتا) حال [عن اللحم أو عن*] الأخ.." (١)

"﴿يَا أَيهَا الَّذين آمنُوا﴾ بِمُحَمد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْقُرْآن ﴿اجتنبوا كَثِيراً مِّنَ الظَّن﴾ نزلت هَذِه الْآيَة فِي رجلَيْنِ من أَصْحَاب النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم اغتابا صاحبا لَهما وَهُوَ سلمَان وظنا بأسامة خَادِم رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم ظن السوء وتجسسا هَل عِنْده مَا قَالَ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم لأسامة أَن أعطهما فنهاهم الله عَن ذَلِك الظَّن والتجسس والغيبة فَقَالَ يأيها الَّذين آمنُوا بِمُحَمد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَالْقُرْآن اجتنبوا كثيرا من الظَّن مِمَّا تظنون بأخيكم من مدخله ومخرجه ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّن﴾ ظن السوء وتخفونه ﴿إِثْمٌ﴾ مَعْصِيّة وَهُوَ مَا ظن رجلَانِ بأسامة بن زيد ﴿وَلاَ تَجَسَّسُواْ﴾ وَلَا تبحثوا عَن عيب أخيكم وَلَا تَطْلُبُوا مَا ستر الله عَلَيْهِ وَهُوَ مَا تجسس الرّجلَانِ ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ وَهُوَ مَا

---

(١) تفسير ابن عرفة النسخة الكاملة، ابن عرفة ٤٣/٤

اغتاب الرّجلَانِ بِهِ سلمَان ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ حَرَامًا بِغَيْر الضَّرُورَة ﴿فكرهتموه﴾ تحرموا أكل الْميتَة بِغَيْر الضَّرُورَة وَكَذَلِكَ الْغَيْبَة فحرموها ﴿وَاتَّقوا الله﴾ اخشوا الله فِي أَن تَغْتَابُوا أحدا ﴿إِنَّ الله تَوَّابٌ﴾ متجاوز لمن تَابَ من الْغَيْبَة ﴿رَّحِيمٌ﴾ لمن مَاتَ على التَّوْبَة." (١)

"يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)." (٢)

"كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح لمسلم " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته " (١) قال: ابن عباس: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة والأحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث، قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى، الغيبة، والإفك، والبهتان، فأما الغيبة: فهي أن تقول في أخيك ما هو فيه، وأما الإفك: فهو أن تقول فيه ما بلغك عنه، وأما البهتان: فهو أن تقول ما ليس فيه، ولا خلاف أن الغيبة من الكبائر، وأن على من اغتاب أحدا التوبة إلى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الإستحلال منه، وللشوكاني رسالة في ذلك، سماها: رفع الريبة عن مسألة الغيبة، وهي نفيسة جدا.

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)؟ مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه، ذكر معناه الزجاج، وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه وأنه كما يحرم أكل لحمه تحرم الاستطالة في عرضه، وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتقبيح لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عنه الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا، وفيه مبالغات، منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم للتعميم، والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا، ومنها أنه لم يقتصر على لحم الأخ حتى جعله ميتا، فهذا تمثيل على أفحش وجه.

(فكرهتموه) أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، فالكلام من

---

(١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي ص/٤٣٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٤٤/١٣

(١) رواه مسلم.." (١)

"باب الاستعارة التمثيلية، وفي هذا التمثيل والتشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض، كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر، لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الإنسان، لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك أشد ألما قال الفراء: تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا، والمعنى فلما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء، أو المعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا، قال الرازي: الفاء في تقديره جواب كلام كأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه إذن، وقال أبو البقاء: هو معطوف على محذوف تقديره عليكم ذلك فكرهتموه، ولا يمكنكم إنكار كراهته، وبه قال البيضاوي، وقيل: إن صح ذلك عندكم فأنتم تكرهونه، وقيل هو خبر بمعنى الأمر.

(واتقوا الله) بترك ما أمركم باجتنابه (إن الله تواب رحيم) لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب، ومخالفة الأمر، والمبالغة في (التواب) للدلالة على كثرة من يتوب عليه من عباده، أو لأنه ما من ذنب يقترفه العبد إلا كان معفوا عنه بالتوبة، أو لأنه لما بولغ في قبول التوبة نزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.." (٢)

"قال: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ [الحجرات: آية ١٢] ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ [الحجرات: آية ١١] إلى غير ذلك من الآيات، ثم بين للإنسان خبث عرض أخيه وقال له: كأنك إن أكلت عرض أخيك فأكلت لحمه، ووقعت في عرضه كأنك أكلته ميتا بعد أن أنتن، وصار فيه الدود، وصرت تبتلع لحمه، في قوله: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: آية ١٢] وهذا غاية التقبيح من الوقوع في أعراض الناس، والكلام فيهم بالغيبة، ثم إن الله جعل حد القذف ثمانين جلدة، حفاظا على أعراض الناس ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون (٤) إلا الذين تابوا﴾ [النور: الآيتان ٤، ٥] كل هذا محافظة على أعراض الناس.

وأوجب حد السرقة؛ محافظة على أموال المجتمع.

ونحن نذكر مرارا (١) أن الذين طمس الله بصائرهم، ونظروا إلى التشريع السماوي بنظرة غير صحيحة، وصوره لهم أعداء الدين بصورة مشوهة غير حقيقية، يزعمون أن قطع اليد أنه عمل وحشي، وأنه لا ينبغي أن يكون في النظم التي يعامل بها الإنسان، وهو عمل عدالة اجتماعية من أحسن الأعمال في العدالات الاجتماعية، ومن أحسن الأعمال في الآداب الروحية أيضا، فهو عمل جامع بين الجسم والبدن؛ ذلك أن الله خلق هذه اليد وفرق أصابعها وأبعد إبهامها من سبابتها، فلو كان الإبهام موضوعا بقرب السبابة كقرب الوسطى منها لما قدر أن يعقد شيئا ولا أن يحل شيئا. وشد له رؤوس أصابعه

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥٠/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٥١/١٣

(١) مضى عند تفسير الآية (١٢٨) من سورة الأنعام.." (١)

"يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١(١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١(٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

الإعراب :

بئس الاسم الفسوق الفسوق : بدل من الاسم ، لإفادته أنه فسق.

ولا تجسسوا أصله : تتجسسوا ، فحذف منه إحدى التاءين.

لتعارفوا أصله لتتعارفوا ، حذف منه إحدى التاءين.

البلاغة :

أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ؟ تشبيه تمثيلي ، مثل المغتاب بمن يأكل لحم الإنسان الميت ، وفيه تقبيح التشبيه بأقبح الصور.

---

(١) أحكام القرآن للجصاص : ٣/ ٤٠٤.

ج ٢٦ ، ص : ٢٤٧

المفردات اللغوية : ." (٢)

"إن بعض الظن إثم أي ذنب مؤثم موجب العقوبة عليه ، وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين ، وهو تعليل مستأنف للأمر بالاجتناب. ولا تجسسوا التجسس : البحث عن العورات والمعايب وكشف ما ستره الناس. ولا يغتب الغيبة : ذكرك أخاك بما يكره في غيبته ، وإن كان العيب فيه. أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ؟ أي لا يحسن به ، وهو تمثيل لما يناله المغتاب من عرض غيره على أفحش وجه ، مع مبالغات الاستفهام المقرر ، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم ، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة ، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ، وجعل المأكول أخا وميتا ، وتعقيب ذلك بقوله : فكرهتموه أي تقريرا وتحقيقا لذلك ، أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته ، وقد عرض عليكم أكل لحوم البشر فكرهتموه ، فاكرهوا الغيبة التي هي مثل الأكل المذكور. واتقوا الله عقاب الله في الاغتياب ، بأن تتوبوا منه. إن الله تواب رحيم قابل توبة التائبين بكثرة ، رحيم بهم ، فيجعل صاحب التوبة كمن لم يذنب.

---

(١) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، الشنقيطي، محمد الأمين ٢/٥٤١

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦/٢٦٥

ج ٢٦ ، ص : ٢٤٨

من ذكر وأنثى من آدم وحواء عليهما السلام ، أو من أب وأم ، فالكل سواء في ذلك ، فلا وجه للتفاخر بالنسب ما دام أصلهم واحدا شعوبا جمع شعب : وهم الجماعة من الناس التي لها وطن خاص ، أو من أصل واحد كربيعة ومضر ، وهو يجمع القبائل وأعم منها. وقبائل جمع قبيلة : وهي ما دون الشعب. وطبقات النسل عند العرب سبع : الشعب ، ثم القبيلة ، ثم العمارة ، ثم البطن ، ثم الفخذ ، ثم الفصيلة ، ثم العشيرة ، مثاله : خزيمة : شعب ، وكنانة : قبيلة ، وقريش : عمارة ، وقصي : بطن ، وعبد مناف : فخذ ، وهاشم : فصيلة ، والعباس : عشيرة.." (١)

"قال أبو قلابة : حدث عمر بن الخطاب أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له في بيته ، فانطلق عمر حتى دخل عليه ، فإذا ليس عنده إلا رجل ، فقال أبو محجن : إن هذا لا يحل لك ، قد نهاك الله عن التجسس ، فخرج عمر وتركه.

٦- تحريم الغيبة ، وهي ذكرك أخاك بما يكره :

ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ؟ أي لا يذكر بعضكم بعضا في غيبته بما يكره ، سواء أكان الذكر

---

(١) الطيرة : ما يتشاءم به من الفأل الرديء ، والأدق أن يقال : التطير : هو الظن السيء الكائن في القلب ، والطيرة : هو الفعل المرتب على هذا الظن من فرار أو غيره ، وكلاهما حرام ، لأنه « كان صلى الله عليه وسلم يحب الفأل الحسن ، ويكره الطيرة » ولأنها من باب سوء الظن بالله تعالى.

والفأل : هو ما يظن عنده الخير ، عكس الطيرة والتطير ، والفأل الحسن : كالكلمة الحسنة والتسمية بالاسم الحسن ، والفأل الحرام : كأخذ الفأل من المصحف وضرب الرمل والقرعة والضرب بالشعير ، وجميع هذا النوع حرام ، لأنه من باب الاستقسام بالأزلام. والأزلام :

أعواد كانت في الجاهلية : مكتوب على أحدها : افعل ، وعلى الآخر : لا تفعل ، وعلى الآخر :

غفل ، فيخرج أحدها ، فإن وجد عليه : افعل ، أقدم على حاجته ، أو لا تفعل ، أعرض عنها واعتقد أنها ذميمة ، أو خرج المكتوب عليه : غفل ، أعاد الضرب ، فهو طلب قسمة الغيب بتلك الأعواد ، ويسمى استقساما ، أي طلب القسم الجيد من الرديء (انظر الفروق للقرافي ، الفرق بين قاعدة التطير وقاعدة الطيرة وما يحرم منهما وما لا يحرم ، والفرق بين قاعدة الطيرة وقاعدة الفأل الحلال والفأل الحرام : ٤/ ٢٣٨ ، ٢٤٠).

ج ٢٦ ، ص : ٢٥٧." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦٧/٢٦

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٧٦/٢٦

"صراحة أم إشارة أم نحو ذلك ، لما فيه من الأذى بالمغتاب. وهو يتناول كل ما يكره ، سواء في دينه أو دنياه ، في خلقه أو خلقه ، في ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو لباسه ونحو ذلك.

و

قد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الغيبة فيما رواه أبو داود والترمذي وابن جرير عن أبي هريرة قال : قيل : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال صلى الله عليه وسلم : « ذكرك أخاك بما يكره ، قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال صلى الله عليه وسلم : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته »

أي فإن كان الوصف موجودا فيه فهو الغيبة ، وإن كان مفترى والمغتاب خال من ذلك ، فذلك هو البهتان.

و

روى أبو داود أيضا عن عائشة رضي الله عنها قالت : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم :

حسبك من صفية كذا وكذا- أي قصيرة- فقال صلى الله عليه وسلم : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته »

قال معاوية بن قرة : لو مر بك رجل أقطع (مقطوع اليد) فقلت : هذا أقطع كان غيبة.

ثم شبه الله تعالى الغيبة بأكل لحم الإنسان الميت للتنفير ، وهو أيحب أحدكم أن يتناول **لحم أخيه** بعد موته ؟ فكما كرهتم هذا ، فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا ، فإنه تعالى مثل الغيبة بأكل جثة الإنسان الميت ، وهذا من التنفير ، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية ، فضلا عن كونه محرما شرعا ، وفي الآية أنواع من المبالغات : منها الاستفهام للتقرير ومحبة المكروه ، وإسناد الفعل إلى أحدكم للإشعار بأن لا أحد يحب ذلك ، وتقييد المكروه بأكل لحم الإنسان ، وتقييد الإنسان بالأخ ، وجعل الأخ أو اللحم ميتا ، فيه مزيد تنفير للطبع.

وهذا دليل على تحريم الغيبة وعلى قبحها شرعا ، لذا كانت الغيبة محرمة بالإجماع وعلى المغتاب التوبة إلى الله والاستحلال ممن اغتابه ، ولا يستثني من

ج ٢٦ ، ص : ٢٥٨." (١)

"﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾.

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية قال : نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع فقالوا له : إنه لبخيل وخيم فنزلت في ذلك.

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ قال : أن يقول للرجل من خلفه هو كذا يسيء الثناء عليه.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن جرير عن قتادة ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ قال : ذكر لنا أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه فإن أنت كذبت

عليه فذاك البهتان يقول كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فكذلك فأكره لحمها وهو حي.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٦/٢٧٧

وأخرج ابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله : ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قال يا رسول الله : أرأيت إن كان." (١)

"وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قرة قال : لو مر بك أقطع فقلت : هذا الأقطع كانت غيبة.

وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن سيرين أنه ذكر عنده رجل فقال : ذاك الأسود قال : أستغفر الله أراني قد اغتبته.

وأخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر عن مجاهد ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ قالوا : نكره ذلك ، قال : فاتقوا الله.

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مساوى ء الأخلاق ، وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت : لا يغتب بعضكم بعضا فإني كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت امرأة طويلة الذيل فقلت يا رسول الله : إنها الطويلة الذيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم : الفظي فلفظت بضعة لحم.

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لحق قوما فقال لهم : تخللوا فقال القوم والله يا نبي الله ما طعمنا اليوم طعاما فقال النبي

صلى الله عليه وسلم والله إني لأرى لحم فلان بين ثناياكم وكانوا قد اغتابوه.

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة عن أنس قال : كانت العرب يخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمها فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعاما فقالا إن هذا لنؤوم فأيقظاه فقالا : ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأذناك فقال : إنهما ائتدما فجاءاه فقالا يا رسول الله : بأي شيء ائتدمنا قال : بلحم أخيكما والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما فقالا : استغفر لنا يا رسول الله ، قال : مراه فليسغفر لكما.

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن يحيى بن أبي كثير أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه لحما فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعا قالوا : من أين فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم ، قالوا يا نبي الله : إنما قلنا إنه لضعيف ما يعيننا على شيء ، قال : ذلك فلا تقولوا فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال فجاء أبو بكر فقال يا نبي الله طاعلي صماخي واستغفر لي ففعل وجاء عمر فقال : يا نبي الله طاعلي صماخي واستغفر لي ففعل.

وأخرج أبو يعلى ، وابن المنذر ، وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال." (٢)

"رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب له لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فإنه ليأكله ويكلح ويصيح.

وأخرج أحمد ، وابن أبي الدنيا ، وابن مردويه عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٧١/١٣

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٧٣/١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس فجاء منهما رسول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله : إن ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس.

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة أنها سألت عن الغيبة فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة وأتتها جارة لها من نساء الأنصار فاغتابتا

وضحكتا برجال ونساء فلم يبرحا على حديثهما من الغيبة." (١)

"يؤكل هذا قال : فإنا أكلتكما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها.

وأخرج ابن أبي شيبة وأحمد في الزهد والبخاري في الأدب والخرائطي عن عمرو بن العاص أنه مر على بغل ميت وهو في نفر من أصحابه فقال : والله لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يملأ بطنه خير له من أن يأكل من لحم رجل مسلم.

وأخرج البخاري في الأدب ، وابن أبي الدنيا ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتى على قبرين يعذب صاحباهما فقال : إنهما لا يعذبان في كبير وبكى أما أحدهما فكان يغتاب الناس وأما الآخر فكان لا يتأذى من البول فدعا بجريدة رطبة فكسرها ثم أمر بكل كسرة فغرست على قبر فقال : أما إنه سيهون من عذابهما ما كان رطبتين.

وأخرج البخاري في الأدب عن ابن مسعود قال : من أغتيب عنده مؤمن فنصره جزاه الله بها خيرا في الدنيا والآخرة ومن أغتيب عنده فلم ينصره جزاه الله بها في

الدنيا والآخرة شرا وما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن إن قال فيه ما يعلم فقد إغتابه ومن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته.

وأخرج أحمد ، عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس.

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم ثم تلا هذه الآية ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾.

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من نكح أمه في الإسلام ودرهم الربا أشد من خمس وثلاثين زنية وأشر الربا وأربى وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ١٣/٥٧٤

حرمته.

وأخرج أحمد وأبو داود والبيهقي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :." [(١)]

"" صفحة رقم ٣٧٤ "

الجرائر أن يذكروا بالفسق . وفي قوله :) بعد الايمان (ثلاثة أوجه : أحدها استقباح الجمع بين الإيمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره ، كما تقول : بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة والثاني : أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود : يا يهودي يا فاسق ، فنهوا عنه ، وقيل لهم : بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه ، والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهي عن التنابز . والثالث : أن يجعل من فسق غير مؤمن ، كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة : بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة .

) يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (

الحجرات : (١٢) يا أيها الذين . . . . .

يقال : جنبه الشر إذا أبعده عنه ، وحقيقته : جعله منه في جانب ، فيعدى إلى مفعولين . قال الله عز وجل :) واجنبني وبني أن نعبد الاصنام ((إبراهيم : ٣٥) ثم يقال في مطاوعه : اجتنب الشر فتنقص المطاوعة مفعولا . والمأمور باجتنابه هو بعض الظن ، وذلك البعض موصوف بالكثرة : ألا ترى إلى قوله :) إن بعض الظن إثم (؟ فإن قلت : بين الفصل بين) كثيرا (، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة . قلت : مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية ، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين . لئلا يجترىء أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل ، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة ، مع استشعار للتقوى والحذر ؛ ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر من دون ما يقل ، ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا ، وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه . والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها : أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر : كان حراما واجب الاجتناب ؛ وذلك إذا كان المظنون به ممن." [(٢)]

" هتك حجاب الحياء فلم تلقه إلا مقيتا ممقتا فإذا كان مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا كان خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا فظا غليظا فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقة الإسلام فإذا نزعت منه ربقة الإسلام لم تلقه إلا لعينا ملعنا شيطانا رجيما

قوله تعالى : ولا يغتب بعضكم بعضا الآية

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله : ولا يغتب بعضكم بعضا الآية قال : حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، ٥٧٦/١٣

(٢) تفسير الكشاف . ، ٣٧٤/٤

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله : ولا يغتب بعضكم بعضا الآية قال : زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله ورقاده فنزلت

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما وأن سلمان نام يوما فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء وقالا : ما يريد سلمان شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يطلب لهما إداما فانطلق فأتاه فقال : يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك قال : ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا ؟ فرجع سلمان فخبرهما فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه و سلم فقالا : والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا

قال : إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما فنزلت أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ولا يغتب بعضكم بعضا الآية قال : نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه و سلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع فقالوا له : إنه لبخيل وخيم فنزلت في ذلك

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله ولا يغتب بعضكم بعضا قال : أن يقول للرجل من خلفه هو كذا يسيء الثناء عليه

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ولا يغتب بعضكم بعضا قال : ذكر لنا أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه فإن أنت كذبت ." (١)

" عليه فذاك البهتان يقول كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فكذلك فأكره لحمها وهو حي

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قيل يا رسول الله : ما الغيبة ؟ قال " ذكرك أخاك بما يكره " قال يا رسول الله : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته "

وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساوىء الأخلاق عن المطلب بن حنطب قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه فقال إنما كنا نرى أن نذكره بما ليس فيه ذاك البهتان "

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن امرأة دخلت على النبي صلى الله عليه و سلم ثم خرجت فقالت عائشة يا رسول الله : ما أجملها وأحسنها لولا أن بها قصرا فقال لها النبي صلى الله عليه و سلم : اغتبتيها يا عائشة فقالت يا رسول الله : إنما قلت شيئا هو بها

فقال يا عائشة إذا قلت شيئا بها فهي غيبة وإذا قلت ما ليس بها فقد بهتها

وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال : إذا قلت للرجل بما فيه فقد اغتبته وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته

وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قرة قال : لو مر بك أقطع فقلت : هذا الأقطع كانت غيبة

وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن سيرين أنه ذكر عنده رجل فقال : ذاك الأسود قال : أستغفر الله أراني قد اغتبته

---

(١) الدر المنثور، ٧/٥٧٠

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا قالوا : نكره ذلك

قال : فاتقوا الله

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت : لا يغتب بعضكم بعضا فإني كنت عند رسول الله صلى الله عليه و سلم فمرت امرأة طويلة الذيل فقلت يا رسول الله : إنها الطويلة الذيل فقال النبي صلى الله عليه و سلم : الفظي فلفظت بضعة لحم

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه و سلم أنه لحق قوما فقال لهم : تخللوا فقال القوم " والله يا نبي الله ما طعمنا اليوم طعاما فقال النبي ." (١)

" صلى الله عليه و سلم " والله إني لأرى لحم فلان بين ثناياكم وكانوا قد اغتابوه

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة عن أنس قال : كانت العرب يخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمها فناما فاستيقظا ولم يهيىء لهما طعاما فقالا إن هذا لنؤوم فأيقظاه فقالا : ائت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقل له : إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأذناك فقال : إنهما ائتدما فجاءاه فقالا يا رسول الله : بأي شيء ائتدمنا ؟ قال : بلحم أخيكما والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما فقالا : استغفر لنا يا رسول الله

قال : مراه فليسغفر لكما

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن يحيى بن أبي كثير أن نبي الله صلى الله عليه و سلم كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يسألونه لحما فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعا ؟ قالوا : من أين فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم

قالوا يا نبي الله : إنما قلنا إنه لضعيف ما يعيننا على شيء

قال : ذلك فلا تقولوا ؟ فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال فجاء أبو بكر فقال يا نبي الله طاعلي صماخي واستغفر لي ففعل وجاء عمر فقال : يا نبي الله طاعلي صماخي واستغفر لي ففعل

وأخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب له لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فإنه ليأكله ويكلح ويصيح "

وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه و سلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فجلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس فجاء منهما رسول النبي صلى الله عليه و سلم فقال يا رسول الله : إن ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس "

---

(١) الدر المنثور، ٥٧١/٧

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة أنها سألت عن الغيبة فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله صلى الله عليه و سلم إلى الصلاة وأتتها جارة لها من نساء الأنصار فاغتابتا ." (١)

" الدنيا والآخرة شرا وما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن إن قال فيه ما يعلم فقد إغتابه ومن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه و سلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس "

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصرا وللقوم زاجرا وقم عنهم ثم تلا هذه الآية أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه "

وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و سلم قال : " إن الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من نكح أمه في الإسلام ودرهم الربا أشد من خمس وثلاثين زنية وأشر الربا وأربى وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمته "

وأخرج أحمد وأبو داود والبيهقي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم "

وأخرج أحمد وأبو داود والبيهقي وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن المستورد أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : " من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي برجل مسلم ثوبا فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة أو رياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة "

وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن أنس " أن النبي صلى الله عليه و سلم أمر أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم فيقول : ظللت منذ اليوم صائما فأذن لي فلأفطرن فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد عليه فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ما صامتا وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقمة فأتى النبي صلى الله عليه و سلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لو صامتا وبقي فيهما لأكلتهما النار " ." (٢)

"جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٢

الولوج : الدخول ، والإيلاج : الإدخالُ – ومعنى الآية على ذلك.

وقول من قال : معناه النقص فإنما أراد اللازم ؛ لأنه – تبارك وتعالى – إذا أدخل من هذا في هذا فقد نقص المأخوذ منه

---

(١) الدر المنثور، ٥٧٢/٧

(٢) الدر المنثور، ٥٧٤/٧

المُدْخَل في ذلك الآخر.

وزعم بعضهم أن تولج بمعنى ترفع ، وأن " في " بمعنى " على " وليس بشيءٍ.

وقيل : المعنى : أنه - تعالى - يأتي بالليل عقيب النهار - ، فيُلْبس الدنيا ظُلْمَتَه - بعد أن كان فيها ضوءُ النهارِ - ثم يأتي بالنهار عقيب الليل ، فيُلْبس الدنيا ضَوْءَه ، فكأن المراد من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقيب الآخر.

قال ابن الخطيب : " والقول بأن معناه النقص أقرب إلى اللفظ ؛ لأنه إذا كان النهار طويلاً ، فجعل ما نقص منه زيادةٍ في الليل ، كان ما نقص منه زيادة في الآخر ".

قوله : ﴿وَتُخْرِجُ الحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ اختلف القراء في لفظة " الْمَيِّتِ " فقرأ ابنُ كثير وأبو عَمْرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم لفظ " الْمَيْتِ " من غير تاء تأنيث - مُخَفَّفاً ، في جميع القرآن ، سواء وصف به الحيوان نحو : ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ [آل عمران : ٢٧] أو الجماد نحو : ﴿فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر : ٩] - مُنَكَّراً أو معرفاً كما تقدم ذكره - إلا قوله تعالى : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠] ، وقوله : ﴿وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم : ١٧] - في إبراهيم - مما لم يمت بعد ، فإن الكل ثقلوه ، وكذلك لفظ " الميتة " في قوله : ﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [يس : ٣٣] دون الميتة المذكورة مع الدم - فإن تلك لم يشدِّدْها إلا بعضُ قُرَّاء الشواذ - وكذلك قوله : ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ [الأنعام : ١٣٩] ، وقوله : ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾ [الزخرف : ١١] ، وقوله : ﴿إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً﴾ [الأنعام : ١٤٥] فإنها مُخَفَّفاتٌ عند الجميع ، وثَقّل نافعٌ جميعَ ذلك ، والأخوان وحفص - عن نافع - وافقوا ابن كثير ومن معه في الأنعام في قوله : ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [الأنعام : ١٢٢] ، وفي الحجرات : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ [الحجرات : ١٢] ، وفي يس : ﴿الأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [يس : ٣٣] ، ووافقوا نافعاً فيما عدا ذلك ، فجمعوا بين اللغتين ؛ إيذاناً بأن كلاًّ من القراءتين صحيح ، وهما بمعنًى ؛ لأن " فَيْعِل " يجوز تخفيفه في المعتل بحَذْف إحْدى ياءَيْه ، فيقال : هَيْن وهيِّن ، لَيْن وليِّن ، ميْت وميِّت ، وقد جمع

١٣٣

الشاعر بين اللغتين في قوله : [الخفيف] ١٣٩١ - لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ

إنَّمَا الْمَيْتُ مَيِّتُ الأحْيَاءِ

جزء : ٥ رقم الصفحة : ١٢٢

إنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيشُ كَئِيباً

كَاسِفاً بِالُهُ قَلِيلَ الرَّجَاءِ

وزعم بعضهم أن " ميتاً " بالتخفيف - لمن وقع به الموت ، وأن المشدّد يُستعمَل فيمن مات ومن لم يَمُتْ ، كقولهَ - تعالى - : ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر : ٣٠].

وقسم لا خلاف في تخفيفه - وهو ما تقدم في قوله : ﴿الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ﴾ ﴿وَإِن يَكُن مَّيْتَةً﴾ [الأنعام : ١٣٩] ﴿إِلاَّ أَن

يَكُونَ مَيْتَةً﴾ ، وقوله : ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتاً﴾ [الزخرف : ١١].
وقسم فيه الخلاف – وهو ما عدا ذلك – وتقدم تفصيله وقد تقدم أيضاً أن أصل " ميّت " مَيْوِت ، فأدغم ، وفي وزنه خلاف ، هل وزنه " فَيْعِل " – وهو مذهب البصريين – أو " فَعْيِل " – وهو مذهب الكوفيين – وأصله مَوْيِتٌ ، قالوا : لأن فَيْعِلاً مفقود في الصحيح ؛ فالمعتل أولى أن لا يوجد فيه ، وأجاب البصريون عن قولهم : لا نظير له في الصحيح بأن قُضَاة – في جميع قاضٍ – لا نظير له في الصحيح ، ويدل على عَدم التلازم " قُضاة " جمع قاضٍ وفي " قضاة " خلاف طويل ليس هذا موضعه.
واعترض عليهم البصريون بأنه لو كان وزنه " فَعْيلاً " لوجب أن يصح ، كما صحت نظائره من ذوات الواو نحو : طويل ، وعويل ، وقويم ، فحيث اعتل بالقلب والإدغام امتنع أن يُدَّعى أن أصله " فَعْيِل " لمخالفة نظائره ، وهو ردٌّ حسنٌ.
فصل قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة : يُخْرِجُ الحيوانَ من النطفة –
١٣٤
" (١).

"فبعثَا سَلْمَانَ إلى طائفةٍ مِنَ الصَّحَابة فلم يجد عندهم شيئاً فلما رَجَعَ قالوا : بعثناه إلى بئر سُمَيْحَة فغار ماؤهم ثم انطلقا يتجسّسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فلما جاءا إلى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال لهما : مَا لِي أَرَى خَضْرَةَ اللَّحم فِي أَفْوَاهِكُمَا ؟ قالا : والله يا رسول الله ما تَنَاوَلْنَا يَوْمنَا هذا لحماً قال : (بل) ظَلَلْتُمْ تأكلونَ لَحم أسامَة وسلمان " فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ : ﴿ يا أيها الَّذِينَ آمَنُواْ اجْتَنِبُواْ كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾.
فصل قال سفيان الثوري : الظّنُّ ظنان : أحدهما : إثم وهو أن يُظَنَّ ويتكلم به.
والأخر : ليس بإثم وهو أن يظن ، ولا يتكلم به ، قال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الْحَدِيثِ ".
قوله : : " إِثْمٌ " جعل الزمخشري همزهُ بدلاً من واو قال : لأنه يَثِمُ الأَعْمَال أي يكسرها وهذا غير مُسَلَّمٍ بلْ تلك مادةٌ أخرى.
قوله : " وَلاَ تَجَسَّسُوا " التجسس التَّتبعُ ، ومنه الجَاسُوسُ ، والجَسَّاسَةُ ، وجواسّ الإنسان وحَوَاسُّهُ ومشاعره ، وقد قرأ هنا بالحاء الحَسَنُ وأبو رجاء وابنُ سِيرِينَ.
فصل التجسس هو البحث عن عيوب الناس فنهى الله تعالى عن البحث عن المستورين من الناس وتتبع عوراتهم قال عليه الصلاة والسلام : " لا تَجَسَّسُوا وَلاَ تَبَاغَضُوا وَلاَ تَحَاسَدُوا وَلاَ تَدَابَرُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إخْواناً " وقال ـ عليه الصلاة والسلام ـ : " يا مَعْشَرَ مَنْ آمنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَفِضِ الإيمَانُ إلى قَلْبِهِ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ وَلا تَتَبَّعُوا عَوْرَاتِهِم فإنه من تتبّع عوراتِ المسلمين تَتَبَّعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحُهُ وَلَو فِي جَوْفِ رَحْلِهِ " ونظر عمر يوماً إلى الكعبة فقال : ما أعظَمكَ وأعْظَمَ حُرْمَتِكَ والمُؤْمنُ أَعْظَمُ حُرْمَةً مِنْكِ عِنْدَ

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/١٠٢٥

٥٤٩

الله.

وقيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً ؟ فقال : إنَّا قَدْ نُهينا عَنِ التَّجَسُّسِ فإن يظهر لنا شيئاً نأخذه به.

فصل واعلم أن الظن تُبْنَى عليه القبائح فالعاقل إذا وَقَفَ أموره على اليقين قلَّ ما يتقّن في أحد عيباً يلمزه به لأن الوعظ في الصورة قد يكون قبيحاً وفي نفس الأمر لا يكون كذلك ؛ لأن الفعل قد يكون فاعله ساهياً أو يكون الرأي مخطئاً ، وقوله تعالى : ﴿كَثِيراً مِّنَ الظَّنِّ﴾ إخراج للظنون التي تبنى عليها الخيرات.

قال . عليه الصلاة والسلام . " ظُنّوا بالْمُؤْمِن خَيْرًا " وقوله : ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ إشارة إلى الأخذ بالأحوط.

وقوله : " وَلاَ تَجَسَّسُوا " إتمامٌ لذلك لأنه تعالى لما قال : ﴿اجتنبوا كثيراً من الظن﴾ فهم منه أن المعتبر اليقين.

وقوله : ﴿وَلاَ يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً﴾ أي لا يتناول بعضكم بَعْضاً في غَيْبَتِهِ بما يَسوؤه مما هو فيه.

" قال . عليه الصلاة والسلام . : " أَتَدْرُونَ مَا الْغَيبةُ ؟ " قالوا : الله ورسوله أَعلَم قال : ذكرُك أَخَاكَ بما يَكْرَهُ.

قيل : أرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد أغْتَبْتَهُ وإن لم يكن فيه ما تَقُولُ فقد بَهَتَّهُ " وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن.

قوله : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً﴾ نصب " ميتاً " على الحال من " لَحْم " أو " أَخِيهِ " ، وتقدم الخلاف في مَيْتاً.

فإن قيل : اللحم ألا يكون ميتاً ؟ فالجواب : بلى.

قال . عليه الصلاة والسلام . : " مَا أُبِينَ مِنْ حَيٍّ فَهُوَ مَيِّتٌ " فسمى القطعة ميتاً.

فإن قيل : مإذا جعلناه حالاً من الأخ لا يكون هيئة الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله

٥٥٠

". (١)

"حالاً فهو كقول القائل : مَرَرْتُ بِأَخِي زَيْدٍ (قَائِماً) ويريد كون زيدٍ قائما.

وذلك لا يجوز.

قلنا : من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولاً مفعولاً بخلاف المرور بأخِي زيدٍ.

فصل في هذا التشبيه إشارة إلى أن عِرْضَ الإنسان كَدمِهِ ولَحْمِهِ لأنَّ الإنسان يتألَمُ قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم.

وهذا من باب القياس الظاهر ؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك آلمُ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦١٦

وقوله : " لَحْمَ أَخِيهِ " آكد في المنع ؛ لأن العدو يحمله الغَضَبُ على مَضْغ لحم العدوّ ، وفي قوله : " مَيْتاً " إشارةٌ إلى دفع وَهَمٍ وهو أن يقال : الشَّتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال : آكل لحم الأخ وهو ميت أيضاً يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لِمَا أنَّه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه ، وفيه معنى لطيفٌ وهو أن الاغتياب بأكل لحم الآدمِيّ ميتاً ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة ، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدميّ فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعاً غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب.

قوله : " فَكَرِهْتُمُوهُ " قال الفراء : تقديره : فقَدْ كَرِهْتُمُوهُ فلا تفعلوه.

وقال ابن الخطيب : الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال : أَيُحِبُّ للإنكار فكأنه قال : لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذَنْ.

وقال أبو البقاء : المعطوف عليه محذوف تقديره عُرِضَ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ فَكَرِهتُمُوهُ.

والمعنى يعرض عليكم فَتكرهُونَهُ.

وقيل : إن صح ذلك عندكم فأنتم (أي) تكرهونه قال ابن الخطيب : هو كمتعلق المسبّب بالسبب وتَرَقُّبِهِ عَلَيْه كقولك : جَاءَ فُلاَنٌ ماشياً فتَعِبَ ، فقيل : هو خبر بمعنى الأمر كقولهم : " اتَّقَى اللهَ امْرُؤٌ فَعَلَ خَيْراً يُثَبْ عَلَيْهِ ".

وقرأ أبو حيوة والجَحْدرِيّ : فكُرّهْتُمُوهُ

٥٥١

. بضم الكاف وتشديد الراء . عدي بالتضعيف إلى ثانٍ بخلاف قوله أولاً : "كَرَّهَ إلَيْكُمُ الكُفْرَ " فإنه وإن كان مضعّفاً لم يتعدّ لواحد لتضمنه معنى بَغَّضَ.

فصل قال ابن الخطيب : الضمير في قوله : فَكَرِهْتُمُوهُ " فيه وجوه : أظهرها : أن يعود إلى الآكل لأن قوله تعالى : ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾ معناه أيحب أحدمكم الأكل لأن " أَنْ " مع الفعل للمصدر أي فَكَرِهْتُمُ الأَكْلَ.

وثانيها : أن يعود إلى اللحم أي فَكرِهْتُمُ اللَّحْمَ.

وثالثها : أن يعود إلى الميّت في قوله : " ميتاً " تقديره : أَيُحِبُّ أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً متغيراً فكرهتموه فكأنه صفة لقوله : " ميتاً " ويكون فيه زيادَةُ مبالغة في التحذير يعني الميتة أن أكلت في النُّدرة لسبب كان نادراً ولكن إذا أَنْتَنَ وأروح وتغير لا يؤكل أصلاً فكذلك ينبغي أنْ يكون الغيبة ، وذلك يحقّق الكارهة ويوجب النُّفْرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربقه بحيث يأكله ففيه إذَنْ كراهة شديدة فكذلك حال الغيبة.

فصل قال مجاهد : لما قيل لهم : أَيُحِبُّ أحَدُكُمْ أَنْ يَأكُلَ لَحْم أَخِيهِ مَيْتاً ؟ قالوا : لا ، قيل : " فكرهْتُمُوهُ " أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره باللسوء غائباً.

قال الزجاج : تأويله إن ذِكْرضكَ مَنْ لم يَحْضُرك بسُوءٍ بمنزلِةِ أكلِ لحمه وهو ميت لا يحسُّ بذلك.

قال . عليه الصلاة والسلام . " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقوم لَهُمْ أَظَـْفارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَلُحُومَهُمْ فَقُلْتُ : مَنْ هَؤُلاَءَ يا جِبْرِيلُ.

قال : هَؤُلاء الذين يأكلون لحُوم النَّاسِ ويَقَعُونَ في أَعْرَاضِهِمْ ".

٥٥٢

قوله : " وأتَّقُوا اللهَ " عطف على ما تقدم من الأوَامِر و النواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ واعلم أنه تعالى ختم الآيتين بذكر التوبة فقال في الأولَى : ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ وقال ههنا : ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله : ﴿لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء في قوله : " اجْتَنِبُوا كَثِيراً " فذكر الإثبات الذي هو قريبٌ من الأمْر.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٥٤٥

". (١)

" بفعل عمر رضي الله تعالى عنه السابق وفيه نظر وقد جاء في بعض الروايات عنه ما يخالف ذلك

أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والخرائطي أيضا عن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف عن المسور بن مخرمة عن عبد الرحمن بن عوف أنه حرس مع عمر رضي الله تعالى عنه ليلة المدينة فبينما هم يمشون شب لهم سراج في بيت فانطلقوا يؤمونه فلما دنوا منه إذا باب مجاف على قوم لهم فيه أصوات مرتفعة ولغط فقال عمر : وأخذ بيد عبد الرحمن أتدري بيت من هذا هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف الآن شرب قال : أرى أن قد أتينا ما نهى الله تعالى عنه قال الله تعالى : ولا تجسسوا فقد تجسسنا فانصرف عمر رضي الله تعالى عنه عنهم وتركهم ولعل القصة إن صحت غير واحدة ومنالتجسس على ما قال الأوزاعي الأستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون فهو حرام أيضا

ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يذكر بعضكم بعضا بما يكره في غيبته فقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم : أتدرون ما الغيبة قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت لو كان أخي ما أقول قال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وغيرهم

والمراد بالذكر الذكر صريحا أو كناية ويدخل في الأخير الرمز والأشارة ونحوهما إذا أدت مؤدي النطق فإن علة النهي عن الغيبة الإيذاء بتفهيم الغير بنقصان المغتاب وهو موجود حيث أفهمت الغير ما يكرهه المغتاب بأي وجه كان من طرق الأفهام وهي بالفعل كأنتمشي مشية أعظم الأنواع كما قاله الغزالي والمراد بما يكره أعم من أن يكون في دينه أو دنياه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجته أو مملوكه أو خادمه أو لباسه أو غير ذلك مما يتعلق به وخصه القفال بالصفات التي لا تذم شرعا فذكر الشخص بما يكره مما يذم شرعا ليس بغيبة عنده ولا يحرم واحتج على ذلك بقوله صلى الله عليه و سلم : اذكروا الفاجر بما فيه يحذره الناس وما ذكره لا يعول عليه والحديث ضعيف وقال أحمد منكر وقال البيهقي : ليس بشيء ولو صح محمول على فاجر معلن بفجوره والمراد بقولنا غيبته غيبته عن ذلك الذكر سواء كان حاضرا في مجلس الذكر أولا وفي الزواجر لا فرق في الغيبة بين أن تكونفي غيبة المغتاب أو بحضرته هو المعتمد وقد يقال : شمول الغيبة للذكر بالحضور على نحو شمول سجود السهو لما كان عن ترك ما يسجد له عمدا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا تمثيل لما

(١) تفسير اللباب لابن عادل . ، ص/٤٦١٧

يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الأستفهام التقريري من حيث أنه لا يقع إلا في كلام هو مسلم عند كل سامع حقيقة أو ادعاء وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الأغتياب بأكل لحم الأنسان وجعل المأكول أخا للكل وميتا وتعقيب ذلك بقوله تعالى : فكرهتموه حملا على الأقرار وتحقيقا لعدم محبة ذلك أو لمحبته التي لا ينبغي مثلها وفي المثل السائر كني عن الغيبة بأكل الأنسان للحم مثله لأنها ذكر المثالب وتمزيق الأعراض المماثل لأكل اللحم بعد تمزيقه في استكراه العقل والشرع له وجعله ميتا لأن المغتاب لا يشعر بغيبته ووصله بالمحبة لما جبلت عليه النفوس من الميل إليها مع العلم بقبحها وقال أبو زيد السهيلي : ضرب المثل لأخذ العرض بأكل اللحم لأن اللحم ستر على العظم والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه وكأنه أولى مما في المثل والفاء في فكرهتموه فصيحة في جواب شرط مقدر ويقدر معه قد أي أن صح ذلك أو أعرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولايمكنكم إنكار كراهته والجزائية باعتبار التبين والضمير المنصوب للأكل ." (١)

" صفحة رقم ٢٣٤

الحجرات : (١٢ - ١٤) يا أيها الذين. .. . .

) يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبآئل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (( )

ولما كان الإنسان ربما دعا صاحبه بلقب له شيء غير قاصد به عيبه ، أو فعل فعلا يتنزل على الهزء غير قاصد به الهزء ، نهى تعالى عن المبادرة إلى الظن من غير تثبت لأن ذلك من وضع الأشياء في غير مواضعها ، الذي هو معنى الظلم فقال خاتما بالقسم الخامس منبها على ما فيه من المعالي والنفائس : (يا أيها الذين آمنوا) أي اعترفوا بالإيمان وإن كانوا في أول مراتبه) اجتنبوا) أي كلفوا أنفسكم أن تتركوا وتبعدوا وتجعلوا في جانب بعيد عنكم) كثيرا من الظن) أي في الناس وغيرهم فاحتاطوا في كل ظن ولا تمادوا معه حتى تجزموا به فتقدموا بسببه على ما يقتضيه من الشر إلا بعد التبين لحقه من باطله بأن يظهر عليه أمارة صحيحة وسبب ظاهر ، والبحث عن ذلك الذي أوجب الظن ليس بمنهي عنه كما فتش النبي (صلى الله عليه وسلم) في قصة الإفك وتثبت حتى جاءه الخبر اليقين من الله ، وأفهم هذا أن كثيرا منه مجتنب كما في الاجتهاد حيث لا قاطع ، وكما في ظن الخير بالله تعالى ، بل قد يجب كما قال تعالى : ( ) ولولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ( ) [النور : ١٢] وقد أفاد التنكير شيائع النهي في كل ظن ، فكان بمعنى (بعض) مع الكفالة بأن كثيرا منه منهي عن الإقدام عليه إلا بعد تبين أمره ، ولو عرف لأفهم أنه لا يجتنب إلا إذا اتصف بالكثرة ، قال القشيري : والنفس لا تصدق ، والقلب لا يكذب ، والتمييز بين النفس والقلب مشكل ، ومن بقيت عليه من حظوظة بقية وإن قلت

---

(١) روح المعاني، ١٥٨/٢٦

فليس له أن يدعى بيان القلب ، بل هو بنفسه ما دام عليه شيء من بقيته ، ويجب عليه أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره ، ثم علل ذلك مثيرا إلى أن العاقل من يكف نفسه عن أدنى احتمال من الضرر احتمالا مؤكدا لأن أفعال الناي عند الظنون أفعال من هو جازم بأنه بريء من الإثم : (إنبعض الظن إثم) أي ذنب يوصل صاحبه لاستحقاق العقوبة كالظن في أصول الدين ، وحيث يخالفه قاطع ، قال الزمخشري رحمه الله تعالى : الهمزة في الإثم عن الواو وكأنه يثم الأعمال أي يكسرها بإحباطه .." (١)

" صفحة رقم ٢٣٥

ولما نهى عن اتباع الظن ، أتبعه ما يتفرع عنه فقال : (ولا تجسسوا) أي تمعنوا في البحث عن العورات ولا يكون ذلك إلا في المستورين .

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس ، قال : (ولا يغتب) أي يتعمد أن يذكر) بعضكم بعضا (في غيبته بما يكره ، قال القشيري : وليس تحصل الغيبة من الخلق إلا بالغيبة عن الحق ، وقال أبو حيان : قال ابن عباس رضي الله عنهما : الغيبة إدام كلاب الناس .

ولما كان تمزيق عرض الناس كتمزيق أديمهم ولا يكون ذلك ساتر عظمة الذي به قوامه كما أن عرضه ساتر عليه ، وكونه لا يرد عن نفسه بسبب غيبته كموته وأعمال الفم والجوف في ذلك كله ، وكان هذا لو تأمله العاقل كان منه على غاية النفرة ، ولكنه لخفائه لا يخطر بباله ، جلاه له في قوله تقريرا وتعبيرا بالحب عما هو في غاية الكراهة لما للمغتاب من الشهوة في الغيبة ليكون التصوير بذلك رادا له عنها ومكرها فيها : (أيحب (وعم بقوله : (أحدكم (وعبر بأن الفعل تصويرا للفعل فقال : (أن يأكل (وزاد في التنفير بجعله في إنسان هو أخ فقال : (لحم أخيه (وأنهى الأمر بقوله : (ميتا (.

ولما كان الجوا قطعا : لا يحب أحد ذلك ، أشار إليه بما سبب من قوله : (فكرهتموه) أي بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا ، لأن داعي العقل بصير عالم ، وداعي الطبع أعمى جاهل ، وقد رتب سبحانه هذه الحكم أبدع ترتيب ، فأمر سبحانه بالتثبت .

وكان ربما أحدث ضغينة ، نهى عن العمل بموجبه من السخرية واللمز والنبز والتمادي مع ما ينشره ذلك من الظنون ، فإن أبت النفس إلا تماديا مع الظن فلا يصل إلى التجسس والبحث عن المعايب ، فإن حصل الاطلاع عليها كف عن ذكرها ، وسعى في سترها ، وفعل ذلك كله لخوف الله ، لا شيء غيره ، فإن وقع في شيء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب .

ولما كان التقدير : فاتركوه بسبب كراهتهم لما صورته ، عطف عليه ما دل على العلة العظمى وهي خوف الله تعالى فقال : (واتقوا الله) أي اجعلوا بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بترك ذلك وإصلاح ذات البين .

ولما كان التقدير : فإن الله يتوب عليكم إن تركتموه ، علله بما دل على أن ذلك صفة له متكررة التعلق فقال : (إن الله)

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٤/٧

أي الملك الأعظم) تواب) أي مكرر للتوبة ، وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب ، فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت) رحيم (يزيده على ذلك أن يكرمه غاية الإكرام .." (١)

"﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾

يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله وعملوا بشرعه اجتنبوا كثيرا من ظن السوء بالمؤمنين؛ إن بعض ذلك الظن إثم، ولا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ما يكره. أيحب أحدكم أكل **لحم أخيه** وهو ميت؟ فأنتم تكرهون ذلك، فاكرهوا اغتيابه. وخافوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه. إن الله تواب على عباده المؤمنين، رحيم بهم.." (٢)

"٦١ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا لأن الجيفة مستقذرة ويجوز أن يكون ميتا حال من الأخ أو من لحمه وقيل فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير كأنه لما قررهم قال هل يحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا أجابوا فقالوا لا نحب ذلك فقال لهم فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه وحذف هذا لدلالة الكلام عليه وعلى هذا المحذوف يعطف قوله واتقوا الله قاله أبو علي الفارسي وقال الرماني كراهة هذا اللحم يدعو اليها الطبع وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم والطبع أعمى جاهل وقال الزمخشري في هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحب ذلك ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتا ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الانسان حتى جعله أخا له

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم أنتم من آدم وآدم من التراب ومقصود الآية التسوية بين الناس والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب والطعن في الأنساب فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله وروي أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا لموالينا وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الشعوب جمع شعب بفتح الشين وهو أعظم." (٣)

" بئس الاسم الفسوق بعد الايمن ومن لم يتب فأولئك هم الظلمون

بالقصر وروى انها نزلت في ثابت بن قيس وكان به وقر فكانوا يوسعون له في مجلس رسول الله صلى الله عليه و سلم ليسمع فاتى يوما وهو يقول تفسحوا حتى انتهى الى رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال لرجل تنح فلم يفعل فقال

---

(١) نظم الدرر . (– ت: عبدالرزاق غالب)، ٢٣٥/٧

(٢) التفسير الميسر، ٢٣٣/٩

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى، ٧١/٣

من هذا فقال الرجل انا فلان فقال بل انت ابن فلانه يريد اما كان يعير بها في الجاهلية فخجل الرجل فنزلت فقال ثابت لا افخر على احد في الحسب بعدها ابدا بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه في الناس بالكرام او باللؤم وحقيقته ما سما من ذكره وارتفع بين الناس كانه قيل بئس الذكر المرتفع للمؤمنين بسبب ارتكاب هذه الجرائم ان يذكروا بالفسق وقوله بعد الايمان استقباح للجمع بين الايمان وبين الفسق الذى يحظره الايمان كما تقول بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة وقيل كان في شتائمهم لمن اسلم من اليهود يا يهودى يا فاسق فنهو عنه وقيل لهم بئس الذكر ان تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد ايمانه ومن لم يتب عما نهى عنه فاولئك هم الظالمون وحد وجمع للفظ من ومعناه يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقال جنبه الشر اذا ابعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى الى مفعولين قال الله تعالى واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمامور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة الا ترى الى قوله إن بعض الظن إثم قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوء فاما اهل الفسق فلما ان نظن فيهم مثل الذى ظهر منهم او معناه اجتنابا كثيرا او احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والاثم الذنب الذى يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الآثام فعال منه كالنكال والعذاب ولا تجسسوا اى لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الامر اذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده ولا يغتب بعضكم بعضا الغيبه الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهى من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو ان تذكر اخاك بما يكره فان كان فيه فهو غيبه والا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة ادام كلاب الناس ايحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ميتا مدنى وهذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه وفيه مبالغات منها الاستفهام الذى معناه التقرير ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة وصولا بالمحبة ومنها اسناد الفعل الى احدكم والاشعار بان احدا من الاحدين لا يحب ذلك ومنها ان لم يقتصر على تمثيل الاغتياب باكل لحم الانسان حتى جعل الانسان اخا ومنها ان لم يقتصر عل لحم الاخ حتى جعل ميتا وعن قتادة كما تكره إن وجدت جيفة مدودة ان تاكل منها كذلك فاكره لحم اخيك وهو حى وانتصب ميتا على الحال من اللحم ." (١)

"ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

شرح الكلمات:

وإن طائفتان من المؤمنين :أي جماعتان قل أفرادهما أو كثروا من المسلمين.

اقتتلوا فأصلحوا بينهما :أي هموا بالاقتتال أو باشروه فعلا فأصلحوا ما فسد بينهما.

فإن بغت إحداهما على الأخرى :أي تعدت بعد المصالحة بأن رفضت ذلك ولم ترض بحكم الله.

فقاتلوا التي تبغي حتى تفيئ إلىأمر الله :أي قاتلوا أيها المؤمنون مجتمعين الطائفة التي بغت حتى ترجع إلى الحق.

---

(١) تفسير النسفي، ١٦٦/٤

فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل :أي رجعت إلى الحق بعد مقاتلتها فأصلحوا بينهما بالعدل أي بالحق.

وأقسطوا إن الله يحب المقسطين :أي وأعدلوا في حكمكم إن الله يحب أهل العدل.

إنما المؤمنون إخوة :أي في الدين الإسلامي.

فأصلحوا بين أخويكم :أي إذا تنازعا شيئا وتخاصما فيه.

واتقوا الله لعلكم ترحمون :أي خافوا عقابه رجاء أن ترحموا إن أنتم اتقيتموه.

لا يسخر قوم من قوم : أي لا يزدر قوم منكم قوما آخرين ويحتقرونهم.

عسى أن يكونوا خيرا منهم :أي عند الله تعالى والعبرة بما عند الله لا ما عند الناس.

ولا تلمزوا أنفسكم :أي لا تعيبوا بعضكم بعضا فإنكم كفرد واحد.

ولا تنابزوا بالألقاب :أي لا يدعو بعضكم بعضا بلقب يكرهه نحو يا فاسق يا جاهل.." (١)

"بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان :أي قبح اسم الفسوق يكون للمرء بعد إيمانه وإسلامه.

ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون :أي من لمز ونبز المؤمنين فأولئك البعداء هم الظالمون.

اجتنبوا كثيرا من الظن :أي التهم التي ليس لها ما يوجبها من الأسباب والقرائن.

إن بعض الظن إثم :أي كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين.

ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا: أي لا تتبعوا عورات المسلمين وما بهم بالبحث عنها.

أيحب أحدكم أن يأكل لحم :أي لا يحسن به حب أكل **لحم أخيه** ميتا ولا حيا معا.

أخيه ميتا

فكرهتموه :أي وقد عرض عليكم الأول فكرهتموه فاكرهوا أي كما كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوه حيا وهو الغيبة.

وجعلناكم شعوبا وقبائل :أي جمع شعب والقبيلة دون الشعب.

لتعارفوا :أي ليعرف بعضكم بعضا فتعارفوا لا للتفاخر بعلو الأنساب.

إن أكرمكم عند الله أتقاكم :أي أشدكم تقوى لله بفعل أوامره وترك نواهيه هو أكرم عند الله.

إن الله عليم خبير : أي عليم بكم وبأحوالكم خبير بما تكونون عليه من كمال ونقص لا يخفى عليه شيء من أشياء العباد.

معنى الآيات:

قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا١﴾ الآيات ما زال السياق الكريم في طلب تأديب المسلمين وتربيتهم وإعدادهم للكمال الدنيوي والأخروي ففي الآيتين (٩) و (١٠) من هذا السياق يرشد الله تعالى المسلمين إلى كيفية علاج مشكلة النزاع المسلح بين المسلمين الذي قد يحدث في المجتمع الإسلامي بحكم الضعف الإنساني من الوقت إلى الوقت وهو مما يكاد يكون من ضروريات الحياة البشرية وعوامله كثيرة لا حاجة إلى ذكرها فقال تعالى ﴿وإن طائفتان﴾ أي جماعتان ﴿من المؤمنين اقتتلوا﴾ ولو كان ذلك بين اثنين فقط ﴿فأصلحوا﴾ أيها المسلمون ﴿بينهما٢﴾ بالقضاء على أسباب الخلاف

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١٢٧/٥

وترضية الطرفين بما هو حق وخير وليس هذا

---

١ قال مجاهد: نزلت هذه الآية في الأوس والخزرج حيث تقاتل حيان من الأنصار بالعصي والنعال.

٢ قال القرطبي: بالدعاء إلى كتاب الله لهما أو عليهما وقضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم كذلك كما قال معاذ: أحكم بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.." (١)

"أخاه المسلم كأنما عاب نفسه كما أن المعاب قد يرد العيب بعيب من عابه وهذا معنى ولا تلمزوا أنفسكم وقوله ولا تنابزوا بالألقاب أي لا يلقب المسلم أخاه بلقب يكرهه فإن ذلك يفضي إلى العداوة والمقاتلة وقوله ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الأيمان﴾ أي قبح أشد القبح أن يلقب المسلم بلقب الفسق بعد أن أصبح مؤمنا عدلا كاملا في أخلاقه وآدابه فلا يحل لمؤمن أن يقول لأخيه يا فاسق أو يا كافر أو يا عاهر أو يا فاسد، إ بئس الاسم اسم الفسوق كما أن الملقب للمسلم بألقاب السوء يعد فاسقا وبئس الاسم له أن يكون فاسقا بعد إيمانه بالله ولقائه والرسول وما جاء به، وقوله تعالى ﴿ومن لم يتب﴾ أي من احتقار المسلمين وازدرائهم وتلقيبهم بألقاب يكرهونها ﴿أولئك هم الظالمون﴾ المتعرضون لغضب الله وعقابه. وقوله في الآية(١٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ ينادي الله تعالى المسلمين بعنوان الإيمان إذ به أصبحوا أحياء يسمعون ويبصرون ويقدرون على الفعل والترك إذ الإيمان بمثابة الروح إذا أحلت الجسم تحرك فأبصرت العين وسمعت الأذن ونطق اللسان وفهم القلب.

فيقول ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن١﴾ وهو كل ظن ليس له ما يوجبه من القرائن و الأحوال والملابسات المقتضية له، ويعلل هذا النهي المقتضي للتحريم فيقول ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وذلك كظن السوء بأهل الخير والصلاح فالأمة فإن ظن السوء فيهم قد يترتب عليه قول باطل أو فعل سوء أو تعطيل معروف، فيكون إثما كبيرا، وقوله ﴿ولا تجسسوا﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالحث عنها والاطلاع عليها أمل في ذلك من الضرر الكبير، وقوله ﴿ولا يغتب بعضكم٢ بعضا﴾ أي لا يذكر أحدكم أخاه في غيبته بما يكره وهنا يروى في الصحيح من الأحاديث ما معناه أن رجلا سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال له ذكرك أخاك بما يكره فقال الرجل فإن كان فيه ما يكره قال فإن كان فيه ما يكره فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته والبهتان أسوأ الغيبة. وقوله أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ والجواب لا قطعا إذا فكما عرض عليكم لحم أخيكم ميتا فكرهتموه فاكرهوا إذا أكل لحمه حيا وهو ٣عرضه والعرض أعز

---

١ قالت العلماء: الظن هو هنا التهمة بدون قرينة حال تدل عليها أو تدعو إليها وقد صح الحديث بتحريم الظن السيء بقوله صلى الله عليه وسلم

في رواية الصحيح "إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا".

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١٢٨/٥

٢ الغيبة عامة في الدين والخلق والحسب والنسب ولا وجه لتخصيصها بواحد مما ذكر، وكيف وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله" ذكرك أخاك بما يكره".

٣ قال قتادة كما يمتنع أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيا، واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب جارية بذلك قال الشاعر:

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا." (١)

"والسامع للغيبة كالمغتاب ، إلا أن يغير أو يقوم ، وورد عن الشيخ أبي المواهب التونسي الشاذلي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : " فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس – أي : وقع منك – فاقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين ، واهد ثوابها للمغتاب ؛ فإن الله يرضيه عنك بذلك " هـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه : الغيبة إدام كلاب الناس. هـ. وتشبيههم بالكلاب في التمزيق والتخريق ، فهم يمزقون أعراض الناس ، كالكلاب على الجيفة ، لا يطيب لهم مجلس إلا بذكر عيوب الناس. وفي الحديث : " رأيت ليلة أسري بي رجالا لهم أظفار من نحاس ، يخمشون وجوههم ولحومهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم ". ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ هذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه. وفيه مبالغات ، منها : الاستفهام الذي معناه التقرير ، ومنها : فعل ما هو الغاية في الكراهية موصولا بالمحبة ، ومنها : إسناد الفعل إلى ﴿أحدكم﴾ إشعارا بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ، ومنها : أنها لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم مطلق الإنسان ، بجعله أخا للآكل ، ومنها : أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخر حتى جعله ميتا. وعن قتادة : كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها : كذلك فاكره لحم أخيك. هـ.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ١٦٩

ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله : ﴿فكرهتموه﴾ أي : وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه ، فكما تحققت كراهتكم له باستقامة العقل فاكرهوا ما هو نظيره باستقامة الدين.

". (٢)

"يقول الفقير وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضي الله عنه فإن قلت ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت : دل قوله تأخذوه به على ولايته من أي وجه كان إذ لا يأخذه إلا الوالي أو وكيله ويجوز أن يقال : لو طلب ابن مسعود خبر الوليد لنفسه للنهي عن المنكر لكان له وجه فلما جاء خبره في صورة السعاية والهتك أعرض عنه أو رأى الستر في حق الوليد أولى فلم يستمع إلى القائل وكان عمر رضي الله عنه يعس ذات ليلة فنظر إلى مصباح من خلل باب فاطلع فإذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف يصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه فجاء به إلى الباب فنظر

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٥/١٣٠

(٢) البحر المديد. ، ٧/٢٤٨

وقال له : كيف ترى أن نعمل فقال : أرى والله أنا قد أتينا ما نهانا الله عنه لأنا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال : ما أراك إلا قد صدقت فانصرفا فالمحتسب لا يتجسس ولا يتسور ولا يدخل بيتا بلا إذن فإن قيل ذكر في باب من يظهر البدع في البيوت أنه يجوز للمحتسب الخول بلا إذن فنقول ذلك فيما ظهر وأما إذا خفي فلا يدخل فإن ما ستره الله لا بد وأن يستره العبد هذا في عيوب الغير وأما عيوب النفس فالفحص عنها لازم للإصلاح والتزكي وقد عدوا انكشاف عيوب النفس أولى من الكرامات وخوارق العادات فإنه ما دام لم تحصل التزكي للنفس لا تفيد الكرامة شيئا بل ربما يوقعها في الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط إذ هو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وخلفه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال : أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته أي قلت عليه ما لم يفعله والحاصل أن الغيبة والاغتياب هو أن يتكلم إنسان خلف إنسان مستور بما فيه من عيب أي بكلام صادق من غير ضرورة قوية إلى ذكره ولو سمعه لغمه وإن كان ذلك الكلام كذبا يسما بهتانا وهو الذي يتر الديار بلاقع أي خرابا ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ انتصاب ميتا عتلى الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بأنه ميت لقوله عليه السلام ما أبين من حي فهو ميت وقيل من الأخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف إليه مطلقا وشدده نافع أي قرأ ميتا بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا يعني شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل لحم

٨٧

الإنسان ميتا تشبيها تمثيليا وعبر بالهيئة المشبه بها عن الهيئة المشبهة ولا شك أن الهيئة المشبه بها أفحش جنس التناول وأقبحه فيكون التمثيل المذكور تصويرا للاغتياب بأقبح الصور وذلك أن الإنسان يتألم قلبه من قرض عرضه كما يتألم جسمه من قطع لحمه بل عرضه أشرف من لحمه ودمه فإذا لم يحسن للعاقل أكل لحوم الناس لم يحسن له قرض عرضهم بالطريق الأولى خصوصا أن أكل الميتة المتاهى في كراهة النفوس ونفور الطباع ففيه إشارة إلى أن الغيبة عظيمة عند الله وفي قوله ميتا إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلمه فكيف يحرم فدفعه بأن أكل لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلمه ومع هذا هو فيي غاية القبح لكونه بمراحل عن رعاية حق الأخوة كذا في حواشي ابن الشيخ.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٦١

يقول الفقير : أن يقال أن الاغتياب وإن لم يكن مؤلما للمغتاب من حيث عدم اطلاعه عليه لكنه في حكم الإيلام إذ لو سمعه لغمه على أنا نقول أن الميت متألم وإن لم يكن فيه روح كما أن السن وهو الضرس متألم إذا كان وجعا وإن لم يكن فيه حياة فاعرف ﴿فكرهتموه﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه فأضمر كلمة قد لتصحيح دخول الفاء في الجزاء فالمقصود من تحقيق استكراههم وتقذرهم من المشبه به الترغيب

والحث على استكراه ما شبه به وهو الغيبة كأنه قيل إذا تحققت كراهتكم له فليتحقق عندكم كراهة نظيره الذي هو الاغتياب ﴿واتقوا الله﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل وهو عطف عتلى ما تقدم من الأوامر والنواهي ﴿إن الله تواب رحيم﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم فصيغة المبالغة باعتبار المتعلقات.

". (١)

"يسر إذا كان الشتاء ومطعم ... للحم غير كبنة علفوف

الكبنة بضمتين المنقبض القليل المعروف والعلفوف كعصفور الجافي.

فالمنافع في الميسر خاصة وعامة وهي دنيوية كلها، والإثم الذي فيه هو ما يوقعه من العداوة والبغضاء ومن إضاعة الوقت والاعتياد بالكسل والبطالة واللهو والصد عن ذكر الله وعن الصلاة وعن التفقه في الدين وعن التجارة ونحوها مما به قوام المدنية وتلك آثام لها آثارها الضارة في الآخرة، ولهذه الاعتبارات ألحق الفقهاء بالميسر كل لعب فيه قمار كالنرد، وعن النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم وهاتين الكعبتين فإنهما من ميسر العجم" يريد النرد، وعن على النرد والشطرنج من الميسر، وعلى هذا جمهور الفقهاء ومالك وأبو حنيفة وقال الشافعي، إذا خلا الشطرنج من الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب دفع المال وأخذه وهذا ليس كذلك وهو وجيه والمسألة مبسوطة في الفقه.

والناس مراد به العموم لاختلاف المنافع، ولأنه لما وقع الإخبار بواسطة "في" المفيدة الظرفية لم يكن في الكلام ما يقتضي أن كل فرد من أفراد الناس ينتفع بالخمر والميسر، بل الكلام يقتضي أن هاته المنافع موجودة في الخمر والميسر لمن شاء أن ينتفع كقوله تعالى: ﴿فيه شفاء للناس﴾ [النحل:٦٩].وليس المراد بالناس طائفة لعدم صلوحية أل هنا للعهد ولو أريد طائفة لما صح إلا أن يقال ومنافع الشاربين والياسرين كما قال: ﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾ [محمد:١٥]

فإن قلت: ما الوجه في ذكر منافع الخمر والميسر مع أن سياق التحريم والتمهيد إليه يقتضي تناسي المنافع، قلت إن كانت الآية نازلة لتحريم الخمر والميسر فالفائدة في ذكر المنافع هي بيان حكمة التشريع ليعتاد المسلمون مراعاة علل الأشياء، لأن الله جعل هذا الدين دينا دائما وأودعه أمة أراد أن يكون منها مشرعون لمختلف ومتجدد الحوادث، فلذلك أشار لعلل الأحكام في غير موضع كقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات:١٢] ونحو ذلك، وتخصيص التنصيص على العلل ببعض الأحكام في بعض الآيات إنما هو في مواضع خفاء العلل، فإن الخمر قد اشتهر بينهم نفعها، والميسر قد اتخذوه ذريعة لنفع الفقراء فوجب بيان ما فيهما من المفاسد إنباء بحكمة التحريم، وفائدة أخرى وهي تأنيس المكلفين عند فطامهم عن أكبر لذائذهم تذكيرا لهم بأن ربهم لا يريد إلا صلاحهم دون نكايتهم كقوله: ﴿كتب عليكم القتال وهو كره لكم﴾ [البقرة:٢١٦] وقوله:." (٢)

---

(١) تفسير روح البيان . ، ٧١/٩

(٢) التحرير والتنوير، ٣٣٢/٢

"فحصل من تفصيل هذه الحالة أعظم الترقب لثمرة هذه الجنة كما كان المعطي صدقته في ترقب لثوابها.

فأصابها إعصار، أي ريح شديدة تقلع الشجر والنبات، فيها نار أي شدة حرارة، وهي المسماة بريح السموم، فإطلاق لفظ مار على شدة الحر تشبيه بليغ فأحرقت الجنة أي – أشجارها — أي صارت أعوادها يابسة، فهذا مفاجأة الخيبة في حين رجاء المنفعة.

والاستفهام في قوله: ﴿أيود﴾ استفهام إنكار وتحذير كما في قوله: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات:١٢] والهيأة المشبهة محذوفة وهي هيأة المنفق نفقة متبعة بالمن والأذى.

روى البخاري أن عمر بن الخطاب سأل يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ترون هذه الآية نزلت: ﴿أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب﴾ الآية فقال بعضهم: "الله أعلم"، فغضب عمر وقال: "قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس: "في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين"، فقال عمر: "يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك"، قال ابن عباس: "ضربت مثلا لعمل" ، قال عمر: "أي عمل؟" ، قال ابن عباس: "لعمل" ، قال: "صدقت لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله عز وجل إليه الشيطان لما فني عمره فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله".

وقوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ تذييل، أي كهذا البيان الذي فيه تقريب المعقول بالمحسوس بين الله نصحا لكم رجاء تفكركم في العواقب حتى لا تكونوا على غفلة. والتشبيه في قوله: ﴿كذلك يبين الله لكم الآيات﴾ نحو ما في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا﴾ [البقرة:١٤٣]

[٢٦٧] ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الأرض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه إلا أن تغمضوا فيه واعلموا أن الله غني حميد﴾

إفضاء إلى المقصود وهو الأمر بالصدقات بعد أن قدم بين يديه مواعظ وترغيب وتحذير. وهي طريقة بلاغية في الخطابة والخطاب. فربما قدموا المطلوب ثم جاءوا بما يكسبه قبولا عند السامعين، وربما قدموا ما يكسب القبول قبل المقصود كما هنا. وهذا من ارتكاب خلاف مقتضى الظاهر في ترتيب الجمل عليه السلام ونكتة ذلك أنه قد شاع بين الناس." (١)

"تذييل للمنهيات المتقدمة وهو تعريض قوي بأن ما نهوا عنه فسوق وظلم، إذ لا مناسبة بين مدلول هذه الجملة وبين الجمل التي قبلها لولا معنى التعريض بأن ذلك فسوق وذلك مذموم ومعاقب عليه فدل قوله ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الأيمان﴾ ، على أن ما نهوا عنه مذموم لأنه فسوق يعاقب عليه ولا تزيله إلا التوبة فوقع إيجاز بحذف جملتين في الكلام اكتفاء بما دل عليه التذييل، وهذا دال على أن اللمز والتنابز معصيتان لأنهما فسوق. وفي الحديث سباب المسلم فسوق.

ولفظ ﴿الاسم﴾ هنا مطلق على الذكر، أي التسمية، كما يقال: طار اسمه في الناس بالجود أو باللؤم. والمعنى: بئس الذكر أن يذكر أحد بالفسوق بعد أن وصف بالإيمان.

وإيثار لفظ الاسم هنا من الرشاقة بمكان لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة إذ الألقاب أسماء فكان اختيار لفظ الاسم للفسوق مشاكلة معنوية.

---

(١) التحرير والتنوير، ٥٢٥/٢

ومعنى البعدية في قوله ﴿بعد الأيمان﴾ بعد الاتصاف بالإيمان، أي أن الإيمان لا يناسبه الفسوق لأن المعاصي من شأن أهل الشرك الذين لا يزعهم عن الفسوق وازع، وهذا كقول جميلة بنت أبي حين شكت للنبي صلى الله عليه وسلم أنها تكره زوجها ثابت بن قيس وجاءت تطلب فراقه: لا أعيب على ثابت في دين ولا في خلق ولكني أكره الكفر بعد الإسلام تريد التعريض بخشية الزنا وإني لا أطيقه بغضا.

وإذ كان كل من السخرية واللمز والتنابز معاصي فقد وجبت التوبة منها فمن لم يتب فهو ظالم: لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضي لها عقاب الآخرة مع التمكن من الإقلاع عن ذلك فكان ظلمه شديدا جدا. فلذلك جيء له بصيغة قصر الظالمين عليهم كأنه لا ظالم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الآخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة ليزدجروا. والتوبة واجبة من كل ذنب وهذه الذنوب المذكورة مراتب وإدمان الصغائر كبيرة.

وتوسيط اسم الإشارة لزيادة تمييزهم تفظيعا لحالهم وللتنبيه، بل إنهم استحقوا قصر الظلم عليهم لأجل ما ذكر من الأوصاف قبل اسم الإشارة.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾." (١)

"يشمل التجسس على الأعداء ولا تجسس الشرط على الجناة واللصوص.

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾

الاغتياب: افتعال من غابه المتعدي، إذا ذكره في غيبه بما يسوءه.

فالاغتياب ذكر أحد غائب بما لا يحب أن يذكر به، والاسم منه الغيبة بكسر الغين مثل الغيلة. وإنما يكون ذكره بما يكره غيبه إذا لم يكن ما ذكره به مما يثلم العرض وإلا صار قذعا.

وإنما قال ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ دون أن يقول: اجتنبوا الغيبة. لقصد التوطئة للتمثيل الوارد في قوله ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ لأنه لما كان ذلك التمثيل مشتملا على جانب فاعل الاغتياب ومفعوله مهد له بما يدل على ذاتين لأن ذلك يزيد التمثيل وضوحا.

والاستفهام في ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ تقريري لتحقق أن كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله ﴿فكرهتموه﴾ .

وإنما لم يرد الاستفهام على نفي محبة ذلك بأن يقال: ألا يحب أحدكم، كما هو غالب الاستفهام التقريري، إشارة إلى تحقق الإقرار المقرر عليه بحيث يترك للمقرر مجالا لعدم الإقرار ومع ذلك لا يسعه إلا الإقرار. مثلت الغيبة بأكل لحم الأخ الميت وهو يستلزم تمثيل المولوع بها بمحبة أكل لحم الأخ الميت، والتمثيل مقصود منه استفظاع الممثل وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين لأن الغيبة متفشية في الناس وخاصة في أيام الجاهلية.

فشبهت حالة اغتياب المسلم من هو أخوه في الإسلام وهو غائب بحالة أكل لحم أخيه وهو ميت لا يدافع عن نفسه،

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٠٨/٢٦

وهذا التمثيل للهيئة قابل للتفريق بأن يشبه الذي اغتاب بآكل لحم، ويشبه الذي اغتيب بأخ، وتشبه غيبته بالموت.
والفاء في قوله ﴿فكرهتموه﴾ فاء الفصيحة، وضمير الغائب عائد إلى ﴿أحدكم﴾ ، أو يعود إلى ﴿لحم﴾ .
والكراهة هنا: الاشمئزاز والتقذر. والتقدير: إن وقع هذا أو إن عرض لكم هذا فقد كرهتموه.." (١)

"وفاء الفصيحة تفيد الإلزام بما بعدها كما صرح به الزمخشري في قوله تعالى ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾ في سورة الفرقان، أي تدل على أن لا مناص للمواجه بها من التزام مدلول جواب شرطها المحذوف.
والمعنى: فتعين إقراركم بما سئلتم عنه من الممثل به إذ لا يستطاع جحده تحققت كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أن تكرهوا نظيره الممثل وهو الغيبة فكأنه قيل: فاكرهوا الممثل كما كرهتم الممثل به.
وفي هذا الكلام مبالغات: منها الاستفهام التقريري الذي لا يقع إلا على أمر مسلم عند المخاطب فجعلك للشيء في حيز الاستفهام التقريري يقتضي أنك تدعي أنه لا ينكره المخاطب.
ومنها جعل ما هو شديد الكراهة للنفس مفعولا لفعل المحبة للإشعار بتفظيع حالة ما شبه به وحالة من ارتضاه لنفسه فلذلك لم يقل: أيتحمل أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا، بل قال ﴿أيحب أحدكم﴾
ومنها إسناد الفعل إلى ﴿أحد﴾ للإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك.
ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا.
ومنها أنه لم يقتصر على كون المأكول لحم الأخ حتى جعل الأخ ميتا.
وفيه من المحسنات الطباق بين ﴿أيحب﴾ وبين ﴿فكرهتموه﴾ .
والغيبة حرام بدلالة هذه الآية وآثار من السنة بعضها صحيح وبعضها دونه.
وذلك أنها تشتمل على مفسدة ضعف في أخوة الإسلام. وقد تبلغ الذي اغتيب فتقدح في نفسه عداوة لمن اغتابه فينثلم بناء الأخوة، ولأن فيها الاشتغال بأحوال الناس وذلك يلهي الإنسان عن الاشتغال بالمهم النافع له وترك ما لا يعنيه.
وهي عند المالكية من الكبائر وقل من صرح بذلك، لكن الشيخ عليا الصعيدي في حاشية الكفاية صرح بأنها عندنا من الكبائر مطلقا. ووجهه أن الله نهى عنها وشنعها. ومقتضى كلام السجلماسي في كتاب العمل الفاسي أنها كبيرة.
وجعلها الشافعية من الصغائر لأن الكبيرة في اصطلاحهم فعل يؤذن بقلة اكتراث فاعله بالدين ورقة الديانة كذا حدها إمام الحرمين.." (٢)

"ج ٣ ، ص : ٥٠٦
بين المؤمنين في الإسلام قوية الأواصر متينة الصلة ، والناس حينما يرون أخوين في النسب اقتتلا أسرعوا في فض النزاع.
ويبين الله هنا أن صلة الإيمان أقوى من صلة النسب
« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يعيبه » .

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١٢/٢٦
(٢) التحرير والتنوير، ٢١٣/٢٦

واعلموا أن تقوى الله هي العلاج العام الذي يمنع النزاع ، ويفك الخصام وهي سبيل الرحمة وطريق النجاة.

إرشادات إلهية في المعاشرة والاجتماع [سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٣]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

المفردات :

لا يسخر السخرية : الاستهزاء والنظر إلى المسخور منه بعين النقص." (١)

"ج ٣ ، ص : ٥١٠

ولا يغتب بعضكم بعضا ولقد روى أنه صلى الله عليه وسلم قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ » قالوا. الله ورسوله أعلم ، قال : « هي ذكرك أخاك بما يكره » قيل : أفرأيت لو كان في أخى ما أقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » .

والغيبة تباح عند رفع الظلم ، والشهادة في الخصومات ، والاستشارات العامة ، وكالتشنيع على المتجاهر بالمعصية ، وما أروع هذا التمثيل حيث يقول الله : أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا وحقا من ولغ في العرض فكأنه أكل اللحم من أخيه وهو ميت لا يقدر على رده ، وكذلك المغتاب في غيبة أخيه ينهش من عرضه وهو لا يستطيع رده ، فهذا أسلوب غاية في التنفير من الغيبة ، ثم أتبع ذلك بقوله :

فكرهتموه فقد صور المغتاب بصورة من يحب شيئا ، حقه أن يكون في غاية الكراهية وهو أكل لحم الأخ ، وزاده أن صوره بصورة الميت ، وحقه أن يكون منه أنفر ، وخلاصة المعنى : إن يفعل ذلك أحد فقد كرهتموه واتقوا الله الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور وتوبوا إليه إنه هو التواب الرحيم ، وهو بالمؤمنين رءوف رحيم.

« وبعد » : فالغيبة عادة مرذولة ، وصفة مستهجنة ، كثيرا ما أودت بالصلات ، وأثارت الأحقاد ، وشتتت من جمع ، وفرقت من شمل ، وهي مع هذا عذابها شديد وعقابها أليم ، وهي بالفساق أولى فاتقوا الله واجتنبوها

« وهل يكب الناس على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » صدق رسول الله.

ما مضى كانت إرشادات إسلامية يوجهها الله إلى المؤمنين ليبين لهم أن مقتضى الإيمان ألا يحصل هذا منكم كما عرفنا سابقا. وهنا قال : « يا أيها الناس » لأن هذا الداء الذي هو التفاخر والتباهي بالأنساب والأحساب داء قديم عام في جميع الأمم ، فهو يعرض للناس من حيث كونهم ناسا فهو في طبيعة الإنسان ، ولقد عالج الله هذا الداء علاجا حاسما

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣/٥٠٦

حكيما ، فإنك تفضل هذا على ذاك إذا كان من معدن وهو من آخر ، أو هذا من صنع فلان ، وذاك من صنع فلان ، فإذا كانت المادة واحدة والصانع واحدا ففيم إذن الاختلاف والتفاضل ؟ !." (١)

" صفحة رقم ٢٢٧

لأنهم كأنفسكم فإذا عاب عائب أحدا بعيب فكأنه عاب نفسه وقيل لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تدعوا الإنسان بغير ما سمى به وقال ابن عباس التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله وقيل هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر قيل كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك وقيل هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير وقال بعض العلماء المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادي به أو يفيد ذما له فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا وتكون حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لأبي بكر عتيق ولعمر الفاروق ولعثمان ذو النورين ولعلي أبا تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك) بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان (أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز و فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق) ومن لم يتب (أي من ذلك كله) فأولئك هم الظالمون (أي الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم وقيل ظلموا الذين قالوا لهم ذلك)

الحجرات : (١٢) يا أيها الذين...

" يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم " (قوله عز وجل : (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن (قيل : نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل فيهيء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره ، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام ولم يهيء شيئا لهما فلما قدما قالا له : ما صنعت شيئا.

قال : لا غلبتني عيناي فنمت قالا له : انطلق إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فاطلب لنا منه طعاما فجاء سلمان إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وسأله طعاما فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) انطلق إلى أسامة بن زيد وقل له : إن كان عنده فضل طعام وأدم فليعطك وكان أسامة خازن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وعلى رحله فأتاه فقال ما عندي شيء فرجع سلمان إليهما فأخبرهما فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا : لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما جاء إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال لهما : ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما ؟ قالا : والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما.

---

(١) التفسير الواضح ـ موافقا للمطبوع، ٣/٥١٠

قال : ظللتما تأكلان لحم سلمان وأسامة فأنزل الله عز وجل : يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني أن يظن بأهل الخير سوءا فنهى الله المؤمن أن يظن بأخيه المؤمن." (١)

"" صفحة رقم ٢١٨ "

التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح) ومن لم يتب (عما نهى عنه) فأولئك هم الظالمون (بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب

الحجرات : (١٢) يا أيها الذين . . . . .

) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن (كونوا منه على جانب وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين وما يباح كالظن في الأمور المعاشية) إن بعض الظن إثم (مستأنف للأمر والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال أي بكسرها) ولا تجسسوا (ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته) ولا يغتب بعضكم بعضا (ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل (صلى الله عليه وسلم) عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكرهه فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته) أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب باكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله) فكرهتموه (تقريرا وتحقيقا لذلك والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار." (٢)

"﴿ ١٢ ﴾ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ .

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء (١) بالمؤمنين، ف ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضًا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

﴿ وَلا تَجَسَّسُوا ﴾ أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا (٢) المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله (٣) التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي.

---

(١) تفسير الخازن . ، ٢٢٧/٦

(٢) تفسير البيضاوى . ، ٢١٨/٥

[ص ٨٠٢]

﴿ وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه " ثم ذكر مثلا منفرًا عن الغيبة، فقال: ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ﴾ شبه أكل لحمه ميتًا، المكروه للنفوس [غاية الكراهة]، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصًا إذا كان ميتًا، فاقد الروح، فكذلك، [فلتكرهوا] غيبته، وأكل لحمه حيًا.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

---

(١) في ب: السيء.

(٢) في ب: ودعوا.

(٣) في ب: عن زلاته.." (١)

"﴿كثيرا من الظن ﴾ ظن السوء ﴿ بعض الظن ﴾ أي ظن السوء ، أو التكلم بما ظنه فإن لم يتكلم به فلا إثم عليه ﴿ تجسسوا ﴾ بتتبع عثرات المؤمن أو بالبحث عما خفي حتى يظهر ، والتجسس والتحسس واحد « ع » ، أو بالجيم البحث ومنه الجاسوس وبالحاء الإدراك ببعض الحواس ، أو بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره ﴿ ولا يغتب ﴾ الغيبة : ذكر العيب بظهر الغيب إذا كان صدقا فإن كان كذبا فهو بهتان وإن كان من سماع فهو إفك ﴿ لحم أخيه ميتا ﴾ كما تمتنعون من أكل لحوم الموتى فكذلك يجب أن تمتنعوا من غيبة الأحياء ، أو كما يحرم الأكل يحرم الاغتياب ﴿ فكرهتموه ﴾ كرهتم أن يغتابكم الناس فكذلك فاكرهوا غيبتهم ، أو كرهتم أكل الميتة فاكرهوا الغيبة .." (٢)

"يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله" ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال : ما أعظمك وأعظم حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك. وقيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال : إنا نهينا عن التجسس وإن يظهر لنا شيئا نأخذه به.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣

تنبيه : قرأ ولا تنابزوا ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس قال : ﴿ولا يغتب﴾ أي : ولا يتعمد أن يذكر ﴿بعضكم بعضا﴾ أي : في غيبته بما يكره. قال القشيري : وليس تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق وقال أبو حيان : قال ابن عباس : الغيبة إدام

---

(١) تفسير السعدي، ص/٨٠١

(٢) تفسير ابن عبد السلام، ٦/١٣٠

كلاب الناس.

وعن أبي هريرة "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته" وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لا نأكل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم "اغتبتموه فقالوا : إنما حدثنا بما فيه قال : حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه" وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن فإن تمزيق عرض الإنسان كتمزيق أديمه ولحمه كما قال تعالى : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ وقرأ ﴿ميتا﴾ نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون.

ولما كان الجواب قطعا لا يحب أحد ذلك أشار إليه بما سببه من قوله تعالى : ﴿فكرهتموه﴾ أي : بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لأن داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع أعمى جاهل.

تنبيه : في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا من باب القياس الظاهر لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه ، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى : ﴿ميتا﴾ إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال : إن الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم ، فيقال لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو أن الاغتياب أكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إذا وجد

٥٧

لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب. قال مجاهد : لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا : لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الزجاج : تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

جزء : ٤ رقم الصفحة : ٥٣

قال الرازي : وفي ضمير فكرهتموه وجوه : أظهرها : أن يعود إلى الأكل. وثانيها : أن يعود إلى اللحم أي : فكرهتم اللحم. وثالثها : أن يعود إلى الميت في قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا. فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله ففيه إذا كراهية شديدة. وكذلك حال الغيبة.

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت : من

هؤلاء يا جبريل قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" وقال ميمون بن سنان : بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال إنك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكن سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحد ولا يدع أحدا يغتاب عنده.

وقوله تعالى : ﴿واتقوا الله﴾ أي : اجعلوا بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الأوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إن الله﴾ أي : الملك الأعظم ﴿تواب﴾ أي : مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رحيم﴾ يزيده على ذلك بأن يكرمه غاية الإكرام.." (١)

"الزمخشري: " روي عن النبي صلى الله عليه وسلم [من حق المؤمن على المؤمن أن يسميه بأحب أسمائه إليه].

ولهذا كانت التكنية من السنة والادب الحسن، قال عمر رضي الله عنه: أشيعوا الكني فإنها منبهة.

ولقد لقب أبو بكر بالعتيق والصديق، وعمر بالفاروق، وحمزة بأسد الله، وخالد بسيف الله.

وقل من المشاهير في الجاهلية والاسلام من ليس له لقب.

ولم تزل هذه الالقاب الحسنة في الامم كلها - من العرب والعجم - تجري في مخاطباتهم ومكاتباتهم من غير نكير ".

قال الماوردي: فأما مستحب الالقاب ومستحسنها فلا يكره.

وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم عددا من أصحابه بأوصاف صارت لهم من أجل الالقاب.

قلت - فأما ما يكون ظاهرها الكراهة إذا أريد بها الصفة لا العيب فذلك كثير.

وقد سئل عبد الله بن المبارك عن الرجل يقول: حميد الطويل، وسليمان الاعمش، وحميد الاعرج، ومروان الاصغر، فقال: إذا أردت صفته ولم ترد عيبه فلا بأس به.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن سرجس قال: رأيت الاصلع - يعني عمر - يقبل الحجر.

في رواية الاصيلع.

قوله تعالى: " ومن لم يتب " أي عن هذه الالقاب التي يتأذى بها السامعون.

" فأولئك هم الظالمون " لانفسهم بارتكاب هذه المناهي.

قوله تعالى: يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) فيه عشر مسائل: الاولى - قوله تعالى: " يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن " قيل: إنها نزلت في رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اغتابا رفيقهما.

وذلك أن النبي صلى." (٢)

---

(١) تفسير السراج المنير . ، ٤١/٤

(٢) تفسير القرطبي، ٣٣٠/١٦

"قال: [إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته].

يقال: اغتابه اغتيابا إذا وقع فيه، والاسم الغيبة، وهي ذكر العيب بظهر الغيب.

(١) قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها في كتاب الله تعالى: الغيبة والافك والبهتان.

فأما الغيبة فهو أن تقول في أخيك ما هو فيه.

وأما الافك فأن تقول فيه ما بلغك عنه.

وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه.

وعن شعبة قال: قال لي معاوية - يعني ابن قرة -: لو مر بك رجل أقطع، فقلت هذا أقطع كان غيبة.

قال شعبة: فذكرته لابي إسحاق فقال صدق.

وروى أبو هريرة أن الاسلمي ما عزا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فشهد على نفسه بالزنى فرجمه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فسمع نبي الله صلى الله عليه وسلم رجلين من أصحابه يقول أحدهما للآخر: انظر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب، فسكت عنهما.

ثم سار ساعة حتى مر بجيفة حمار شائل برجله فقال: [أين فلان وفلان] ؟ فقالا: نحن ذا يا رسول الله، قال: [انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار] فقالا: يا نبي الله ومن يأكل من هذا ! قال: [فما نلتما من عرض أخيكما أشد من الاكل منه والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها].

السادسة - قوله تعالى: " أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا " مثل الله الغيبة بأكل الميتة، لان الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه.

وقال ابن عباس: إنما ضرب الله هذا المثل للغيبة لان أكل لحم الميت حرام مستقذر، وكذا الغيبة حرام في الدين وقبيح في النفوس.

وقال قتادة: كما يمتنع أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا كذلك يجب أن يمتنع من غيبته حيا.

واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لان عادة العرب بذلك جارية.

قال الشاعر: فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم * وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا (٢)

---

(١) الظهر: ما غاب عنك.

(٢) البيت للمقنع الكندي، واسمه محمد بن عميرة.

(*)".[١]

---

(١) تفسير القرطبي، ٣٣٥/١٦

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ [١٢] .

﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ أي : كونوا على جانب منه . وذلك بأن تظنوا بالناس سوءا ؛ فإن الظان غير محقق . وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتورع فيما يخالج الأفئدة من هواجسه ، إذ لا داعية تدعو المؤمن للمشي وراءه ، أو صرف الذهن فيه ، بل من مقتضى الإيمان ظن المؤمنين بأنفسهم الحسن . قال تعالى : ﴿ لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين ﴾ [النور : ١٢] . نعم ! من أظهر فسقه ، وهتك ستره ، فقد أباح عرضه للناس . ومنه ما روي : من ألقى جلباب الحياء ، فلا غيبة له . ولذا قال الزمخشري : والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها ، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة ، وسبب ظاهر ، كان حراما واجب الاجتناب . وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد من الستر والصلاح ، وأونست منه الأمانة في الظاهر ، فظن الفساد والخيانة به محرم ، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب ، والمجاهرة بالخبائث .

﴿ إن بعض الظن ﴾ وهو ظن المؤمن الشر ، لا الخير : ﴿ إثم ﴾ أي : مكسب للعقاب ، لأن فيه ارتكاب ما نهي عنه . قال حجة الإسلام الغزالي في " الإحياء " في بيان تحريم الغيبة بالقلب : اعلم أن سوء الظن حرام ، مثل سوء القول . فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير ، فليس لك أن تحدث نفسك ، وتسيء الظن بأخيك . قال : ولست أعني به إلا عقد القلب ، وحكمه على غيره بسوء الظن . فأما الخواطر وحديث النفس ، فهو معفو عنه ، بل الشك أيضا معفو عنه . ولكن المنهي عنه أن يظن . والظن عبارة عما تركن إليه النفس ، ويميل إليه القلب . فقد قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ . قال : وسبب تحريمه أن أسرار القلوب لا يعلمها إلا علام الغيوب ، فليس لك أن تعتقد في غيرك سوءا إلا إذا انكشفت لك بعيان لا يقبل التأويل . فعند ذلك لا يمكنك أن لا تعتقد ما علمته وشاهدته . وما لم تشاهده بعينيك ، ولم تسمعه بأذنك ، ثم وقع في قلبك ، فإنما الشيطان يلقيه إليك ، فينبغي أن تكذبه فإن أفسق الفساق . إلى أن قال : فلا يستباح ظن السوء إلا بما يستباح به المال ، وهو بعين مشاهدة ، أو بينة عادلة . انتهى .

ولما كان من ثمرات سوء الظن التجسس ، فإن القلب لا يقنع بالظن ، ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس ، ذكر سبحانه النهي عنه ، إثر سوء الظن لذلك ، فقال تعالى : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ قال ابن جرير : أي : لا يتبع بعضكم عورة بعض ، ولا يبحث عن سرائره ، يبتغي بذلك الظهور على عيوبه ، ولكن اقنعوا بما ظهر لكم من أمره ، وبه فاحمدوا أو ذموا ، لا على ما تعلمونه من سرائره .

يقال : تجسس الأمر إذا تطلبه ، وبحث عنه ، كتلمس . قال الشهاب : الجس بالجيم كاللمس ، فيه معنى الطلب ؛ لأن من يطلب الشيء يمسه ويجسه ، فأريد به ما يلزمه ، واستعمل التفعل للمبالغة فيه .

قال الغزالي : ومعنى التجسس أن لا يترك عباد الله تحت ستر الله ، فيتوصل إلى الاطلاع ، وهتك الستر ، حتى ينكشف

له ما هو كان مستورا عنه ، كان أسلم لقلبه ودينه .

وقد روي في معنى الآية أحاديث كثيرة ، منها حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خطب فرفع صوته حتى أسمع العواتق في خدورهن ، فقال : [(١)].

وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم : [(٢)]. وروى أبو داود أن ابن مسعود رضي الله عنه أتى برجل ، فقيل له : هذا فلان ، تقطر لحيته خمرا ! فقال : إنا قد نهينا عن التجسس ، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به – والرجل سماه ابن أبي حاتم في روايته : الوليد بن عقبة بن أبي معيط .

وروى أبو داود عن معاوية قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : [(٣)]. فقال أبو الدرداء رضي الله عنه كلمة سمعها معاوية من رسول الله ، نفعه الله بها .

وروى الإمام أحمد عن دجين ، كاتب عقبة ، قال : لعقبة : إنا لنا جيرانا يشربون الخمر ، وأنا داع لهم الشرط ليأخذوهم ! قال : لا تفعل ، ولكن عظهم وتهددهم ! قال : ففعل فلم ينتهوا . قال : فجاءه دجين فقال : إني نهيتهم فلم ينتهوا ، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم ! فقال له عقبة : لا تفعل ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : [(٤)]! .

وروى أبو داود عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : [(٥)]. قال الأوزاعي : ويدخل في التجسس استماع قوم وهم له كارهون .

﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ أي : لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب ، ما يكره المقول فيه ذلك ، أن يقال له في وجهه . يقال : غابه واغتابه ، كغاله واغتاله ، إذا ذكره بسوء في غيبته ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ ؟ أي : فلو عرض عليكم ، نفرت عنه نفوسكم ، وكرهتموه . فلذا ينبغي أن تكرهوا الغيبة . وفيه استعارة تمثيلية ، مثل اغتياب الإنسان لآخر بأكل لحم الأخ ميتا .

لطائف :

الأولى – قال الزمخشري : ﴿ أيحب أحدكم ﴾ الخ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه ، وفيه مبالغات شتى : منها – الاستفهام الذي معناه التقرير ، وهو يفيد المبالغة من حيث إنه لا يقع في كلام مسلم عند كل سامع ، حقيقة أو دعاء . ومنها – جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة . ومنها – إسناد الفعل إلى أحدكم ، والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك .

ومنها – أن لم يقتصر تمثيل الاغتاب بأكل لحم الإنسان ، حتى جعل الإنسان أخا .

---

(١) يا معشر من آمن بلسانه ، ولم يخلص الإيمان في قلبه ! لا تتبعوا عورات المسلمين ، فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ، ولو في جوف بيته

(٢) لا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا

(٣) إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم ، أو كدت أن تفسدهم

(٤) من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيى موؤودة من قبرها

(٥) إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم

ومنها – أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ ، حتى جعل ميتا . انتهى .

وقال ابن الأثير في " المثل السائر " في بحث الكناية : فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ أيحب أحدكم ﴾ الخ فإنه كنى عن الغيبة بأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله ، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا ، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة . فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له ، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله .

فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله ، فشديد المناسبة جدا ، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس ، وتمزيق أعراضهم . وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه ، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة . وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة ، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها ، آمران بتركها ، والبعد عنها . ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته .

ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر ، إلا أنه لا يكون مثل كراهة لحم أخيه . فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة . وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة ، والشهوة لها ، مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها ، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها ، وجدتها مناسبة لما قصدت له . انتهى .

الثانية – الفاء في قوله تعالى : ﴿ فكرهتموه ﴾ فصيحة في جواب شرط مقدر . والمعنى : إن صح ذلك ، أو عرض عليكم هذا ، فقد كرهتموه ، فما ذكر جواب للشرط ، وهو ماض فيقدر معه قد ليصح دخول الفاء على الجواب الماضي ، كما في قوله تعالى : ﴿ فقد كذبوكم بما تقولون ﴾ [الفرقان : ١٩] ، وضمير : ﴿ فكرهتموه ﴾ للأكل ، وقد جوز كونه للاغتياب المفهوم منه . والمعنى : فاكرهوه كراهيتهم لذلك الأكل . وعبر عنه بالماضي للمبالغة ، فإذا أول بما ذكر يكون إنشائيا غير محتاج لتقدير قد – أفاده الشهاب – .

الثالثة – قال ابن الفرس : يستدل بالآية على أن لا يجوز للمضطر أكل ميتة الآدمي لأنه ضرب به المثل في تحريم الغيبة ، ولم يضرب بميتة سائر الحيوان . فدل على أنه في التحريم فوقها . ومن أراد استيفاء مباحث الغيبة فعليه " بالإحياء " للغزالي ، فإنه جمع فأوعى .

﴿ واتقوا الله ﴾ أي : خافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن السوء ، والتجسس عما ستر والاغتياب وغير ذلك من المناهي ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ أي : يقبل توبة التائبين إليه ، ويتكرم برحمته عن عقوبتهم بعد متابهم .

ثم نبه تعالى ، بعد نهيه عن الغيبة واحتقار الناس بعضهم لبعض ، على تساويهم في البشرية ، كما قال ابن كثير ، بقوله سبحانه :." (١)

"﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا (١) .

وقال أبو عبد الله بن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا (٢) عبد الله بن عمر (٣) قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خير (٤) . تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه (٥) .

وقال مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن (٦) أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا". رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن العتبي [ثلاثتهم] (٧) ، عن مالك، به (٨) .

وقال سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أنس [رضي الله عنه] (٩) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام".

رواه مسلم والترمذي -وصححه-من حديث سفيان بن عيينة، به (١٠) .

---

(١) رواه أحمد في الزهد كما في الدر المنثور (٥٦٥/٧).

(٢) في ت: "وروى ابن ماجه بسنده عن".

(٣) في ت: "بن عمر رضي الله عنه".

(٤) في ت، م: "خيرا".

(٥) سنن ابن ماجه برقم (٣٩٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٢٢٣/٣) "هذا إسناد فيه مقال، نصر بن محمد ضعفه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات".

(٦) في ت، م: "فإنه".

(٧) زيادة من أ.

(٨) الموطأ (٩٠٨/٢) وصحيح البخاري برقم (٦٠٦٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٣).

(٩) زيادة من ت.

(١٠) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩)، وسنن الترمذي برقم (١٩٣٥).." (١)

"إلى النبي صلى الله عليه وسلم -أي: إنها قصيرة-فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغتبتيها" (١) .

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقوله صلى الله

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٧٧/٧

عليه وسلم (٢) ، لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" (٣) ، وكقوله لفاطمة بنت قيس -وقد خطبها معاوية وأبو الجهم-: "أما معاوية فصعلوك (٤) ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه" (٥) . وكذا ما جرى مجرى ذلك. ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد (٦) ؛ ولهذا شبهها تعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال تعالى: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ ؟ أي: كما تكرهون هذا طبعا، فاكرهوا ذاك شرعا؛ فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، كما قال، عليه السلام، في العائد في هبته: "كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه"، وقد قال: "ليس لنا مثل السوء". وثبت في الصحاح (٧) والحسان والمسانيد من غير وجه أنه، عليه السلام، قال في خطبة [حجة] (٨) الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا" (٩) .

وقال (١٠) أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أسباط بن محمد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه، حسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم".

ورواه الترمذي (١١) عن عبيد بن أسباط بن محمد، عن أبيه، به (١٢) . وقال: حسن غريب.

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة (١٣) ، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله (١٤) بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته".

تفرد به أبو داود (١٥) . وقد روي من حديث البراء بن عازب، فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام، عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق

---

(١) تفسير الطبري (٨٧/٢٦).

(٢) في ت: "عليه السلام".

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٣٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في أ: "فصعلوك لا مال له".

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٨٠).

(٦) في ت، م: "الشديد".

(٧) في ت، م: "الصحيح".

(٨) زيادة من ت، م، أ.

(٩) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(١٠) في ت: "وروى".

(١١) في ت: "رواه الترمذي وحسنه".

(١٢) سنن أبي داود برقم (٤٨٨٢) وسنن الترمذي برقم (١٩٢٧).

(١٣) في ت: "وروى أبو داود".

(١٤) في أ: "عبيد الله".

(١٥) سنن أبي داود برقم (٤٨٨٠).." (١)

"محمد–لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت: يا جبرائيل (١) ، من هؤلاء: قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة. فيقال (٢) : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه ﴾ وهو يكره على أكل لحمه.

هكذا أورد هذا الحديث، وقد سقناه بطوله في أول تفسير "سورة سبحان" ولله الحمد (٣) .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا الربيع، عن يزيد، عن أنس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له. فصام الناس، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: ظللت منذ اليوم صائما، فائذن لي. فأفطر فيأذن له، ويجيء الرجل فيقول ذلك، فيأذن له، حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله، إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين، فائذن لهما فليفطرا فأعرض عنه، ثم أعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس؟ اذهب، فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا". ففعلتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة علقة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار" (٤) .

إسناد ضعيف، ومتن غريب. وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون: حدثنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد –مولى رسول الله (٥) –أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن رجلا أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن هاهنا امرأتين صامتا، وإنهما كادتا تموتان من العطش –أراه قال: بالهاجرة–فأعرض عنه –أو: سكت عنه–فقال: يا نبي الله، إنهما –والله قد ماتتا أو كادتا تموتان (٦) . فقال: ادعهما. فجاءتا، قال: فجيء بقدح –أو عس–فقال لإحداهما: " قيئي" فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح. ثم قال للأخرى: قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح. فقال: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس.

وهكذا قد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي، كلاهما عن سليمان بن طرخان التيمي، به مثله أو نحوه (٧) . ثم رواه أيضا من حديث مسدد، عن يحي القطان، عن عثمان بن غياث، حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان، عن سعد –مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم–أنهم أمروا بصيام، فجاء رجل في نصف النهار فقال: يا رسول الله، فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد. فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا، ثم قال: "ادعهما". فجاء بعس –أو: قدح–فقال لإحداهما: "قيئي"،

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٨٠/٧

فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا، وقال للأخرى مثل ذلك، فقال: "إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما

---

(١) في ت، م: "جبريل".

(٢) في أ: "فقال".

(٣) عند الآية الأولى.

(٤) مسند الطيالسي برقم (٢١٠٧).

(٥) في ت، م: "رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(٦) في ت: "أن تموتا".

(٧) المسند (٥/٤٣١) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٧١) من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به.." (١)

"قيحا" (١) .

وقال البيهقي: كذا قال "عن سعد"، والأول -وهو عبيد- أصح.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير (٢) عن ابن عم لأبي هريرة أن ماعزا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت فأعرض عنه -قالها أربعا- فلما كان في الخامسة قال: "زنيت"؟ قال: نعم. قال: "وتدري ما الزنا؟" قال: نعم، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال: "ما تريد إلى هذا القول؟" قال: أريد أن تطهرني. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشاء (٣) في البئر؟". قال: نعم، يا رسول الله. قال: فأمر برجمه فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان؟ أنزلا فكلا من جيفة هذا الحمار" قالا غفر الله لك يا رسول، الله وهل يؤكل هذا؟ قال: "فما نلتما من أخيكما (٤) آنفا أشد أكلا من، والذي نفسي بيده، إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها" (٥)]إسناده صحيح] (٦) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا واصل -مولى ابن عيينة- حدثني خالد بن عرفطة، عن طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين (٧) " (٨) .

طريق أخرى: قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن سليمان، عن أبي سفيان -وهو طلحة بن نافع- عن جابر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة (٩) ، فقال

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٧/٣٨٢

النبي صلى الله عليه وسلم: "إن نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين، فلذلك بعثت هذه الريح" وربما قال: "فلذلك هاجت هذه الريح" (١٠) .

وقال السدي في قوله: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ : زعم أن سلمان الفارسي كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما ويخف لهما، وينال من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان نائما، لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلمانه (١١) فلم يجداه، فضربا الخباء فقالا ما يريد سليمان -أو: هذا العبد- شيئا غير هذا: أن يجيء إلى طعام مقدور، وخباء مضروب! فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتى رسول

---

(١) المسند (٥/٤٣١).

(٢) في ت: "وروى الحافظ أبو يعلى بمسنده".

(٣) في ت، م، أ: "والعصا".

(٤) في ت: "من عرض أخيكما".

(٥) مسند أبي يعلى (٦/٥٢٤) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٨/٢٢٧) من طريق عمرو بن الضحاك به؛ ورواه أبو داود في السنن برقم (٤٤٢٩) من طريق الضحاك به.

(٦) زيادة من ت.

(٧) في ت، أ: "الناس".

(٨) المسند (٣/٣٥١) قال الهيثمي في المجمع (٨/٩١): "رجاله ثقات".

(٩) في م: "ريح شديدة منتنة".

(١٠) المنتخب برقم (١٠٢٦).

(١١) في م: "يكلماه".." (١)

"الله [صلى الله عليه وسلم] (١) ومعه قدح له، فقال: يا رسول الله، بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك؟ قال: "ما يصنع أصحابك بالأدم؟ قد ائتدموا". فرجع سلمان يخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا والذي بعثك بالحق، ما أصبنا طعاما منذ نزلنا. قال: "إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما".

قال: ونزلت: ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ ، إنه كان نائما (٢) .

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه "المختارة" من طريق حبان بن هلال، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر ما رجل يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٨٣/٧

يهيئ لهما طعاما، فقالا إن هذا لنؤوم، فأيقظاه، فقالا له: ائت رسول الله فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، ويستأدمانك.

فقال: "إنهما قد ائتدما" فجاءا فقالا يا رسول الله، بأي شيء ائتدمنا؟ فقال: "بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده، إني لأرى لحمه بين ثناياكما". فقالا استغفر لنا يا رسول الله فقال: "مراه فليستغفر لكما" (٣) .

وقال (٤) الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا محمد بن مسلم، عن محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من **لحم أخيه** في الدنيا، قرب له لحمه في الآخرة، فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا. قال: فيأكله ويكلح ويصيح". غريب جدا (٥) .

وقوله: ﴿ واتقوا الله ﴾ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه، فراقبوه في ذلك واخشوا منه، ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ أي: تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه، واعتمد عليه.

قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع (٦) عن ذلك، ويعزم على ألا يعود. وهل يشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه. وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا (٧) أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون (٨) تلك بتلك، كما قال (٩) الإمام أحمد:

حدثنا أحمد بن الحجاج، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان؛ أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره، عن أبيه، عن (١٠) النبي

---

(١) زيادة من ت.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٧/٥٧٠).

(٣) المختارة برقم (١٦٩٧).

(٤) في ت: "وروى".

(٥) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩٦١) "مجمع البحرين" من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به، وقال: لم يروه عن ابن إسحاق إلا محمد بن سلمة وقد وقع هنا "محمد بن مسلم" وأظنه تصحيفا، لكني لا أستطيع الجزم بذلك قال الهيثمي في المجمع (٨/٩٢): "فيه ابن إسحاق وهو مدلس ومن لم أعرفه".

(٦) في م: "يرجع".

(٧) في ت: "لو".

(٨) في ت: "لتكون".

(٩) في ت: "روى".

(١٠) في ت: "أن".." (١)

" ١٢ - ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ الظن هنا : هو مجرد التهمة التي لا سبب لها كمن يتهم غيره بشيء من الفواحش ولم يظهر عليه ما يقتضي ذلك وأمر سبحانه باجتناب الكثير ليفحص المؤمن عن كل ظن يظنه حتى يعلم وجهه لأن من الظن ما يجب اتباعه فإن أكثر الأحكام الشرعية مبنية على الظن كالقياس وخبر الواحد ودلالة العموم ولكن هذا الظن الذي يجب العمل به قد قوي بوجه من الوجوه الموجبة للعمل به فارتفع عن الشك والتهمة قال الزجاج : هو أن يظن بأهل الخير سوءا فأما أهل السوء والفسوق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم قال مقاتل بن سليمان ومقاتل بن حيان : هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا ولا بأس به ما لم يتكلم به فإن تكلم بذلك الظن وأبداه أثم وحكى القرطبي عن أكثر العلماء : أن الظن القبيح بمن ظاهره الخير لا يجوز وأنه لا حرج في الظن القبيح بمن ظاهره القبيح وجملة ﴿ إن بعض الظن إثم ﴾ تعليل لما قبلها من الأمر باجتناب كثير من الظن وهذا البعض هو ظن السوء بأهل الخير والإثم هو ما يستحقه الظان من العقوبة ومما يدل على تفييد هذا الظن المأمور باجتنابه بظن السوء قوله تعالى : ﴿ وظننتم ظن السوء وكنتم قوما بورا ﴾ فلا يدخل في الظن المأمور باجتنابه بشيء من الظن المأمور باتباعه في مسائل الدين فإن الله قد تعبد عباده باتباعه وأوجب العمل به جمهور أهل العلم ولم ينكر ذلك إلا بعض طوائف المبتدعة كيادا للدين وشذوذا عن جمهور المسلمين وقد جاء التعبد بالظن في كثير من الشريعة المطهرة بل في أكثرها ثم لما أمرهم الله سبحانه باجتناب كثير من الظن نهاهم عن التجسس فقال : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ التجسس : البحث عما ينكتم عنك من عيوب المسلمين وعوراتهم نهاهم الله سبحانه عن البحث عن معايب الناس ومثالبهم قرأ الجمهور تجسسوا بالجيم ومعناه ما ذكرنا وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن سيرين بالحاء قال الأخفش : ليس يبعد أحدهما من الآخر لأن التجسس بالجيم : البحث عما يكتم عنك والتحسس بالحاء : طلب الأخبار والبحث عنها وقيل إن التجسس بالجيم هو البحث ومنه قيل رجل جاسوس : إذا كان يبحث عن الأمور وبالحاء ما أدركه الإنسان ببعض حواسه وقيل إنه بالحاء فيما يطلبه الإنسان لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره قاله ثعلب : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ أي لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه والغيبة : أن تذكر الرجل بما يكرهه كما في حديث أبي هريرة الثابت في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : [أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره فقيل : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ فقال : إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته] ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه ذكر معناه الزجاج وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه وأنه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية وتستكرهه الجبلة البشرية فضلا عن كونه محرما شرعا ﴿ فكرهتموه ﴾ قال الفراء : تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا والمعنى : فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الرازي : الفاء في تقدير جواب

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٣٨٤/٧

كلام كأنه قال : لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن وقال أبو البقاء : هو معطوف على محذوف تقديره : عرض عليكم ذلك فكرهتموه ﴿ واتقوا الله ﴾ بترك ما أمركم باجتنابه ﴿ إن الله تواب رحيم ﴾ لمن اتقاه عما فرط منه من الذنب ومخالفة الأمر

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس قال : قيل للنبي صلى الله عليه و سلم [لو أتيت عبد الله بن أبي فانطلق إليه وركب حمارا وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة فلما انطلق إليه قال : إليك عني فوالله لقد آذاني ريح حمارك فقال رجل من الأنصار : والله لحمار رسول الله صلى الله عليه و سلم أطيب ريحا منك فغضب لعبد الله رجال من قومه فغضب لكل منهما أصحابه فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال فنزلت فيهم ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ الآية] وقد روي نحو هذا من وجوه أخر وأخرج الحاكم وصححه والبيهقي عن ابن عمر قال : ما وجدت في نفسي من شيء ما وجت في نفسي من هذه الآية إني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال : إن الله أمر النبي صلى الله عليه و سلم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفة من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله وينصف بعضهم من بعض فإذا أجابوا حكم فيهم بحكم كتاب الله حتى ينصف المظلوم فمن أبى منهم أن يجيب فهو با غ وحق على إمام المؤمنين والمؤمنين أن يقاتلوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله ويقروا بحكم الله وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس

﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ﴾ االآية قال : كان قتال بالنعال والعصي فأمرهم أن يصلحوا بينهما وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن عائشة قالت ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة في هذه الآية : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما ﴾ وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم ﴾ قال : نزلت في قوم من بني تميم استهزؤا من بلال وسليمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة وأخرج عبد بن حميد والبخاري في الأدب وابن أبي الدنيا في ذم الغيبة وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ قال : لا يطعن بعضكم على بعض وأخرج أحمد وعبد بن حميد والبخاري في الأدب وأهل السنن الأربع وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أبي جبيرة بن الضحاك قال : فينا نزلت في بني سلمة ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ قدم رسول الله صلى الله عليه و سلم وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فكان إذا دعا واحدا منهم باسم من تلك الأسماء قالوا : يا رسول الله إنه يكرهه فنزلت ﴿ ولا تنابزوا بالألقاب ﴾ وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس نحوه وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : التنابز بالألقاب : أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب منها وراجع الحق فنهى الله أن يعير بما سلف من عمله وأخرج عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن مسعود في الآية قال : إذا كان الرجل يهوديا فأسلم فيقول : يا يهودي يا نصراني يا مجوسي ويقول للرجل المسلم : يا فاسق وأخرج ابن جرير و ابن المنذر و ابن ابي حاتم و البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ﴾ قال : نهى الله المؤمن ان يظن بالمؤمن سوءا وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : [إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا

تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يخطب الرجل على خطبة أخيه حتى ينكح أو يترك] وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا تجسسوا ﴾ قال : نهى الله المؤمن أن يتتبع عورات المؤمن وأخرج عبد الرزاق وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن زيد بن وهب قال : أتى ابن مسعود فقيل هذا فلان تقطر لحيته خمرا فقال ابن مسعود : إنا قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذه وقد وردت أحاديث في النهي عن تتبع عورات المسلمين والتجسس عن عيوبهم وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الشعب عن ابن عباس في قوله : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ الآية قال : حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة والأحاديث في تحريم الغيبة كثيرة جدا معروفة في كتب الحديث ". (١)

"وقال ابن عطية : خص الخير بالذكر ، وهو تعالى بيده كل شيء ، إذ الآية في معنى دعاء ورغبة ، فكان المعنى : ﴿بيدك الخير﴾ فأجزل حظي منه.

وقال الراغب : لما كانت في الحمد والشكر لا للحكم ، ذكر الخير إذ هو المشكور عليه.

وقال الرازي : الخير فيه الألف واللام الدالة على العموم ، وتقديم : بيدك ، يدل على الحصر ، فدل على أن لا خير إلا بيده ، وأفضل الخيرات الإيمان ، فوجب أن يكون بخلق الله. ولأن فاعل الأشرف أشرف ، والإيمان أشرف.

﴿تولج اليل فى النهار وتولج النهار فى اليل﴾ قال

٤٢٠

ابن عباس ، ومجاهد ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، وابن زيد : المعنى ما ينتقص من النهار يزيد في الليل ، وما ينتقص من الليل يزيد في النهار ، دأبا كل فصل من السنة ، قيل : حتى يصير الناقص تسع ساعات ، والزائد خمس عشرة ساعة.

وذكر بعض معاصرينا : أجمع أرباب علم الهيئة على أن الذي تحصل به الزيادة من الليل والنهار يأخذ كل واحد منهما من صاحبه ثلاثين درجة ، فتنتهي زيادة الليل على النهار إلى أربع عشرة ساعة ، وكذلك العكس.

وذكر الماوردي : أن المعنى في الولوج هنا تغطية الليل بالنهار إذا أقبل ، وتغطية النهار بالليل ، إذا أقبل ، فصيرورة كل واحد منهما في زمان الآخر كالولوج فيه ، وأورد هذا القول احتمالا ابن عطية ، فقال : ويحتمل لفظ الآية أن يدخل فيها تعاقب الليل والنهار ، وكان زوال أحدهما ولوج الآخر.

﴿وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى﴾ معنى الإخراج التكوين هنا ، والإخراج حقيقة هو إخراج الشيء من الظرف قال ابن مسعود ، وابن جبير ، ومجاهد ، وقتادة ، وإبراهيم ، والسدي ، وإسماعيل بن أبي خالة إبراهيم ، وعبد الرحمن بن زيد. تخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة إذا انفصلت النطفة من الحيوان ، وتخرج النطفة وهي ميتة من الرجل وهو حي ، فعلى هذا يكون الموت مجازا إذ النطفة لم يسبق لها حياة ، ويكون المعنى : وتخرج الحي من ما لا تحله الحياة وتخرج ما لا تحله الحياة من الحي ، والإخراج عبارة عن تغير الحال.

---

(١) فتح القدير، ٩٢/٥

وقال عكرمة ، والكلبي : أي الفرخ من البيضة ، والبيضة من الطير ، والموت أيضا هنا مجاز والإخراج حقيقة.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤١٥
وقال أبو مالك : النخلة من النواة ، والسنبلة من الحبة ، والنواة من النخلة ، والحبة من السنبلة ، والموت والحياة في هذا مجاز.
وقال الحسن ، وروى نحوه عن سامان الفارسي : تخرج المؤمن من الكافر ، والكافر من المؤمن ، وهما أيضا مجاز. وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "سبحان الله الذي يخرج الحي من الميت". وقد رأى امرأة صالحة مات أبوها كافرا وهي خالدة بنت الأسود بن عبد يغوث.
وقال الزجاج : يخرج النبات الغض الطري من الحب ، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي.
وقيل : الطيب من الخبيث والخبيث من الطيب وقال الماوردي : ويحتمل يخرج الجلد الفطن من البليد العاجز ، والعكس ، لأن الفطنة حياة الحس والبلادة موته. وقيل : يخرج الحكمة من قلب الفاجر لأنها لا تستقر فيه ، والسقطة من لسان العارف وهذه كلها مجازات بعيدة.
والأظهر في قوله ﴿الحى من الميت﴾ تصور اثنين وقيل : عنى بذلك شيئا واحدا يتغير به الحال ، فيكون ميتا ثم يحيا ، وحيا ثم يموت. نحو قولك : جاء من فلان أسد وقال ابن عطية : ذهب جمهور من العلماء إلى أن الحياة والموت هنا حقيقتان لا استعارة فيهما ، ثم اختلفوا في المثل الذي فسروا به ، وذكر قول ابن مسعود وقول عكرمة المتقدمين ، ولا يمكن الحمل إذ ذاك على الحقيقة أصلا ، وكذلك في الموت ، وشدد حفص ، ونافع ، وحمزة ، والكسائي : الميت ، في هذه الآية. وفي الأنعام ، والأعراف ، ويونس ، والروم ، وفاطر زاد نافع تشديد الياء في : ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ وفي الأنعام و﴿الارض الميتة﴾ في يس و﴿لحم أخيه ميتا﴾ في الحجرات. وقرأ الباقون بتخفيف ذلك ، ولا فرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال ، كما تقول : لين ولين وهين وهين. ومن زعم أن المخفف لما قد مات ، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل.
﴿وترزق من تشآء بغير حساب﴾ تقدم تفسير نظيره في قوله ﴿والله يرزق من يشآء بغير حساب *كان الناس أمة واحدة﴾ فأغنى ذلك عن اعادته هنا وقال الزمخشري : ذكر قدرته الباهرة ، فذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما ، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر ، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ، ثم قدر أن يرزق بغير حساب
٤٢١
من يشاء من عباده ، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم ، ويؤتيه العرب ويعزهم. انتهى. وهو حسن.
جزء : ٢ رقم الصفحة : ٤١٥

قيل : وتضمنت هذه الآيات أنواعا من : الفصاحة ، والبلاغة ، والبديع.
". (١)

"جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠
وقرأ الجمهور : وسيصلون مبنيا للفاعل من الثلاثي. وقرأ ابن عامر وأبو بكر : بضم الياء وفتح اللام مبنيا للمفعول من الثلاثي. وابن أبي عبلة : بضم الياء وفتح الصاد واللام مشددة مبنيا للمفعول. والصلامن : التسخن بقرب النار ، والإحراق إتلاف الشيء بالنار. وعبر بالصلا بالنار عن العذاب الدائم بها ، إذ النار لا تذهب ذواتهم بالكلية ، بل كما قال : ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾ وهذا وعيد عظيم على هذه المعصية. وجاء يأكلون بالمضارع دون سين الاستقبال ، وسيصلون بالسين ، فإن كان الأكل للنار حقيقة فهو مستقبل ، واستغنى عن تقييده بالسين بعطف المستقبل عليه. وإن كان مجازا فليس بمستقبل ، إذ المعنى : يأكلون ما يجر إلى النار ويكون سببا إلى العذاب بها. ولما كان لفظ نار مطلقا في قوله : إنما يأكلون في بطونهم نارا ، قيد في قوله سعيرا ، إذ هو الجمر المتقد.
وتضمنت هذه الآيات من ضروب البيان والفصاحة. الطباق في : واحدة وزوجها ، وفي غنيا وفقيرا ، وفي : قل أو كثر. والتكرار في : اتقوا ، وفي : خلق ، وفي : خفتم ، وأن لا تقسطوا ، وأن لا تعدلوا من جهة المعنى ، وفي اليتامى ، وفي النساء ، وفي فادفعوا إليهم أموالهم ، فإذا دفعتم إليهم أموالهم ، وفي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون ، وفي قوله : وليخش ، وخافوا من جهة المعنى على قول من جعلهما مترادفين ، وإطلاق اسم المسبب على السبب في : ولا تأكلوا وشبهه لأن الأخذ سبب للأكل. وتسمية الشيء باسم ما كان عليه في : وآتوا اليتامى ، سماهم يتامى بعد البلوغ. والتأكيد بالاتباع في : هنيئا مريئا وتسمية الشيء باسم ما يؤول اليه في : نصيب مما ترك ، وفي نارا على قول من زعم أنها حقيقة. والتجنيس المماثل في : فادفعوا فإذا دفعتم ، والمغاير في : وقولوا لهم قولا. والزيادة للزيادة في المعنى في : فليستعفف. وإطلاق كل على بعض في : الأقربون ، إذ المراد أرباب الفرائض. وإقامة الظرف المكاني مقام الزماني في : خلفهم ، أي من بعد وفاتهم. والاختصاص في : بطونهم ، خصها دون غيرها لأنها محل للمأكولات. والتعريض في : في بطونهم ، عرض بذكر البطون لحسنهم وسقوط هممهم والعرب تذم بذلك قال :
دع المكارم لا ترحل لبغيتهاواقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي
وتأكيد الحقيقة بما يرفع احتمال المجاز بقوله : في بطونهم. رفع المجاز العارض في قوله : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ وهذا على قول من حمله على الحقيقة ، ومن حمله على المجاز فيكون عنده من
١٧٩
ترشيخ المجاز ، ونظير كونه رافعا للمجاز قوله : ﴿يطير بجناحيه﴾ ، وقوله : ﴿يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ . والحذف في عدة مواضع.
جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٥٠

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٢/٣٢٠

﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين﴾ لما أبهم في قوله : ﴿نصيب مما ترك الوالدان والاقربون﴾ في المقدار والأقربين ، بين في هذه الآية المقادير ومن يرث من الأقربين ، وبدأ بالأولاد وارثهم من والديهم ، كما بدأ في قوله : للرجال نصيب مما ترك الوالدان بهم. وفي قوله : يوصيكم الله في أولادكم إجمال أيضا بينه بعد. وبدأ بقوله : للذكر ، وتبين ما له دلالة على فضله. وكان تقديم الذكر أدل على فضله من ذكر بيان نقص الأنثى عنه ، ولأنهم كانوا يورثون الذكور دون الإناث ، فكفاهم إن ضوعف لهم نصيب الإناث فلا يحرمن إذ هن يدلين بما يدلون به من الولدية.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٨٠

وقد اختلف القول في سبب النزول ، ومضمن أكثر تلك الأقاويل : أنهم كانوا لا يورثون البنات كما تقدم ، فنزلت تبيينا لذلك ولغيره. وقيل : نزلت في جابر إذ مرض ، فعاده الرسول فقال : كيف أصنع في مالي ؟ وقيل : كان الإرث للولد والوصية للوالدين ، فنسخ بهذه الآيات. قيل : معنى يوصيكم يأمركم. كقوله : ﴿ذالكم وصاكم به﴾ وعدل إلى لفظ الإيصاء لأنه أبلغ وأدل على الاهتمام ، وطلب حصوله سرعة ، وقيل : يعهد إليكم كقوله : ﴿ما وصى بها نوحا﴾ وقيل : يبين لكم في أولادكم مقادير ما أثبت لهم من الحق مطلقا بقوله ﴿فأوائك منكم وأولوا الارحام﴾ وقيل : يفرض لكم. وهذه أقوال متقاربة.

." (١)

"﴿أيحب أحدكم﴾ ، قال الزمخشري : تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه ، وفيه مبالغات شتى ، منها : الاستفهام الذي معناه التقرير ، ومنها : جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة ، ومنها : إسناد الفعل إلى أحدكم والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك ، ومنها : أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا ، ومنها : أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا. انتهى. وقال الرماني : كراهية هذا اللحم يدعو إليه الطبع ، وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل ، وهو أحق أن يجاب ، لأنه بصير عالم ، والطبع أعمى جاهل. انتهى. وقال أبو زيد السهيلي : ضرب المثل لأخذه العرض

١١٤

يأكل اللحم ، لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٠٣

وقال تعالى : ﴿ميتا﴾ ، لأن الميت لا يحس ، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو في التحريم كآكل لحم الميت. انتهى. وروي في الحديث : "ما صام من أكل لحوم الناس". وقال أبو قلابة الرياشي : سمعت أبا عاصم يقول : ما اغتبت أحدا منذ عرفت ما في الغيبة. وقيل : لعمر بن عبيد : لقد وقع فيك فلان حتى رحمناك ، قال : إياه فارحموا. وقال رجل للحسن : بلغني أنك تغتابني ، قال : لم يبلغ قدرك عندي أن أحكمك في حسناتي. وانتصب ميتا على الحال من لحم ، وأجاز الزمخشري أن ينتصب عن الأخ ، وهو ضعيف ، لأن المجرور بالإضافة لا يجيء الحال منه إلا إذا كان له موضع

---

(١) تفسير البحر المحيط . (دار الفكر)، ١٤٤/٣

من الإعراب ، نحو : أعجبني ركوب الفرس مسرجا ، وقيام زيد مسرعا. فالفرس في موضع نصب ، وزيد في موضع رفع. وقد أجاز بعض أصحابنا أنه إذا كان الأول جزأ أو كالجزء ، جاز انتصاب الحال من الثاني ، وقد رددنا عليه ذلك فيما كتبناه في علم النحو. ﴿فكرهتموه﴾ ، قال الفراء : أي فقد كرهتموه ، فلا تفعلون. وقيل : لما وقفهم على التوبيخ بقوله : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ ، فأجاب عن هذا : لأنهم في حكم من يقولها ، فخوطبوا على أنهم قالوا لا ، فقيل لهم : فكرهتموه ، وبعد هذا يقدر فلذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك. وعلى هذا التقدير يعطف قوله : ﴿واتقوا الله﴾ ، قاله أبو علي الفارسي ، وفيه عجرفة العجم.

وقال الزمخشري : ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه ، عقب ذلك بقوله : ﴿فكرهتموه﴾ ، أي فتحققت بوجوب الإقرار عليكم بأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوا كراهتكم له وتقذركم منه ، فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين. انتهى ، وفيه أيضا عجرفة العجم. والذي قدره الفراء أسهل وأقل تكلفا ، وأجرى على قواعد العربية. وقيل : لفظه خبر ، ومعناه الأمر ، تقديره : فاكرهوه ، ولذلك عطف عليه ﴿واتقوا الله﴾ ، ووضع الماضي موضع الأمر في لسان العرب كثير ، ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه ، أي ليتق الله ، ولذلك انجزم يثب على جواب الأمر.

وما أحسن ما جاء الترتيب في هذه الآية. جاء الأمر أولا باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم ، وهو الظن ؛ ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن ، فيصير علما بقوله : ﴿ولا تجسسوا ﴾ ؛ ثم نهى ثالثا عن ذكر ذلك إذا علم ، فهذه أمور ثلاثة مترتبة ، ظن فعلم بالتجسس فاغتياب. وضمير النصف في كرهتموه ، الظاهر أنه عائد على الأكل. وقيل : على الميت. وقرأ أبو سعيد الخدري ، وأبو حيوة : فكرهتموه ، الظاهر أنه عائد على الأكل. وقيل : على الميت. وقرأ أبو سعيد الخدري ، وأبو حيوة : فكرهتموه ، بضم الكاف وتشديد الراء ؛ ورواها الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والجمهور : بفتح الكاف وتخفيف الراء ، وكره يتعدى إلى واحد ، فقياسه إذا ضعف أن يتعدى إلى اثنين ، كقراءة الخدري ومن معه ، أي جعلتم فكرهتموه. فأما قوله : ﴿وكره إليكم الكفر﴾ فعلى التضمين بمعنى بغض ، وهو يتعدى لواحد ، وبإلى إلى آخر ، وبغض منقول بالتضعيف من بغض الشيء إلى زيد. والظاهر عطف ﴿عبد الله﴾ على ما قبله من الأمر والنهي.

قوله عز وجل :

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٠٣

﴿إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبآال لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ .

١١٥

(١) ".

"ولم يجب في قولنا امدد و (في) قولنا مر (دون) قوله أمر ربنا

يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل

(١) تفسير البحر المحيط. (دار الفكر)، ٨/٨٧

لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم

لأن الظن هو السبب فيما تقدم وعليه تبنى القبائح ومنه يظهر العدو المكاشح والقائل إذا أوقف أموره على اليقين فقلما يتيقن في أحد عيبا فيلمزه به فإن الفعل في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا وقوله خيرا كثيرا إخراج للظنون التي عليها تبنى الخيرات قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (ظنوا بالمؤمن خيرا) وبالجملة كل أمر لا يكون بناؤه على اليقين فالظن فيه غير مجتنب مثاله حكم الحاكم على قول الشهود وبراءة الذمة عند عدم الشهود إلى غير ذلك فقوله اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى إن بعض الظن إثم إشارة إلى الأخذ بالأحوط كما أن الطريق المخوفة لا يتفق كل مرة فيه قاطع طريق لكنك لا تسلك لاتفاق ذلك فيه مرة ومرتين إلا إذا تعين فتسلكه مع رفقة كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ

ثم قال تعالى ولا تجسسوا إتماما لما سبق لأنه تعالى لما قال اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه أن المعتبر اليقين فيقول القائل أنا أكشف فلانا يعني أعلمه يقينا وأطلع على عيبه مشاهدة فأعيب فأكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس

ثم قال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن في غيبته وفيه معان أحدها في قوله تعالى بعضكم بعضا فإنه للعموم في الحقيقة كقوله لا تلمزوا أنفسكم (الحجرات ١١) وأما من اغتاب فالمغتاب أولا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على أن يغتابه فلم يقل ولا تغتابوا أنفسكم لما أن الغيبة ليست حاملة للعائب على عيبه من اغتابه والعيب حامل على العيب ثانيها لو قال قائل هذا المعنى كان حاصلا بقوله تعالى لا تغتابوا مع الاقتصار عليه نقول لا وذلك لأن الممنوع اغتياب المؤمن فقال بعضكم بعضا وأما الكافر فيعلن ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز أن يذكر بما فيه عند الحاجة ثالثها قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا دليل على أن الاغتياب الممنوع اغتياب المؤمن لا ذكر الكافر وذلك لأنه شبهه بأكل لحم الأخ وقال من قبل إنما المؤمنون إخوة (الحجرات ١٠) فلا أخوة إلا بين المؤمنين ولا منع إلا من شيء يشبه أكل لحم الأخ ففي هذه الآية نهى عن اغتياب المؤمن دون الكافر رابعها ما الحكمة في هذا التشبيه نقول هو إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه وهذا من باب القياس الظاهر وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم وقوله لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو فقال أصدق الأصدقاء من ولدته أمك فأكل لحمه أقبح ما يكون وقوله تعالى ميتا إشارة إلى دفع." (١)

"وهم وهو أن يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال أكل لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى وهو أن الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب أن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب وقوله

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١١٥/٢٨

تعالى ميتا حال عن اللحم أو عن الأخ فإن قيل اللحم لا يكون ميتا قلنا بلى قال النبي (صلى الله عليه وسلم) (ما أبين من حي فهو ميت) فسمى الغلفة ميتا فإن قيل إذا جعلناه حال عن الأخ لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حال كما يقول القائل مررت بأخي زيد قائما ويريد كون زيدا قائما قلنا يجوز أن يقال من أكل لحمة فقد أكل فصار الأخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد فيجوز أن تقول ضربت وجهه آثما أي وهو آثم أي صاحب الوجه كما أنك إذا ضربت وجهه فقد ضربته ولا يجوز أن تقول مزقت ثوبه آثما فتجعل الآثم حالا من غيرك وقوله تعالى فكرهتموه فيه مسألتان المسألة الأولى العائد إليه الضمير يحتمل وجوها الأول وهو الظاهر أن يكون هو الأكل لأن قوله تعالى أيحب أحدكم أن يأكل معناه أيحب أحدكم الأكل لأن أن مع الفعل تكون للمصدر يعني فكرهتم الأكل الثاني أن يكون هو اللحم أي فكرهتم اللحم الثالث أن يكون هو الميت في قوله ميتا وتقديره أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة

المسألة الثانية الفاء في قوله تعالى فكرهتموه تقتضي وجود تعلق فما ذلك نقول فيه وجوه أحدها أن يكون ذلك تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال أيحب قيل في جوابه ذلك وثانيها أن يكون الاستفهام في قوله أيحب للانكار كأنه قال لا يحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه إذا ولا يحتاج إلى إضمار وثالثها أن يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب بالسبب وترتبه عليه كما تقول جاء فلان ماشيا فتعب لأن المشي يورث التعب فكذا قوله ميتا لأن الموت يورث النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكل منه ففيه إذا كراهة شديدة فكذلك ينبغي أن يكون حال الغيبة

ثم قال تعالى واتقوا الله إن الله تواب رحيم عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا وفي الآية لطائف منها أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أمور ثلاثة مرتبة بيانها هو أنه تعالى قال اجتنبوا كثيرا أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن ثم إذا سئلتم على المظنونات فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ولا تعيبوا ففي الأول نهى عما لم أن يعلم ثم نهى عن طلب ذلك العلم ثم نهى عن ذكر ما علم ومنها أن الله تعالى لم يقل اجتنبوا تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه ولا قال اجتنبوا الشك بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن وذلك لأن القول على خلاف العلم كذب وافتراء والقول." (١)

"فيه فقد بهته.

قال الحسن : الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوئ أعماله ، فإذا ذكرت بما ليس فيه فذلك البهتان.

قال ابن سيرين : إن علمت أن أخاك يكره أن تقول ما أشر سواد شعره ثم قلته من ورائه فقد اغتبته.

وقالت عائشة Bها : قلت بحضرة النبي A في امرأة : ما أطول ذراعها ، فقال : قد اغتبتها فاستحلي منها.

وروى جابر أن النبي A قال : " الغيبة أشد من الزنا لأن الرجل يزني فيتوب الله عليه ، [والرجل يغتاب الرجل فيتوب ، فلا

---

(١) تفسير الرازي: مفاتيح الغيب . ، ١١٦/٢٨

يتاب عليه حتى يستحله] ".

ثم قال : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ .." (١)

"يا جبريل قال هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما ثم تلا هذه الآية إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها ولهم جؤار فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الهمازون اللمازون ثم تلا هذه الآية أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وإذا أنا بنسوة معلقات بثديهن وأحسبه قال وإذا حيات وعقارب تنهشهن فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء الظؤرة يقتلن أولادهن قال ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمع إلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا فإذا رأوها قال ربنا لا تقومن الساعة لما يرون من عذاب الله وإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم وبطونهم يأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثردا فقلت من هؤلاء يا جبريل قال هؤلاء أكلة الربا ثم تلا هذه الآية الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من هذا فقال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل أو قد بعث إليه قال نعم قال مرحبا به وإنه لنعم المجيء ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة ل يحيى وعيسى." (٢)

"أو نصرانيا فأسلم يا يهودي يا نصراني أي يدعونه باسمه الأول ينهى الله المؤمنين عن ذلك وقال بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان بئس الاسم اليهودية والنصرانية بعد الإسلام قال محمد الألقاب والأنباز واحد المعنى لا تتداعوا بها وهو تفسير الحسن يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم تفسير الحسن إذا ظننت بأخيك المسلم ظنا حسنا فأنت مأجور وإذا ظننت به ظنا سيئا فأنت آثم ولا تجسسوا لا يتبع الرجل عورة أخيه المسلم يحيى عن النضر بن بلال عن ابان بن أبي عياش عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته فضحه في بيته قوله ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه قال الكلبي إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم اغتابوا رجلين أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا بعدما يموت فقالوا لا والله يا رسول الله ما نستطيع أكله ولا نحبه فقال رسول الله فاكرهوا الغيبة يحيى عن عثمان عن نعيم بن عبد الله عن أبي هريرة قال قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ذكرت أخاك بما فيه فقد اغتبته وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته تفسير سورة الحجرات من الآية إلى آية وجعلناكم شعوبا وقبائل تفسير بعضهم الشعوب الأجناس." (٣)

---

(١) الهداية الى بلوغ النهاية، ٧٠٠٨/١١

(٢) تفسير ابن أبي زمنين، ٣٥٧/١

(٣) تفسير ابن أبي زمنين، ١٨٦/٢

"" صفحة رقم ٨٠ "

وقد أخبرني ابن منجويه ، قال : حدثنا ابن شنبه ، قال : حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال : حدثنا أبو نصر التمار ، قال : حدثنا كوثر ، عن نافع ، عن ابن عمر أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (يا عبد الله هل تدري كيف حكم الله سبحانه فيمن بغى من هذه الأمة ؟) .

قال : الله ورسوله أعلم . قال : (لا يجهز على جريحها ، ولا يقتل أسيرها ، ولا يطلب هاربها ، ولا يقسم فيئها) . وسئل محمد بن كعب القرظي عن هاتين الآيتين ، فقال : جعل النبي (صلى الله عليه وسلم) أجر المصلح بين الناس ، كأجر المجاهد عند الناس ، وقال بكر بن عبدالله : امش ميلا ، وعد مريضا ، امش ميلين ، وأصلح بين اثنين ، امش ثلاثة أميال ، وزر أخاك في الله .

٢ ( ) يأيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نسآء من نسآء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالالقاب بئس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولائك هم الظالمون يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (٢

الحجرات : (١١) يا أيها الذين . . . . .

) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم (الآية ، قال ابن عباس : نزلت في ثابت بن قيس ، وذلك أنه كان في إذنه وقر ، فكان إذا أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد سبقوه بالمجلس ، أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه ، فيسمع ما يقول ، فأقبل ذات يوم ، وقد فاته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فلما انصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم (منه ، فربض) كل رجل بمجلسه ، فلا يكاد يوسع أحد لأحد ، فكان الرجل إذا جاء ، فلم يجد مجلسا ، قام قائما ، كما هو ، فلما فرغ ثابت من الصلاة ، وقام منها ، أقبل نحو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فجعل يتخطى رقاب الناس ، ويقول : تفسحوا تفسحوا ، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وبينه وبينه رجل .

فقال له : تفسح . فقال له الرجل : قد أصبت مجلسا ، فاجلس ، فجلس ثابت من خلفه مغضبا ، فلما ابينت الظلمة ، غمز ثابت الرجل ، وقال : من هذا ؟ قال : أنا فلان . فقال له ثابت : ابن فلانة . ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية . فنكس الرجل رأسه واستحيي ، فأنزل الله عز وجل هذه الآية .

وقال الضحاك : نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة ، استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) مثل عمار ، وخباب ، وبلال ، وصهيب ، وسلمان ، وسالم مولى أبي حذيفة ، لما رأوا من رثاثة حالهم ، فأنزل الله سبحانه في الذين آمنوا منهم) يا أيها الذين آمنوا لا." (١)

---

(١) الكشف والبيان . ، ٨٠/٩

"" صفحة رقم ٨٤ "

الحسين بن علوية . قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى ، قال : حدثنا المسيب ، عن الأعمش ، عن زيد بن وهب ، قال : قيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا ؟ فقال : إنا قد نهينا عن التجسس ، فإن يظهر لنا شيئا نأخذه به .

) ولا يغتب بعضكم بعضا (أخبرنا الحسين ، قال : حدثنا عبيدالله بن أحمد بن يعقوب المقري . قال : حدثنا أحمد بن محمد بن زيد أبو بكر السطوي ، قال : حدثنا علي بن اشكاب ، قال : حدثنا عمر بن يونس اليمامي ، قال : حدثنا جهضم بن عبدالله ، عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، قال : سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الغيبة فقال : (أن يذكر أخاك بما يكره ، فإما إن كان فيه فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته) .

وقال معاذ بن جبل : كنا مع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فذكر القوم رجلا ، فقالوا : ما يأكل إلا ما أطعم ، ولا يرحل إلا ما رحل ، فما أضعفه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اغتبتم أخاكم) .

قالوا : يا رسول الله وغيبة أن نحدث بما فيه ؟ فقال : (بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه) .

وروى موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رجلا قام من عند رسول الله ، فرأوا في قيامه عجزا ، فقالوا : يا رسول الله ما أعجز فلانا . فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (أكلتم أخاكم واغتبتموه) .

) أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا (، قال قتادة : يقول : كما أنت كاره أن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها ، فكذلك فاكره لحم أخيك وهو حي ،) فكرهتموه (قال الكسائي ، والفراء : معناه ، فقد كرهتموه . وقرأ أبو سعيد الخدري (فكرهتموه) بالتشديد على غير تسمية الفاعل .

أخبرني الحسن ، قال : حدثنا عمر بن نوح البجلي ، قال : حدثنا أبو صالح عبد الوهاب بن أبي عصمة . قال : حدثنا إسماعيل بن يزيد الأصفهاني . قال : حدثنا يحي بن سليم ، عن كهمس ، عن ميمون بن سباه ، وكان يفضل على الحسن ، ويقال : قد لقي من لم يلق ، قال : بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي : كل ، قلت : يا عبدالله ، ولم آكل ؟ قال : بما اغتبت عبد فلان ، قلت : والله ما ذكرت منه خيرا ، ولا شرا ، قال : لكنك استمعت ، ورضيت ، فكان." (١)

" الأنعام ١٣٩ و الأرض الميتة يس ٣٣ كله بالتخفيف وقرأ نافع وحمزة والكسائي وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي و لبلد ميت و إلى بلد ميت وخفف حمزة والكسائي غير هذه الحروف وقرأ نافع أومن كان ميتا و الأرض المية و **لحم أخيه** ميتا الحجرات ١٢ وخفف في سائر القرآن ما لم يمت وقال أبو علي الأصل التثقيل والمخفف محذوف منه وما مات ومالم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال وأنشدوا ... ومنهل فيه الغراب ميت ... سقيت منه القوم واستقيت ...

فهذا قد مات وقال آخر ... ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء ...

---

(١) الكشف والبيان ، ٨٤/٩

فخفف ما مات وشدد مالم يمت وكذلك قوله تعالى إنك ميت وإنهم ميتون الزمر ٣٠ ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال أحدها أنه إخراج الإنسان حيا من النطفة وهي ميتة وإخراج النطفة من الإنسان وكذلك إخراج الفرخ من البيضة وإخراج البيضة من الطائر هذا قول ابن مسعود و ابن عباس و مجاهد وابن جبير والجمهور والثاني أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس وهو قول الحسن وعطاء والثالث أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة والتخلة الحية من النواة الميتة والنواة الميتة من النخلة الحية قاله السدي وقال الزجاج يخرج النبات الغض من الحب اليابس والحب اليابس من النبات الحي الناس ." (١)

" ولخالد سيف الله ونحو ذلك وقوله بئس الاسم الفسوق أي تسميته فاسقا أو كافرا وقد آمن ومن لم يتب من التنابز فأولئك هم الظالمون وفيه قولان

أحدهما الضارون لأنفسهم بمعصيتهم قاله ابن عباس والثاني هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك قاله ابن زيد

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم

قوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن قال ابن عباس نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا وقال سعيد بن جبير هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا وقال الزجاج هو أن يظن بأهل الخير سوءا فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم قال القاضي أبو يعلى هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن والظن على أربعة أضرب محظور ومأمور به ومباح ومندوب إليه فأما المحظور فهو سوء الظن بالله تعالى والواجب حسن الظن بالله وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور وأما الظن المأمور به فهو ما لم ينصب عليه ." (٢)

" ثم ضرب الله للغيبة مثلا فقال أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقرأ نافع ميتا بالتشديد قال الزجاج وبيانه أن ذكرك بسوء من لم يحضر بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك قال القاضي أبو يعلى وهذا تأكيد لتحريم الغيبة لأن أكل لحم المسلم محظور ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلته في الكراهة

قوله تعالى فكرهتموه وقرأ الضحاك وعاصم الجحدري فكرهتموه برفع الكاف وتشديد الراء قال الفراء أي فقد بغض إليكم والمعنى واحد قال الزجاج والمعنى كما تكرهون أكل لحمه ميتا فكذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائبا

قوله تعالى واتقوا الله أي في الغيبة إن الله تواب على من تاب رحيم به

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ." (٣)

---

(١) زاد المسير، ٣٧٠/١

(٢) زاد المسير، ٤٦٩/٧

(٣) زاد المسير، ٤٧٢/٧

"" " صفحة رقم ١٣٣ " "

قال الشاعر : [الطويل]

١٣٩٠ - فإن القوافي يتلجن مَوالجا

تضايق عنها أن تولجها الإبر

الولوج : الدخول ، والإيلاج : الإدخال - ومعنى الآية على ذلك .

وقول من قال : معناه النقص فإنما أراد اللازم ؛ لأنه - تبارك وتعالى - إذا أدخل من هذا في هذا فقد نقص المأخوذ منه المدخل في ذلك الآخر . وزعم بعضهم أن تولج بمعنى ترفع ، وأن " في " بمعنى " على " وليس بشيء .

وقيل : المعنى : أنه - تعالى - يأتي بالليل عقيب النهار - ، فيلبس الدنيا ظلمته - بعد أن كان فيها ضوء النهار - ثم يأتي بالنهار عقيب الليل ، فيلبس الدنيا ضوءه ، فكأن المراد من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقيب الآخر .

قال ابن الخطيب : " والقول بأن معناه النقص أقرب إلى اللفظ ؛ لأنه إذا كان النهار طويلا ، فجعل ما نقص منه زيادة في الليل ،كان ما نقص منه زيادة في الآخر " .

قوله : (وتخرج الحي من الميت (اختلف القراء في لفظة " الميت " فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم لفظ " الميت " من غير تاء تأنيث - مخففا ، في جميع القرآن ، سواء وصف به الحيوان نحو : (وتخرج الحي من الميت ([آل عمران : ٢٧] أو الجماد نحو : (فسقناه إلى بلد ميت ([فاطر : ٩] - منكرا أو معرفا كما تقدم ذكره - إلا قوله تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون ([الزمر : ٣٠] ، وقوله : (وما هو بميت ([إبراهيم : ١٧] - في إبراهيم - مما لم يمت بعد ، فإن الكل ثقلوه ، وكذلك لفظ " الميتة " في قوله : (وآية لهم الأرض الميتة ([يس : ٣٣] دون الميتة المذكورة مع الدم - فإن تلك لم يشددها إلا بعض قراء الشواذ - وكذلك قوله : (وإن يكن ميتة ([الأنعام : ١٣٩] ، وقوله : (فأنشرنا به بلدة ميتا ([الزخرف : ١١] ، وقوله : (إلا أن يكون ميتة ([الأنعام : ١٤٥] فإنها مخففات عند الجميع ، وثقل نافع جميع ذلك ، والأخوان وحفص - عن نافع - وافقوا ابن كثير ومن معه في الأنعام في قوله : (أو من كان ميتا فأحييناه ([الأنعام : ١٢٢] ، وفي الحجرات : (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ([الحجرات : ١٢] ، وفي يس : (الأرض الميتة ([يس : ٣٣] ، ووافقوا نافعا فيما عدا ذلك ، فجمعوا بين اللغتين ؛ إيذانا بأن كلا من القراءتين صحيح ، وهما بمعنى ؛ لأن " فيعل " يجوز تخفيفه في المعتل بحذف إحدى ياءيه ، فيقال : هين وهين ، لين ولين ، ميت وميت ، وقد جمع." (١)

"" " صفحة رقم ٥٤٥ " "

نسآء من نسآء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٣٣/٥

قوله تعالى : (ى أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم . . .

(الآية تقدم الخلاف في " قوم " وجعله الزمخشري ههنا جمعا لقائمة قال : كصوم وزور جمع صائم وزائر .

(و) فعل ليس من أبنية التكسير إلا عند الأخفش نحو : ركب ، وصحب . والسخرية هو أن لا ينظر الإنسان إلى أخيه بعين الإجلال ، ولا يلتفت إليه ويسقطه عن درجته ، وحينئذ لا يذكر ما فيه من المعايب . ومعنى الآية لا تحقروا إخواتكم ولا تستصغروهم .

فصل

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) نزلت في ثابت بن قيس بن شماس كان في أذنه وقر ، فكان إذا أتى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه فيستمع ما يقول ، فأقبل ذات يوم وقد فاتته ركعة من صلاة الفجر ، فلما انصرف النبي (صلى الله عليه وسلم) من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم فظن كل رجل بمجلسه ، فلا يكان يوسع أحد لأحد وكان الرجل إذا جاء ولم يجد مجلسا قام قائما فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يتخطى رقاب الناس (ويقول) : تفسحوا فقال له الرجل : قد أصبت مجلسا فاجلس فجلس ثابت خلفه مغضبا فلما إجلت الظلمة غمز ثابت الرجل فقال : من هذا فقال : أنا فلان فقال له ثابت : ابن فلانة ؟ ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية ، فنكس الرجل رأسه ، فاستحيا . فأنزل الله تعالى هذه الآية . وقال الضحاك : نزلت في وفد تميم كانوا يستهزئون بفقراء أصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) مثل عمار ، وخباب وبلال ، وصهيب ، وسلمان ، وسالم مولى حذيفة ، لما رأو من رثاضة حالهم .

قوله : (عسى أن يكونوا خيرا منهم (قرأ أبي وعبد الله بن مسعود عسوا وعسين." [١]

"" " صفحة رقم ٥٥٠ " "

الله . وقيل لابن مسعود : هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا ؟ فقال : إنا قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيئا نأخذه به .

فصل

واعلم أن الظن تبنى عليه القبائح فالعاقل إذا وقف أموره على اليقين قل ما يتقن في أحد عيبا يلمزه به لأن الوعظ في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك ؛ لأن الفعل قد يكون فاعله ساهيا أو يكون الرأي مخطئا ، وقوله تعالى : (كثيرا من الظن (إخراج للظنون التي تبنى عليها الخيرات .

قال عليه الصلاة والسلام " ظنوا بالمؤمن خيرا " وقوله : (إن بعض الظن إثم (إشارة إلى الأخذ بالأحوط . وقوله : " ولا تجسسوا " إتمام لذلك لأنه تعالى لما قال : (اجتنبوا كثيرا من الظن (فهم منه أن المعتبر اليقين . وقوله : (ولا يغتب بعضكم بعضا (أي لا يتناول بعضكم بعضا في غيبته بما يسوؤه مما هو فيه .

" قال عليه الصلاة والسلام : " أتدرون ما الغيبة ؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره . قيل : أرأيت

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٤٥/١٧

إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته " وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن .

قوله : (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا (نصب " ميتا " على الحال من " لحم " أو " أخيه " ، وتقدم الخلاف في ميتا .

فإن قيل : اللحم ألا يكون ميتا ؟

فالجواب : بلى .

قال عليه الصلاة والسلام : " ما أبين من حي فهو ميت " فسمى القطعة ميتا .

فإن قيل : مإذا جعلناه حالا من الأخ لا يكون هيئة الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله." (١)

"" " صفحة رقم ٥٥١ " "

حالا فهو كقول القائل : مررت بأخي زيد (قائما) ويريد كون زيد قائما . وذلك لا يجوز .

قلنا : من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد .

فصل

في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم . وهذا من باب القياس الظاهر ؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى ، لأن ذلك آلم .

وقوله : " لحم أخيه " آكد في المنع ؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو ، وفي قوله : " ميتا " إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال : الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال : آكل لحم الأخ وهو ميت أيضا يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه ، وفيه معنى لطيف وهو أن الاغتياب بأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضظر بقدر الحاجة ، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب .

قوله : " فكرهتموه " قال الفراء : تقديره : فقد كرهتموه فلا تفعلوه . وقال ابن الخطيب : الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال : أيحب للإنكار فكأنه قال : لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن . وقال أبو البقاء : المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه . والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه .

وقيل : إن صح ذلك عندكم فأنتم (أي) تكرهونه قال ابن الخطيب : هو كمتعلق المسبب بالسبب وترقبه عليه كقولك : جاء فلان ماشيا فتعب ، فقيل : هو خبر بمعنى الأمر كقولهم : " اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه " . وقرأ أبو حيوة والجحدري : فكرهتموه." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٥٠/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٥٥١/١٧

بضم الكاف وتشديد الراء عدي بالتضعيف إلى ثان بخلاف قوله أولا : "كره إليكم الكفر " فإنه وإن كان مضعفا لم يتعد لواحد لتضمنه معنى بغض .

فصل

قال ابن الخطيب : الضمير في قوله : فكرهتموه " فيه وجوه :

أظهرها : أن يعود إلى الآكل لأن قوله تعالى : (أيحب أحدكم) معناه أيحب أحدمكم الأكل لأن " أن " مع الفعل للمصدر أي فكرهتم الأكل .

وثانيها : أن يعود إلى اللحم أي فكرهتم اللحم .

وثالثها : أن يعود إلى الميت في قوله : " ميتا " تقديره : أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله : " ميتا " ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة أن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن يكون الغيبة ، وذلك يحقق الكارهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربقه بحيث يأكله ففيه إذن كراهة شديدة فكذلك حال الغيبة .

فصل

قال مجاهد : لما قيل لهم : أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ؟ قالوا : لا ، قيل : " فكرهتموه " أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره باللسوء غائبا .

قال الزجاج : تأويله إن ذكرضك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك .

قال عليه الصلاة والسلام " لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت : من هؤلاء يا جبريل .

قال : هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم " .." (١)

"ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم (أعن الفاجر ترعون اذكروا الفاجر بما فيه حتى يعرفه الناس إذا لم تذكروه)

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم (بئس ابن العشيرة)

ثم مثل تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم الميت والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم فمنه قول الشاعر سويد بن أبي كاهل اليشكري

(فإذا لاقيته عظمني

وإذا يخلو له لحمي رتع) " الرمل "

ويروي فيحييني إذا لاقيته

ومنه قول الآخر المقنع الكندي

(وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٥٢/١٧

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا)

فوفقهم الله تعالى على جهة التوبيخ بقوله " أيحب احدكم ان يأكل **لحم أخيه** ميتا " فالجواب عن هذا لا

وهم في حكم من يقولها

فخوطبوا على انهم قالوا لا فقيل لهم " فكرهتموه " وبعد هذا مقدر تقديره

فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك

وعلى هذا المقدر يعطف قوله " واتقوا الله " قاله أبو علي الفارسي

وقال الرماني كراهية هذا اللحم يدعو اليها الطبع

وكراهية الغيبة يدعو اليها العقل

وهو احق ان يجاب

لأنه بصير عالم

والطبع اعمى جاهل

وقرا الجمهور (ميتا) بسكون الياء

وقرأ نافع وابن القعقاع وشيبة ومجاهد (ميتا) بكسرها والشد

وقرأ أبو حيوة (فكرهتموه) بضم الكاف وشد الراء

ورواها أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم اعلم بانه " تواب رحيم " إبقاء منه تعالى وإمهالا وتمكينا من التوبة

قوله عز وجل

سورة الحجرات ١٣ - ١٤

قوله تعالى " من ذكر وأنثى " يحتمل ان يريد آدم وحواء

فكانه قال إنا خلقنا جميعكم من آدم وحواء

ويحتمل ان يريد الذكر والأنثى اسم الجنس

فكأنه قال إنا خلقنا كل واحد منكم من ماء ذكر وماء أنثى

وقصد هذه الآية التسوية بين الناس

ثم قال تعالى " وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا " أي لئلا تفاخروا ويريد بعضكم ان يكون اكرم من بعض

فإن الطريق إلى الكرم غير هذا " إن اكرمكم عند الله أتقاكم " وروى أبو بكرة قيل يا رسول الله من خير الناس قال (من طال عمره وحسن عمله)

وفي

١٥٣

حديث آخر من خير الناس قال (آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واوصلهم للرحم واتقاهم)
". (١)

"حدثنا أبي، حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، ثنا أبو هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟... قال:"ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير، رجال ونساء موكل بهم رجال، يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيحذون منه الحذوة من مثل النعل، ثم يضعونه في أحدهم، فيقال له: كل كما أكلت، وهو يجد من أكله الموت، يا محمد، لو يجد الموت وهو يكره عليه، فقلت: يا جبريل، من هؤلاء، قال: هؤلاء الهمازون، اللمازون، أصحاب النميمة، فيقال: " أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه " ، وهو يكره على أكل لحمه"

عن مقاتل، في قوله:" " ولا يغتب بعضكم بعضا " ، قال: نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع، فقالوا له: إنه بخيل رخيم، فنزلت في ذلك".

قوله تعالى: " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى " ." (٢)

"قوله تعالى : ﴿ تولج الليل في النهار ﴾ أي : تدخل ما نقصت من هذا في هذا . وقال ابن عباس ، ومجاهد : ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر . قال الزجاج : يقال : ولج الشيء يلج ولوجا وولجا وولجة .

قوله تعالى : ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ قرأ ابن كثير ، وأبو عمرو ، وابن عامر ، وأبوبكر عن عاصم ، ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ و ﴿ لبلد ميت ﴾ [الأعراف : ٥٧] . و ﴿ أو من كان ميتا ﴾ [الأنعام : ١٢٢] . و ﴿ وإن يكن ميتة ﴾ [الأنعام : ١٣٩] ، و ﴿ الأرض الميتة ﴾ [يس : ٣٣] . كله بالتخفيف . وقرأ نافع ، وحمزة ، والكسائي : ﴿ وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ﴾ و ﴿ لبلد ميت ﴾ و ﴿ إلى بلد ميت ﴾ وخفف حمزة ، والكسائي غير هذه الحروف . وقرأ نافع ﴿ أومن كان ميتا ﴾ و ﴿ الأرض الميتة ﴾ و ﴿ لحم أخيه ميتا ﴾ [الحجرات : ١٢] . وخفف في سائر القرآن ما لم يمت . وقال أبو علي : الأصل التثقيل ، والمخفف محذوف منه ، وما مات ، ومالم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال . وأنشدوا :

ومنهل فيه الغراب ميت ... سقيت منه القوم واستقيت

فهذا قد مات . وقال آخر :

ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

فخفف ما مات ، وشدد مالم يمت . وكذلك قوله تعالى : ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [الزمر : ٣٠] . ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال . أحدها : أنه إخراج الإنسان حيا من النطفة ، وهي ميتة . وإخراج النطفة من الإنسان ، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة ، وإخراج البيضة من الطائر ، هذا قول ابن مسعود ، وابن عباس ، ومجاهد ، وابن جبير ، والجمهور . والثاني :

---

(١) المحرر الوجيز . ، ١٣٥/٥

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، ٢٤١/١٢

أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر ، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان ، روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس ، وهو قول الحسن ، وعطاء . والثالث : أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة ، والنخلة الحية من النواة الميتة ، والنواة الميتة من النخلة الحية ، قاله السدي . وقال الزجاج : يخرج النبات الغض من الحب اليابس ، والحب اليابس من النبات الحي النامي .

قوله تعالى : ﴿ بغير حساب ﴾ أي : بغير تقتير . قال الزجاج : يقال للذي ينفق موسعا : فلان ينفق بغير حساب ، كأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقا .." (١)

"قوله تعالى : ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ أي : لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه . وقد روى أبو هريرة أن رسول الله A سئل ما الغيبة؟ قال : « ذكرك أخاك بما يكره » ، قال : أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال : « إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته » . ثم ضرب الله للغيبة مثلا فقال : ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ وقرأ نافع « ميتا » بالتشديد . قال الزجاج : وبيانه أن ذكرك بسوء من لم يحضر ، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك . قال القاضي أبو يعلى : وهذا تأكيد لتحريم الغيبة ، لأن أكل لحم المسلم محظور ، ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع ، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلته في الكراهة .

قوله تعالى : ﴿ فكرهتموه ﴾ وقرأ الضحاك ، وعاصم الجحدري ﴿ فكرهتموه ﴾ برفع الكاف وتشديد الراء . قال الفراء : أي : وقد كرهتموه فلا تفعلوه ، ومن قرأ « فكرهتموه » أي : فقد بغض إليكم ، والمعنى واحد . قال الزجاج : والمعنى : كما تكرهون أكل لحمه ميتا ، فكذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائبا .

قوله تعالى : ﴿ واتقوا الله ﴾ أي : في الغيبة ﴿ إن الله تواب ﴾ على من تاب ﴿ رحيم ﴾ به .." (٢)

" ١٢ – النفس للعذاب يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أى كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية إن بعض الظن إثم تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقى والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها ولا تجسسوا أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذى هو إثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته ولا يغتب بعضكم بعضا أى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه و سلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما

---

(١) زاد المسير في علم التفسير، ٣١٩/١

(٢) زاد المسير في علم التفسير، ٤٠٤/٥

الغيبة إدام كلاب الناس أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء فى قوله تعالى فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه أى جبلتم على كراهته واتقوا الله بترك ما امرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل إن الله تواب رحيم مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم يبغى لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة و السلام فقال ما عندى شئ فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم قال لهما ما لى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة و السلام إنكما قد اغتبتما ." (١)

" ﴿ يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ﴾ وهو أن يظن السوء بأهل الخير وبمن لا يعلم منه فسق ﴿ ولا تجسسوا ﴾ لا تطلبوا عورات المسلمين ولا بتحثوا عن معايبهم ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ لا تذكروا أحدكم بشيء يكرهه وإن كان فيه ذلك الشيء ﴿ أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ﴾ يعني : إن ذكراك أخاك على غيبة بسوء كأكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك ﴿ فكرهتموه ﴾ إن كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوا ذكره بسوء ." (٢)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٦٨

ويقال : فلان مأخوذ ، وبه أَخْذَةٌ من الجن ، وفلان يأخذ مَأْخَذَ فلان ، أي : يفعل فعله ويسلك مسلكه ، ورجل أَخِيذٌ ، وبه أُخُذٌ كناية عن الرّمد.

والإخاذة والإخاذ : أرض يأخذها الرجل لنفسه «١» ، وذهبوا ومن أخذ أَخْذَهُمْ وإِخْذَهُمْ «٢».

أخ

أخ الأصل أخو ، وهو : المشارك آخر في الولادة من الطرفين ، أو من أحدهما أو من الرضاع.

ويستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة ، أو في الدّين ، أو في صنعة ، أو في معاملة أو في مودّة ، وفي غير ذلك من المناسبات.

قوله تعالى : لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقالُوا لِإِخْوانِهِمْ

[آل عمران / ١٥٦] ، أي :

لمشاركيهم في الكفر ، وقال تعالى : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ [الحجرات / ١٠] ، أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً [الحجرات

(١) تفسير أبي السعود، ١٢٢/٨

(٢) الوجيز للواحدي، ص/١٠١٨

/ ١٢] ، وقوله : فَإِنْ كانَ لَهُ إِخْوَةٌ

[النساء / ١١] ، أي : إخوان وأخوات ، وقوله تعالى :

إِخْواناً عَلى سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ

[الحجر / ٤٧] ، تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم.

والأخت : تأنيث الأخ ، وجعل التاء فيه كالعوض من المحذوف منه ، وقوله تعالى : يا أُخْتَ هارُونَ [مريم / ٢٨] ، يعني : أخته في الصلاح لا في النسبة ، وذلك كقولهم : يا أخا تميم. وقوله تعالى : أَخا عادٍ

[الأحقاف / ٢١] ، سمّاه أخاً تنبيهاً على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه ، وعلى هذا قوله تعالى : وَإِلى ثَمُودَ أَخاهُمْ [الأعراف / ٧٣] وَإِلى عادٍ أَخاهُمْ [الأعراف / ٦٥] ، وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ [الأعراف / ٨٥] ، وقوله : وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها

[الزخرف / ٤٨] ، أي : من الآية التي تقدّمتها ، وسمّاها أختاً لها لاشتراكهما في الصحة والإبانة والصدق ، وقوله تعالى : كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها [الأعراف / ٣٨] ، فإشارة إلى أوليائهم المذكورين في نحو قوله تعالى : أَوْلِياؤُهُمُ الطَّاغُوتُ [البقرة / ٢٥٧] ، وتأخّيت أي :

تحرّيت «٣» تحرّي الأخ للأخ ، واعتبر من الإخوة معنى الملازمة فقيل : أخيّة الدابة «٤».

أخر

آخِر يقابل به الأوّل ، وآخَر يقابل به الواحد ، ويعبّر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية ، كما يعبّر بالدار

---

(١) انظر : لسان العرب (أخذ).

(٢) يقال : وذهب بنو فلان ومن أخذ إخذهم وأخذهم ، أي : ومن سار سيرهم. والعرب تقول : لو كنت منا لأخذت بإخذنا ، أي : بخلائقنا وزيّنا وشكلنا وهدينا.

(٣) انظر : مجمل اللغة ١ / ٨٩ ، واللسان (أخو) ١٤ / ٢٢.

(٤) قال ابن منظور : والأخيّة والآخيّة : عود يعرّض في الحائط ويدفن طرفاه فيه ، ويصير وسطه كالعروة تشدّ إليه الدابة.."
(١)

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٨٠

- ٢٠

فإن تك عن أحسن المروءة مأفو كا ففي آخرين قد أفكوا «١»

وأُفِكَ يُؤْفَكُ : صرف عقله ، ورجل مَأْفُوكُ العقل.

أفل

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٦٨

الأُفُول : غيبوبة النّيّرات كالقمر والنجوم ، قال تعالى : فَلَمَّا أَفَلَ قالَ لا أُحِبُّ الْآفِلِينَ

[الأنعام / ٧٨] ، وقال : فَلَمَّا أَفَلَتْ [الأنعام / ٧٦] ، والإِفَال «٢» : صغار الغنم ، والأَفِيل : الفصيل الضئيل.

أكل

الأَكْل : تناول المطعم ، وعلى طريق التشبيه قيل : أكلت النار الحطب ، والأُكْل لما يؤكل ، بضم الكاف وسكونه ، قال تعالى : أُكُلُها دائِمٌ

[الرعد / ٣٥] ، والأَكْلَة للمرّة ، والأُكْلَة كاللقمة ، وأَكِيلَةُ الأسد : فريسته التي يأكلها ، والأَكُولَةُ «٣» من الغنم ما يؤكل ، والأَكِيل :

المؤاكل.

وفلان مُؤْكَلٌ ومُطْعَمٌ استعارة للمرزوق ، وثوب ذو أُكْلٍ : كثير الغزل «٤» كذلك ، والتمر مَأْكَلَةٌ للفم ، قال تعالى : ذَواتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ [سبأ / ١٦] ، ويعبّر به عن النصيب فيقال : فلان ذو أكل من الدنيا «٥» ، وفلان استوفى أكله ، كناية عن انقضاء الأجل ، وأَكَلَ فلانٌ فلاناً : اغتابه ، وكذا :

أكل لحمه.

قال تعالى : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً [الحجرات / ١٢] ، وقال الشاعر :

٢١ ـ

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلي

«٦» وما ذقت أَكَالًا ، أي : شيئا يؤكل ، وعبّر بالأكل عن إنفاق المال لمّا كان الأكل أعظم ما يحتاج فيه إلى المال ، نحو : وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ [البقرة / ١٨٨] ، وقال : إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامى ظُلْماً [النساء / ١٠] ، فأكل المال بالباطل صرفه إلى ما ينافيه الحق ، وقوله تعالى : إِنَّما يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ ناراً [النساء / ١٠] ، تنبيها على أنّ تناولهم لذلك يؤدي بهم إلى النار.

والأَكُول والأَكَّال : الكثير الأكل ، قال تعالى :

---

(١) البيت لعروة بن أذينة ، وهو في ديوانه ص ٣٤٣ ، والمجمل ١ / ٩٩ ، وشمس العلوم ١ / ٩٣ ، والمشوف المعلم ١ / ٧٣ ، واللسان (أفك) ، والصحاح (أفك) ، والأفعال ١ / ١٠٧.

(٢) الإفال : صغار الإبل ، انظر : اللسان (أفل) ، والمجمل ١ / ٩٩.

(٣) قال ابن منظور : الأكولة : الشاة تعزل للأكل وتسمّن ، ويكره للمصدّق أخذها.

(٤) في اللسان : ثوب ذو أكل : قويّ صفيق كثير الغزل.

(٥) وفلان ذو أكل إذا كان ذا حظّ من الدنيا ورزق واسع.

(٦) الشطر للممزّق العبدي ، شاعر جاهلي ، وعجزه :

وإلا فأدركني ولمّا أمزق

وهو في الأصمعيات ص ١٦٦ ، والمجمل ١ / ١٠٠ ، وغريب الحديث ٣ / ٤٢٩ ، واللسان (أكل).." [١]

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٧٠٨

تعالى : وَلَوْ كَرِهَ الْكافِرُونَ

[التوبة / ٣٢] ، وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ [التوبة / ٣٣] ، وَإِنَّ فَرِيقاً مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكارِهُونَ

[الأنفال / ٥] ، وقوله : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ [الحجرات / ١٢] تنبيه أنّ أكل لحم الأخ شيء قد جبلت النّفس على كَرَاهَتِهَا له وإن تحرّاه الإنسان ، وقوله : لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّساءَ كَرْهاً [النساء / ١٩] وقرئ : كرها «١» ، والإِكْرَاهُ يقال في حمل الإنسان على ما يكرهه ، وقوله : وَلا تُكْرِهُوا فَتَياتِكُمْ عَلَى الْبِغاءِ [النور / ٣٣] فنهي عن حملهنّ على ما فيه كَرْهٌ وكُرْهٌ ، وقوله : لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ

[البقرة / ٢٥٦] فقد قيل : كان ذلك في ابتداء الإسلام ، فإنه كان يعرض على الإنسان الإسلام فإن أجاب وإلّا ترك «٢».

والثاني : أنّ ذلك في أهل الكتاب ، فإنّهم إن أرادوا الجزية والتزموا الشّرائط تركوا «٣».

والثالث أنه لا حكم لمن أكره على دين باطل فاعترف به ودخل فيه ، كما قال تعالى : إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمانِ [النحل / ١٠٦].

الرابع : لا اعتداد في الآخرة بما يفعل الإنسان في الدّنيا من الطاعة كرها ، فإنّ الله تعالى يعتبر السّرائر ولا يرضى إلّا الإخلاص ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «الأعمال بالنّيّات» «٤» ، وقال : «أخلص يكفك القليل من العمل» «٥».

الخامس : معناه لا يحمل الإنسان على أمر مَكْرُوهٍ في الحقيقة مما يكلّفهم الله بل يحملون على نعيم الأبد ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام : «عجب ربّكم من قوم يقادون إلى الجنّة بالسّلاسل» «٦».

السادس : أنّ الدّين الجزاء. معناه : أنّ الله ليس بِمُكْرِهٍ على الجزاء بل يفعل ما يشاء بمن يشاء كما يشاء.

وقوله : أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ إلى قوله :

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف. انظر : الإتحاف ص ١٨٨.

(٢) ويؤيد هذا ما أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس قال : نزلت في رجل من الأنصار من بني سالم بن عوف ، يقال له الحصين ، كان له ابنان نصرانيان ، وكان هو رجلا مسلما ، فقال للنبيّ صلّى الله عليه وسلم : ألا أستكرههما؟ فإنهما قد أبيا إلا النصرانية ، فأنزل الله فيه ذلك. انظر : الدر المنثور ٢ / ٢١ ، وتفسير الطبري ٣ / ١٤.

(٣) وهذا مروي عن ابن عباس أيضا ، وأخرجه عنه ابن جرير وابن أبي حاتم.

---

(١) مفردات القرآن - للراغب - نسخة محققة، ص/٨٠

(٤) الحديث متفق عليه ، أخرجه البخاري في بدء الوحي ١ / ٧ ، ومسلم في الإمارة برقم (١٩٠٧) ، وغيرهما.

(٥) الحديث عن معاذ بن جبل أنه قال لرسول الله صلّى الله عليه وسلم حين بعثه إلى اليمن : أوصني. قال : «أخلص دينك يكفك العمل القليل» أخرجه الحاكم في الرقاق ٤ / ٣٠٦ ، وقال : صحيح الإسناد ، ولم يوافقه الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية ١ / ٢٤٤. وقال العراقي : رواه الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ ، وإسناده منقطع. انظر : تخريج أحاديث الإحياء ٦ / ٢٤٠٦.

(٦) الحديث تقدّم في مادة (سلّ).." [١]

"المفردات في غريب القرآن ، ص : ٧٣٨

قال : وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ [البقرة / ١٧٣]. ولَحُمَ الرّجل : كثر عليه اللّحم فضخم ، فهو لَحِيمٌ ، ولَاحِمٌ وشاحم : صار ذا لَحْمٍ وشحم. نحو :

لابن وتامر ، ولَحِمَ : ضري باللّحم ، ومنه : باز لَحِمٌ ، وذئب لحم. أي : كثيرُ أَكْلِ اللّحم. وبيت لَحْمٍ : أي : فيه لحم ، وفي الحديث : «إنّ الله يبغض قوما لَحِمِينَ» «١». وأَلْحَمَهُ : أطعمه اللّحم ، وبه شبّه المرزوق من الصّيد ، فقيل : مُلْحِمٌ ، وقد يوصف المرزوق من غيره به ، وبه شبّه ثوب مُلْحَمٌ : إذا تداخل سداه «٢» ، ويسمّى ذلك الغزل لُحْمَةٌ تشبيها بلحمة البازي ، ومنه قيل : «الولاء لُحْمَةٌ كلحمة النّسب» «٣». وشجّة مُتَلَاحِمَةٌ :

اكتست اللّحم ، ولَحَمْتُ اللّحم عن العظم :

قشرته ، ولَحَمْتُ الشيءَ ، وأَلْحَمْتُهُ ، ولَاحَمْتُ بين الشّيئين : لأمتهما تشبيها بالجسم إذا صار بين عظامه لحمٌ يلحم به ، واللِّحَامُ : ما يلحم به الإناء ، وأَلْحَمْتُ فلانا : قتلته وجعلته لحما للسّباع ، وأَلْحَمْتُ الطائر : أطعمته اللّحم ، وأَلْحَمْتُكَ فلانا : أمكنتك من شتمه وثلبه ، وذلك كتسمية الاغتياب والوقيعة بأكل اللَّحْمِ. نحو قوله تعالى : أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً [الحجرات / ١٢] ، وفلان لَحِيمٌ فعيل كأنّه جعل لحما للسّباع ، والمَلْحَمَةُ : المعركة ، والجمع المَلَاحِمُ.

لحن

اللَّحْنُ : صرف الكلام عن سننه الجاري عليه ، إما بإزالة الإعراب ، أو التّصحيف ، وهو المذموم ، وذلك أكثر استعمالا ، وإمّا بإزالته عن التّصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى ، وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة ، وإيّاه قصد الشاعر بقوله :

٤٠٦ -

وخير الحديث ما كان لحنا

«٤»

---

(١) انظر : الفائق ٣ / ٣١١ ، والنهاية ٤ / ٣٣٩ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن كعب الأحبار. الدر المنثور ٣

---

(١) مفردات القرآن ـ للراغب ـ نسخة محققة، ص/٧٠٨

/ ٣١٥.

وعن سفيان الثوري أنه سئل عن اللحمين ، أهم الذين يكثرون أكل اللحم؟ فقال : هم الذين يكثرون أكل لحوم الناس.

(٢) السّدى : خلاف لحمة الثوب ، وقيل : أسفله ، وقيل : ما مدّ منه. واحدته : سداة. انظر : اللسان (سدى) ، وتهذيب اللغة ١٢ / ٣٩.

(٣) الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلم قال : «الولاء لحمة كلحمة النسب ، لا تباع ولا توهب» أخرجه الحاكم في المستدرك ٤ / ٣٤١ ، وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وأقرّه الذهبي. وأخرجه البيهقي ١٠ / ٢٩٤ ، والشافعي في الأم ٤ / ٧٧ ، والدارمي في الفرائض ٢ / ٣٩٨ ولم يرفعه ، والطبراني في الأوسط ٢ / ١٨٩. وقال ابن حجر : والمحفوظ في هذا ما أخرجه عبد الرزاق عن الثوري موقوفا عليه : الولاء لحمة كلحمة النسب. انظر : فتح الباري ١٢ / ٤٤ ، ومجمع الزوائد ٤ / ٢٣٤ ، ومصنف عبد الرزاق ٩ / ٤.

(٤) هذا عجز بيت ، وقبله :

وحديث ألذّه هو مما ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا نا ، وخير الحديث ما كان لحنا

والبيتان لمالك بن أسماء الفزاري. انظر : الملاحن لابن دريد ص ١٨ ، واللسان (لحن) ، ومعجم الأدباء ١٦ / ٩٠.." (١)

"@ ٢١٦ @ فيقال إنه يكره هذا فنزلت أو التسمية بالأعمال السيئة بعد الإسلام يا سارق يا زاني ، يا فاسق ، أو التعيير بعد الإسلام بما سلف من الشرك [١٨٣ / أ] / أو تسميته بعد الإسلام باسم دينه السابق كاليهودي والنصراني لمن كان يهودياً أو نصرانياً ولا يأتي بالألقاب الحسنة والنبز اللقب الثابت ، أو القول بالقبيح نزلت في ثابت بن قيس نبز رجلاً بلقب كان لأمه ، أو في كعب بن مالك كان على المقسم فقال لعبد الله بن أبي حدرد يا أعرابي فقال له عبد الله يا يهودي فتشاكيا إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، أو في الذين نادوا الرسول [صلى الله عليه وسلم] من وراء الحجرات لما عابوا أتباع الرسول [صلى الله عليه وسلم] من الفقراء والموالي ، أو في عائشة - رضي الله تعالى عنها - عابت أم سلمة بالقِصَر أو بلباس تشهرت به . ^ (يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتاً فكرهتموه واتقوا الله إن الله توابٌ رحيمٌ (١٢)) ^ ١٢ - ! ٢ " كثيرا من الظن " ٢ ! ظن السوء ! ٢ " بعض الظن " ٢ ! أي ظن السوء ، أو ". (٢)

"@ ٢١٧ @ التكلم بما ظنه فإن لم يتكلم به فلا إثم عليه ! ٢ " تجسسوا " ٢ ! بتتبع عثرات المؤمن أو بالبحث عما خفي حتى يظهر ، والتجسس والتحسس واحد ' ع ' ، أو بالجيم البحث ومنه الجاسوس وبالحاء الإدراك ببعض الحواس ، أو بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولاً لغيره ! ٢ " ولا يغتب " ٢ ! الغيبة : ذكر العيب

---

(١) مفردات القرآن . للراغب . نسخة محققة، ص/٧٣٨

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ، ص/١١٢٢

بظهر الغيب إذا كان صدقاً فإن كان كذباً فهو بهتان وإن كان من سماع فهو إفك ! ٢ " لحم أخيه ميتا " ٢ ! كما تمتنعون من أكل لحوم الموتى فكذلك يجب أن تمتنعوا من غيبة الأحياء ، أو كما يحرم الأكل يحرم الاغتياب ! ٢ " فكرهتموه " ٢ ! كرهتم أن يغتابكم الناس فكذلك فاكرهوا غيبتهم ، أو كرهتم أكل الميتة فاكرهوا الغيبة . ^ (يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليمٌ خبيرٌ (١٣)) ^ ١٣ - ^ (من ذكرٍ وأنثى) ^ نهى عن التفاخر بالأحساب ! ٢ " شعوبا " ٢ ! النسب الأبعد والقبائل النسب الأقرب لأنها تشعبت من الشعوب ، أو الشعوب عرب اليمن من قحطان والقبائل ربيعة ومضر وسائر عدنان ، أو الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب ! ٢ " لتعارفوا " ٢ ! لا لتفتخروا ، وواحد الشعوب شَعب بالفتح والشِعب الطريق جمعه شِعاب . ^ (قالت الأعراب ءامنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإنه تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذي ءامنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في والأرض والله بكل شيء عليمٌ (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله
". (١)

"وقال البرجمي: ١١٠٨- وفي الشك تفريط وفي الحزم قوة ويخطئ في الظن الفتى ويصيب. (ولا تجسسوا) [١٢] لا تتبعوا عثرات الناس. وقيل: لا تبحثوا عما خفي، كما قال الشاعر: ١١٠٩- تجنبت سعدى أن يشيد بذكرها إذا زرت سعدى الكاشح المتجسس. (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا)." (٢)

"أي: كما يكره لحم أخيه الميت بطبعه، ينبغي أن يكره اغتيابه بعقله، بل أولى، لأن داعية الطبع عمياء جاهلة، وداعية العقل بصيرة عالمة. وفي معناه للمقنع الكندي: ١١١٠- إذا ضيعوا غيبي حفظت غيوبهم وإن هم هووا غيي هويت لهم رشدا ١١١١- وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا. (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) [١٣] نبه تعالى على علة اختلاف القبائل أنها للتعارف لا للتفاخر.." (٣)

"٣١٢
سورة الحجرات ١٢ - ١٤
قوله عز وجل " يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن " يعني لا تحققوا الظن " إن بعض الظن إثم " يعني معصية أي إن ظن السوء بالمسلم معصية
وقال سفيان الثوري الظن ظنان ظن فيه إثم وظن لا إثم فيه

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ، ص/١١٢٣
(٢) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، ١٣٤٧/٢
(٣) باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن، ١٣٤٨/٢

فالظن الذي فيه إثم أن يظن ويتكلم به

وأما الظن الذي لا إثم فيه فهو أن يظن ولا يتكلم به لأنه قال " إن بعض الظن إثم " ولم يقل جميع الظن إثم

ثم قال " ولا تجسسوا " يعني لا تطلبوا ولا تبحثوا عن عيب أخيكم " ولا يغتب بعضكم بعضا " روى أسباط عن السدي قال كان سلمان الفارسي في سفر مع ناس فيهم عمر فنزلوا منزلا فضربوا خيامهم وصنعوا طعامهم ونام سلمان فقال بعض القوم لبعض ما يريد هذا العبد إلا أن يجد خياما مضروبة وطعاما مصنوعا فلما استيقظ سلمان قالوا له انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمس لنا إداما نأتدم به

فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم (أخبرهم أنهم قد ائتدموا)

فأخبرهم

فقالوا ما طعمنا بعد وما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأتوه فقال (ائتدمتم من صاحبكم حين قلتم ما قتلم وهو نائم) ثم قرأ " ولا يغتب بعضكم بعضا " " أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه " يعني فكما تكرهون أكل لحمه ميتا فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء وهو غائب

ويقال كان سلمان في سفر مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وكان يطبخ لهما فنزلوا منزلا فلم يجد ما يصلح لهم أمر الطعام فبعثاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم لينظر أعنده شيئا من الطعام فقال أسامة لم يبق عند النبي صلى الله عليه وسلم شيء من الطعام فرجع إليهما فقالا إنه لو ذهب إلى بئر كذا لييبس ماؤها فنزلت هذه الآية

ويقال نزلت في شأن زيدبن ثابت وذلك أن نفرا ذكروا فيه شيئا فنزل " ولا يغتب بعضكم بعضا " قرأ نافع " ميتا " بتشديد الياء والخفض والباقون بالجزم

وقال أهل اللغة الميت

والميت واحد مثل ضيق وضيق وهين وهين ولين ولين

ثم قال " واتقوا الله " في الغيبة وتوبوا إليه " إن الله تواب " يعني قابل التوبة " رحيم " بهم بعد التوبة." (١)

"قوله جل ذكره : ﴿ يأيها الذين ءامنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نسآء من نسآء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الإسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ .

نهى الله – سبحانه تعالى– عن ازدراء الناس ، وعن الغيبة ، وعن الاستهانة بالحقوق ، وعن ترك الاحترام .

﴿ ولا تلمزوا أنفسكم ﴾ : أي لا يعيبن بعضكم بعضا ، كقوله : ﴿ ولا تقتلوا أنفسكم ﴾ [النساء : ٢٩] .

ويقال : ما استصغر أحد أحدا إلا سلط عليه . ولا ينبغي أن يعتبر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا . والحق يستر أولياءه في حجاب الضعة؛ وقد جاء في الخبر :

« رب أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره »

---

(١) بحر العلوم. ، ٣١٢/٣

قوله جل ذكره : ﴿ يأيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴾ .

النفس لا تصدق ، والقلب لا يكذب . والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظه بقية – وإن قلت – فليس له أن يدعى بيان القلب بل هو بنفسه ما دام عليه شيء من نفسه ، ويجب أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره . . هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب Bه قال وهو يخطب . « كل الناس أفقه من عمر . . . أمرأة أفقه من عمر » .

﴿ ولا تجسسوا ﴾ والعارف لا يتفرغ من شهود الحق إلى شهود الخلق . . فكيف يتفرغ إلى تجسس أحوالهم؟ وهو لا يتفرغ إلى نفسه فكيف إلى غيره؟ ﴿ ولا يغتب بعضكم بعضا ﴾ : لا تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق .

﴿ أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ﴾ جاء في التفسير أن المقصود بذلك الغيبة ، وعلى ذلك يدل ظاهر الآية . وأخس الكفار وأقلهم قدرا من يأكل الميتة . . وعزيز رؤية من لا يغتاب أحدا بين يديك .." (١)

" صفحة رقم ٣٣٣

الثاني : أنه تسمية الرجل بالأعمال السيئة بعد الإسلام . . . يا فاسق . . . يا سارق ، يا زاني ، قاله ابن زيد .

الثالث : أنه يعيره بعد الإسلام بما سلف من شركه ، قاله عكرمة .

الرابع : أن يسميه بعد الإسلام باسم دينه قبل الإسلام ، لمن أسلم من اليهود . . . يا يهودي ، ومن النصارى . . . يا نصراني ، قاله ابن عباس ، والحسن . فأما مستحب الألقاب ومستحسنها فلا يكره ، وقد وصف النبي (صلى الله عليه وسلم) عددا من أصحابه بأوصاف فصارت لهم من أجمل الألقاب .

واختلف في من نزلت فيه هذه الآية على أربعة أقاويل :

أحدها : أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شمسان وكان في أذنه ثقل فكان يدنو من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى يسمع حديثه ، فجاء ذات يوم وقد أخذ الناس مجالسهم فقال : (تفسحوا) ففعلوا إلا رجلا كان بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) فإنه لم يفسح وقال : (قد أصبت موضعا) فنبذه ثابت ، بلقب كان لأمه مكروها ، فنزلت ، قاله الكلبي والفراء .

الثاني : أنا نزلت في كعب بن مالك الأنصاري ، وكان على المغنم فقال لعبد الله بن أبي حدرد : يا أعرابي ، فقال له عبد الله : يا يهودي ، فتشاكيا ذلك إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فنزلت فيهما ، حكاه مقاتل .

الثالث : أنها نزلت في الذين نادوا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من وراء الحجرات عند استهزائهم بمن مع رسول الله من الفقراء والموالي فنزل ذلك فيهم .

الرابع : أنا نزلت في عائشة وقد عابت أم سلمة .

واختلفوا في الذي عابتها به فقال مقاتل : عابتها بالقصر ، وقال غيره : عابتها بلباس تشهرت به .

---

(١) تفسير القشيري، ٧/٢٩٣

(الحجرات : (١٢) يا أيها الذين . . . . .

" يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم " (."(١)

" صفحة رقم ٣٣٥

أخيك ما هو فيه . وإما الإفك ، فأن تقول فيه ما بلغك عنه . وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه .

وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال : سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الغيبة قال : (هو أن تقول لأخيك ما فيه فإن كنت صادقا فقد اغتبته ، وإن كنت كاذبا فقد بهته) .) أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا (فيه وجهان

: أحدهما : أي كما يحرم أكل لحمه ميتا يحرم غيبته حيا . الثاني : كما يمتنع أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيا ، قاله قتادة . واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر :

فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم

وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

) فكرهتموه (فيه وجهان

: أحدهما : فكرهتم أكل الميتة ، كذلك فاكرهوا الغيبة .

الثاني : فكرهتم أن يعلم بكم الناس فاكرهوا غيبة الناس .

(الحجرات : (١٣) يا أيها الناس . . . . .

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " (قوله عز وجل :) يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى (قصد بهذه الآية . النهي عن التفاخر بالأنساب ، وبين التساوي فيها بأن خلقهم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء .

ثم قال :) وجعلناكم شعوبا وقبآئل لتعرفوا (فبين أن الشعوب والقبائل للتعارف لا للافتخار ، وفيها ثلاثة أوجه :." (٢)

"أنا عبد الرحمن، قال: نا إبراهيم، قال: نا آدم، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: لما نزلت: ﴿ﷺأيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قالوا: " نكره ذلك، قال: فاتقوا الله في الغيبة "." (٣)

"[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١ الى ١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم

---

(١) النكت والعيون ، ٥/٣٣٣

(٢) النكت والعيون ، ٥/٣٣٥

(٣) تفسير مجاهد مجاهد بن جبر ص/٦١٢

فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤)

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨)." (١)

"- ١١- فلما أنزل الله- تعالى- توبتهما وبين أمر هما تابا إلى الله- تعالى- من قولهما وحلا أنفسهما من الوثائق.

قوله: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يقول لا تحققوا الظن وذلك أن الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا فيراه أخوه المسلم أو يسمعه فيظن به سوءا فلا بأس ما لم يتكلم به فإن تكلم به أثم، فذلك قوله: إن بعض الظن إثم ثم قال: ولا تجسسوا يعني لا يبحث الرجل عن عيب أخيه المسلم فإن ذلك معصية ولا يغتب بعضكم بعضا نزلت في «فتير» «١» ويقال فهير خادم النبي- صلى الله عليه وسلم- وذلك أنه قيل له [١٦٦ ب] إنك وخيم ثقيل بخيل، والغيبة أن يقول الرجل المسلم لأخيه ما فيه من العيب، فإن قال ما ليس فيه فقد بهته ثم ضرب للغيبة مثلا، فقال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا يقول إذا غاب عنك المسلم، فهو حين تذكره بسوء بمنزلة الشيء الميت لأنه لا يسمع بعيبك إياه فكذلك الميت لا يسمع ما قلت له، فذلك قوله: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا»

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٤/٨١

فكرهتموه يعني كما كرهتم أكل لحم الميت فاكرهوا الغيبة لإخوانكم واتقوا الله في الغيبة فلا تغتابوا الناس إن الله تواب على من تاب رحيم- ١٢- بهم بعد التوبة، والغيبة أن تقول لأخيك ما فيه من العيب فإن قلت ما ليس فيه فقد بهته، وإن قلت ما بلغك فهذا الإفك قوله: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء نزلت في بلال المؤذن وقالوا في سلمان الفارسي وفي أربعة نفر من قريش، فى عتاب بن أسيد ابن أبي العيص، والحارث بن هشام، وسهيل بن

---

(١) فى أ: «فنبره ويقال فهيرة» ، ف: «فتير ويقال فهير» .." (١)

"ثم تلا هذه الآية: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] .

قال: وإذا أنا بنسوة معلقات بثديهن، وأحسبه قال: وإذا حيات وعقارب ينهشنهن، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الظؤرة اللاتي يقتلن أولادهن.

قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون، حيث ينطلق بهم إلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، فإذا رأوها قالوا: ربنا لا تقومن الساعة، لما يرون من عذاب الله.

وإذا أنا برجال بطونهم كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم ولبطونهم، فيأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثردا.

فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء أكلة الربا.

ثم تلا هذه الآية: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ [البقرة: ٢٧٥] .

ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: أوقد بعث إليه؟ قال:." (٢)

"السورة التي يذكر فيها الحجرات

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١ الى ٣]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣)

قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله [١] قال: إن الله تعالى أدب عباده المؤمنين، أي لا تقولوا قبل أن يقول، فإذا قال فأقبلوا عليه ناصتين له، مستمعين إليه، واتقوا الله في إهمال حقه، وتضييع حرمته إن الله سميع [١] ما تقولون عليم [١] بما تعملون.

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان مقاتل ٤/٩٦

(٢) تفسير يحيى بن سلام يحيى بن سلام ١/١٠٨

قوله تعالى: لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي [٢] أي لا تخاطبوه إلا متفهمين، ثم بين كرامة من عظمه فقال: أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى [٣] أي أخلص نياتهم له.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ٦ الى ٧]

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧)

قوله: إن جاءكم فاسق بنبإ [٦] قال: الفاسق الكذاب. وباطنها تأديب من بلغه ذمه من أحد بأن لا يعجل بعقوبته ما لم يتعرف ذلك من نفسه.

قوله: فضلا من الله ونعمة [٨] قال: تفضل الله عليهم فيما ابتدأهم به، وهداهم إليه بأنواع القرب والزلف.

قوله: ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم [٧] قال: أي استخلص قلوبكم عطفا منه في عبادته بالإخلاص فيها، إذ الاستخلاص من عطفه، والإخلاص من حقه، ولن يقدر العبد على تأدية حقه إلا بعطفه بالمعونة عليه بأسباب الإيمان، وهي الحجج القاطعة والآيات المعجزة.

قوله: وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان [٧] خوفا من عاقبته المذمومة.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ٩]

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)

قوله: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما [٩] قال: ظاهرها ما عليه أهل التفسير، وباطنها هو الروح والعقل والقلب والطبع والهوى والشهوة، فإن بغى الطبع والهوى والشهوة على القلب والعقل والروح فليقاتله العبد بسيوف المراقبة وسهام المطالعة وأنوار الموافقة، ليكون الروح والعقل غالبا والهوى والشهوة مغلوبا.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

قوله: اجتنبوا كثيرا من الظن [١٢] قال: أي لا تطعنوا على أحد بسوء الظن من غير حقيقة. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «أكذب الحديث الظن» «١» . ثم قال سهل: الظن السيئ من الجهل

---

(١) صحيح البخاري: كتاب النكاح، رقم ٤٨٤٩ وكتاب الأدب، رقم ٥٧١٧، ٥٧١٩ وصحيح مسلم، كتاب الأدب، رقم ٢٥٦٣.." (١)

"ﷺالقول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين، وذلك أن تظنوا بهم سوءا، فإن الظان غير محق، وقال جل ثناؤه: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ [الحجرات: ١٢] ولم يقل: الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير، فقال: ﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾ [النور: ١٢] فأذن الله جل ثناؤه للمؤمنين أن يظن بعضهم ببعض الخير وأن يقولوه، وإن لم." (٢)

"ﷺوقوله ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل **لحم أخيه** بعد مماته ميتا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه، لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيا، كما كرهتم لحمه ميتا، فإن الله حرم -[٣٨١]- غيبته حيا، كما حرم أكل لحمه ميتا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثني علي قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿ﷺولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قال: «حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرم الميتة»." (٤)

"حدثني محمد بن عمرو قال: ثنا أبو عاصم قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿ﷺأيحب أحدكم أن يأكل، **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قالوا: «نكره ذلك» قال: «فكذلك فاتقوا الله»." (٥)

"حدثنا بشر قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ﷺأيحب أحدكم أن يأكل، **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ [الحجرات: ١٢] يقول: «كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حي»." (٦)

"ظن السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم ﴿إن الله تواب رحيم﴾ [الحجرات: ١٢] يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع

---

(١) تفسير التستري سهل التستري ص/١٤٩

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٧٣/٢١

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٠/٢١

(٤) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨١/٢١

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨١/٢١

(٦) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨١/٢١

العبد لربه إلى ما يحبه منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه. واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿لحم أخيه ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] فقرأته عامة قراء المدينة بالتثقيل (ميتا) ، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة ﴿ميتا﴾ [الأنعام: ١٢٢] بالتخفيف، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله، لا تقربوا كثيرا من الظن بالمؤمنين، وذلك إن تظنوا بهم سوءا، فإن الظان غير محق، وقال جل ثناؤه: (اجتنبوا كثيرا من الظن) ولم يقل: الظن كله، إذ كان قد أذن للمؤمنين." (٢)

"فيه ما تقول فقد بهته".

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: "كنا نحدث أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه، وتعيبه بما فيه، وإن كذبت عليه فذلك البهتان".

وقوله (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) يقول تعالى ذكره للمؤمنين أيحب أحدكم أيها القوم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته ميتا، فإن لم تحبوا ذلك وكرهتموه، لأن الله حرم ذلك عليكم، فكذلك لا تحبوا أن تغتابوه في حياته، فاكرهوا غيبته حيا، كما كرهتم لحمه ميتا، فإن الله حرم غيبته حيا، كما حرم أكل لحمه ميتا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله (ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) قال: حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء، كما حرم الميتة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا) قالوا: نكره ذلك، قال: فكذلك فاتقوا الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره غيبته وهو حي.

وقوله (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) يقول تعالى ذكره: فاتقوا الله أيها الناس، فخافوا عقوبته بانتهائكم عما نهاكم عنه من ظن أحدكم بأخيه المؤمن." (٣)

"ظن السوء، وتتبع عوراته، والتجسس عما ستر عنه من أمره، واغتيابه بما يكرهه، تريدون به شينه وعيبه، وغير ذلك من الأمور التي نهاكم عنها ربكم (إن الله تواب رحيم) يقول: إن الله راجع لعبده إلى ما يحبه إذا رجع العبد لربه إلى ما يحبه

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر الطبري، أبو جعفر ٣٨٢/٢١

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٣٠٣/٢٢

(٣) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٣٠٨/٢٢

منه، رحيم به بأن يعاقبه على ذنب أذنبه بعد توبته منه.

واختلفت القراء في قراءة قوله (**لحم أخيه** ميتا) فقرأته عامة قراء المدينة بالتثقيل (ميتا) ، وقرأته عامة قراء الكوفة والبصرة (ميتا) بالتخفيف، وهما قراءتان عندنا معروفتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) ﴾

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس إنا أنشأنا خلقكم من ماء ذكر من الرجال، وماء أنثى من النساء.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو هشام، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قال: خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال تبارك وتعالى (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) .

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، قال: ثنا عثمان بن الأسود، عن مجاهد، قوله (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) قال: ما خلق الله الولد إلا من نطفة الرجل والمرأة جميعا، لأن الله يقول (خلقناكم من ذكر وأنثى) .

وقوله (وجعلناكم شعوبا وقبائل) يقول: وجعلناكم متناسبين، فبعضكم يناسب بعضا نسبا بعيدا، وبعضكم يناسب بعضا نسبا قريبا؛ فالمناسب." (١)

"(إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون

(١٠)

ويقرأ بين إخوانكم، وبين إخواتكم وبين إخوتكم.

فأعلم الله - عز وجل - أن الذين يجمعهم وأنهم إخوة إذا كانوا متفقين في دينهم فرجعوا في الاتفاق في الدين إلى أصل النسب، لأنهم لآدم وحواء، ولو اختلفت أديانهم لافترقوا في النسب، وإن كان في الأصل أنهم لأب وأم.

ألا ترى أنه لا يرث الولد المؤمن الأب الكافر ولا الحميم المؤمن نسيبه الكافر.

* * *

وقوله: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١)

عسى أن يكون المسخور منه خيرا من الساخرين، وكذلك عسى أن

يكون النساء المسخور منهن خيرا من النساء الساخرات، فنهى الله

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان ت شاكر الطبري، أبو جعفر ٣٠٩/٢٢

- عز وجل - أن يسخر المؤمنون من المؤمنين، والمؤمنات من المؤمنات.

(ولا تلمزوا أنفسكم).

واللمز والهمز العيب والعض من الإنسان. فأعلم الله أن عيب بعضهم

بعضا لازم لهم، يلزم العائب عيب المعيب.

(ولا تنابزوا بالألقاب) والنبز واللقب في معنى واحد، لا يقول المسلم

لمن كان يهوديا أو نصرانيا فأسلم لقبا يعيره فيه بأنه كان نصرانيا أو يهوديا.

(بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان)، أي بئس الاسم أن يقول له: يا

يهودي ويا نصراني وقد آمن، ويحتمل أن يكون في كل لقب يكرهه الإنسان، لأنه إنما يجب أن يخاطب المؤمن أخاه بأحب الأسماء إليه.

* * *

وقوله عز وجل: (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

أمر الله عز وجل باجتناب كثير من الظن، وهو أن تظن بأهل الخير سوءا." [(١)]

"إذا كنا نعلم أن الذي ظهر منه خير، فأما أهل السوء والفسق فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

وقوله: (ولا يغتب بعضكم بعضا)، والغيبة أن يذكر الإنسان من خلفه

بسوء وإن كان فيه السوء

وأما ذكره بما ليس فيه فذلك البهت والبهتان - كذلك

جاء عن النبي - صلى الله عليه وسلم -.

* * *

وقوله عز وجل -: (أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا).

ويجوز (ميتا) وتأويله أن ذكرك بسوء من لم يحضر لك بمنزلة أكل لحمه

وهو ميت لا يحس هو بذلك، وكذلك تقول للمغتاب فلان يأكل لحوم الناس.

* * *

وقوله عز وجل: (فكرهتموه).

ويقرأ " فكرهتموه " - فتأويله كما تكرهون أكل لحمه ميتا كذلك تجنبوا

ذكره بالسوء غائبا.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٥/٣٦

* * *

وقوله: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

خلقناكم من آدم وحواء، وكلكم بنو أب واحد وأم واحدة إليهما

ترجعون.

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا).

والشعب أعظم من القبيلة.

أي لم يجعلكم شعوبا وقبائل لتفاخروا وإنما جعلناكم كذلك لتتعارفوا، ثم أعلمهم الله - عز وجل - أن أرفعهم عنده منزلة أتقاهم فقال:

(إن أكرمكم عند الله أتقاكم).

ولو قرئت " أن أكرمكم عند الله أتقاكم "

جاز ذلك على معنى وجعلناكم." (١)

"قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن

١٨٦١٤ - عن ابن عباس في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قال: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن سوءا «١» .

قوله تعالى: ولا تجسسوا

١٨٦١٥ - عن ابن عباس في قوله: ولا تجسسوا قال: نهى الله المؤمن أن يتبع عورات أخيه المؤمن «٢» .

١٨٦١٦ - حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن زيد قال: أتى ابن مسعود رضي الله عنه برجل فقيل له: هذا فلان تقطر لحيته خمرا، فقال عبد الله أن قد نهينا عن التجسس ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به «٣» .

سماه ابن أبي حاتم في روايته الوليد بن عقبة بن أبي معيط.

وقال الأوزاعي: التجسس: البحث عن الشيء والتحسس: الاستماع إلى حديث القوم وهم له كارهون او يتسمع إلى أبوابهم والتدابر: الصرم «٤» .

قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٥/٣٧

١٨٦١٧ - عن ابن عباس في قوله: ولا يغتب بعضكم بعضا الآية قال: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة «٥» .

١٨٦١٨ - حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبدة، حدثنا أبو عبد الصمد عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، ثنا أبو هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟ ... قال: ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير رجال ونساء موكل بهم رجال، يعمدون إلى عرض جنب أحدهم فيحذون منه الحذوة من مثل النعل، ثم يضعونه في في أحدهم فيقال له: «كل كما أكلت» وهو يجد من أكله الموت، يا محمد- لو يجد الموت وهو يكره عليه. فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء: قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة فيقال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه «٦» .

---

(١) الدر ٧/ ٥٦٣- ٥٦٧.

(٢) الدر ٧/ ٥٦٣- ٥٦٧.

(٣) ابن كثير ٧/ ٣٥٨. [.....]

(٤) ابن كثير ٧/ ٣٥٨.

(٥) الدر ٧/ ٥٦٧.

(٦) ابن كثير ٧/ ٣٦١ والدر ٧/ ٥٧٠.." (١)

"كان على المقاسم. فقال لعبد الله بن أبي حدرد الأسلمي: يا أعرابي. فقال له عبد الله: يا يهودي. فأمرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخلا عليه، حتى تظهر توبتهما، فنزل بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان يعني: بئس التسمية لإخوانكم بالكفر وهم مؤمنون ومن لم يتب من قوله فأولئك هم الظالمون فأوثقا أنفسهما حتى قبلت توبتهما.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١٢ الى ١٤]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)

قوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن يعني: لا تحققوا الظن إن بعض الظن إثم يعني: معصية أي: إن ظن السوء بالمسلم معصية. وقال سفيان الثوري:

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم - محققا الرازي، ابن أبي حاتم ٣٣٠٥/١٠

الظن ظنان. ظن فيه إثم، وظن لا إثم فيه. فالظن الذي فيه إثم، أن يظن ويتكلم به. وأما الظن الذي لا إثم فيه، فهو أن يظن، ولا يتكلم به، لأنه قال: إن بعض الظن إثم ولم يقل: جميع الظن إثم.

ثم قال: ولا تجسسوا يعني: لا تطلبوا، ولا تبحثوا عن عيب أخيكم ولا يغتب بعضكم بعضا روى أسباط عن السدي قال: كان سلمان الفارسي في سفر مع ناس فيهم عمر، فنزلوا منزلا، فضربوا خيامهم، وصنعوا طعامهم، ونام سلمان، فقال بعض القوم لبعض: ما يريد هذا العبد إلا أن يجد خياما مضروبة، وطعاما مصنوعا، فلما استيقظ سلمان، قالوا له: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتمس لنا إداما نأتدم به. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال– عليه السلام–: «أخبرهم أنهم قد ائتدموا» . فأخبرهم. فقالوا: ما طعمنا بعد، وما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأتوه، فقال: «ائتدمتم من صاحبكم، حين قلتم ما قلتم وهو نائم» ، ثم قرأ:

ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه يعني: فكما تكرهون أكل لحمه ميتا، فكذلك اجتنبوا ذكره بالسوء وهو غائب. ويقال: كان سلمان في سفر مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وكان يطبخ لهما، فنزلوا منزلا، فلم يجد ما يصلح لهم." (١)

"يا جبريل؟ ﴿قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما، ثم تلا هذه الآية: ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا﴾؛ ثم مضيت فإذا أنا بقوم يقطع من لحومهم بدمائهم فيضفزونها ولهم جؤار، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الهمازون اللمازون. ثم تلا هذه الآية: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ وإذا أنا بنسوة معلقات بثديهن وأحسبه قال: وإذا حيات وعقارب تنهشهن فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ قال: هؤلاء الظؤرة يقتلن أولادهن. قال: ثم أتيت على سابلة آل فرعون حيث ينطلق جمع إلى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا؛ فإذا رأوها قال: ربنا لا تقومن الساعة؛ لما يرون من عذاب الله، وإذا أنا برجال بطونهم، كالبيوت يقومون فيقعون لظهورهم وبطونهم، يأتي عليهم آل فرعون فيثردونهم بأرجلهم ثردا، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟﴾ قال: هؤلاء أكلة الربا. ثم تلا هذه الآية: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾ ثم عرج بنا حتى انتهينا إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل. فقيل: من هذا؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أو قد بعث إليه؟ قال: نعم. قال: مرحبا به، وإنه لنعم المجيء. ففتح لنا؛ فإذا أنا بابني الخالة: (ل ١٨١) يحي وعيسى،." (٢)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ تفسير الحسن: إذا ظننت بأخيك المسلم ظنا حسنا؛ فأنت مأجور، وإذا ظننت به ظنا سيئا؛ فأنت آثم ﴿ولا تجسسوا﴾ لا يتبع الرجل عورة أخيه المسلم. يحيى: عن النضر بن بلال، عن أبان بن أبي عياش، عن أنس بن مالك " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج يوما فنادى بصوت أسمع العواتق في الخدور: يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه، ألا لا تؤذوا المؤمنين ولا تعيبوهم ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته؛ ومن يتبع الله عورته فضحه في بيته ". قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب

---

(١) تفسير السمرقندي = بحر العلوم أبو الليث السمرقندي ٣/٣٢٨

(٢) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٣/٨

أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ قال الكلبي: " إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقوم اغتابوا رجلين: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا بعدما يموت؟! فقالوا: لا والله يا رسول الله، ما نستطيع أكله ولا نحبه. فقال رسول الله: فاكرهوا الغيبة ". يحيى: عن عثمان، عن نعيم بن عبد الله، عن أبي هريرة قال: قال." (١)

"وقد أخبرني ابن منجويه، قال: حدثنا ابن شنبه، قال: حدثنا أحمد بن الحسين بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا أبو نصر التمار، قال: حدثنا كوثر، عن نافع، عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يا عبد الله هل تدري كيف حكم الله سبحانه فيمن بغى من هذه الأمة؟» .

قال: الله ورسوله أعلم. قال: «لا يجهز على جريحها، ولا يقتل أسيرها، ولا يطلب هاربها، ولا يقسم فيئها» [٦٩] «١» .

وسئل محمد بن كعب القرظي عن هاتين الآيتين، فقال:

جعل النبي صلى الله عليه وسلم أجر المصلح بين الناس، كأجر المجاهد عند الناس

، وقال بكر بن عبد الله: امش ميلا، وعد مريضا، امش ميلين، وأصلح بين اثنين، امش ثلاثة أميال، وزر أخاك في الله.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٢]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية،

قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وذلك أنه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد سبقوه بالمجلس، أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم، وقد فاته من صلاة الفجر ركعة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم [منه، فربض] كل رجل بمجلسه، فلا يكاد يوسع أحد لأحد، فكان الرجل إذا جاء، فلم يجد مجلسا، قام قائما، كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة، وقام منها، أقبل نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينه وبينه رجل.

فقال له: تفسح. فقال له الرجل: قد أصبت مجلسا، فاجلس، فجلس ثابت من خلفه مغضبا، فلما أبينت الظلمة، غمز ثابت الرجل، وقال: من هذا؟ قال: أنا فلان. فقال له ثابت:

ابن فلانة. ذكر أما له كان يعير بها في الجاهلية. فنكس الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله عز وجل هذه الآية.

وقال الضحاك: نزلت في وفد تميم الذين ذكرناهم في صدر السورة، استهزءوا بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير القرآن العزيز لابن أبي زمنين ابن أبي زَمَنِين ٤/٢٦٤

مثل عمار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله سبحانه في الذين آمنوا منهم يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦/ ٣٢٠.." (١)

"الحسين بن علوية. قال: حدثنا إسماعيل بن عيسى، قال: حدثنا المسيب، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، قال: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا؟ فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيئا نأخذه به.

ولا يغتب بعضكم بعضا

أخبرنا الحسين، قال: حدثنا عبيد الله بن أحمد بن يعقوب المقري. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن زيد أبو بكر السطوي، قال: حدثنا علي بن إشكاب، قال: حدثنا عمر بن يونس اليمامي، قال: حدثنا جهضم بن عبد الله، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال: «أن يذكر أخاك بما يكره، فإما إن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» [٧٣] «١» .

وقال معاذ بن جبل: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر القوم رجلا، فقالوا: ما يأكل إلا ما أطعم، ولا يرحل إلا ما رحل، فما أضعفه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اغتبتم أخاكم» .

قالوا: يا رسول الله وغيبة أن نحدث بما فيه؟ فقال: «بحسبكم أن تحدثوا عن أخيكم بما فيه» [٧٤] «٢» .

وروى موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رجلا قام من عند رسول الله، فرأوا في قيامه عجزا، فقالوا: يا رسول الله ما أعجز فلانا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكلتم أخاكم واغتبتموه» [٧٥] «٣» .

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، قال قتادة: يقول: كما أنت كاره أن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها، فكذلك فاكره لحم أخيك وهو حي، فكرهتموه قال الكسائي، والفراء: معناه، فقد كرهتموه. وقرأ أبو سعيد الخدري (فكرهتموه) بالتشديد على غير تسمية الفاعل.

أخبرني الحسن، قال: حدثنا عمر بن نوح البجلي، قال: حدثنا أبو صالح عبد الوهاب بن أبي عصمة. قال: حدثنا إسماعيل بن يزيد الأصفهاني. قال: حدثنا يحيى بن سليم، عن كهمس، عن ميمون بن سباه، وكان يفضل على الحسن، ويقال: قد لقي من لم يلق، قال: بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي: كل، قلت: يا عبد الله، ولم آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، قلت: والله ما ذكرت منه خيرا، ولا شرا، قال: لكنك استمعت، ورضيت، فكان

---

(١) مسند أحمد: ٢/ ٣٨٤ صحيح مسلم: ٨/ ٢١ بتفاوت.

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٩/٨٠

(٢) الدر المنثور: ٦/ ٩٧.

(٣) مجمع الزوائد: ٨/ ٩٤ جامع البيان للطبري: ٢٦/ ١٧٧.." (١)

"فيه فقد بهته.

قال الحسن: الغيبة أن تذكر من أخيك ما تعلم فيه من مساوئ أعماله، فإذا ذكرت بما ليس فيه فذلك البهتان.

قال ابن سيرين: إن علمت أن أخاك يكره أن تقول ما أشر سواد شعره ثم قلته من ورائه فقد اغتبته.

وقالت عائشة Bها: قلت بحضرة النبي A في امرأة: ما أطول ذراعها، فقال: قد اغتبتها فاستحلي منها.

وروى جابر أن النبي A قال: " الغيبة أشد من الزنا لأن الرجل يزني فيتوب الله عليه، [والرجل يغتاب الرجل فيتوب، فلا يتاب عليه حتى يستحله] ".

ثم قال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾.." (٢)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾." (٣)

"أخيك ما هو فيه. وإما الإفك ، فأن تقول فيه ما بلغك عنه. وأما البهتان فأن تقول فيه ما ليس فيه. وروى العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة قال: (هو أن تقول لأخيك ما فيه فإن كنت صادقا فقد اغتبته ، وإن كنت كاذبا فقد بهته). ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ فيه وجهان: أحدهما: أي كما يحرم أكل لحمه ميتا يحرم غيبته حيا. الثاني: كما يمتنع أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا كذلك يجب أن يمتنع عن غيبته حيا ، قاله قتادة. واستعمل أكل اللحم مكان الغيبة لأن عادة العرب بذلك جارية قال الشاعر:

(فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا)

﴿فكرهتموه﴾ فيه وجهان: أحدهما: فكرهتم أكل الميتة ، كذلك فاكرهوا الغيبة. الثاني: فكرهتم أن يعلم بكم الناس فاكرهوا غيبة الناس.." (٤)

"على البر والتقوى أي الاتصاف بجميل الخصال على الوجه الذي يقتدى بك فيه.

قوله جل ذكره: واتقوا الله إن الله شديد العقاب.

العقوبة ما تعقب الجرم بما يسوء صاحبه. وأشد العقوبة حجاب المعاقب عن شهود المعاقب فإن تجرع كاسات البلاء بشهود المبلى أحلى من العسل والشهد.

قوله جل ذكره:

---

(١) تفسير الثعلبي = الكشف والبيان عن تفسير القرآن الثعلبي ٨٤/٩

(٢) الهداية الى بلوغ النهاية مكي بن أبي طالب ٧٠٠٨/١١

(٣) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٣٣/٥

(٤) تفسير الماوردي = النكت والعيون الماوردي ٣٣٥/٥

[سورة المائدة (٥) : آية ٣]

حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم (٣)

وأكل الميتة أن تتناول من عرض أخيك على وجه الغيبة «١» ، وليس ذلك مما فيه رخصة بحال لا بالاضطرار ولا بالاختيار، وغير هذا من الميتة مباح فى حال الضرورة.

ويقال كما أن فى الحيوان ما يكون المزكى منه مباحا والميتة منه حراما فكذلك من ذبح نفسه بسكاكين المجاهدات وطهر نفسه- مباح قربه، حلال صحبته. ومن ماتت نفسه فى ظلمة غفلته حتى لا إحساس له بالأمور الدينية فخبيثة نفسه، محظور قربه، حرام معاشرته، غير مباركة صحبته.

وإن السلف سموا الدنيا خنزيرة، ورأوا أن ما يلهى قربه، وينسى المعبود ركونه، ويحمل على العصيان جنوحه- فهو محرم على القلوب ففى طريقة القوم حب الدنيا حرام على القلوب، وإن كان إمساك بعضها حلالا على الأبدان والنفوس.

قوله جل ذكره: وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة.

كما أن المذبوح على غير اسمه ليس بطيب فمن بذل روحه فيه وجد روحه منه، ومن تمارشته كلاب الدنيا، وقلته مخالب الأطماع، وأسرته مطالب الأغراض والأعراض- فحرام ماله على أهل الحقائق فى مذهب التعزز، فللشريعة الظرف والتقدير.

وأما المنخنقة فالإشارة منه إلى الذي ارتبك فى حبال المنى والرغائب، وأخذه خناق

---

(١) يشير القشيري بذلك إلى قوله تعالى: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ... » .." [(١)]

"تتحسى له الأمر ... ين وكن ملاطفا

إن يقل لك استو احترف ... ت رضى لا تكلفا

قوله جل ذكره:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١١]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١)

نهى الله- سبحانه وتعالى- عن ازدراء الناس، وعن الغيبة، وعن الاستهانة بالحقوق، وعن ترك الاحترام.

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣٩٩/١

«ولا تلمزوا أنفسكم» : أي لا يعيبن بعضكم بعضا، كقوله: «ولا تقتلوا أنفسكم» «١» .
ويقال: ما استصغر أحد أحدا إلا سلط عليه. ولا ينبغى أن يعتبر بظاهر أحوال الناس فإن في الزوايا خبايا. والحق يستر أولياءه في حجاب الضعة «٢» وقد جاء في الخبر:
«رب أشعث أغبر ذى طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره» «٣» .
قوله جل ذكره:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

---

(١) آية ٢٩ سورة النساء.
(٢) الضعة هنا بمعنى خمول الذكر وانطفاء المنظر.
(٣) فى بعض الروايات بزيادة: «وإن البراء منهم» ، وعند مسلم بلفظ «رب أشعث أغبر مدفوع إلى الأبواب لو أقسم على الله لأبره» .." (١)

"النفس لا تصدق، والقلب لا يكذب. والتمييز بين النفس والقلب مشكل ومن بقيت عليه من حظوظه بقية- وإن قلت- فليس له أن يدعى بيان القلب بل هو بنفسه مادام عليه شىء من نفسه، ويجب أن يتهم نفسه في كل ما يقع له من نقصان غيره.. هذا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال وهو يخطب. «كل الناس أفقه من عمر.. امرأة أفقه من عمر» .
«ولا تجسسوا» . والعارف لا يتفرغ من شهود الحق إلى شهود الخلق.. فكيف يتفرغ إلى تجسس أحوالهم؟ وهو لا يتفرغ إلى نفسه فكيف إلى غيره؟ «ولا يغتب بعضكم بعضا» : لا تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق.
«أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا ... » جاء في التفسير أن المقصود بذلك الغيبة، وعلى ذلك يدل ظاهر الآية.. وأخس الكفار وأقلهم قدرا من يأكل الميتة.. وعزيز رؤية من لا يغتاب أحدا بين يديك.
قوله جل ذكره:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٣]
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

---

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٤٤٢/٣

إنا خلقناكم أجمعكم من آدم وحواء، ثم جعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا لا لتكاثروا ولا لتنافسوا. فإذا كانت الأصول تربة ونطفة وعلقة ... فالتفاخر بماذا؟ أبا لحمأ المسنون؟ أم بالنطفة في قرار مكين؟ أم بما ينطوي عليه ظاهرك مما تعرفه؟! «١»

وقد قيل:

(١) ربما نفهم من هذه العبارة ما يقصده القشيري في موضع آخر ماثل من سخرية بالإنسان وتحطيم لتجبره كأن يقول له: من أنت أيها الإنسان؟ أنت كنيف في قميص! ألا ترى إلى ريح إبطك إذا عرقت، وإلى ريح فمك إذا جعت!؟ ... ونحو ذلك.." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ وهو أن يظن السوء بأهل الخير وبمن لا يعلم منه فسق ﴿ولا تجسسوا﴾ لا تطلبوا عورات المسلمين ولا بتحثوا عن معايبهم ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ لا تذكروا أحدكم بشيء يكرهه وإن كان فيه ذلك الشيء ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ يعني: إن ذكراك أخاك على غيبة بسوء كأكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك ﴿فكرهتموه﴾ إن كرهتم أكل لحمه ميتا فاكرهوا ذكره بسوء." (٢)

"ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴿١١﴾ يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ﴿١٢﴾ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴿١٣﴾ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم ﴿١٤﴾ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴿١٥﴾ قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السموات وما في الأرض والله بكل شيء عليم ﴿١٦﴾ يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين ﴿١٧﴾ إن الله يعلم غيب السموات والأرض والله بصير بما تعملون ﴿١٨﴾ ﴾ [الحجرات: ١١-١٨] .

﴿يأيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم﴾ [الحجرات: ١١] قال مقاتل: يقول: لا يستهزئ الرجل من أخيه، فيقول: إنك رديء المعيشة، لئيم الحسب، وأشباه ذلك مما ينتقصه به، ولعله خير منه عند الله.

وهو قوله: ﴿عسى أن يكونوا خيرا منهم﴾ [الحجرات: ١١] ، وقوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ [الحجرات: ١١] أي: لا تعيبوا إخوانكم الذين هم كأنفسكم، كقوله: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم﴾ [النساء: ٢٩] ، ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ [الحجرات: ١١] التنابز: التفاعل من النبز، وهو مصدر والنبز الاسم، والألقاب: جمع اللقب، وهو اسم غير الاسم الذي سمي به الإنسان، قال المفسرون: هو أن يقول لأخيه المسلم: يا فاسق يا منافق، أو يقول لمن أسلم: يا يهودي، يا نصراني.

(١) لطائف الإشارات = تفسير القشيري القشيري، عبد الكريم ٣/٤٤٣

(٢) الوجيز للواحدي الواحدي ص/١٠١٨

يدعوه بما كان عليه في الشرك، وقال عطاء: هو كل شيء أخرجت به أخاك عن الإسلام، كقوله: يا كلب، يا حمار، يا خنزير.

﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ [الحجرات: ١١] أي: بئس الاسم أن تقول له: يا يهودي، يا نصراني، وقد آمن، ﴿ومن لم يتب﴾ [الحجرات: ١١] من التنابز، ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ [الحجرات: ١١] .

قوله: ﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ [الحجرات: ١٢] قال الزجاج: هو أن تظن بأهل الخير سوءا، فأما أهل السوء، والفسق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم.

وقال المقاتلان: هو أن يظن بأخيه المسلم سوءا، ولا بأس به ما لم يتكلم به، فإن تكلم بذلك الظن،." (١)

"قال: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الرجل يزني ثم يتوب فيتوب الله عليه، وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبها» .

٨٦٧ - أخبرنا محمد بن إبراهيم الدركي، أنا أبو بحر محمد بن الحسن بن كوثر، نا أبو علي الحسن بن يزداد الراسي، نا محمد بن بشير، عن سليمان بن عمرو، حدثني أبو حازم، عن سهل بن سعد الساعدي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا اغتاب أحدكم أخاه من خلفه، فليستغفر له، فإن ذلك كفارة له»

٨٦٨ - حدثنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاء، أنا الإمام أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أنا محمد بن عبد الله بن سليمان، نا جعدية بن يحيي الليثي، عن العلاء بن بشير، عن سفيان الثوري، عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ليس لفاسق غيبة»

ثم ضرب للغيبة مثلا، فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قال الزجاج: تأويله: إن ذكرك بسوء من لم يحضرك، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

قال مجاهد: لما قيل لهم: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] قالوا: لا.

قيل: فكرهتموه أي: فكما كرهتم هذا، فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا.

ويقال للمغتاب: فلان يأكل لحوم الناس.

٨٦٩ - أخبرنا إسماعيل بن أبي القاسم، أنا أبو عمرو بن نجيد، نا جعفر بن محمد بن سوار، أنا قتيبة بن سعيد، نا يحيي بن زكريا، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، قال: مر عمرو بن العاص على بغل ميت، فقال: لأن يأكل أحدكم من هذا حتى يمتلئ جوفه خير له من أن يأكل من لحم رجل مسلم.

أخبرنا أبو بكر محمد بن عمر الخشاب، أنا إبراهيم بن عبد الله الأصبهاني، أنا محمد بن إسحاق السراج، نا قتيبة، عن مروان بن سالم القرشي، نا." (٢)

---

(١) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/١٥٥

(٢) التفسير الوسيط للواحدي الواحدي ٤/١٥٧

"قال مقاتل: ثم ضرب للغيبة مثلا فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ بقوله، فكما كرهتم أكل لحم الميت، فكذلك فاكرهوا الغيبة لإخوانكم (١).

وقال أبو إسحاق: تأويله: إن ذكرك بسوء من لم يحضرك بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحي بذلك، ويقال للمغتاب: فلان يأكل لحوم الناس (٢).

وهذا استفهام معناه: التقرير، كأنه قيل لهم: لم تحبون أكل لحم أخيكم ميتا؟ وعطف قوله (فكرهتموه) على معنى لفظ الاستفهام (٣)، كما قال: ﴿ألم نشرح لك صدرك (١) ووضعنا عنك وزرك﴾ [الشرح: ١، ٢] فقوله: ﴿ووضعنا﴾: عطف على معنى: ﴿ألم نشرح﴾ لا على لفظه، ألا ترى أنه لا يقال: ألم وضعنا، ولكن معنى (ألم نشرح) لا على لفظه ولكن معنى (ألم نشرح) قد شرحنا، فعطف على معناه، كذلك هذه الآية، قاله المبرد (٤) وقال الفراء: قوله: فكرهتموه أي: فقد كرهتموه فلا تفعلوه (٥).

قال صاحب "النظم": التأويل: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا

= جاء في "الغيبة" ٤/ ٣٢٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أبو داود في سننه في كتاب: الأدب باب (٤٠) في الغيبة ٥/ ١٩١، عن أبي هريرة، وأخرجه الطبري ١٣/ ١٣٧ عن أبي هريرة.

(١) انظر: "تفسير مقاتل" ٤/ ٩٦.

(٢) انظر: "معاني القرآن" للزجاج ٥/ ٣٧.

(٣) انظر: "روح المعاني" للألوسي ٢٦/ ١٥٨.

(٤) لم أقف عليه، وقد ذكر قريبا من هذا النحاس في "إعراب القرآن" ٤/ ٢١٥.

(٥) انظر: "معاني القرآن" للفراء ٣/ ٧٣.." [1]

"وقد كرهتم ذلك، أي: فاكرهوا الغيبة أيضا، فإنها مثل أكلكم لحوم أخوانكم (١).

وقال مجاهد: لما قيل لهم (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا؟)، قالوا: لا، فقيل: فكرهتموه أي: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا (٢)، وشرح أبو علي الفارسي هذا الوجه فقال: الفاء في قول: ﴿فكرهتموه﴾ عطف على المعنى، كأنه لما قيل لهم: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا، قالوا: لا، فقيل لهم لما قالوا لا: فكرهتموه، أي: كرهتم أكل لحمه ميتا، فكذلك فاكرهوا غيبته (٣).

قوله: ﴿واتقوا الله﴾ معطوف على هذا الفعل المقدر، ولا يكون قوله (فكرهتموه) بمعنى فاكرهوه واتقوا الله؛ لأن لفظ الخبر لا يوضع للأمر في كل موضع، ولأن قوله فكرهتموه محمول على المعنى الذي ذكرنا، فمعنى الخبر فيه صحيح (٤).

قال مقاتل: واتقوا الله في الغيبة ﴿إن الله تواب﴾ علي من تاب ﴿رحيم﴾ به (٥).

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦١/٢٠

١٣ - قوله: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ نزلت هذه الآية في الزجر عن التفاخر بالإنساب والتكاثر بالأموال والازدراء بالفقراء، وسبب

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) أخرج نحوه الطبري ١٣/ ٣٧٣ عن مجاهد، وانظر: "تفسير مجاهد" ص ٦١٢ ، وأورده البغوي ٧/ ٣٤٦ بهذا النص.

(٣) انظر: "الحجة" لأبي علي ٦/ ٢١٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) انظر: "تفسير مقاتل" ٤/ ٩٦.." [1]

"أحدهما للآخر: والله لو أرسلناه إلى سميحة أو سميحة، وهي بئر ذات ماء كثير، لقال: ليس فيها ماء، فهذه عيبتهما، ثم إن الفقير أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدى الرسالة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

انطلق (١) إلى أسامة بن زيد، وكان أسامة يحفظ طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتاه فلم يجد عنده شيئا، فرجع إلى صاحبيه وأخبرهما بالقصة، فاتهما أسامة بن زيد وقالا: هو رجل بخيل، (٢٩٩ و) أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعط، فهذا ظنهما الذي هو الإثم، ثم إن الرجلين راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزل الله هذه الآية: ﴿إن بعض الظن إثم،﴾ (٢) لحلوله محل الاعتقاد الفاسد.

﴿أن يأكل لحم أخيه ميتا:﴾ لأن المغتاب ينال من أخيه في حال لا يمكنه الامتناع كالذي يأكل لحم أخيه ميتا. (٣)

١٣ - ﴿شعوبا:﴾ وهي الأجيال التي تشعبت من أولاد نوح عليه السلام. [والشعب:

الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب، وهي: الشعب، والقبيلة، والعمارة، والبطن، والفخذ، والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاد، والفخذ يجمع الفضائل، خزيمة شعب، وكنانة قبيلة، وقريش عمارة، وقصي بطن، وهاشم فخذ، والعباس فصيلة، وسميت الشعوب قبائل؛ لأن القبائل تشعبت منها. (٤)] (٥)

﴿وقبائل:﴾ هي البيوت من كل جيل.

والآية نزلت في ثابت بن قيس. (٦) وعن ابن عباس قال: ما تعدون الكرام فيكم وقد بين الله: ﴿أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ وما تعدون الحسب فيكم؟ أحسنكم أخلاقا أكرمكم إحسانا، فقال عليه السلام: «لينتهين رجال يفتخرون برجال من الجاهلية قد صاروا حمما في النار، أو ليجعلنهم الله أذل من الجعل يدفع النتن بأنفه» (٧). وقيل: الفخر بالهمم العالية لا

---

(١) ع: انطق.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٦٢/٢٠

(٢) ينظر: تفسير البغوي ٧/ ٣٤٤، وتفسير القرطبي ١٦/ ٣٣١.

(٣) ينظر: زاد المسير ٧/ ٢٢٨.

(٤) الكشاف ٤/ ٣٧٧ - ٣٧٨.

(٥) ما بين المعقوفتين موجود في حاشية الأصل، وبالخط نفسه الذي كتب به الأصل، وأظنه من الأصل، ولذلك كتبته في الأصل، وأشرت إليه لأني لم أجده في النسخ الأخرى، والله أعلم.

(٦) ينظر: تفسير مبهمات القرآن ٢/ ٥٣٠.

(٧) أخرج الجزء الأخير منه أحمد في المسند ٢/ ٣٦١، وأبو داود في السنن (٥١١٦)، والبيهقي في السنن ١٠/ ٢٣٢ عن أبي هريرة.." [(١)]

"من الأغنياء ليخدمهما ولينفقا عليه، فهذان الرجلان قدما صحبهما في سفر ليهيىء لهما المنزل والطعام فغلبه النوم فلم يفعل شيئا مما أمراه به، فأرسلاه إلى النبي -عليه السلام- ليسأله فضل طعام، فلما غاب قال أحدهما للآخر: والله لو أرسلناه إلى سميحة أو سميحة - وهي بئر ذات ماء كثير - لقال ليس فيها ماء فهذه عيبتهما.

ثم إن الفقير أتى رسول الله -عليه السلام- (١) وأدى الرسالة فقال رسول الله (٢): "انطلق إلى أسامة بن زيد" وكان أسامة بن زيد يحفظ طعام رسول الله (٢)، فأتاه فلم يجد عنده شيئا، فرجع إلى صاحبيه وأخبرهما بالقصة، فأتاهما أسامة بن زيد وقالا: هو رجل بخيل أمره رسول الله ولم يعط فهذا ظنهما الذي هو الإثم، ثم إن الرجلين راحا إلى رسول الله (٢) وقد أنزل الله هذه الآية (٣) ﴿إن بعض الظن إثم﴾ لحلوله محل الاعتقاد الفاسد ﴿أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ لأن المغتاب ينال من أخيه في حال لا يمكنه الامتناع كالذي يأكل لحم أخيه ميتا.

﴿شعوبا﴾ وهي الأجيال التي تشعبت من أولاد نوح -عليه السلام- ﴿وقبائل﴾ هي البيوت من كل جيل، والآية نزلت في ثابت بن قيس (٤).

وعن ابن عباس قال: ما تعدون الكرام فيكم وقد بين الله أكرمكم عند الله أتقاكم، وما تعدون الحسب فيكم أحسنكم أخلاقا أكرمكم إحسانا (٥)، وقال -عليه السلام- (٦): "لينتهين رجال يفتخرون برجال من رجال الجاهلية قد صاروا حمما في النار ويجعلنهم الله أذل من الجعل يدفع النتن بأنفه" (٧) وقيل: الفخر بالهمم العالية لا بالرمم البالية.

---

(١) (السلام) ليست في "ي"، وفي "ب": (رسول الله - صلى الله عليه وسلم -).

(٢) في "ب": (رسول الله - صلى الله عليه وسلم -).

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٣١).

(٤) ابن الجوزي في "زاد المسير" (٧/ ٤٦٥).

(٥) "الأدب المفرد" (٨٩٩) والحديث صحيح.

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الفكر الجرجاني، عبد القاهر ٢/٥٨٥

(٦) (السلام) ليست في "ي" وفي "ب": (رسول الله – صلى الله عليه وسلم –).

(٧) أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥)، وأحمد (١/ ٣٠١) والحديث حسن.." (١)

"﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم﴾

وقد ورد في الأخبار: " أنه ليس لفاسق غيبة ".

وقال: " اذكروا الفاجر بما فيه، يحذره الناس "

قال أهل العلم: ليس لثلاثة غيبة: السلطان الظالم، والفاسق المعلن، والذي أحدث في الإسلام حدثا يعني: المبتدع.

وكذلك قال أهل العلم: إذا سأل إنسان إنسانا لغرض له صحيح، فلا بأس أن يذكر ما فيه. والغيبة مأخوذة من الغيب؛ كأنه لما ذكره بظهر الغيب بما يسوءه كان ذكره له غيبة. وقد كان السلف يحترزون أشد الاحتراز من مثل هذا. روي أن طبيبين دخلا على ابن سيرين، فلما خرجا قال: لولا أن يكون غيبة لذكرت أيهما أطب. وعن معاوية بن قرة قال: لو دخل عليك رجل أقطع فقلت: هذا الأقطع يعني: بعد ما خرج كنت قد اغتبته، قال أبو إسحاق: صدق يعني: السبيعي وقال أهل العلم: إذا قال فلان الأعمش أو فلان الأعور أو فلان البطين [يريد] بذلك تعريفه،." (٢)

"﴿عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم﴾ ولا يعرف إلا به، لا بأس به. وكان بعض أئمة الحديث إذا روي عن مسلم البطين يقول: حدثنا مسلم، وأشار بيديه إلى كبر البطن.

وذكر ابن سيرين إبراهيم النخعي ووضع يده على عينه وكان إبراهيم أعور فقال: رأيته تلك المشاهدة، وما خلف بعده مثله.

وقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ أي: كما يكره أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** وهو ميت، فكذلك فليكره أن يذكره بالسوء وهو غائب، فإن قال قائل: أيش التشابه بينهما في المعنى؟ والجواب: أنه إذا أكل لحمه وهو ميت فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به، وإذا ذكره بالسوء بظهر الغيب فقد هتك حرمته، وهو لا يشعر به. وعن عمرو بن العاص أنه مر على حمار ميت فقال: لأن يملأ أحدكم جوفه من هذا اللحم خير له من أن يغتاب أخاه. ويقال للمغتاب في اللغة: فلان يأكل لحوم الناس: وأنشد في التفسير في هذا المعنى:

(فإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا)

وقوله: ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ أي: قابل التوبة عن خلقه عطوف بهم.." (٣)

"والمحظور: ظن السوء، وهو قوله: (إن بعض الظن إثم)

مقاتل: إنما يكون إثما إذا تكلم بما ظنه، فإن لم يتكلم به فلا

---

(١) درج الدرر في تفسير الآي والسور ط الحكمة الجرجاني، عبد القاهر ١٥٦١/٤

(٢) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٢٢٧/٥

(٣) تفسير السمعاني السمعاني، أبو المظفر ٢٢٨/٥

يكون إثما. والمندوب إليه: هو الحزم، قال عليه السلام: " الحزم سوء الظن "

والمباح: قيل: ما يقع من الشك في القبلة والصوم والصلاة، فأمر صاحبه بالبناء على غلبة الظن فيه، فلما انقسم هذا الانقسام قال الله سبحانه (كثيرا من الظن) ولم يقل اجتنبوا الظن مطلقا، ثم قال (إن بعض الظن إثم) .

الغريب: قال الشيخ الإمام: يحتمل أن المعنى احترزوا من الكثير ليحصل التحرز عن البعض.

قوله: (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه)

أي بل كرهتموه وعافته نفوسكم.

الغريب: كرهتم أكل لحمه ميتا طبعا فاكرهوا غيبته عقلا، لأن داعي العقل أولى بالاتباع من داعي الطبع، لأن داعي الطبع أعمى جاهل، وداعي العقل بصير عالم وكلاهما في صفة الناصح.

العجيب: "الفاء" في "فكرهتموه" متصل بمضمر هو جواب هذا السؤال، لأن الجواب يقتضي أن يقال: لا، وقيل: معناه كرهتم أن يغتابوا فلا تغتابوا، و "ميتا" حال من الأخ.

الغريب: حال من اللحم.

قوله: (شعوبا وقبائل) .

الشعوب، جمع شعب - بالفتح -، وعن الزبير بن بكار، قال:." (١)

"تشاء بالإيمان والهداية، وتذل من تشاء بالكفر والضلالة، وقيل تعز من تشاء بالطاعة وتذل من تشاء بالمعصية، وقيل تعز من تشاء بالنصر وتذل من تشاء بالقهر، وقيل تعز من تشاء بالغنى وتذل من تشاء بالفقر، وقيل تعز من تشاء بالقناعة والرضى وتذل من تشاء بالحرص والطمع ﴿بيدك الخير﴾ أي بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما قال تعالى: " سرابيل تقيكم الحر " (٨١ -النحل) أي الحر والبرد فاكتفى بذكر أحدهما ﴿إنك على كل شيء قدير﴾

﴿تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧) ﴾

قوله تعالى ﴿تولج الليل في النهار﴾ أي تدخل الليل في النهار حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ﴿وتولج النهار في الليل﴾ حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة والنهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر ﴿وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم "الميت" بتشديد الياء

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ١١٢٤/٢

هاهنا وفي الأنعام ويونس والروم وفي الأعراف "لبلد ميت" وفي فاطر "إلى بلد ميت" زاد نافع " أو من كان ميتا فأحييناه " (١٢٢ -الأنعام) و" لحم أخيه ميتا " (١٢ -الحجرات) و" الأرض الميتة أحييناها " (٣٣ -يس) فشددها، والآخرون يخففونها، وشدد يعقوب " يخرج الحي من الميت " "لحم أخيه ميتا" قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: معنى الآية: يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان.

وقال عكرمة والكلبي: يخرج الحي من الميت أي الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير، وقال الحسن وعطاء. يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، فالمؤمن حي الفؤاد، والكافر ميت الفؤاد قال الله تعالى: " أو من كان ميتا فأحييناه " (١٢٢ -الأنعام) وقال الزجاج: يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي النامي ﴿وترزق من تشاء بغير حساب﴾ من غير تضييق [ولا تقتير] (١) .

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد الحنفي، أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أنا أبو جعفر عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم الهاشمي، أنا محمد بن علي بن زيد الصائغ، أنا محمد بن أبي الأزهر، أنا الحارث بن عمير، أنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما قال: قال

---

(١) في ب ولا تعسير.." (١)

"قوله تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم﴾ أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، ﴿وإن أطعتموهم﴾ في أكل الميتة، ﴿إنكم لمشركون﴾ قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

﴿أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون (١٢٢) ﴾

قوله عز وجل: ﴿أومن كان ميتا فأحييناه﴾ قرأ نافع " ميتا " و (لحم أخيه ميتا) (الحجرات، ١٢) و (الأرض الميتة أحييناها) (سورة يس، ٣٣) بالتشديد فيهن، والآخرون بالتخفيف ﴿فأحييناه﴾ أي: كان ضالا فهديناه، كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان، ﴿وجعلنا له نورا﴾ يستضيء به، ﴿يمشي به في الناس﴾ على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام، لقوله تعالى "يخرجهم من الظلمات إلى النور" (البقرة، ٢٥٧) ، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمن، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، ﴿كمن مثله في الظلمات﴾ المثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ﴿ليس بخارج منها﴾ يعني: من ظلمة الكفر.

قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما، قال ابن عباس: جعلنا له نورا، يريد حمزة بن عبد المطلب، كمن مثله في الظلمات يريد أبا جهل بن هشام، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث، فأخبر

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٢٤/٢

حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى علا أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقول: يا أبا يعلى أما ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله هذه الآية (١) .

وقال الضحاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل (٢) .

---

(١) انظر: أسباب النزول للواحدي ص (٢٥٧-٢٥٨) ، وذكر قصة إسلام حمزة: ابن هشام في السيرة ١ / ٢٩١-٢٩٢، والحاكم في المستدرك: ٣ / ١٩٢ ولم يذكرا أن الآية نزلت في هذا.

(٢) تفسير الطبري: ١٢ / ٨٩، أسباب النزول ص (٢٥٨) ، الدر المنثور: ٣ / ٣٥٢.." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيئ لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضم سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام فلم يهيئ لهما شيئا، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئا؟ قال: لا غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطلب لنا منه طعاما، فجاء سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأله طعاما، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: انطلق إلى أسامة بن زيد، وقل له: إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك، وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا كان عند أسامة طعام ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا، فلما رجع قالا لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فلما جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: "مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما"، قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما، قال: بل ظللتم تأكلون لحم سلمان." (٢)

"لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه.

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، ١٣٦/ب وإن لم يكن فيه ما تقول

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ١٨٤/٣

(٢) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤٤/٧

فقد بهته". (١)

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو الطاهر الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا: لا يأكل حتى يطعم، ولا يرحل حتى يرحل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغتبتموه" فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: "حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه" (٢) .

قوله عز وجل: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ قال مجاهد: لما قيل لهم "أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا" قالوا: لا قيل: ﴿فكرهتموه﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا.

قال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا الفريابي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، حدثني صفوان بن عمرو، حدثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير، عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم" (٣)

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم (٢٥٨٩) : ٤ / ٢٠٠١، والمصنف في شرح السنة: ١٣ / ١٣٨-١٣٩.

(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب: ٣ / ٥٠٦: "رواه الأصبهاني بإسناد حسن".

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة: ٧ / ٢١٣ وقال المنذري: "وذكر أن بعضهم رواه مرسلا"، والإمام أحمد: ٣ / ٢٢٤. قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤ / ٢١٥ بعد أن ساق الحديث: "تفرد به أبو داود".." [(١)]

"الكلبي: تؤتي الملك من تشاء: محمدا وأصحابه، وتنزع الملك ممن تشاء أبي جهل وصناديد قريش، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: العرب، وتنزع الملك ممن تشاء: فارس والروم، وقال السدي: تؤتي الملك من تشاء، آتى الله الأنبياء عليهم السلام الملك وأمر العباد بطاعتهم، وتنزع الملك ممن تشاء، نزعه من الجبارين، وأمر العباد بخلافهم، وقيل: تؤتي الملك من تشاء: آدم وولده، وتنزع الملك ممن تشاء: إبليس وجنوده، وقوله تعالى: وتعز من تشاء وتذل من تشاء، قال عطاء: وتعز من تشاء: المهاجرين والأنصار، وتذل من تشاء: فارس والروم، وقيل: تعز من تشاء محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه، حين [١] دخلوا مكة في عشرة آلاف ظاهرين عليها [قهرا على أهلها] [٢] ، وتذل من تشاء أبا جهل وأصحابه، حتى جزت رؤوسهم وألقوا في القليب، وقيل: تعز من تشاء: بالإيمان والهداية [ودخول الجنة] [٣] . وتذل من تشاء: بالكفر والضلالة [ودخول النار] [٤] ، [وقيل تعز من تشاء بالطاعة، وتذل من تشاء بالمعصية] [٥] ، وقيل: تعز من تشاء بالنصر، وتذل

---

(١) تفسير البغوي - طيبة البغوي ، أبو محمد ٣٤٦/٧

من تشاء بالقهر، وقيل: تعز من تشاء بالغنى، وتذل من تشاء بالفقر، وقيل: تعز من تشاء بالقناعة والرضى، وتذل من تشاء بالحرص والطمع، بيدك الخير، أي: بيدك الخير والشر فاكتفى بذكر أحدهما. قال تعالى: سرابيل تقيكم الحر [النحل: ٨١] ، أي: الحر والبرد، فاكتفى بذكر أحدهما. إنك على كل شيء قدير.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٢٧]

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)

قوله تعالى: تولج الليل في النهار، أي: تدخل الليل في النهار، حتى يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات، وتولج النهار في الليل، حتى يكون الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات، فما نقص من أحدهما زاد في الآخر، وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء هاهنا وفي الأنعام ويونس والروم [٦] ، وفي الأعراف: لبلد ميت [الأعراف: ٥٧] ، وفي فاطر: إلى بلد ميت [فاطر: ٩] ، زاد نافع: أومن كان ميتا فأحييناه [الأنعام: ١٢٢] ، **ولحم أخيه** ميتا [الحجرات: ١٢] والأرض الميتة أحييناها [يس: ٣٣] فيشددها والآخرون يخففونها وشدد يعقوب وتخرج الحي من الميت **ولحم أخيه** ميتا [الحجرات: ١٢] ، قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة: معنى الآية: يخرج الحيوان من النطفة وهي ميتة، ويخرج النطفة من الحيوان، [وهو حي] [٧] ، وقال عكرمة والكلبي: يخرج الحي من الميت، أي: الفرخ من البيضة ويخرج البيضة من الطير، وقال الحسن وعطاء: يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن، فالمؤمن حي الفؤاد والكافر ميت الفؤاد، قال الله تعالى: أومن كان ميتا فأحييناه [الأنعام: ١٢٢] ، وقال الزجاج: يخرج النبات الغض الطري من الحب اليابس، ويخرج الحب اليابس من النبات الطري [٨] النامي.

---

(١) في المطبوع «حتى» .

(٢) زيادة عن المخطوط.

(٣) زيادة عن المخطوط.

(٤) زيادة عن المخطوط.

(٥) ما بين المعقوفتين سقط من المخطوط.

(٦) الأنعام: ٩٥ ويونس: ٣١ والروم: ١٩.

(٧) زيادة عن المخطوط.

(٨) في المطبوع «الحي» .." (١)

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٤٢٦/١

"محمد بن إسماعيل ثنا يوسف بن موسى ثنا أبو خالد الأحمر قال: سمعت هشام بن عروة يحدث عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها، قالت: إن قوما قالوا: يا رسول الله إن هنا أقواما حديث [١] عهدهم بشرك يأتون بلحمان لا ندري يذكرون اسم الله عليها أم لا؟ قال: «اذكروا أنتم اسم الله وكلوا» .

ولو كانت التسمية شرطا للإباحة لكان الشك في وجودها مانعا من أكلها كالشك في أصل الذبح.

قوله: وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم، أراد أن الشياطين ليوسوسون إلى أوليائهم من المشركين ليجادلوكم، وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد أخبرنا عن الشاة إذا ماتت من قتلها؟ فقال: الله قتلها، قالوا: أفتزعم أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتله الكلب والصقر [٢] حلال، وما قتله الله حرام؟ فأنزل الله هذه الآية، وإن أطعتموهم، في أكل الميتة، إنكم لمشركون، قال الزجاج: وفيه دليل على أن من أحل شيئا مما حرم الله أو حرم ما أحل الله فهو مشرك.

قوله: أومن كان ميتا فأحييناه، قرأ نافع ميتا **ولحم أخيه** ميتا [الحجرات: ١٢] والأرض الميتة أحييناها [يس: ٣٣] ، بالتشديد فيهن، وقرأ الآخرون بالتخفيف فأحييناه، أي: كان ضالا فهديناه، كان ميتا بالكفر فأحييناه بالإيمان، وجعلنا له نورا، يستضيء به، يمشي به في الناس، على قصد السبيل، قيل: النور هو الإسلام لقوله تعالى: يخرجهم من الظلمات إلى النور [البقرة: ٢٥٧] ، وقال قتادة: هو كتاب الله بينة من الله مع المؤمنين، بها يعمل وبها يأخذ وإليها ينتهي، كمن مثله في الظلمات، المثل صلة، أي: كمن هو في الظلمات، ليس بخارج منها، يعني: من ظلمة الكفر، قيل: نزلت هذه الآية في رجلين بأعيانهما، ثم اختلفوا فيهما.

«٨٩٠» قال ابن عباس: وجعلنا له نورا، يريد حمزة بن عبد المطلب، كمن مثله في الظلمات، يريد أبا جهل بن هشام، وذلك أن أبا جهل رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم بفرث، فأخبر حمزة بما فعل أبو جهل وهو راجع من قنصه وبيده قوس، وحمزة لم يؤمن بعد، فأقبل غضبان حتى (رمى) أبا جهل بالقوس وهو يتضرع إليه، ويقول: يا أبا عمارة [٣] أما ترى ما جاء به؟ سفه عقولنا وسب آلهتنا وخالف آباءنا، فقال حمزة: ومن أسفه منكم؟ تعبدون الحجارة من دون الله أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فأنزل الله هذه الآية.

وقال الضحاك: نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل. وقال عكرمة والكلبي: نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل. كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون، من الكفر والمعصية. قال ابن عباس: يريد زين لهم الشيطان عبادة الأصنام.

[سورة الأنعام (٦) : الآيات ١٢٣ الى ١٢٤]

وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها وما يمكرون إلا بأنفسهم وما يشعرون (١٢٣) وإذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله الله أعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون (١٢٤)

وأخرجه مالك في «الموطأ» (٢/ ٤٨٨) من طريق هشام بن عروة عن أبيه مرسلا.

٨٩٠- باطل. ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٤٥٠ عن ابن عباس بهذا السياق، بدون إسناد. فهو باطل، لا أصل

له، وهو من بدع التأويل.

(١) في المطبوع «حديثا» .

(٢) زيد في المطبوع وحده «والفهد» .

(٣) في المطبوع والمخطوط «يعلى» وهو خطأ، تبع المصنف رحمه الله بذلك الواحدي في «أسباب النزول» والمثبت هو الصواب.." (١)

"وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذي ذكرناهم، كانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم أي رجال من رجال، والقوم اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن.

روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين عيرن أم سلمة بالقصر [١] .

«٢٠٠٤» وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء:

يهودية بنت يهوديين.

ولا تلمزوا أنفسكم، أي لا يعب بعضكم بعضا، ولا يطعن بعضكم على بعض، ولا تنابزوا بالألقاب، التنابز التفاعل من النبز وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سمي به. قال عكرمة:

هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر. وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنهوا عنه ذلك. قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير.

وروي عن ابن عباس: قال: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف عن عمله، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، أي بئس الاسم أن يقول يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ومن لم يتب، من ذلك، فأولئك هم الظالمون.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن.

«٢٠٠٥» قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ١٥٦/٢

٢٠٠٤- ذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٤ عن عكرمة عن ابن عباس به معلقا بدون إسناد.
- وأخرج الترمذي ٣٨٩٤ وابن حبان ٧٢١١ وعبد الرزاق في «المصنف» ٢٠٩٢١ وأحمد ٦/ ١٣٥- ١٣٦ عن أنس قال: «بلغ صفية أن حفصة قالت لها: ابنة يهودي، فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم، وما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي، وإن عمك لنبي، وإنك لتحت نبي، فبم تفخر عليك، ثم قال: اتق الله يا حفصة» .
- وإسناده على شرط الشيخين، لكن ليس فيه ذكر نزول الآية كما ترى.
- فهذا الذي صح في شأن صفية، وذكر نزول الآية لا يصح.
٢٠٠٥- ضعيف جدا. ذكره ابن كثير في «تفسيره» ٤/ ٢٥٤ ونسبه للسدي بدون ذكر الإسناد، وهذا معضل، وكذا ذكره السيوطي في «الدر» ٦/ ١٠٢ ونسبه لابن أبي حاتم عن السدي، ومع إرساله السدي عنده مناكير.
- وقال الحافظ في «تخريج الكشاف» ٤/ ٣٧٤: ذكره الثعلبي وربيعة، بغير سند ولا راو.
(١) في المخطوط (ب) «في» .." (١)

"«٢٠٠٩» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا أبو الطاهر الحارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا: لا يأكل حتى يطعم، ولا يرحل حتى يرحل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اغتبتموه، فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه» .
قوله عز وجل: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه، قال مجاهد: لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا: لا، قيل: فكرهتموه أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الزجاج: تأويله: إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه [١] وهو ميت لا يحس بذلك.
«٢٠١٠» أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه ثنا ابن أبي شيبة ثنا الفريابي ثنا محمد بن المصفى [٢] ثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج حدثني صفوان بن عمرو ثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون [٣] بها وجوههم ولحومهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» .
قال ميمون بن سياه [٤] : بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول: كل، قلت: يا عبد الله ولم آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، فقلت: والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا، قال لكنك استمعت ورضيت به، فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب عنده أحدا.
واتقوا الله إن الله تواب رحيم.

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٤/٢٦١

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٣]

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، الآية.

٢٠٠٩- ضعيف. إسناده ضعيف لضعف المثنى بن الصباح.

- شعيب هو ابن محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص.

- وهو في «شرح السنة» ٣٤٥٦ بهذا الإسناد.

- وهو في «الزهد» لابن المبارك ٧٠٥ عن المثنى بن الصباح بهذا الإسناد.

- وأخرجه الأصبهاني في «الترغيب» ٢٢٣٥ من طريق ابن المبارك به.

٢٠١٠- إسناده حسن لأجل محمد بن مصفى، فإنه صدوق، وهو مدلس، لكن صرح بالتحديث، ومن فوقه ثقات.

- وأخرجه أبو داود ٤٨٧٨ ومن طريقه البيهقي في «الشعب» ٦٧١٦ عن ابن المصفى بهذا الإسناد.

(١) في المطبوع «لحم أخيك» والمثبت عن المخطوط.

(٢) في المطبوع «المصطفى» والمثبت عن «سنن أبي داود» والمخطوط.

(٣) في المطبوع «يخشمون» والمثبت عن المخطوط.

(٤) في المطبوع «سيار» والمثبت عن كتب التراجم.." (١)

"هذه الجرائر «١» أن يذكروا بالفسق. وفي قوله بعد الإيمان ثلاثة أوجه: أحدها استقباح الجمع بين الايمان وبين الفسق الذي يأباه الإيمان ويحظره، كما تقول: بئس الشأن بعد الكبرة الصبوة «٢» . والثاني: أنه كان في شتائمهم لمن أسلم من اليهود: يا يهودى يا فاسق، فنهوا عنه، وقيل لهم: بئس الذكر أن تذكروا الرجل بالفسق واليهودية بعد إيمانه، والجملة على هذا التفسير متعلقة بالنهى عن التنابز. والثالث: أن يجعل من فسق غير مؤمن، كما تقول للمتحول عن التجارة إلى الفلاحة: بئست الحرفة الفلاحة بعد التجارة.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه، وحقيقته: جعله منه في جانب، فيعدى إلى مفعولين.

قال الله عز وجل واجنبني وبني أن نعبد الأصنام ثم يقال في مطاوعه: اجتنب الشر فتقص المطاوعة مفعولا، والمأمور باجتنابه

---

(١) تفسير البغوي - إحياء التراث البغوي ، أبو محمد ٢٦٤/٤

هو بعض الظن، وذلك البعض موصوف بالكثرة: ألا ترى إلى قوله إن بعض الظن إثم؟ فإن قلت: بين الفصل بين كثيرا، حيث جاء نكرة وبينه لو جاء معرفة. قلت: مجيئه نكرة يفيد معنى البعضية، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز بين حقه وباطله بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر، ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل، ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا، وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه. والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها: أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة وسبب ظاهر: كان حراما واجب الاجتناب، وذلك إذا كان المظنون

---

(١) . قوله «هذه الجرائر» جمع جريرة، وهي الجناية. أفاده الصحاح. (ع)

(٢) . قوله «بعد الكبرة الصبوة» الكبرة- بالفتح-: اسم للكبر في السن. والصبوة: الميل إلى الجهل والفتوة. أفاده الصحاح. (ع)." [1]

"وقرأ ابن سيرين وزيد بن ثابت وابن مسعود والحسن وعاصم الجحدري وحماد بن سلمة: «بين إخوانكم» . وهي حسنة. لأن الأكثر من جمع الأخ في الدين ونحوه من النسب إخوان. والأكثر في جمعه من النسب إخوة وإخاء. قال الشاعر: [الطويل]

وجدتم أخاكم دوننا إذ نسيتم ... وأي بني الإخاء تنبو مناسبه

وقد تتداخل هذه الجموع في كتاب الله. فمنه: إنما المؤمنون إخوة أو بيوت إخوانكم فهذا جاء على الأقل من الاستعمال. قوله عز وجل:

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٢]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

هذه الآيات والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية. وذلك لأنهم كانوا يجرون مع الشهوات نفوسهم لم يقومهم أمر من الله ولا نهي. فكان الرجل يسطو ويهمز ويلمز وينبز بالألقاب ويظن الظنون.

فيتكلم بها. ويغتاب ويفتخر بنسبه إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة. فنزلت هذه الآية تأديبا لأمة محمد صلى الله عليه وسلم. وذكر بعض الناس لهذه الآيات أسبابا. فمما قيل: إن هذه الآية: لا يسخر قوم نزلت بسبب عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه كان يمشي بالمدينة مسلما، فقال له قوم: هذا ابن فرعون هذه الأمة، فعز ذلك عليه وشكاه إلى رسول الله

---

(١) تفسير الزمخشري = الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل الزمخشري ٣٧١/٤

صلى الله عليه وسلم.

وقال القاضي أبو محمد: والقوي عندي أن هذه الآية نزلت تقويما كسائر أمر الشرع ولو تتبعت الأسباب لكانت أكثر من أن تحصى.

و: يسخر معناه: يستهزىء. والهزء إنما يترتب متى ضعف امرؤ إما لصغر وإما لعلة حادثة، أو لرزية أو لنقيصة يأتيها، فنهي المؤمنون عن الاستهزاء في هذه الأمور وغيرها نهيا عاما، فقد يكون ذلك المستهزأ به خيرا من الساخر، والقوم في كلام العرب: واقع على الذكران، وهو من أسماء الجمع:

كالرهط والنفر. وقول من قال: إنه من القيام أو جمع قائم ضعيف، ومنه قول الشاعر وهو زهير: [الوافر]

وما أدري وسوف إخال أدري ... أقوم آل حصن أم نساء

وهذه الآية أيضا تقتضي اختصاص القوم بالذكران، وقد يكون مع الذكران نساء فيقال لهم قوم على تغليب حال الذكور، ثم نهى تعالى النساء عما نهى عنه الرجال من ذلك.." (١)

"الله. والغيبة مشتقة من غاب يغيب. وهي القول في الغائب واستعملت في المكروه. ولم يبح في هذا المعنى إلا ما تدعو الضرورة إليه من تجريح في الشهود وفي التعريف لمن استنصح في الخطاب ونحوهم لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أما معاوية فصعلوك لا مال له» . وما يقال في الفسقة أيضا وفي ولاة الجور ويقصد به التحذير منه. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أعن الفاجر ترعون؟ اذكروا الفاجر بما فيه حتى يعرفه الناس إذا لم تذكروه» ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «بئس ابن العشيرة» . ثم مثل تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم الميت، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم. فمنه قول الشاعر [سويد بن أبي كاهل اليشكري] : [الرمل]

فإذا لاقيته عظمني ... وإذا يخلو له لحمي رتع

ويروى فيحييني إذا لاقيته.

ومنه قول الآخر: [المقنع الكندي] .

وإن أكلوا لحمي وفرت لحومهم ... وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدا

فوقفهم الله تعالى على جهة التوبيخ بقوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فالجواب عن هذا: لا. وهم في حكم من يقولها. فخوطبوا على أنهم قالوا لا. فقيل لهم: فكرهتموه وبعد هذا مقدر تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك. وعلى هذا المقدر يعطف قوله: واتقوا الله قاله أبو علي الفارسي. وقال الرماني: كراهية هذا اللحم يدعو إليها الطبع. وكراهية الغيبة يدعو إليها العقل. وهو أحق أن يجاب. لأنه بصير عالم. والطبع أعمى جاهل.

وقرأ الجمهور: «ميتا» بسكون الياء. وقرأ نافع وابن القعقاع وشيبة ومجاهد: «ميتا» بكسرها والشد.

وقرأ أبو حيوة: «فكرهتموه» بضم الكاف وشد الراء.

ورواها أبو سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم. ثم أعلم بأنه تواب رحيم إبقاء منه تعالى وإمهالا وتمكينا من التوبة.

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٤٩/٥

قوله عز وجل:

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١٣ الى ١٤]

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)

قوله تعالى: من ذكر وأنثى يحتمل أن يريد آدم وحواء. فكأنه قال: إنا خلقنا جميعكم من آدم وحواء. ويحتمل أن يريد الذكر والأنثى اسم الجنس. فكأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ماء ذكر وماء أنثى. وقصد هذه الآية التسوية بين الناس. ثم قال تعالى: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا أي لئلا تفاخروا ويريد بعضكم أن يكون أكرم من بعض. فإن الطريق إلى الكرم غير هذا: إن أكرمكم عند الله أتقاكم وروى أبو بكرة: قيل يا رسول الله: من خير الناس؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله» . وفي." [1]

"٢٩: محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم: أشداء ... رحماء: الحسن: ٥/ ١٤١ ٢٩: ورضوانا: ورضوانا: عمرو بن عبيد: ٥/ ١٤١ ٢٩: سيماهم في وجوههم من أثر السجود: من إثر: الأعرج: ٥/ ١٤١ من آثار: قتادة: ٥/ ١٤١ ٢٩: كزرع أخرج شطأه: شطاه: عيسى بن عمر: ٥/ ١٤٢ شطه: أبو جعفر: ٥/ ١٤٢ شطاء: عيسى: ٥/ ١٤٢ شطوه: الجحدري: ٥/ ١٤٢ ٢٩: على سوقه: - سوقه: ابن كثير: ٥/ ١٤٢

٤٩- سورة الحجرات

١: يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا: لا تقدموا: ابن عباس- الضحاك- يعقوب: ٥/ ١٤٤ ٢: أن تحبط أعمالكم: فتحبط أعمالهم: ابن مسعود: ٥/ ١٤٥ ٤: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات: الحجرات: أبو جعفر: ٥/ ١٤٦ ٦: إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا: فتثبتوا: الحسن- ابن وثاب- طلحة- الأعمش- عيسى: ٥/ ١٤٧ ١٠: بين أخويكم: بين إخوتكم: ابن عامر- الحسن: ٥/ ١٤٨ بين إخوانكم: ابن سيرين- زيد بن ثابت- ابن مسعود- الحسن- عاصم- الجحدري- حماد بن سلمة: ٥/ ١٤٩ ١١: عسى أن يكونوا: عسى أن يكن: أبي بن كعب- ابن مسعود: ٥/ ١٥٠ ١١: ولا تلمزوا أنفسكم: تلمزوا: الأعرج: ٥/ ١٥٠ ١٢: ولا تجسسوا: ولا تحسسوا: الحسن- أبو رجاء- ابن سيرين- الهذليون: ٥/ ١٥١ ١٢: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا: ميتا: نافع- ابن القعقاع- شيبة- مجاهد: ٥/ ١٥٢ ١٢: فكرهتموه: فكرهتموه: أبو حيوة: ٥/ ١٥٢ ١٣: لتعارفوا: لتتعارفوا: الأعمش: ٥/ ١٥٣ لتعارفوا بينكم: ابن مسعود: ٥/ ١٥٣." [2]

---

(١) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٥٢/٥

(٢) تفسير ابن عطية = المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ابن عطية ١٠٥/٦

"﴿أن فيكم رسول الله﴾ أي إن كذبتم أخبره الله فتفتضحوا ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر﴾ أي مما تخبرونه فيه بالباطل ﴿لعنتم﴾ أي لوقعتم في ضرر وفساد

١١ - ﴿لا يسخر قوم﴾ أي لا يستهزىء غني بفقير ولا مستور الذنب بمن لم يستر ﴿ولا تلمزوا﴾ أي تعيبوا ﴿أنفسكم﴾ أي إخوانكم من المسلمين ﴿ولا تنابزوا﴾ أي تداعوا ﴿بالألقاب﴾ وهي التي يكرهها المنادى بها أو تفيد ذما له فأما إذا كانت صدقا وأفادت حمدا فلا تكره كما قيل للصديق عتيق ولعمر الفاروق ﴿بئس الاسم الفسوق﴾ أي أن تسمي أخاك فاسقا أو كافرا وقد آمن

١٢ - ﴿كثيرا من الظن﴾ وهو أن يظن بأهل الخير سوءا

والتجسس التبحث

﴿أن يأكل لحم أخيه﴾ لأن ذكرك بالسوء من لم يحضر بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحسن بذلك

﴿فكرهتموه﴾ قال الفراء أي فقد كرهتموه فلا تفعلوه

١٣ - والشعوب جمع شعب وهو الحي العظيم مثل ربيعة ومضر ﴿وقبائل﴾ دونها كبكر من ربيعة وتميم من مضر

﴿لتعارفوا﴾ أي من قرب النسب وبعده

١٤١٧ - ١٧ ﴿قالت الأعراب آمنا﴾ وهم قوم قدموا المدينة في سنة مجدية فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين ومنوا على الرسول صلى الله عليه وسلم فقالوا أتيناك." (١)

"[سورة آل عمران (٣) : آية ٢٧]

تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧)

قوله تعالى: تولج الليل في النهار أي: تدخل ما نقصت من هذا في هذا. قال ابن عباس، ومجاهد: ما ينقص من أحدهما يدخل في الآخر. قال الزجاج: يقال: ولج الشيء يلج ولوجا وولجا وولجة. قوله تعالى: وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم «وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي» ، و «لبلد ميت» «١» ، وأو ومن كان ميتا «٢» ، وو إن يكن ميتة «٣» ، والأرض الميتة «٤» : كله بالتخفيف. وقرأ نافع، وحمزة، والكسائي: وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي ولبلد ميت وإلى بلد ميت «٥» ، وخفف حمزة، والكسائي غير هذه الحروف. وقرأ نافع: «أو من كان ميتا» ، و «الأرض الميتة» ، و «لحم أخيه ميتا» «٦» ، وخفف في سائر القرآن ما لم يمت. وقال أبو علي: الأصل التثقيل، والمخفف محذوف منه، وما مات، وما لم يمت في هذا الباب مستويان في الاستعمال. وأنشدوا:

ومنهل فيه الغراب ميت ... سقيت منه القوم واستقيت

فهذا قد مات. وقال آخر: «٧»

ليس من مات، فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

(١) تذكرة الأريب في تفسير الغريب ابن الجوزي ص/٣٦٤

فخفف ما مات، وشدد ما لم يمت. وكذلك قوله تعالى: إنك ميت وإنهم ميتون «٨» . ثم في معنى الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنه إخراج الإنسان حيا من النطفة، وهي ميتة. وإخراج النطفة من الإنسان، وكذلك إخراج الفرخ من البيضة من الطائر، هذا قول ابن مسعود، وابن عباس، ومجاهد، وابن جبير، والجمهور. والثاني: أنه إخراج المؤمن الحي بالإيمان من الكافر الميت بالكفر، وإخراج الكافر الميت بالكفر من المؤمن الحي بالإيمان، روى نحو هذا الضحاك عن ابن عباس، وهو قول الحسن، وعطاء. والثالث: أنه إخراج السنبلة الحية من الحبة الميتة، والنخلة الحية من النواة الميتة، والنواة الميتة من النخلة الحية، قاله السدي. وقال الزجاج: يخرج النبات الغض من الحب اليابس، والحب اليابس من النبات الحي النامي.

قوله تعالى: بغير حساب أي: بغير تقتير. قال الزجاج: يقال للذي ينفق موسعا: فلان ينفق بغير حساب، كأنه لا يحسب ما أنفقه إنفاقا.

[سورة آل عمران (٣) : آية ٢٨]

لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير (٢٨)

قوله تعالى: لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء، في سبب نزولها أربعة أقوال:

---

(١) الأعراف: ٥٧.

(٢) الأنعام: ١٢٢.

(٣) الأنعام: ١٣٩.

(٤) يس: ٣٣.

(٥) فاطر: ٩.

(٦) الحجرات: ١٢.

(٧) هو عدي بن الرعلاء. كما في «اللسان» .

(٨) الزمر: ٣٠.." (١)

"سيف الله، ونحو ذلك. وقوله: بئس الاسم الفسوق أي: تسميته فاسقا أو كافرا وقد آمن، ومن لم يتب من التنابز فأولئك هم الظالمون وفيه قولان: أحدهما: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم، قاله ابن عباس. والثاني: هم أظلم من الذين قالوا لهم ذلك، قاله ابن زيد.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٢٧١/١

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

قوله تعالى: اجتنبوا كثيرا من الظن قال ابن عباس: نهى الله تعالى المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا.

وقال سعيد بن جبير: هو الرجل يسمع من أخيه كلاما لا يريد به سوءا، أو يدخل مدخلا لا يريد به سوءا، فيراه أخوه المسلم فيظن به سوءا. وقال الزجاج: هو أن يظن بأهل الخير سوءا. فأما أهل السوء والفسق، فلنا أن نظن بهم مثل الذي ظهر منهم. قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية تدل على أنه لم ينه عن جميع الظن والظن على أربعة أضرب. محظور، ومأمور به، ومباح، ومندوب إليه، فأما المحظور، فهو سوء الظن بالله تعالى، والواجب: حسن الظن بالله، وكذلك سوء الظن بالمسلمين الذين ظاهرهم العدالة محظور، وأما الظن المأمور به، فهو ما لم ينصب عليه دليل يوصل إلى العلم به، وقد تعبدنا بتنفيذ الحكم فيه، والاقتصار على غالب الظن، وإجراء الحكم عليه واجب، وذلك نحو ما تعبدنا به من قبول شهادة العدول، وتحري القبلة، وتقويم المستهلكات، وأروش الجنايات التي لم يرد بمقاديرها توقيف، فهذا وما كان من نظائره قد تعبدنا فيه بأحكام غالب الظنون. فأما الظن المباح، فكالشاك في الصلاة إذا كان إماما، أمره النبي صلى الله عليه وسلم بالتحري والعمل على ما يغلب في ظنه، وإن فعله كان مباحا، وإن عدل عنه إلى البناء على اليقين كان جائزا.

(١٣٣٠) وروى أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا ظننتم فلا تحققوا» ، وهذا من الظن الذي يعرض في قلب الإنسان في أخيه فيما يوجب الريبة، فلا ينبغي له أن يحققه.

وأما الظن المندوب إليه، فهو إحسان الظن بالأخ المسلم يندب إليه ويثاب عليه.

(١٣٣١) فأما ما روي في الحديث: «احترسوا من الناس بسوء الظن» ، فالمراد: الإحتراس بحفظ المال، مثل أن يقول: إن تركت بابي مفتوحا خشيت السراق.

قوله تعالى: إن بعض الظن إثم قال المفسرون: هو ما تكلم به مما ظنه من السوء بأخيه المسلم، فإن لم يتكلم به فلا بأس، وذهب بعضهم إلى أنه يأثم بنفس ذلك الظن وإن لم ينطق به. قوله تعالى: ولا تجسسوا وقرأ أبو رزين والحسن والضحاك وابن سيرين وأبو رجاء وابن يعمر: بالحاء.

قال أبو عبيدة: التجسس والتحسس واحد، وهو التبحث، ومنه الجاسوس. وروي عن يحيى بن أبي

لم أره من حديث أبي هريرة. وورد من حديث حارثة بن النعمان، أخرجه الطبراني ٣٢٢٧ وفيه إسماعيل بن قيس الأنصاري، وهو ضعيف، وبه أعله الهيثمي في «المجمع» ٨/ ٧٧. وورد من مرسل إسماعيل بن أمية، أخرجه عبد الرزاق ١٩٥٠٤ فهو شاهد له.

ضعيف جدا، أخرجه تمام في «فوائده» ١١٦٧ من حديث أنس، وفيه أبان بن أبي عياش متروك، وأخرجه الطبراني في «الأوسط» ٦٠٢ من وجه آخر، وفيه معاوية الصدفي واه.." (١)

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/١٥١

"كثير أنه قال: التجسس، بالجيم: البحث عن عورات الناس، وبالحاء: الاستماع لحديث القوم. قال المفسرون: التجسس: البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم فالمعنى: لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه إذ ستره الله. وقيل لابن مسعود: هذا الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا، فقال: إنا نهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيء نأخذه به.

قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا أي: لا يتناول بعضكم بعضا بظهر الغيب بما يسوؤه.

(١٣٣٢) وقد روى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل ما الغيبة؟ قال: «ذكرك أخاك بما يكره. قال: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان في أخيك ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فقد بهته» .

ثم ضرب الله للغيبة مثلا، فقال: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا وقرأ نافع «ميتا» بالتشديد. قال الزجاج: وبيانه أن ذكرك بسوء من لم يحضر، بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك. قال القاضي أبو يعلى: وهذا تأكيد لتحريم الغيبة، لأن أكل لحم المسلم محظور، ولأن النفوس تعافه من طريق الطبع، فينبغي أن تكون الغيبة بمنزلته في الكراهة.

قوله تعالى: فكرهتموه وقرأ الضحاك، وعاصم الجحدري: «فكرهتموه» برفع الكاف وتشديد الراء. قال الفراء: أي وقد كرهتموه فلا تفعلوه، ومن قرأ «فكرهتموه» أي: فقد بغض إليكم، والمعنى واحد. قال الزجاج: والمعنى: كما تكرهون أكل لحمه ميتا فكذلك تجنبوا ذكره بالسوء غائبا. قوله تعالى: واتقوا الله أي في الغيبة إن الله تواب على من تاب رحيم به.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٣]

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

قوله تعالى: يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى في سبب نزولها ثلاثة أقوال:

(١٣٣٣) أحدها: نزلت في ثابت بن قيس وقوله في الرجل الذي لم يفسح له: أنت ابن فلانة، وقد ذكرناه عن ابن عباس في قوله: لا يسخر قوم من قوم.

(١٣٣٤) والثاني: أنه لما كان يوم الفتح أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا فصعد على ظهر الكعبة فأذن،

صحيح. أخرجه مسلم ٢٥٨٩ عن يحيى بن أيوب، وقتيبة، وعلي بن حجر عن إسماعيل بن العلاء به.

وأخرجه البغوي في «شرح السنة» ٣٤٥٤ عن إسماعيل بن جعفر عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة. وأخرجه ابن حبان ٥٧٥٩ والبيهقي ١٠/ ٢٤٧ وفي «الآداب» ١٥٤ من طريق إسماعيل بن جعفر به.

وأخرجه أبو داود ٤٨٧٤ والترمذي ١٩٣٤ وأحمد ٢/ ٣٢٠ و ٣٨٤ و ٤٥٨ والدارمي ٢/ ٢٩٧ والواحدي في «الوسيط» ٤/ ١٥٦ والأصبهاني في «الترغيب» ٢٢٢٩. وابن حبان ٥٧٥٨ من طرق عن العلاء بن عبد الرحمن به. وقال الترمذي: حسن صحيح.

لم أقف له على إسناد. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥ عن ابن عباس بدون إسناد، والظاهر أنه من رواية الكلبي الكذاب، وتقدم أن الذي صح في ثابت هو حديث أنس المتفق عليه، انظر تخريج الحديث ١٣٠٩.

عزاه المصنف لمقاتل، وهو ساقط الرواية، يضع الحديث. وذكره الواحدي في «أسباب النزول» ٧٦٥ م عن مقاتل بدون إسناد.." (١)

"الخطاب وتاء الفاعل حرفان من جنس واحد في كلمة وهمزة الاستفهام كلمة برأسها وهمزة أنذرتهم أخرى واحتمال حرفين في كلمتين أسهل من احتماله في كلمة، ولهذا وجب الإدغام في قولنا: مد، ولم يجب في قولنا امدد، و [في] قولنا: مر، [دون] قوله: أمر ربنا.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

[في قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم] لأن الظن هو السبب فيما تقدم وعليه تبنى القبائح، ومنه يظهر العدو المكاشح والقائل إذا أوقف أموره على اليقين فقلما يتيقن في أحد عيبا فيلمزه به، فإن الفعل في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك، لجواز أن يكون فاعله ساهيا أو يكون الرائي مخطئا، وقوله كثيرا إخراج للظنون التي عليها تبنى الخيرات

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ظنوا بالمؤمن خيرا»

وبالجملة كل أمر لا يكون بناؤه على اليقين، فالظن فيه غير مجتنب مثاله حكم الحاكم على قول الشهود وبراءة الذمة عند عدم الشهود إلى غير ذلك فقوله اجتنبوا كثيرا وقوله تعالى: إن بعض الظن إثم إشارة إلى الأخذ بالأحوط كما أن الطريق المخوفة لا يتفق كل مرة فيه قاطع طريق، لكنك لا تسلك لاتفاق ذلك فيه مرة ومرتين، إلا إذا تعين فتسلكه مع رفقة كذلك الظن ينبغي بعد اجتهاد تام ووثوق بالغ.

ثم قال تعالى: ولا تجسسوا إتماما لما سبق لأنه تعالى لما قال: اجتنبوا كثيرا من الظن فهم منه أن المعتبر اليقين فيقول القائل أنا أكشف فلانا يعني أعلمه يقينا وأطلع على عيبه مشاهدة فأعيب فأكون قد اجتنبت الظن فقال تعالى: ولا تتبعوا الظن، ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس.

ثم قال تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن في غيبته وفيه معان أحدها: في قوله تعالى: بعضكم بعضا فإنه للعموم في الحقيقة كقوله لا تلمزوا أنفسكم [الحجرات: ١١] وأما من اغتاب فالمغتاب أولا يعلم عيبه فلا يحمل فعله على أن يغتابه فلم يقل ولا تغتابوا أنفسكم لما أن الغيبة ليست حاملة للعائب على عيبه من اغتابه، والعيب حامل على العيب ثانيها: لو قال قائل هذا المعنى كان حاصلا بقوله تعالى: لا تغتابوا، مع الاقتصار عليه نقول لا، وذلك لأن الممنوع اغتياب المؤمن فقال: بعضكم بعضا وأما الكافر فيعلن ويذكر بما فيه وكيف لا والفاسق يجوز أن يذكر بما فيه عند الحاجة [قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا] ثالثها: قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا

---

(١) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ١٥٢/٤

دليل على أن الاغتياب الممنوع اغتياب المؤمن لا ذكر الكافر، وذلك لأنه شبهه بأكل لحم الأخ، وقال من قبل إنما المؤمنون إخوة

[الحجرات: ١٠] فلا أخوة إلا بين المؤمنين، ولا منع إلا من شيء يشبه أكل لحم الأخ ففي هذه الآية نهي عن اغتياب المؤمن دون الكافر رابعها: ما الحكمة في هذا التشبيه؟ نقول هو إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه، وهذا من باب القياس الظاهر، وذلك لأن عرض المرء أشرف من لحمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى لأن ذلك آلم، وقوله **لحم أخيه** آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو، فقال أصدق الأصدقاء من ولدته أمك، فأكل لحمه أقبح/ ما يكون، وقوله تعالى: ميتا إشارة إلى دفع وهم، وهو أن يقال القول في الوجه يؤلم فيحرم، وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا." (١)

"يؤلم، فقال أكل لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم، ومع هذا هو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم، كما أن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه، وفيه معنى: وهو أن الاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا، ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي الميت فلا يأكل لحم الآدمي، فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب، وقوله تعالى: ميتا حال عن اللحم أو عن الأخ، فإن قيل اللحم لا يكون ميتا، قلنا بلى

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما أبين من حي فهو ميت»

فسمى الغلفة ميتا، فإن قيل إذا جعلناه حال عن الأخ، لا يكون هو الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله حال، كما يقول القائل: مررت بأخي زيد قائما، ويريد كون زيدا قائما، قلنا يجوز أن يقال من أكل لحمه فقد أكل، فصار الأخ مأكولا مفعولا، بخلاف المرور بأخي زيد، فيجوز أن تقول ضربت وجهه آثما أي وهو آثم، أي صاحب الوجه، كما أنك إذا ضربت وجهه فقد ضربته، ولا يجوز أن تقول مزقت ثوبه آثما، فتجعل الآثم حالا من غيرك، وقوله تعالى:

فكرهتموه فيه مسألتان:

المسألة الأولى: العائد إليه الضمير يحتمل وجوها الأول: وهو الظاهر أن يكون هو الأكل، لأن قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل معناه أيحب أحدكم الأكل، لأن أن مع الفعل تكون للمصدر، يعني فكرهتم الأكل الثاني: أن يكون هو اللحم، أي فكرهتم اللحم الثالث: أن يكون هو الميت في قوله ميتا وتقديره:

أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا متغيرا فكرهتموه، فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير، يعني الميتة إن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا، ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا، فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة.

المسألة الثانية: الفاء في قوله تعالى: فكرهتموه تقتضي وجود تعلق، فما ذلك؟ نقول فيه وجوه أحدها: أن يكون ذلك تقدير جواب كلام، كأنه تعالى لما قال: أيحب قيل في جوابه ذلك وثانيها: أن يكون الاستفهام في قوله أيحب للإنكار كأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه إذا ولا يحتاج إلى إضمار وثالثها: أن يكون ذلك التعلق هو تعلق المسبب

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١٠/٢٨

بالسبب، وترتبه عليه كما تقول: جاء فلان ماشيا فتعب، لأن المشي يورث التعب، فكذا قوله ميتا لأن الموت يورث النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت، فكيف يقربه بحيث يأكل منه، ففيه إذا كراهة شديدة، فكذلك ينبغي أن يكون حال الغيبة.

ثم قال تعالى: واتقوا الله إن الله تواب رحيم عطف على ما تقدم من الأوامر والنواهي، / أي اجتنبوا واتقوا، وفي الآية لطائف: منها أن الله تعالى ذكر في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة بيانها، هو أنه تعالى قال:

اجتنبوا كثيرا أي لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم بناء على الظن، ثم إذا سئلتم على المظنونات، فلا تقولوا نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها، ثم إن علمتم منها شيئا من غير تجسس، فلا تقولوه ولا تفشوه عنهم ولا تعيبوا، ففي الأول نهى عما لم أن يعلم، ثم نهي عن طلب ذلك العلم، ثم نهي عن ذكر ما علم، ومنها أن الله تعالى لم يقل اجتنبوا تقولوا أمرا على خلاف ما تعلمونه، ولا قال اجتنبوا الشك، بل أول ما نهى عنه هو القول بالظن، وذلك لأن القول على خلاف العلم كذب وافتراء، والقول بالشك، والرجم بالغيب سفه وهزء، وهما في غاية القبح، فلم ينه عنه اكتفاء بقوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لأن وصفهم." (١)

"فيقال إنه يكره هذا فنزلت أو التسمية بالأعمال السيئة بعد الإسلام يا سارق يا زاني، يا فاسق، أو التعيير بعد الإسلام بما سلف من الشرك [١٨٣ / أ] / أو تسميته بعد الإسلام باسم دينه السابق كاليهودي والنصراني لمن كان يهوديا أو نصرانيا ولا يأتي بالألقاب الحسنة والنبز اللقب الثابت، أو القول بالقبيح نزلت في ثابت بن قيس نبز رجلا بلقب كان لأمه، أو في كعب بن مالك كان على المقسم فقال لعبد الله بن أبي حدرد يا أعرابي فقال له عبد الله يا يهودي فتشاكيا إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] ، أو في الذين نادوا الرسول [صلى الله عليه وسلم] من وراء الحجرات لما عابوا أتباع الرسول [صلى الله عليه وسلم] من الفقراء والموالي، أو في عائشة - رضي الله تعالى عنها - عابت أم سلمة بالقصر أو بلباس تشهرت به.

﴿يا أيها الذين ءامنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾." (٢)

"التكلم بما ظنه فإن لم يتكلم به فلا إثم عليه ﴿تجسسوا﴾ بتتبع عثرات المؤمن أو بالبحث عما خفي حتى يظهر، والتجسس والتحسس واحد " ع "، أو بالجيم البحث ومنه الجاسوس وبالحاء الإدراك ببعض الحواس، أو بالحاء أن يطلبه لنفسه وبالجيم أن يكون رسولا لغيره ﴿ولا يغتب﴾ الغيبة: ذكر العيب بظهر الغيب إذا كان صدقا فإن كان كذبا فهو بهتان وإن كان من سماع فهو إفك ﴿**لحم أخيه** ميتا﴾ كما تمتنعون من أكل لحوم الموتى فكذلك يجب أن تمتنعوا من غيبة الأحياء، أو كما يحرم الأكل يحرم الاغتياب ﴿فكرهتموه﴾ كرهتم أن يغتابكم الناس فكذلك فاكرهوا غيبتهم، أو كرهتم أكل الميتة فاكرهوا الغيبة.

---

(١) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير الرازي، فخر الدين ١١١/٢٨

(٢) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٢١٦/٣

﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) ﴾." (١)

"الله

في مخالفة حكمه والإهمال فيه. لعلكم ترحمون على تقواكم.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٢]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن أي لا يسخر بعض المؤمنين والمؤمنات من بعض إذ قد يكون المسخور منه خيرا عند الله من الساخر، والقوم مختص بالرجال لأنه إما مصدر نعت به فشاع في الجمع أو جمع لقائم كزائر وزور، والقيام بالأمور وظيفة الرجال كما قال تعالى: الرجال قوامون على النساء وحيث فسر بالقبيلين كقوم عاد وفرعون، فإما على التغليب أو الاكتفاء بذكر الرجال على ذكرهن لأنهن توابع، واختيار الجمع لأن السخرية تغلب في المجامع وعسى باسمها استئناف بالعلة الموجبة للنهي ولا خبر لها لإغناء الإسم عنه. وقرئ «عسوا أن يكونوا» و «عسين أن يكن» فهي على هذا ذات خبر. ولا تلمزوا أنفسكم أي ولا يغتب بعضكم بعضا فإن المؤمنين كنفس واحدة، أو لا تفعلوا ما تلمزون به فإن من فعل ما يستحق به اللمز فقد لمز نفسه. واللمز الطعن باللسان. وقرأ يعقوب بالضم. ولا تنابزوا بالألقاب ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء، فإن النبز مختص بلقب السوء عرفا. بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسوق بعد دخولهم الإيمان واشتهارهم به، والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسق إلى المؤمنين خصوصا إذ

روي أن الآية نزلت في صفية بنت حيي رضي الله عنها، أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: إن النساء يقلن لي يا يهودية بنت يهوديين، فقال لها «هلا قلت إن أبي هارون وعمي موسى وزوجي محمد عليهم السلام» .

أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان مستقبح. ومن لم يتب عما نهى عنه. فأولئك هم الظالمون بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض النفس للعذاب.

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن كونوا منه على جانب، وإبهام الكثير ليحتاط في كل ظن ويتأمل حتى يعلم أنه من أي القبيل، فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن حيث لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله سبحانه وتعالى، وما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين، وما يباح كالظن في الأمور المعاشية. إن بعض

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ابن عبد السلام ٢١٧/٣

الظن إثم مستأنف للأمر، والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه. والهمزة فيه بدل من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها. ولا تجسسوا ولا تبحثوا عن عورات المسلمين، تفعل من الجس باعتبار ما فيه من معنى الطلب كالتلمس، وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولذلك قيل للحواس الخمس الجواس.

وفي الحديث «لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته» .

ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته.

وسئل عليه الصلاة والسلام عن الغيبة فقال: «أن تذكر أخاك بما يكرهه، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» .

أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا تمثيل لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه مع مبالغات الاستفهام المقرر، وإسناد الفعل إلى أحد للتعميم وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة، وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا وميتا وتعقيب ذلك بقوله: فكرهتموه تقريرا وتحقيقا لذلك. والمعنى إن صح ذلك أو عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم إنكار كراهته، وانتصاب ميتا على الحال من اللحم أو الأخ وشدده نافع. واتقوا الله إن الله تواب رحيم لمن اتقى ما نهى عنه وتاب مما فرط منه، والمبالغة في ال تواب لأنه بليغ في قبول التوبة إذ." (١)

"يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ يقال جنبه الشر إذا أبعده عنه وحقيقته جعله في جانب فيعدى إلى مفعولين قال الله تعالى واجنبني وبني ان نعبد الاصنام ومطاوعه اجتنب الشر فنقص مفعولا والمأمور باجتنابه بعض الظن وذلك البعض موصوف بالكثرة ألا ترى إلى قوله ﴿إن بعض الظن إثم﴾ قال الزجاج هو ظنك باهل الخير سوء فاما اهل الفسق فلما أن نظن فيهم مثل الذي ظهر منهم أو معناه اجتنابا كثيرا أو احترزوا من الكثير ليقع التحرز عن البعض والإثم الذنب الذي يستحق صاحبه العقاب ومنه قيل لعقوبته الآثام فعال منه كالنكال والعذاب ﴿ولا تجسسوا﴾ أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه تفعل من الجس وعن مجاهد خذوا ما ظهر ودعوا ما ستر الله وقال سهل لا تبحثوا عن طلب معايب ما ستره الله على عباده ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الغيبة الذكر بالعيب في ظهر الغيب وهي من الاغتياب كالغيلة من الاغتيال وفي الحديث هو أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فهو غيبة وإلا فهو بهتان وعن ابن عباس الغيبة إدام كلاب الناس ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ ميتا مدني وهذا." (٢)

"وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم وكانوا يستهزئون بفقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل عمار وخباب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة لما رأوه من رثاثة حالهم فأنزل الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم. أي: لا يستهزئ غني بفقير ولا مستور عليه ذنبه بمن لم يستر ولا ذو حسب بلئيم وأشباه

---

(١) تفسير البيضاوي = أنوار التنزيل وأسرار التأويل ناصر الدين البيضاوي ١٣٦/٥

(٢) تفسير النسفي = مدارك التنزيل وحقائق التأويل النسفي، أبو البركات ٣٥٥/٣

ذلك مما ينتقصه به ولعله عند الله خير منه وهو قوله تعالى: عسى أن يكونوا خيرا منهم السبب الثاني قوله: ولا نساء من نساء أي لا يستهزئ نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم عيرن أم سلمة بالقصر. وعن ابن عباس: «أنها نزلت في صفية بنت حيي قال لها بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم: يهودية بنت يهوديين. عن أنس: بلغ صفية أن حفصة قالت بنت يهودي فبكت فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم وهي تبكي فقال: ما يبكيك؟ قالت: قالت لي حفصة إني بنت يهودي فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنك لابنة نبي وعمك لنبي وإنك لتحت نبي ففيم تفتخر عليك ثم قال: اتقي الله يا حفصة» أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب.

والسبب الثالث قوله تعالى: ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب عن أبي جبيرة بن الضحاك وهو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال: فينا نزلت هذه الآية في بني سلمة «قدم علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يا فلان فيقولون مه يا رسول الله إنه يغضب من هذا الاسم فأنزل الله هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أخرجه أبو داود وفي الترمذي قال «كان الرجل منا يكون له اسمان وثلاثة فيدعى ببعضها فعسى أن يكره قال فنزلت هذه الآية ولا تنابزوا بالألقاب.»

قال الترمذي: حديث حسن. قوله تعالى: ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يعيب بعضكم بعضا ولا يطعن بعضكم في بعض. والمراد بالأنفس، الإخوان هنا. والمعنى: لا تعيبوا إخوانكم من المسلمين لأنهم كأنفسكم، فإذا عاب عائب أحدا بعيب، فكأنه عاب نفسه. وقيل: لا يخلو أحد من عيب فإذا عاب غيره فيكون حاملا لذلك على عيبه فكأنه هو العائب لنفسه ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تدعوا الإنسان بغير ما سمي به. وقال ابن عباس: التنابز بالألقاب أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنهي أن يعير بما سلف من عمله. وقيل: هو قول الرجل للرجل يا فاسق يا منافق يا كافر. قيل: كان الرجل اليهودي والنصراني يسلم فيقال له بعد إسلامه: يا يهودي يا نصراني فنهوا عن ذلك. وقيل: هو أن تقول لأخيك يا كلب يا حمار يا خنزير. وقال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادى به أو يفيد ذما له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا تكون حقا وصدقا فلا يكره كما قيل لأبي بكر: عتيق، ولعمر: الفاروق، ولعثمان: ذو النورين ولعلي: أبو تراب ولخالد سيف الله ونحو ذلك بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الاسم أن تقولوا له يا يهودي أو يا نصراني بعد ما أسلم أو يا فاسق بعد ما تاب وقيل معناه أن من فعل ما نهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق ومن لم يتب أي من ذلك كله فأولئك هم الظالمون أي: الضارون لأنفسهم بمعصيتهم ومخالفتهم. وقيل: ظلموا الذين قالوا لهم ذلك.

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

قوله عز وجل: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن قيل: نزلت في رجلين اغتابا رفيقهما وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا غزا أو سافر ضم الرجل المحتاج إلى رجلين موسرين يخدمهما ويتقدمهما إلى المنزل." (١)

"قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يتناول بعضكم بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه. عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أتدرون ما الغيبة؟ قلت الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قلت وإن كان في أخي ما أقول قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه قد بهته». أخرجه مسلم عن عائشة قالت: «قلت للنبي صلى الله عليه وسلم حسبك من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعني قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته قالت وحكيت له إنسانا فقال ما أحب أني حكيت إنسانا وإن لي كذا وكذا» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح، قوله: لمزجته أي خالطته مخالطة يتغير بها طعمه وريحه لشدة نتنها وقبحها وهذا الحديث من أبلغ الزواجر عن الغيبة.

قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه قال مجاهد: لما قيل أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بسوء غالبا قيل تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لأنه لا يحس بذلك وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه ودمه لأن الإنسان يتألم قلبه إذا ذكر بسوء كما يتألم جسده إذا قطع لحمه والعرض أشرف من اللحم فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحم الناس فترك أعراضهم أولى وقوله لحم أخيه آكد في المنع آكد لأن العدو قد يحمله الغضب على أكل لحم عدوه، وقوله ميتا أبلغ في الزجر.

عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم وفي نسخة وصدورهم فقلت من هؤلاء يا جبريل؟ قال هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» أخرجه أبو داود وقال ميمون بن سيار بينا أنا نائم إذا بجيفة زنجي وقائل يقول كل يا عبد الله قلت وما آكل؟ قال كل بما اغتبت بعد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال: ولكنك استمعت ورضيت، فكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا يغتاب أحدا عنده.

قوله تعالى: واتقوا الله أي في أمر الغيبة واجتناب نواهيه إن الله تواب رحيم قوله عز وجل:

[سورة الحجرات (٤٩): آية ١٣]

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وقوله في الرجل الذي لم يفسح له ابن فلانة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: من الذاكر فلانة؟ قال ثابت: أنا رسول الله قال انظر في وجوه القوم فنظر فقال ما رأيت يا ثابت؟ قال رأيت أبيض وأحمر وأسود قال فإنك لا تفضلهم إلا بالدين والتقوى فنزلت في ثابت هذه الآية

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ٤/١٨١

ونزل في الذي لم يفسح له يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا الآية. وقيل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بلالا حتى علا على ظهر الكعبة وأذن فقال عتاب بن أسيد الحمد لله الذي قبض أبي ولم ير هذا اليوم وقال الحارث بن هشام أما وجد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا وقال سهيل بن عمرو إن يكره الله شيئا يغيره.

وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئا أخاف أن يخبره رب السماء فنزل جبريل فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قالوا وسألهم عما قالوا فأقروا فأنزل الله هذه الآية وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء فقال يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى يعني آدم وحواء. والمعنى: إنكم متساوون في النسب فلا تفاخر لبعض على بعض لكونكم أبناء رجل واحد وامرأة واحدة. وقيل: يحتمل أن يكون المعنى إنا خلقنا كل واحد منكم أيها الموجودون من أب وأم فإن كل واحد منكم خلق كما خلق الآخر سواء فلا وجه للتفاخر والتفاضل في." (١)

"أخاك المؤمن بما يكره، قيل يا رسول الله وإن كان حقا، قال إذا قلت باطلا فذلك بهتان «١» وقد رخص في الغيبة في مواضع منها: في التجريح في الشهادة، والرواية، والنكاح، وشبهه وفي التحذير من أهل الضلال، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وقرأ نافع: ميتا شبه الله الغيبة بأكل لحم ابن آدم ميتا، والعرب تشبه الغيبة بأكل اللحم، ثم زاد في تقبيحه أن جعله ميتا لأن الجيفة مستقذرة، ويجوز أن يكون ميتا حال من الأخ أو من لحمه، وقيل: فكرهتموه إخبار عن حالهم بعد التقرير. كأنه لما قررهم قال: هل يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا أجابوا فقالوا: لا نحب ذلك فقال لهم. فكرهتموه وبعد هذا محذوف تقديره: فكذلك فاكرهوا الغيبة التي هي تشبهه، وحذف هذا لدلالة الكلام عليه، وعلى هذا المحذوف يعطف قوله: واتقوا الله، قاله أبو علي الفارسي، وقال الرماني: كراهة هذا اللحم يدعو إليها الطبع، وكراهة الغيبة يدعو إليها العقل، وهو أحق أن يجاب لأنه بصير عالم، والطبع أعمى جاهل، وقال الزمخشري: في هذه الآية مبالغات كثيرة منها الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم، والإشعار بأن أحد من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله ميتا، ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الغيبة بأكل لحم الإنسان حتى جعله أخا له. يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى الذكر والأنثى هنا آدم وزوجه قال ابن عطية: ويحتمل أن يريد الجنس كأنه قال: إنا خلقنا كل واحد منكم من ذكر وأنثى، والأول أظهر وأصح لقوله صلى الله عليه وسلم: أنتم من آدم وآدم من التراب «٢» ومقصود الآية: التسوية بين الناس، والمنع مما كانت العرب تفعله من التفاخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، فبين الله أن الكرم والشرف عند الله ليس بالحسب والنسب إنما هو بالتقوى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يكون أكرم الناس فليتق الله «٣» ، وروي أن سبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بني بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم فقالوا كيف نزوج بناتنا لموالينا وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا الشعوب: جمع شعب بفتح الشين، وهو أعظم من القبيلة، وتحته القبيلة ثم البطن ثم الفخذ ثم الفصيلة، وهم القرابة

---

(١) تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل الخازن ١٨٣/٤

(١) . الحديث ذكره المناوي في التيسير وعزاه لأبي داود عن أبي هريرة وأخرجه مسلم عنه بلفظ: أتدرون ما الغيبة؟ إلخ.

(٢) . أورد المناوي هذا الحديث بلفظ: كلكم بنو آدم وآدم خلق من تراب وعزاه للبزار عن حذيفة وتوجد رواية للترمذي وأبي داود وأحمد انظر كشف الخفاء ص ٣٢٦ ج ٢.

(٣) . لم أعثر عليه بهذا اللفظ ولكن يوجد حديث بمعناه وجوابا على سؤال: من أكرم الناس؟ قال: اتقاهم رواه أحمد ج ٢ ص ٤٣١.." (١)

"اختلفوا في المثل الذي فسروا به، وذكره قول ابن مسعود وقول عكرمة المتقدمين، ولا يمكن الحمل إذ ذاك على الحقيقة أصلا، وكذلك في الموت، وشدد حفص، ونافع، وحمزة، والكسائي: الميت، في هذه الآية. وفي الأنعام، والأعراف، ويونس، والروم، وفاطر زاد نافع تشديد الياء في: أومن كان ميتا فأحييناه «١» وفي الأنعام والأرض الميتة «٢» في يس ولحم أخيه ميتا «٣» في الحجرات. وقرأ الباقون بتخفيف ذلك، ولا فرق بين التشديد والتخفيف في الاستعمال، كما تقول: لين ولين وهين وهين. ومن زعم أن المخفف لما قد مات، والمشدد لما قد مات ولما لم يمت فيحتاج إلى دليل.

وترزق من تشاء بغير حساب تقدم تفسير نظيره في قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس أمة واحدة «٤» فأغنى ذلك عن إعادته هنا. وقال الزمخشري: ذكر قدرته الباهرة، فذكر حال الليل والنهار في المعاقبة بينهما، وحال الحي والميت في إخراج أحدهما من الآخر، وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام، ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاء من عباده، فهو قادر على أن ينزع الملك من العجم ويذلهم، ويؤتيه العرب ويعزهم. انتهى. وهو حسن.

قيل: وتضمنت هذه الآيات أنواعا من: الفصاحة، والبلاغة، والبديع.

الاستفهام الذي معناه التعجب في ألم تر إلى الذين. والإشارة في نصيبا من الكتاب فإدخال: من، يدل على أنهم لم يحيطوا بالتوراة علما ولا حفظا، وذلك إشارة إلى الإزراء بهم، وتنقيص قدرهم وذمهم، إذ يزعمون أنهم أخيار وهم بخلاف ذلك، وفي قوله ذلك بأنهم إشارة إلى توليهم وإعراضهم اللذين سببهما افتراؤهم، وفي ووفيت كل نفس إشارة إلى أن جزاء أعمالهم لا ينقص منه شيء.

والتكرار في نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله إما في اللفظ والمعنى إن كان المدلول واحدا، وإما في اللفظ إن كان مختلفا. وفي التولي والإعراض إن كانا بمعنى واحد. وفي: مالك الملك تؤتي الملك وتنزع الملك وتكراره في جمل للتفخيم والتعظيم إن كان المراد واحدا، وإن اختلف كان من تكرار اللفظ فقط، وتكرار من تشاء وفي تولج وفي تخرج وفي متعلقيهما. والاتساع في جعل: في،

(١) سورة الأنعام: ٦/ ١٢٢.

(١) تفسير ابن جزي = التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي الكلبي ٢/٢٩٨

(٢) سورة يس: ٣٦/ ٣٣.

(٣) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٤) سورة البقرة: ٢/ ٢١٢ و ٢١٣.." (١)

"وفي غنيا وفقيرا، وفي: قل أو كثر. والتكرار في: اتقوا، وفي: خلق، وفي: خفتم، وأن لا تقسطوا، وأن لا تعدلوا من جهة المعنى، وفي اليتامى، وفي النساء، وفي فادفعوا إليهم أموالهم، فإذا دفعتم إليهم أموالهم، وفي نصيب مما ترك الوالدان والأقربون، وفي قوله:

وليخش، وخافوا من جهة المعنى على قول من جعلهما مترادفين، وإطلاق اسم المسبب على السبب في: ولا تأكلوا وشبهه لأن الأخذ سبب للأكل. وتسمية الشيء باسم ما كان عليه في: وآتوا اليتامى، سماهم يتامى بعد البلوغ. والتأكيد بالإتباع في: هنيئا مريئا وتسمية الشيء باسم ما يؤول إليه في: نصيب مما ترك، وفي نارا على قول من زعم أنها حقيقة. والتجنيس المماثل في: فادفعوا فإذا دفعتم، والمغاير في: وقولوا لهم قولا.

والزيادة للزيادة في المعنى في: فليستعفف. وإطلاق كل على بعض في: الأقربون، إذ المراد أرباب الفرائض. وإقامة الظرف المكاني مقام الزماني في: من خلفهم، أي من بعد وفاتهم. والاختصاص في: بطونهم، خصها دون غيرها لأنها محل للمأكولات. والتعريض في: في بطونهم، عرض بذكر البطون لخستهم وسقوط هممهم والعرب تذم بذلك قال:

دع المكارم لا ترحل لبغيتها ... واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

وتأكيد الحقيقة بما يرفع احتمال المجاز بقوله: في بطونهم. رفع المجاز العارض في قوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا «١» وهذا على قول من حمله على الحقيقة، ومن حمله على المجاز فيكون عنده من ترشيح المجاز، ونظير كونه رافعا للمجاز قوله:

يطير بجناحيه «٢» ، وقوله: يكتبون الكتاب بأيديهم «٣» . والحذف في عدة مواضع.

[سورة النساء (٤) : الآيات ١١ الى ١٤]

يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة فلها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله إن الله كان عليما حكيما (١١) ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم (١٢) تلك حدود الله ومن يطع الله

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٣/ ٩٠

ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم (١٣) ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين (١٤)

---

(١) سورة الحجرات: ٤٩/ ١٢.

(٢) سورة الأنعام: ٦/ ٣٨.

(٣) سورة البقرة: ٢/ ٧٩.." [1]

"سورة الحجرات

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١ الى ١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤)

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٣٢/٣

أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨)." (١)

"والتزيين هو نفس الفضل. وقال الحوفي: فضلا نصب على الحال. انتهى، ولا يظهر هذا الذي قاله. وقال أبو البقاء: مفعول له، أو مصدر في معنى ما تقدم. وقال الزمخشري:

فضلا مفعول له، أو مصدر من غير فعله. فإن قلت: من أين جاز وقوعه مفعولا له، والرشد فعل القوم، والفضل فعل الله تعالى، والشرط أن يتحد الفاعل؟ قلت: لما وقع الرشد عبارة عن التحبيب والتزيين والتكريه مسندة إلى اسمه، تقدست أسماؤه، وصار الرشد كأنه فعله، فجاز أن ينتصب عنه ولا ينتصب عن الراشدون، ولكن عن الفعل المسند إلى اسم الله تعالى.

والجملة التي هي أولئك هم الراشدون اعتراض، أو عن فعل مقدر، كأنه قيل:

جرى ذلك، أو كان ذلك فضلا من الله. وأما كونه مصدرا من غير فعله، فأن يوضع موضع رشدا، لأن رشدهم فضل من الله لكونهم موفقين فيه، والفضل والنعمة بمعنى الإفضال والإنعام. والله عليم بأحوال المؤمنين وما بينهم من التمايز والتفاضل، حكيم حين يفضل وينعم بالتوفيق على أفاضلهم. انتهى. أما توجيهه كون فضلا مفعولا من أجله، فهو على طريق الاعتزال. وأما تقديره أو كان ذلك فضلا، فليس من مواضع إضمار كان، ولذلك شرط مذكور في النحو.

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون، يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم.

سبب نزولها ما جرى بين الأوس والخزرج حين أساء الأدب عبد الله بن أبي بن سلول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو متوجه إلى زيارة سعد بن عبادة في موضعه، وتعصب بعضهم لعبد الله، ورد عبد الله بن رواحة على ابن أبي، فتجالد الحيان، قيل: بالحديد، وقيل:

بالجريد والنعال والأيدي، فنزلت، فقرأها عليهم، فاصطلحوا. وقال السدي: وكانت بالمدينة امرأة من الأنصار يقال لها أم بدر، وكان لها زوج من غيرهم، فوقع بينهم شيء." (٢)

"فكرهتموه، قال الفراء: أي فقد كرهتموه، فلا تفعلون. وقيل: لما وقفهم على التوبيخ بقوله: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، فأجاب عن هذا: لأنهم في حكم من يقولها، فخوطبوا على أنهم قالوا لا، فقيل لهم: فكرهتموه، وبعد هذا

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩/٥٠٤

(٢) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٩/٥١٥

يقدر فلذلك فاكرهوا الغيبة التي هي نظير ذلك. وعلى هذا التقدير يعطف قوله: واتقوا الله، قاله أبو علي الفارسي، وفيه عجرفة العجم.

وقال الزمخشري: ولما قررهم عز وجل بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه، عقب ذلك بقوله: فكرهتموه، أي فتحققت بوجوب الإقرار عليكم بأنكم لا تقدرون على دفعه وإنكاره لإباء البشرية عليكم أن تجحدوا كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أيضا أن تكرهوا ما هو نظيره من الغيبة والطعن في أعراض المسلمين. انتهى، وفيه أيضا عجرفة العجم. والذي قدره الفراء أسهل وأقل تكلفا، وأجرى على قواعد العربية. وقيل:

لفظه خبر، ومعناه الأمر، تقديره: فاكرهوه، ولذلك عطف عليه واتقوا الله، ووضع الماضي موضع الأمر في لسان العرب كثير، ومنه اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه، أي ليتق الله، ولذلك انجزم يثب على جواب الأمر.

وما أحسن ما جاء الترتيب في هذه الآية. جاء الأمر أولا باجتناب الطريق التي لا تؤدي إلى العلم، وهو الظن ثم نهى ثانيا عن طلب تحقق ذلك الظن، فيصير علما بقوله: ولا تجسسوا ثم نهى ثالثا عن ذكر ذلك إذا علم، فهذه أمور ثلاثة مترتبة، ظن فعلم بالتجسس فاغتياب. وضمير النصب في كرهتموه، الظاهر أنه عائد على الأكل.

وقيل: على الميت. وقرأ أبو سعيد الخدري، وأبو حيوة: فكرهتموه، الظاهر أنه عائد على الأكل. وقيل: على الميت. وقرأ أبو سعيد الخدري،

وأبو حيوة: فكرهتموه، بضم الكاف وتشديد الراء ورواها الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم

، والجمهور: بفتح الكاف وتخفيف الراء، وكره يتعدى إلى واحد، فقياسه إذا ضعف أن يتعدى إلى اثنين، كقراءة الخدري ومن معه، أي جعلتم فكرهتموه. فأما قوله: وكره إليكم الكفر فعلى التضمين بمعنى بغض، وهو يتعدى لواحد، وبإلى إلى آخر، وبغض منقول بالتضعيف من بغض الشيء إلى زيد.

والظاهر عطف واتقوا الله على ما قبله من الأمر والنهي. قوله عز وجل:

يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير، قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا." (١)

"منهم زكاة أموالهم. وإن لم تر ذلك فاستعمل فيهم ما تستعمل في الكفار» ففعل ذلك خالد، ووافاهم، فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم، ولم ير منهم إلا الطاعة والخير. فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر. فنزلت ٤٩: ٦ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا.

والنبأ هو الخبر الغائب عن المخبر، إذا كان له شأن. «والتبين» طلب بيان حقيقته، والإحاطة بها علما.

وهاهنا فائدة لطيفة. وهي أنه سبحانه لم يأمر برد خبر الفاسق وتكذيبه وشهادته جملة. وإنما أمر بالتبين. فإن قامت قرائن وأدلة من خارج تدل على صدقه عمل بدليل الصدق، ولو أخبر به من أخبر.

---

(١) البحر المحيط في التفسير أبو حيّان الأندلسي ٥٢١/٩

فهكذا ينبغي الاعتماد في رواية الفاسق وشهادته. وكثير من الفاسقين يصدقون في أخبارهم ورواياتهم وشهاداتهم، بل كثير منهم يتحرى الصدق غاية التحري، وفسقه من جهات أخر. فمثل هذا لا يرد خبره ولا شهادته، ولو ردت شهادة مثل هذا وروايته لتعطلت أكثر الحقوق، وبطل كثير من الأخبار الصحيحة، ولا سيما من فسقه من جهة الكذب: فإن كثر منه وتكرر، بحيث يغلب كذبه على صدقه. فهذا لا يقبل خبره ولا شهادته.

وإن ندر منه مرة أو مرتين ففي رد شهادته وخبره بذلك قولان للعلماء، وهما روايتان عن الإمام أحمد رحمهم الله.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)." (١)

"وهذا من أحسن القياس التمثيلي. فإنه شبه تمزيق عرض الأخ بتمزيق لحمه.

ولما كان المغتاب يمزق عرض أخيه في غيبته كان بمنزلة من يقطع لحمه في حال غيبة روحه عنه بالموت.

ولما كان المغتاب عاجزا عن دفعه عن نفسه بكونه غائبا عن مجلس ذمه كان بمنزلة الميت الذي يقطع لحمه ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه.

ولما كان مقتضى الأخوة التراحم والتواصل والتناصر، فعلق عليها المغتاب ضد مقتضاها من الذم والعيب والطعن: كان ذلك نظير تقطيع لحم أخيه، والأخوة تقتضي حفظه وصيانته والذب عنه.

ولما كان المغتاب متمتعا بعرض أخيه، متفكها بغيبته وذمه، متحليا بذلك شبه بآكل لحم أخيه بعد تقطيعه.

ولما كان المغتاب محبا لذلك معجبا به: شبه بمن يحب أكل لحم أخيه ميتا ومحبته لذلك قدر زائد على مجرد أكله، كما أن أكله قدر زائد على تمزيقه.

فتأمل هذا التشبيه والتمثيل، وحسن موقعه، ومطابقة المعقول فيه للمحسوس وتأمل إخباره عنهم بكراهة أكل لحم الأخ ميتا، ووصفهم بذلك في آخر الآية، والإنكار عليهم في أولها: أن يحب أحدهم ذلك، فكما أن هذا مكروه في طباعهم، فكيف يحبون ما هو مثله ونظيره؟.

فأحتج عليهم بما كرهوه على ما أحبوه. وشبه لهم ما يحبونه بما هو أكره شيء إليهم، وهم أشد شيء نفرة عنه.

فلهذا يوجب العقل والفطرة والحكمة: أن يكونوا أشد شيء نفرة عما هو نظيره ومشبهه. وبالله التوفيق.." (٢)

"البقرة، وكذلك قوله: ﴿وإن يكن ميتة﴾ [الأنعام: ١٣٩] و ﴿بلدة ميتا﴾ [الزخرف: ١١] و ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ [الأنعام: ١٤٥] فإنها مخففات عند الجميع. وثقل نافع جميع ذلك، والأخوان وحفص عن عاصم وافقوا ابن كثير ومن معه في الأنعام في قوله: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ [الآية: ١٢٢] وفي الحجرات: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾

---

(١) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٤٧٩

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٤٨٠

[الآية: ١٢] ، و ﴿الأرض الميتة﴾ في يس، ووافقوا نافعا فيما عدا ذلك، فجمعوا بين اللغتين إيذانا بأن كلا من القراءتين صحيح، وهما بمعنى، لأن فيعل يجوز تخفيفه في المعتل بحذف إحدى يائيه فيقال: هين وهين ولين ولين وميت وميت، ومنه قول الشاعر فجمع بين اللغتين:

١٢٢٢ - ليس من مات فاستراح بميت ... إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيبا ... كاسفا باله قليل الرجاء

وزعم بعضهم أن «ميتا» بالتخفيف لمن وقع به الموت، وأن المشدد يستعمل فيمن مات ومن لم يمت كقوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] وهذا مردود بما تقدم من قراءة الأخوين وحفص، حيث خففوا في موضع لا يمكن أن يراد به الموت وهو قوله: ﴿أو من كان ميتا﴾ [الأنعام: ١٢٢] إذا المراد به الكفر مجازا.." [(١)]

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) ﴾

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله؛ لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا، وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا (١) .

وقال أبو عبد الله بن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا (٢) عبد الله بن عمر (٣) قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: "ما أطيبك وأطيب ريحك، ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده، لحرمة المؤمن أعظم عند الله حرمة منك، ماله ودمه، وأن يظن به إلا خير (٤) . تفرد به ابن ماجه من هذا الوجه (٥) .

وقال مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إياكم والظن فإن الظن (٦) أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا". رواه البخاري عن عبد الله بن يوسف، ومسلم عن يحيى بن يحيى، وأبو داود عن العتبي [ثلاثتهم] (٧) ، عن مالك، به (٨) .

وقال سفيان بن عيينة، عن الزهري، عن أنس [رضي الله عنه] (٩) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانا، ولا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام".

رواه مسلم والترمذي -وصححه- من حديث سفيان بن عيينة، به (١٠) .

---

(١) رواه أحمد في الزهد كما في الدر المنثور (٧/٥٦٥) .

(٢) في ت: "وروى ابن ماجه بسنده عن".

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣/١٠٤

(٣) في ت: "بن عمر رضي الله عنه".

(٤) في ت، م: "خيرا".

(٥) سنن ابن ماجه برقم (٣٩٣٢) وقال البوصيري في الزوائد (٢٢٣/٣) "هذا إسناد فيه مقال، نصر بن محمد ضعفه أبو حاتم وذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات".

(٦) في ت، م: "فإنه".

(٧) زيادة من أ.

(٨) الموطأ (٩٠٨/٢) وصحيح البخاري برقم (٦٠٦٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٦٣) .

(٩) زيادة من ت.

(١٠) صحيح مسلم برقم (٢٥٥٩) ، وسنن الترمذي برقم (١٩٣٥) .." (١)

"إلى النبي صلى الله عليه وسلم -أي: إنها قصيرة-فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "اغتبتيها" (١) .

والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا ما رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة، كقوله صلى الله عليه وسلم (٢) ، لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: "ائذنوا له، بئس أخو العشيرة" (٣) ، وكقوله لفاطمة بنت قيس -وقد خطبها معاوية وأبو الجهم-: "أما معاوية فصعلوك (٤) ، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه" (٥) . وكذا ما جرى مجرى ذلك. ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد (٦) ؛ ولهذا شبهها تعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت، كما قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ ؟ أي: كما تكرهون هذا طبعا، فاكرهوا ذاك شرعا؛ فإن عقوبته أشد من هذا وهذا من التنفير عنها والتحذير منها، كما قال، عليه السلام، في العائد في هبته: "كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه"، وقد قال: "ليس لنا مثل السوء". وثبت في الصحاح (٧) والحسان والمسانيد من غير وجه أنه، عليه السلام، قال في خطبة [حجة] (٨) الوداع: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا" (٩) .

وقال (١٠) أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أسباط بن محمد، عن هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل المسلم على المسلم حرام: ماله وعرضه ودمه، حسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم".

ورواه الترمذي (١١) عن عبيد بن أسباط بن محمد، عن أبيه، به (١٢) . وقال: حسن غريب.

وحدثنا عثمان بن أبي شيبة (١٣) ، حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن عياش، عن الأعمش، عن سعيد بن عبد الله (١٤) بن جريج، عن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته".

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٧٧/٧

تفرد به أبو داود (١٥) . وقد روي من حديث البراء بن عازب، فقال الحافظ أبو يعلى في مسنده: حدثنا إبراهيم بن دينار، حدثنا مصعب بن سلام، عن حمزة بن حبيب الزيات، عن أبي إسحاق

---

(١) تفسير الطبري (٨٧/٢٦) .

(٢) في ت: "عليه السلام".

(٣) رواه البخاري في صحيحه برقم (٣١٣٢) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) في أ: "فصعلوك لا مال له".

(٥) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٤٨٠) .

(٦) في ت، م: "الشديد".

(٧) في ت، م: "الصحيح".

(٨) زيادة من ت، م، أ.

(٩) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٢١٨) من حديث جابر رضي الله عنه.

(١٠) في ت: "وروى".

(١١) في ت: "رواه الترمذي وحسنه".

(١٢) سنن أبي داود برقم (٤٨٨٢) وسنن الترمذي برقم (١٩٢٧) .

(١٣) في ت: "وروى أبو داود".

(١٤) في أ: "عبيد الله".

(١٥) سنن أبي داود برقم (٤٨٨٠) .." [١]

"محمد-لو يجد الموت وهو يكره عليه فقلت: يا جبرائيل (١) ، من هؤلاء: قال: هؤلاء الهمازون اللمازون أصحاب النميمة. فيقال (٢) : ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ وهو يكره على أكل لحمه.

هكذا أورد هذا الحديث، وقد سقناه بطوله في أول تفسير "سورة سبحان" ولله الحمد (٣) .

وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا الربيع، عن يزيد، عن أنس؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له. فصام الناس، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: ظللت منذ اليوم صائما، فائذن لي. فأفطر فيأذن له، ويجيء الرجل فيقول ذلك، فيأذن له، حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله، إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين، فائذن لهما فليفطرا فأعرض عنه، ثم أعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما صامتا، وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس؟ اذهب، فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا". ففعلتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة علقة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٨٠/٧

"لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار" (٤) .

إسناد ضعيف، ومتن غريب. وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون: حدثنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد –مولى رسول الله (٥) –أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن رجلا أتى رسول الله فقال: يا رسول الله، إن هاهنا امرأتين صامتا، وإنهما كادتا تموتان من العطش –أراه قال: بالهاجرة–فأعرض عنه –أو: سكت عنه–فقال: يا نبي الله، إنهما –والله قد ماتتا أو كادتا تموتان (٦) . فقال: ادعهما. فجاءتا، قال: فجيء بقدح –أو عس–فقال لإحداهما: " قيئي" فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح. ثم قال للأخرى: قيئي فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا وغيره حتى ملأت القدح. فقال: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس.

وهكذا قد رواه الإمام أحمد عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي، كلاهما عن سليمان بن طرخان التيمي، به مثله أو نحوه (٧) . ثم رواه أيضا من حديث مسدد، عن يحيى القطان، عن عثمان بن غياث، حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان، عن سعد –مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم–أنهم أمروا بصيام، فجاء رجل في نصف النهار فقال: يا رسول الله، فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد. فأعرض عنه مرتين أو ثلاثا، ثم قال: "ادعهما". فجاء بعس –أو: قدح–فقال لإحداهما: "قيئي"، فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا، وقال للأخرى مثل ذلك، فقال: "إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما، وأفطرتا على ما حرم الله عليهما، أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما

(١) في ت، م: "جبريل".

(٢) في أ: "فقال".

(٣) عند الآية الأولى.

(٤) مسند الطيالسي برقم (٢١٠٧) .

(٥) في ت، م: "رسول الله صلى الله عليه وسلم".

(٦) في ت: "أن تموتا".

(٧) المسند (٥/٤٣١) ورواه ابن أبي الدنيا في الصمت برقم (١٧١) من طريق يزيد بن هارون عن سليمان التيمي به.." (١)

"قيحا" (١) .

وقال البيهقي: كذا قال "عن سعد"، والأول –وهو عبيد–أصح.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير (٢) عن ابن عم لأبي هريرة أن ماعزا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني قد زنيت فأعرض عنه –

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٣٨٢/٧

قالها أربعا–فلما كان في الخامسة قال: "زنيت"؟ قال: نعم. قال: "وتدري ما الزنا؟ " قال: نعم، أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال: "ما تريد إلى هذا القول؟ " قال: أريد أن تطهرني. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشاء (٣) في البئر؟ ". قال: نعم، يا رسول الله. قال: فأمر برجمه فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب. ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال: أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار" قالا غفر الله لك يا رسول، الله وهل يؤكل هذا؟ قال: "فما نلتما من أخيكما (٤) آنفا أشد أكلا من، والذي نفسي بيده، إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها" (٥)] إسناده صحيح] (٦) .

وقال الإمام أحمد: حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي، حدثنا واصل –مولى ابن عيينة–حدثني خالد بن عرفطة، عن طلحة بن نافع، عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون المؤمنين (٧) " (٨) .

طريق أخرى: قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض، عن سليمان، عن أبي سفيان –وهو طلحة بن نافع–عن جابر قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة (٩) ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين، فلذلك بعثت هذه الريح" وربما قال: "فلذلك هاجت هذه الريح" (١٠) .

وقال السدي في قوله: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ : زعم أن سلمان الفارسي كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما ويخف لهما، وينال من طعامهما، وأن سلمان لما سار الناس ذات يوم وبقي سلمان نائما، لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلمانه (١١) فلم يجداه، فضربا الخباء فقالا ما يريد سليمان –أو: هذا العبد–شيئا غير هذا: أن يجيء إلى طعام مقدور، وخباء مضروب! فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتى رسول

---

(١) المسند (٤٣١/٥) .

(٢) في ت: "وروى الحافظ أبو يعلى بمسنده".

(٣) في ت، م، أ: "والعصا".

(٤) في ت: "من عرض أخيكما".

(٥) مسند أبي يعلى (٥٢٤/٦) ورواه البيهقي في السنن الكبرى (٢٢٧/٨) من طريق عمرو بن الضحاك به؛ ورواه أبو داود في السنن برقم (٤٤٢٩) من طريق الضحاك به.

(٦) زيادة من ت.

(٧) في ت، أ: "الناس".

(٨) المسند (٣/٣٥١) قال الهيثمي في المجمع (٨/٩١) : "رجاله ثقات".

(٩) في م: "ريح شديدة منتنة".

(١٠) المنتخب برقم (١٠٢٦) .

(١١) في م: "يكلماه".." (١)

"الله [صلى الله عليه وسلم] (١) ومعه قدح له، فقال: يا رسول الله، بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك؟ قال: "ما يصنع أصحابك بالأدم؟ قد ائتدموا". فرجع سلمان يخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فانطلقا حتى أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا لا والذي بعثك بالحق، ما أصبنا طعاما منذ نزلنا. قال: "إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما".

قال: ونزلت: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ ، إنه كان نائما (٢) .

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه "المختارة" من طريق حبان بن هلال، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر ما رجل يخدمهما، فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاما، فقالا إن هذا لنؤوم، فأيقظاه، فقالا له: ائت رسول الله فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام، ويستأدمانك.

فقال: "إنهما قد ائتدما" فجاءا فقالا يا رسول الله، بأي شيء ائتدمنا؟ فقال: "بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده، إني لأرى لحمه بين ثناياكما". فقالا استغفر لنا يا رسول الله فقال: "مراه فليستغفر لكما" (٣) .

وقال (٤) الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا محمد بن مسلم، عن محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أكل من **لحم أخيه** في الدنيا، قرب له لحمه في الآخرة، فيقال له: كله ميتا كما أكلته حيا. قال: فيأكله ويكلح ويصيح". غريب جدا (٥) .

وقوله: ﴿واتقوا الله﴾ أي: فيما أمركم به ونهاكم عنه، فراقبوه في ذلك واخشوا منه، ﴿إن الله تواب رحيم﴾ أي: تواب على من تاب إليه، رحيم بمن رجع إليه، واعتمد عليه.

قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع (٦) عن ذلك، ويعزم على ألا يعود. وهل يشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه. وقال آخرون: لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا (٧) أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه، فطريقه إذا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون (٨) تلك بتلك، كما قال (٩) الإمام أحمد:

حدثنا أحمد بن الحجاج، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يحيى بن أيوب، عن عبد الله بن سليمان؛ أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره، عن أبيه، عن (١٠) النبي

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٣٨٣

(١) زيادة من ت.

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره كما في الدر المنثور (٧/٥٧٠) .

(٣) المختارة برقم (١٦٩٧) .

(٤) في ت: "وروى".

(٥) ورواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٩٦١) "مجمع البحرين" من طريق محمد بن سلمة عن محمد بن إسحاق به، وقال: لم يروه عن ابن إسحاق إلا محمد بن سلمة وقد وقع هنا "محمد بن مسلم" وأظنه تصحيفا، لكني لا أستطيع الجزم بذلك قال الهيثمي في المجمع (٨/٩٢) : "فيه ابن إسحاق وهو مدلس ومن لم أعرفه".

(٦) في م: "يرجع".

(٧) في ت: "لو".

(٨) في ت: "لتكون".

(٩) في ت: "روى".

(١٠) في ت: "أن".." [١]

"[الهمزة: ١] والهمز بالفعل واللمز بالقول، كما قال عز وجل: هماز مشاء بنميم [القلم: ١١] أي يحتقر الناس ويهمزهم طاغيا عليهم ويمشي بينهم بالنميمة وهي اللمز بالمقال، ولهذا قال هاهنا: ولا تلمزوا أنفسكم كما قال: ولا تقتلوا أنفسكم [النساء: ٢٩] أي لا يقتل بعضكم بعضا.

قال ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وقتادة ومقاتل بن حيان ولا تلمزوا أنفسكم أي لا يطعن بعضكم على بعض «١» ، وقوله تعالى: ولا تنابزوا بالألقاب أي لا تتداعوا بالألقاب، وهي التي يسوء الشخص سماعها.

قال الإمام أحمد «٢» : حدثنا إسماعيل، حدثنا داود بن أبي هند عن الشعبي قال: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك، قال فينا نزلت في بني سلمة ولا تنابزوا بالألقاب قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحد منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فنزلت ولا تنابزوا بالألقاب «٣» ورواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل عن وهيب عن داود به. وقوله جل وعلا: بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الصفة والاسم الفسوق. وهو التنابز بالألقاب كما كان أهل الجاهلية يتناعتون بعد ما دخلتم في الإسلام وعقلتموه ومن لم يتب أي من هذا فأولئك هم الظالمون.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٧/٣٨٤

يقول تعالى ناهيا عباده المؤمنين عن كثير من الظن، وهو التهمة والتخون للأهل والأقارب والناس في غير محله لأن بعض ذلك يكون إثما محضا، فليجتنب كثير منه احتياطا وروينا عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المسلم إلا خيرا، وأنت تجد لها في الخير محملا. وقال أبو عبد الله بن ماجه: حدثنا أبو القاسم بن أبي ضمرة نصر بن محمد بن سليمان الحمصي، حدثنا أبي، حدثنا عبد الله بن أبي قيس النضري، حدثنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول: «ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك، والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك، ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا» «٤» تفرد به ابن ماجة

---

(١) انظر تفسير الطبري ١١/ ٣٩١.

(٢) المسند ٤/ ٢٦٠.

(٣) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٦٣، وابن ماجة في الأدب باب ٣٥.

(٤) أخرجه ابن ماجة في الفتن باب ٢.." (١)

"وقال ابن جرير «١» : حدثني ابن أبي الشوارب، حدثنا عبد الواحد بن زياد، حدثنا سليمان الشيباني، حدثنا حسان بن المخارق أن امرأة دخلت على عائشة رضي الله عنها، فلما قامت لتخرج أشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى النبي صلى الله عليه وسلم أي إنها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اغتبتها» والغيبة محرمة بالإجماع، ولا يستثنى من ذلك إلا من رجحت مصلحته، كما في الجرح والتعديل والنصيحة كقوله صلى الله عليه وسلم، لما استأذن عليه ذلك الرجل الفاجر: «ائذنوا له بئس أخو العشيرة!» «٢» وكقوله صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس رضي الله عنها، وقد خطبها معاوية وأبو الجهم:

«أما معاوية فصعلوك، وأما أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه» «٣» وكذا ما جرى مجرى ذلك، ثم بقيتها على التحريم الشديد، وقد ورد فيها الزجر الأكيد، ولهذا شبهها تبارك وتعالى بأكل اللحم من الإنسان الميت كما قال عز وجل: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه [الحجرات: ١٢] أي كما تكرهون هذا طبعا فاكرهوه ذاك شرعا، فإن عقوبته أشد من هذا، وهذا من التنفير عنها والتحذير منها كما قال صلى الله عليه وسلم في العائد في هبته: «كالكلب يقيء ثم يرجع في قيئه» «٤» وقد قال: «ليس لنا مثل السوء» «٥» وثبت في الصحاح والحسان والمسانيد من غير وجه أنه صلى الله عليه وسلم قال في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا» «٦» .

وقال أبو داود: حدثنا واصل بن عبد الأعلى، حدثنا أسباط بن محمد عن هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل المسلم على المسلم حرام ماله وعرضه ودمه، حسب امرئ

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٧/٣٥٢

من الشر أن يحقر أخاه المسلم» «٧» ورواه الترمذي عن عبيد بن أسباط بن محمد عن أبيه به وقال: حسن غريب.
وحدثنا عثمان بن أبي شيبة: حدثنا الأسود بن عامر، حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش

(١) تفسير الطبري ١١/ ٣٩٥.
(٢) أخرجه البخاري في الأدب باب ٤٨، وأبو داود في الأدب باب ٥.
(٣) أخرجه مسلم في الطلاق حديث ٣٦، وأبو داود في الطلاق باب ٣٩، والترمذي في النكاح باب ٣٨، والنسائي في النكاح باب ٢٢، ومالك في الطلاق باب ٦٧، وأحمد في المسند ٦/ ٤١٢.
(٤) أخرجه البخاري في الهبة باب ٣٠، ومسلم في الهبات حديث ٥، ٦، وأبو داود في البيوع باب ٨١، والنسائي في الهبة باب ٣، ٤، وابن ماجة في الصدقات باب ١.
(٥) أخرجه البخاري في الهبة باب ٣٠، والترمذي في البيوع باب ٦١.
(٦) أخرجه البخاري في العلم باب ٣٧، ومسلم في الحج حديث ٤٤٥، ٤٤٦، والترمذي في تفسير سورة ٩ باب ٢، وابن ماجة في الفتن باب ٢، وأحمد في المسند ١/ ٢٣٠، ٣/ ٣١٣، ٣٧١، ٤٨٥، ٤/ ٧٦، ٥/ ٦٨.
(٧) أخرجه مسلم في البر حديث ٣٢، وأبو داود في الأدب باب ٣٥، والترمذي في البر باب ١٨، وابن ماجة في الزهد باب ٢٣، وأحمد في المسند ٣/ ٤٩١.." (١)

"يا رسول الله حدثنا ما رأيت ليلة أسري بك؟ قال: ثم انطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير، رجال ونساء موكل بهم رجال يعمدون إلى عرض جنب أحدهم، فيجذون منه الجذة من مثل النعل ثم يضعونه في أحدهم. فيقال له كل كما أكلت وهو يجد من أكله الموت يا محمد لو يجد الموت وهو يكره عليه، فقلت: يا جبرائيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الهمازون واللمازون أصحاب النميمة، فيقال: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه وهو يكره على أكل لحمه، هكذا أورد هذا الحديث وقد سقناه بطوله في أول تفسير سورة سبحان ولله الحمد والمنة.
وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا الربيع عن يزيد عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له، فصام الناس، فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول ظللت منذ اليوم صائما فائذن لي فأفطر فأذن له ويجيء الرجل فيقول ذلك، فيأذن له حتى جاء رجل فقال: يا رسول الله إن امرأتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين، فائذن لهما فليفطرا، فأعرض عنه ثم أعاد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما صامتا، وكيف صام ظل يأكل من لحوم الناس؟ اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا» ففعلتا، فقاءت كل واحدة منهما علقة علقة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو ماتتا وهما فيهما لأكلتهما النار» إسناد ضعيف ومتن غريب. وقد رواه الحافظ البيهقي من حديث يزيد بن هارون.
حدثنا سليمان التيمي قال: سمعت رجلا يحدث في مجلس أبي عثمان النهدي عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٥٥/٧

أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إن هاهنا امرأتين صامتا وإنهما كادتا تموتان من العطش، أراه قال بالهاجرة، فأعرض عنه أو سكت عنه، فقال: يا نبي الله إنهما والله قد ماتتا أو كادتا تموتان، فقال:

ادعهما. فجاءتا قال: فجيء بقدح أو عس، فقال لإحداهما قيئي. فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح، ثم قال للأخرى: قيئي، فقاءت قيحا ودما وصديدا ولحما ودما عبيطا «١» وغيره حتى ملأت القدح، ثم قال: «إن هاتين صامتا عما أحل الله تعالى لهما وأفطرنا على ما حرم الله عليهما، جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا تأكلان لحوم الناس» . وهكذا قد رواه الإمام أحمد «٢» عن يزيد بن هارون وابن أبي عدي، كلاهما عن سليمان بن طرخان التيمي به مثله أو نحوه، ثم رواه أيضا من حديث مسدد عن يحيى القطان عن عثمان بن غياث.

حدثني رجل أظنه في حلقة أبي عثمان عن سعد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنهم أمروا بصيام، فجاء رجل في نصف النهار فقال: يا رسول الله فلانة وفلانة قد بلغتا الجهد فأعرض عنه مرتين أو

---

(١) اللحم العبيط: اللحم الطري غير النضيج.

(٢) المسند ٥/ ٤٣١.." (١)

"ثلاثا ثم قال «ادعهما» فجاء بعس أو قدح فقال لإحداهما: قيئي. فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا، وقال للأخرى مثل ذلك ثم قال: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما. أتت إحداهما للأخرى فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا. قال البيهقي: كذا قال عن سعد، والأول وهو عبيد أصح.

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد، حدثنا أبي، حدثنا أبو عاصم، حدثنا ابن جريج، أخبرني أبو الزبير عن ابن عم لأبي هريرة أن ماعزا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني قد زنيت، فأعرض عنه حتى قالها أربعا، فلما كان في الخامسة قال:

زنيت؟ قال: نعم قال: وتدري ما الزنا؟ قال: نعم أتيت منها حراما ما يأتي الرجل من امرأته حلالا. قال: ما تريد إلى هذا القول؟ قال: أريد أن تطهرني. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

أدخلت ذلك منك في ذلك منها كما يغيب الميل في المكحلة والرشا في البئر؟ قال: نعم يا رسول الله قال: فأمر برجمه، فرجم، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلين يقول أحدهما لصاحبه: ألم تر إلى هذا الذي ستر الله عليه، فلم تدعه نفسه حتى رجم رجم الكلب؟ ثم سار النبي صلى الله عليه وسلم حتى مر بجيفة حمار فقال: «أين فلان وفلان؟ انزلا فكلا من جيفة هذا الحمار» قالا: غفر الله لك يا رسول الله وهل يؤكل هذا؟ قال صلى الله عليه وسلم: «فما نلتما من أخيكما آنفا أشد أكلا منه، والذي نفسي بيده إنه الآن لفي أنهار الجنة ينغمس فيها» «١» إسناد صحيح.

وقال الإمام أحمد «٢» : حدثنا عبد الصمد، حدثني أبي. حدثنا واصل مولى ابن عيينة، حدثني خالد بن عرفطة عن طلحة

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٥٧/٧

بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتدرون ما هذه الريح؟ هذه ريح الذين يغتابون الناس» .

[طريق أخرى] قال عبد بن حميد في مسنده: حدثنا إبراهيم بن الأشعث، حدثنا الفضيل بن عياض عن سليمان عن أبي سفيان وهو طلحة بن نافع عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فهاجت ريح منتنة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن نفرا من المنافقين اغتابوا ناسا من المسلمين فلذلك بعثت هذه الريح» وربما قال «فلذلك هاجت هذه الريح» وقال السدي في قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا زعم أن سلمان الفارسي رضي الله عنه كان مع رجلين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في سفر يخدمهما ويخف لهما وينال من طعامهما، وأن سلمان رضي الله عنه لما سار الناس ذات يوم، وبقي سلمان رضي الله عنه نائما لم يسر معهم، فجعل صاحباه يكلمانه فلم يجداه، فضربا الخباء فقالا: ما يريد سلمان أو هذا

---

(١) أخرجه أبو داود في الأدب باب ٢٥.

(٢) المسند ٣/ ٣٥١.." (١)

"العبد شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام مقدور وخباء مضروب، فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما، فانطلق فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه قدح له فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك. قال صلى الله عليه وسلم: «ما يصنع أصحابك بالأدم؟ قد ائتدموا» فرجع سلمان رضي الله عنه يخبرهما بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانطلقا حتى أتيا رسول الله فقالا:

والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكما قد ائتدمتما بسلمان بقولكما» قال: ونزلت أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا إنه كان نائما.

وروى الحافظ الضياء المقدسي في كتابه المختار من طريق حبان بن هلال عن حماد بن سلمة عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كانت العرب تخدم بعضها بعضا في الأسفار، وكان مع أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، رجل يخدمهما فناما فاستيقظا ولم يهيئ لهما طعاما فقالا: إن هذا لنؤوم فأيقظاه، فقالا له: ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له إن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يقرئانك السلام ويستأدمانك فقال صلى الله عليه وسلم: «إنهما قد ائتدما» فجاءا فقالا يا رسول الله بأي شيء ائتدمنا؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «بلحم أخيكما، والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما» فقالا رضي الله عنهما: استغفر لنا يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وسلم «مراه فليستغفر لكما» .

وقال الحافظ أبو يعلى: حدثنا الحكم بن موسى، حدثنا محمد بن مسلم عن محمد بن إسحاق، عن عمه موسى بن يسار عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أكل من **لحم أخيه** في الدنيا قرب الله إليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا- قال- فيأكله ويكلح «١» ويصيح» غريب جدا.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٥٨/٧

وقوله عز وجل: واتقوا الله أي فيما أمركم به ونهاكم عنه فراقبوه في ذلك واخشوا منه إن الله تواب رحيم أي تواب على من تاب إليه رحيم لمن رجع إليه واعتمد عليه. قال الجمهور من العلماء: طريق المغتاب للناس في توبته أن يقلع عن ذلك ويعزم على أن لا يعود، وهل يشترط الندم على ما فات؟ فيه نزاع، وأن يتحلل من الذي اغتابه. وقال آخرون:

لا يشترط أن يتحلله فإنه إذا أعلمه بذلك ربما تأذى أشد مما إذا لم يعلم بما كان منه فطريقه إذا أن يثني عليه بما فيه في المجالس التي كان يذمه فيها، وأن يرد عنه الغيبة بحسبه وطاقته، فتكون تلك بتلك كما قال الإمام أحمد «٢» ، حدثنا أحمد بن الحجاج، حدثنا عبد الله، أخبرنا يحيى بن أيوب عن عبد الله بن سليمان أن إسماعيل بن يحيى المعافري أخبره أن سهل بن معاذ بن أنس الجهني أخبره عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من حمى مؤمنا من منافق يغتابه، بعث الله تعالى إليه ملكا يحمي لحمه يوم القيامة من نار جهنم، ومن رمى مؤمنا بشيء

---

(١) يكلح: يعبس حتى تبدو أسنانه.

(٢) المسند ٣/ ٤٤١.." [1]

"من أسلف فليسلف في كيل معلوم ووزن معلوم إلى أجل معلوم: (١) ٥٥٩ من أسلم من أهل الكتابين فله أجره مرتين: (٦) ٢٢٠ من أصاب منه من ذي حاجة بفيه غير متخذ خبنة فلا شيء عليه: (١) ٣٥٢ من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تسد فاقته: (٥) ٥٩ من أصبح منكم معافى في جسده، آمنا في سربه عنده قوت يومه، فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها: (٣) ٦٦ من أصيب بشيء من جسده فتركه لله كان كفارة له: (٣) ١١٤ من أصيب بقتل أو خبل فإنه يختار إحدى ثلاث: (١) ٣٥٩ من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله: (٢) ٣٠٤، ٣٢١ من أعان باطلا ليدحض به حقا فقد برئت منه ذمة الله تعالى وذمة رسوله: (٧) ١١٧ من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة: (١) ٧٠ من أعان مجاهدا في سبيل الله أو غازيا أو غارما في عسرته: (١) ٥٥٦ من أعتق رقبة مسلمة فهي فداؤه من النار: (٥) ٦٠ من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل إرب- أي عضو- منها إربا منه من النار: (٨) ٣٩٥ من أعطي فشكر ومنع فصبر وظلم فاستغفر وظلم فغفر: (٣) ٢٦٥ من أغلق بابه فهو آمن: (١) ٣٨٨ من

أفطر فحسن ومن صام فلا جناح عليه: (١) ٣٧٠ من اقتطع مال امرئ مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان: (٢) ٥٥ من أكبر الكبائر استطالة المرء في عرض رجل مسلم بغير حق: (٢) ٢٤٣ من أكبر الكبائر عرض الرجل المسلم والسبتان والسبة: (٢) ٢٤٣ من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا: (٨) ١٦٩ من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها في جهنم: (٧) ٣٥٦ من أكل كراء بيوت مكة أكل نارا: (٥) ٣٦١ من أكل من **لحم أخيه** في الدنيا قرب الله إليه لحمه في الآخرة: (٧) ٣٥٩ من أمتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى ابن مريم متى نزل: (٣) ٤٦٦ من انتسب إلى تسعة آباء كفار يريد بهم عزا وفخرا فهو عاشرهم في النار: (٢) ٣٨٥ من أنظر معسرا إلى ميسرته أنظره الله بذنبه إلى توبته: (١) ٥٥٧ من أنظر معسرا أو وضع عنه أظله الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله: (١) ٥٥٦ من

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٥٩/٧

أنظر معسرا أو وضع عنه، وقاه الله من فيح جهنم: (١) ٥٥٧ من أنظر معسرا أو وضع له، وقاه الله من فيح جهنم: (٢) ١٠٥ من أنظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة: (١) ٥٥٥ من أنعم الله عليه نعمة فإن الله يحب أن يرى أشر نعمته على خلقه: (١) ٣٣٦." [1]

"الله. وقيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا؟ فقال: إنا قد نهينا عن التجسس فإن يظهر لنا شيئا نأخذه به.

فصل

واعلم أن الظن تبنى عليه القبائح فالعاقل إذا وقف أموره على اليقين قل ما يتقن في أحد عيبا يلمزه به لأن الوعظ في الصورة قد يكون قبيحا وفي نفس الأمر لا يكون كذلك؛ لأن الفعل قد يكون فاعله ساهيا أو يكون الرأي مخطئا، وقوله تعالى: ﴿كثيرا من الظن﴾ إخراج للظنون التي تبنى عليها الخيرات.

قال عليه الصلاة والسلام «ظنوا بالمؤمن خيرا» وقوله: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ إشارة إلى الأخذ بالأحوط. وقوله: «ولا تجسسوا» إتمام لذلك لأنه تعالى لما قال: ﴿اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ فهم منه أن المعتبر اليقين. وقوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي لا يتناول بعضكم بعضا في غيبته بما يسوؤه مما هو فيه.

«قال عليه الصلاة والسلام :» أتدرون ما الغيبة؟ «قالوا: الله ورسوله أعلم قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد أغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»

وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن.

قوله: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ نصب «ميتا» على الحال من «لحم» أو «أخيه» ، وتقدم الخلاف في ميتا.

فإن قيل: اللحم ألا يكون ميتا؟

فالجواب: بلى. قال عليه الصلاة والسلام : «ما أبين من حي فهو ميت» فسمى القطعة ميتا.

فإن قيل: مإذا جعلناه حالا من الأخ لا يكون هيئة الفاعل ولا المفعول فلا يجوز جعله." [2]

"حالا فهو كقول القائل: مررت بأخي زيد (قائما) ويريد كون زيد قائما. وذلك لا يجوز.

قلنا: من أكل لحمه فقط أكل فصار الأخ مأكولا مفعولا بخلاف المرور بأخي زيد.

فصل

في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم. وهذا من باب القياس الظاهر؟ لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه فلما لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك آلم.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ١٦٢/٩

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥٠/١٧

وقوله: «لحم أخيه» آكد في المنع؛ لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو، وفي قوله: «ميتا» إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال: الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه للمغتاب فلا يؤلم فقال: آكل لحم الأخ وهو ميت أيضا يؤلمه ومع هذا فهو في غاية القبح لما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه، وفيه معنى لطيف وهو أن الاغتياب بأكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضظر بقدر الحاجة، والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب.

قوله: «فكرهتموه» قال الفراء: تقديره: فقد كرهتموه فلا تفعلوه. وقال ابن الخطيب: الفاء في تقدير جواب كلام كأنه تعالى لما قال: أيحب للإنكار فكأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذن. وقال أبو البقاء: المعطوف عليه محذوف تقديره عرض عليكم ذلك فكرهتموه. والمعنى يعرض عليكم فتكرهونه.

وقيل: إن صح ذلك عندكم فأنتم (أي) تكرهونه قال ابن الخطيب: هو كمتعلق المسبب بالسبب وترقبه عليه كقولك: جاء فلان ماشيا فتعب، فقيل: هو خبر يمعنى الأمر كقولهم: «اتقى الله امرؤ فعل خيرا يثب عليه» .

وقرأ أبو حيوة والجحدري: فكرهتموه." (١)

"بضم الكاف وتشديد الراء عدي بالتضعيف إلى ثان بخلاف قوله أولا: «كره إليكم الكفر» فإنه وإن كان مضعفا لم يتعد لواحد لتضمنه معنى بغض.

فصل

قال ابن الخطيب: الضمير في قوله: فكرهتموه «فيه وجوه:

أظهرها: أن يعود إلى الآكل لأن قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم﴾ معناه أيحب أحدمكم الأكل لأن» أن «مع الفعل للمصدر أي فكرهتم الأكل.

وثانيها: أن يعود إلى اللحم أي فكرهتم اللحم.

وثالثها: أن يعود إلى الميت في قوله:» ميتا «تقديره: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله:» ميتا «ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة أن أكلت في الندرة لسبب كان نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا فكذلك ينبغي أن يكون الغيبة، وذلك يحقق الكارهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله ففيه إذن كراهة شديدة فكذلك حال الغيبة.

فصل

قال مجاهد: لما قيل لهم: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا؟ قالوا: لا، قيل:» فكرهتموه «أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره باللسوء غائبا. قال الزجاج: تأويله إن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥١/١٧

قال عليه الصلاة والسلام » لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل. قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم «.." (١)

"قال الشاعر: [الطويل]

١٣٩٠ - فإن القوافي يتلجن موالجا ... تضايق عنها أن تولجها الإبر

الولوج: الدخول، والإيلاج: الإدخال - ومعنى الآية على ذلك.

وقول من قال: معناه النقص فإنما أراد اللازم؛ لأنه - تبارك وتعالى - إذا أدخل من هذا في هذا فقد نقص المأخوذ منه المدخل في ذلك الآخر. وزعم بعضهم أن تولج بمعنى ترفع، وأن «في» بمعنى «على» وليس بشيء.

وقيل: المعنى: أنه - تعالى - يأتي بالليل عقيب النهار -، فيلبس الدنيا ظلمته - بعد أن كان فيها ضوء النهار - ثم يأتي بالنهار عقيب الليل، فيلبس الدنيا ضوءه، فكأن المراد من إيلاج أحدهما في الآخر إيجاد كل واحد منهما عقيب الآخر.

قال ابن الخطيب: «والقول بأن معناه النقص أقرب إلى اللفظ؛ لأنه إذا كان النهار طويلا، فجعل ما نقص منه زيادة في الليل، كان ما نقص منه زيادة في الآخر» .

قوله: ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ اختلف القراء في لفظة «الميت» فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر عن عاصم لفظ «الميت» من غير تاء تأنيث - مخففا، في جميع القرآن، سواء وصف به الحيوان نحو: ﴿وتخرج الحي من الميت﴾ [آل عمران: ٢٧] أو الجماد نحو: ﴿فسقناه إلى بلد ميت﴾ [فاطر: ٩]- منكرا أو معرفا كما تقدم ذكره - إلا قوله تعالى: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ [الزمر: ٣٠] ، وقوله: ﴿وما هو بميت﴾ [إبراهيم: ١٧]- في إبراهيم - مما لم يمت بعد، فإن الكل ثقلوه، وكذلك لفظ «الميتة» في قوله: ﴿وآية لهم الأرض الميتة﴾ [يس: ٣٣] دون الميتة المذكورة مع الدم - فإن تلك لم يشددها إلا بعض قراء الشواذ - وكذلك قوله: ﴿وإن يكن ميتة﴾

[الأنعام: ١٣٩] ، وقوله: ﴿فأنشرنا به بلدة ميتا﴾ [الزخرف: ١١] ، وقوله: ﴿إلا أن يكون ميتة﴾ [الأنعام: ١٤٥] فإنها مخففات عند الجميع، وثقل نافع جميع ذلك، والأخوان وحفص - عن نافع - وافقوا ابن كثير ومن معه في الأنعام في قوله: ﴿أو من كان ميتا فأحييناه﴾ [الأنعام: ١٢٢] ، وفي الحجرات: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ [الحجرات: ١٢] ، وفي يس: ﴿الأرض الميتة﴾ [يس: ٣٣] ، ووافقوا نافعا فيما عدا ذلك، فجمعوا بين اللغتين؛ إيذانا بأن كلا من القراءتين صحيح، وهما بمعنى؛ لأن «فيعل» يجوز تخفيفه في المعتل بحذف إحدى ياءيه، فيقال: هين وهين، لين ولين، ميت وميت، وقد جمع." (٢)

"(سورة الحجرات)

(مدنية حروفها ألف وأربعمائة وستة وسبعون كلماتها ثلاثمائة وأربعون آياتها ثمان عشرة)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٥٢/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٣٣/٥

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١ الى ١٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم (١) يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون (٢) إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم (٣) إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون (٤)

ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم (٥) يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩)

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤)

إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨)." (١)

"﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾ أي مؤثم وهو كثير كظن السوء بأهل الخير من المؤمنين وهم كثير بخلافه بالفساق منهم فلا إثم فيه في نحو ما يظهر منهم ﴿ولا تجسسوا﴾ حذف منه إحدى التاءين ولا تتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم بالبحث عنها ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ لا يذكره بشيء يكرهه وإن كان فيه ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾

بالتخفيف والتشديد أي لا يحسن به ﴿فكرهتموه﴾ أي فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته وقد عرض عليكم الثاني

(١) تفسير النيسابوري = غرائب القرآن ورغائب الفرقان النيسابوري، نظام الدين القمي ٦/١٥٥

فكرهتموه فاكرهوا الأول ﴿واتقوا الله﴾ أي عقابه في الاغتياب بأن تتوبوا منه ﴿إن الله تواب﴾ قابل توبة التائبين ﴿رحيم﴾ بهم

١ –." (١)

"هو معلوم في الحديث الطويل، ومدافعة الفئة الباغية متوجهة في كل حال، [وأما التهيؤ] لقتالهم فمع الولاة، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «حكم الله في الفئة الباغية ألا يجهز على جريحها، ولا يطلب هاربها، ولا يقتل أسيرها، ولا يقسم فيئها» «١» وتفيء معناه: ترجع، وقرأ الجمهور: «بين أخويكم» وذلك رعاية لحال أقل عدد يقع فيه القتال والتشاجر، وقرأ ابن عامر: «بين إخوتكم» «٢» وقرأ عاصم الجحدري: «بين إخوانكم» »

وهي قراءة حسنة لأن الأكثر في جمع الأخ في الدين ونحوه من غير النسب/: «إخوان» ، والأكثر في جمعه من النسب: «إخوة» و «آخاء» ، وقد تتداخل هذه الجموع، وكلها في كتاب الله.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١١ الى ١٢]

يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

وقوله سبحانه: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم الآية: هذه الآية والتي بعدها نزلت في خلق أهل الجاهلية وذلك أنهم كانوا يجرون مع شهوات نفوسهم، لم يقومهم أمر من الله ولا نهي، فكان الرجل يسخر، ويلمز، وينبز بالألقاب، ويظن الظنون، ويتكلم بها، ويغتاب، ويفتخر بنسبه، إلى غير ذلك من أخلاق النفوس البطالة، فنزلت هذه الآية تأديبا لهذه الأمة، وروى البخاري ومسلم والترمذي واللفظ له عن أبي هريرة قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المسلم أخو المسلم، لا يخونه ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام: عرضه، وماله، ودمه، التقوى هاهنا، بحسب امرئ من الشر أن يحتقر

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٦) ، وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» ، وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذه الإسناد، وفيه كوثر بن حكيم، وهو ضعيف.

(٢) ينظر: «السبعة» (٦٠٦) ، و «الحجة» (٦/ ٢٠٧) ، و «معاني القراءات» (٣/ ٢٤) ، و «شرح الطيبة» (٦/ ١٥) ، و «حجة القراءات» (٦٧٥) ، و «إتحاف» (٢/ ٤٨٦) .

(٣) وقرأ بها زيد بن ثابت، وابن مسعود، والحسن، وابن سيرين. قال ابن خالويه: وسمعت ابن مجاهد يقول: روى عبد

---

(١) تفسير الجلالين المحلي، جلال الدين ص/٦٨٧

الوارث عن أبي عمرو أنه كان ربما قرأ «بين إخوتكم» ، وربما قرأ بالنون «إخوانكم» ، وربما قرأ بالياء «بين أخويكم» .
ينظر: «الشواذ» ص: (١٤٤) ، و «المحتسب» (٢/ ٢٧٨) ، و «المحرر الوجيز» (٥/ ١٤٩) ، وزاد نسبتها إلى حماد بن سلمة.

وينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١١١) ، وزاد نسبتها إلى ثابت البناني. وهي في «الدر» (٦/ ١٧٠) . [.....]."[1]

"ت: وهذا الحديث خرجه أيضا أبو بكر ابن الخطيب بسنده عن بهز، عن أبيه، عن جده، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أترعوون عن ذكر الفاجر، اذكروه بما فيه يحذره الناس» «١» ولم يذكر في سنده مطعنا، انتهى، ومنه قوله ع: «بئس ابن العشيرة» «٢» .

ثم مثل تعالى الغيبة بأكل لحم ابن آدم الميت، ووقف تعالى على جهة التوبيخ بقوله:

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه أي: فكذلك فاكرهوا الغيبة، قال أبو حيان «٣» : فكرهتموه قيل: خبر بمعنى الأمر، أي: فاكرهوه، وقيل على بابه، فقال الفراء: فقد كرهتموه، فلا تفعلوه، انتهى.

وقد روى البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يرمي رجل رجلا بالفسوق، ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك» «٤» وفي رواية مسلم: «من دعا رجلا بالكفر، أو قال: عدو الله، وليس كذلك- إلا حار عليه» «٥» وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم:

«أي رجل قال لأخيه: كافر فقد باء بها أحدهما» «٦» انتهى، وباقي الآية بين.

- قال ابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٢٠) : الجارود بن يزيد العامري- أبو علي من أهل نيسابور، يروي عن بهز بن حكيم، والثوري، روى عنه سلمة بن شعيب يتفرد بالمناكير عن المشاهير، ويروي عن الثقات ما لا أصل له، روى عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جده قال: «أتنزعون عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه كي يحذر الناس» اهـ.

وجد بهز بن حكيم هو معاوية بن حيدة.

(١) انظر الحديث السابق.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٨٦) كتاب «الأدب» باب: ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب (٦٠٥٤) ، ومسلم (٤/ ٢٠٠٢) كتاب «البر والصلة والآداب» باب: مداراة من يتقى فحشه (٧٣، ٧٣/ ٢٥٩١) ، وأبو داود (٢/ ٦٦٦) كتاب «الأدب» باب: في حسن العشرة (٤٧٩٢) ، والترمذي (٤/ ٢٠٩) كتاب «البر والصلة» باب: ما جاء في المداراة (١٩٩٦) ، ومالك (٢/ ٩٠٣) كتاب «حسن الخلق» باب: ما جاء في حسن الخلق (٤) ، وأحمد (٦/ ١٥٨) .

(٣) ينظر: «البحر المحيط» (٨/ ١١٤) .

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٧٩) كتاب «الأدب» باب: ما ينهى عن السباب واللعن (٦٠٤٥) ، وأحمد (٥/ ١٨١) .

(٥) أخرجه مسلم (١/ ٢٨٠) - الأبي كتاب «الإيمان» باب: بيان حال من رغب عن أبيه وهو يعلم. (١١٢/

---

[1] تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٧١/٥

٦١) ، وأحمد (٥/ ٢٦٦) .

(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٣١) كتاب «الأدب» باب: من أكفر أخاه بغير تأويل فهو كما قال (٦١٠٤) ، ومسلم (١/ ٢٧٩- ٢٨٠) ، كتاب «الإيمان» باب: بيان حال إيمان من قال لأخيه المسلم: يا كافر (١١١/ ٦٠) عن عبد الله بن دينار، والترمذي (٥/ ٢٢) كتاب «الإيمان» باب: ما جاء فيمن رمى أخاه بكفر (٢٦٣٧) .

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.." (١)

"وكان هذا لو تأمله العاقل كان منه على غاية النفرة، ولكنه لخفائه لا يخطر بباله، جلاه له في قوله تقريرا وتعبيرا بالحب عما هو في غاية الكراهة لما للمغتاب من الشهوة في الغيبة ليكون التصوير بذلك رادا له عنها ومكرها فيها: ﴿أيحب﴾ وعم بقوله: ﴿أحدكم﴾ وعبر بأن والفعل تصويرا للفعل فقال: ﴿أن يأكل﴾ وزاد في التنفير بجعله في إنسان هو أخ فقال: ﴿لحم أخيه﴾ وأنهى الأمر بقوله: ﴿ميتا﴾ .

ولما كان الجواب قطعا: لا يحب أحد ذلك، أشار إليه بما سبب من قوله: ﴿فكرهتموه﴾ أي بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا، لأن داعي العقل بصير عالم، وداعي الطبع أعمى جاهل، وقد رتب سبحانه هذه الحكم أبدع ترتيب، فأمر سبحانه بالتثبت. وكان ربما أحدث ضغينة، نهى عن العمل بموجبه من السخرية واللمز والنبز والتمادي مع ما ينشره ذلك من الظنون، فإن أبت النفس إلا تماديا مع الظن فلا يصل إلى التجسس والبحث عن المعايب، فإن حصل الاطلاع عليها كف عن ذكرها، وسعى في سترها، وفعل ذلك كله لخوف الله، لا شيء غيره، فإن وقع في شيء من ذلك بادر المتاب رجاء الثواب.." (٢)

"صدرت منها البغي، (حتى تفيء): ترجع، (إلى أمر الله): حكمه، (فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل)، قيد بالعدل هاهنا لأنه مظنة الحيف لما أنه بعد المقابلة، (وأقسطوا): اعدلوا في الأمور، (إن الله يحب المقسطين إنما المؤمنون إخوة): من حيث الدين، (فأصلحوا بين أخويكم)، عدل من بينهم إلى بين أخويكم للدلالة على أن المصالحة بين الجماعة أوكد وأوجب إذا لزمت بين الأقل، فبين الأكثر ألزم، (واتقوا الله لعلكم ترحمون).

* * *

(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن

---

(١) تفسير الثعالبي = الجواهر الحسان في تفسير القرآن الثعالبي، أبو زيد ٢٧٦/٥

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٨٠/١٨

أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله." (١)

"الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن): وهو ظن السوء بأخيك المسلم، (إن بعض الظن إثم): فكونوا على حذر حتى لا توقعوا فيه، (ولا تجسسوا): لا تبحثوا عن عورات المسلمين ومعايبهم، (ولا يغتب بعضكم بعضا)، والغيبة ذكرك أخاك بما يكره، مع أنه فيه، فإن لم يكن فيه، فبهتان، (أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه)**، تمثيل لما ينال من عرضه على أفحش وجه، (ميتا)، حال من اللحم، أو الأخ، (فكرهتموه)، الفاء فصيحة أي: إن عرض عليكم هذا فقد كرهتموه، فهو تقرير وتحقيق للأول، (واتقوا الله إن الله تواب): بليغ في قبول التوبة، (رحيم)، روى الإمام أحمد، والبيهقي أنه قيل: يا رسول الله فلانة وفلانة صائمتان وقد بلغتا الجهد، فقال: " ادعهما "، فقال لإحداهما: " قيئي "، فقاءت لحما ودما عبيطا وقيحا، وللأخرى مثل ذلك، ثم قال عليه الصلاة والسلام إن هؤلاء صامتا عما أحل الله، وأفطرتا عما حرم الله عليهما أتت إحدهما للأخرى، فلم تزالا تأكلان لحوم الناس حتى امتلأت أجوافهما قيحا (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى): آدم وحواء فأنتم متساون في النسب، فلا تفاخروا به، (وجعلناكم شعوبا)، الشعب بالفتح رءوس القبائل، والطبقة الأولى، والقبائل تشعبت منه، (وقبائل)، هي دون الشعب." (٢)

"هتك حجاب الحياء فلم تلقه إلا مقيتا ممقتا فإذا كان مقيتا ممقتا نزعت منه الأمانة فإذا نزعت منه الأمانة لم تلقه إلا خائنا مخونا فإذا كان خائنا مخونا نزعت منه الرحمة فإذا نزعت منه الرحمة لم تلقه إلا فظا غليظا فإذا كان فظا غليظا نزعت منه ربقة الإسلام فإذا نزعت منه ربقة الإسلام لم تلقه إلا لعينا ملعنا شيطانا رجيما

قوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية

أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس في قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية قال: حرم الله أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة

وأخرج ابن المنذر عن ابن جريج في قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية قال: زعموا أنها نزلت في سلمان الفارسي أكل ثم رقد فنفخ فذكر رجلان أكله ورقاده فنزلت

وأخرج ابن أبي حاتم عن السدي أن سلمان الفارسي كان مع رجلين في سفر يخدمهما وينال من طعامهما وأن سلمان نام يوما فطلبه صاحباه فلم يجداه فضربا الخباء وقالا: ما يريد سلمان شيئا غير هذا أن يجيء إلى طعام معدود وخباء مضروب فلما جاء سلمان أرسلاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب لهما إداما فانطلق فأتاه فقال: يا رسول الله بعثني أصحابي لتؤدمهم إن كان عندك قال: ما يصنع أصحابك بالأدم قد ائتدموا فرجع سلمان فخبرهما فانطلقا فأتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا: والذي بعثك بالحق ما أصبنا طعاما منذ نزلنا

قال: إنكما قد ائتدمتما سلمان بقولكما فنزلت ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾

---

(١) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٧١/٤

(٢) تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن الإيجي، محمد بن عبد الرحمن ١٧٣/٤

وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الآية قال: نزلت هذه الآية في رجل كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم أرسل بعض الصحابة إليه يطلب منه إداما فمنع فقالوا له: إنه لبخيل وخيم فنزلت في ذلك

وأخرج ابن المنذر عن الضحاك في قوله ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ قال: أن يقول للرجل من خلفه هو كذا يسيء الثناء عليه

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عن قتادة ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ قال: ذكر لنا أن الغيبة أن تذكر أخاك بما يشينه وتعيبه بما فيه فإن أنت كذبت." (١)

"عليه فذاك البهتان يقول كما أنت كاره لو وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها فكذلك فأكره لحمها وهو حي

وأخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو داود والترمذي وصححه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله: ما الغيبة قال ذكرك أخاك بما يكره قال يا رسول الله: أرأيت إن كان في أخي ما أقول قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته

وأخرج عبد بن حميد والخرائطي في مساوىء الأخلاق عن المطلب بن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الغيبة أن تذكر المرء بما فيه فقال إنما كنا نرى أن نذكره بما ليس فيه ذاك البهتان

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة أن امرأة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ثم خرجت فقالت عائشة يا رسول الله: ما أجملها وأحسنها لولا أن بها قصرا فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: اغتبتيها يا عائشة فقالت يا رسول الله: إنما قلت شيئا هو بها

فقال يا عائشة إذا قلت شيئا بها فهي غيبة وإذا قلت ما ليس بها فقد بهتها

وأخرج عبد بن حميد عن عون بن عبد الله قال: إذا قلت للرجل بما فيه فقد اغتبته وإذا قلت ما ليس فيه فقد بهته

وأخرج عبد بن حميد عن معاوية بن قرة قال: لو مر بك أقطع فقلت: هذا الأقطع كانت غيبة

وأخرج عبد بن حميد عن محمد بن سيرين أنه ذكر عنده رجل فقال: ذاك الأسود قال: أستغفر الله أراني قد اغتبته

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ قالوا: نكره ذلك

قال: فاتقوا الله

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذم الغيبة والخرائطي في مساوىء الأخلاق وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن عائشة قالت: لا يغتب بعضكم بعضا فإني كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت امرأة طويلة الذيل فقلت يا رسول الله: إنها الطويلة الذيل فقال النبي صلى الله عليه وسلم: الفظي فلفظت بضعة لحم

وأخرج عبد بن حميد عن عكرمة رفع الحديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه لحق قوما فقال لهم: تخللوا فقال القوم والله يا نبي الله ما طعمنا اليوم طعاما فقال النبي." (٢)

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٧/٥٧٠

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٧/٥٧١

"صلى الله عليه وسلم والله إني لأرى لحم فلان بين ثناياكم وكانوا قد اغتابوه

وأخرج الضياء المقدسي في المختارة عن أنس قال: كانت العرب يخدم بعضها بعضا في الأسفار وكان مع أبي بكر وعمر رجل يخدمها فناما فاستيقظا ولم يهيء لهما طعاما فقالا إن هذا لنؤوم فأيقظاه فقالا: إئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقل له: إن أبا بكر وعمر يقرئانك السلام ويستأذناك فقال: إنهما إئتدما فجاءاه فقالا يا رسول الله: بأي شيء إئتدمنا قال: بلحم أخيكما والذي نفسي بيده إني لأرى لحمه بين ثناياكما فقالا: إستغفر لنا يا رسول الله

قال: مراه فليسغفر لكما

وأخرج الحكيم الترمذي في نوادر الأصول عن يحيى بن أبي كثير أن نبي الله صلى الله عليه وسلم كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه لحما فقال: أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعا قالوا: من أين فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام فقال: من لحم صاحبكم الذي ذكرتم

قالوا يا نبي الله: إنما قلنا إنه لضعيف ما يعيننا على شيء

قال: ذلك فلا تقولوا [] فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال فجاء أبو بكر فقال يا نبي الله طاعلى صماخي واستغفر لي ففعل وجاء عمر فقال: يا نبي الله طاعلى صماخي واستغفر لي ففعل

وأخرج أبو يعلى وابن المنذر وابن مردويه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من أكل **لحم أخيه** في الدنيا قرب له لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما أكلته حيا فإنه ليأكله ويكلح ويصيح

وأخرج أحمد وابن أبي الدنيا وابن مردويه عن عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس فجاء منهما رسول النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: إن ههنا امرأتين صامتا وقد كادتا أن تموتا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائتوني بهما فجاءتا فدعا بعس أو قدح فقال لإحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى قاءت نصف القدح وقال للأخرى قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن هاتين صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ما حرم الله عليهما جلست إحداهما إلى الأخرى فجعلتا يأكلان لحوم الناس

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة أنها سألت عن الغيبة فأخبرت أنها أصبحت يوم الجمعة وغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة وأتتها جارة لها من نساء الأنصار فاغتابتا." (١)

"الدنيا والآخرة شرا وما التقم أحد لقمة شرا من اغتياب مؤمن إن قال فيه ما يعلم فقد إغتابه ومن قال فيه ما لا يعلم فقد بهته

وأخرج أحمد عن جابر بن عبد الله قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فارتفعت ريح جيفة منتنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما هذه الريح هذه ريح الذين يغتابون الناس

وأخرج ابن أبي الدنيا عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا وقع في الرجل وأنت في ملأ فكن للرجل ناصرا

---

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٥٧٢/٧

وللقوم زاجرا وقم عنهم ثم تلا هذه الآية ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾
وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن الربا نيف وسبعون بابا أهونهن بابا مثل من نكح أمه في الإسلام ودرهم الربا أشد من خمس وثلاثين زنية وأشر الربا وأربى وأخبث الربا انتهاك عرض المسلم وانتهاك حرمته
وأخرج أحمد وأبو داود والبيهقي عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لما عرج بي مررت بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم
وأخرج أحمد وأبو داود والبيهقي وأبو يعلى والطبراني والحاكم عن المستورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أكل برجل مسلم أكله فإن الله يطعمه مثلها من جهنم ومن كسي برجل مسلم ثوبا فإن الله يكسوه مثله من جهنم ومن قام برجل مقام سمعة أو رياء فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة
وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أن يصوموا يوما ولا يفطرن أحد حتى آذن له فصام الناس فلما أمسوا جعل الرجل يجيء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول: ظللت منذ اليوم صائما فأذن لي فلأفطرن فيأذن له حتى جاء رجل فقال يا رسول الله إن فتاتين من أهلك ظلتا منذ اليوم صائمتين فأذن لهما فليفطرا فأعرض عنه ثم أعاد عليه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما صامتا وكيف صام من ظل يأكل لحوم الناس اذهب فمرهما إن كانتا صائمتين أن يستقيئا ففعلتا فقاءت كل واحدة منهما علقمة فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو صامتا وبقي فيهما لأكلتهما النار." (١)

"المبالغة في التوبيخ كأنه استدل عليه وصرح بنهيه وتقبيحه على سبيل المبالغة فقال أيحب أحدكم ويرضى لنفسه أن يأكل لحم أخيه سيما حال كونه ميتا ولو فرض عرض هذا عليكم فكرهتموه البتة إذ لا يمكنكم انكار كراهته وغيبة أخ المؤمن اكره وأقبح من هذا وبالجملة اتقوا الله المنتقم الغيور عن ارتكاب الغيبة المحرمة وتوبوا اليه عنها وعن أمثالها إن الله المطلع على ما في ضمائركم من الندم والإخلاص تواب يقبل منكم توبتكم ان اخلصتم فيها رحيم يمحو عنكم زلتكم بعد ما تبتم ورجعتم نادمين عما فعلتم. ثم أكد سبحانه ايضا هذا الحكم على وجه التفصيل فقال
يا أيها الناس الناسون المنشأ الأصلي والفطرة الجبلية إنا خلقناكم اى اوجدناكم وأخرجناكم جميعا من ذكر هو آدم المصور بصورتنا حسب حصته اللاهوتية المجبول على خلافتنا في عالم الناسوت وأنثى هي حواء المنشعبة من آدم باعتبار حصة ناسوته وبعد ما صيرناهما زوجين ممتزجين مزدوجين من حصتي اللاهوت والناسوت قد جعلناكم وصيرناكم شعوبا متكثرة من اصل واحد هو آدم وقبائل مختلفة متحزبة من تلك الشعوب إذ الشعب هي الجمع المتكثر المنشعب عن اصل واحد والقبيلة هي الفرق المختلفة الحاصلة من الشعب والعمارة هي الطائفة المتفرعة عن القبيلة والبطن الجمع المتفرع عن العمارة والفخذ متفرع عن البطن والفصيل عن الفخذ فخزيمة مثلا شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ وعباس فصيل وانما جعلناكم كذلك لتعارفوا اى يعرف بعضكم بعضا ويؤدى بكم تعارفكم الى التلاحق في المنشأ لا للتفاخر

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور السيوطي ٧/٥٧٤

والتغالب والمظاهرة إذ لا تفاخر بينكم الا بالكرامة والنجابة المترتبة على حصة اللاهوت وبالجملة إن أكرمكم عند الله أتقاكم وأحذركم عن لوازم الناسوت ولواحق الهيولى إن الله المطلع على استعدادات عباده عليم خبير بما في ظواهرهم وبواطنهم يوفقهم على مقتضى علمه وخبرته بهم ومن عدم امتثالهم واتصافهم بأمر التعارف والتلاحق المأمور والموصى إليهم
قالت الأعراب التي هي المتوغلة في اللدد والعناد على سبيل التغالب والتفاخر حين قدموا المدينة في سنة جدبة وأظهروا الشهادتين لا عن عزيمة خالصة وقصد صادق بل على وجه الخداع والنفاق ولهذا كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الامتنان قد آتيناك بالأحمال والأثقال ولم نقاتل معك كما قاتل بنو فلان آمنا بك بلا سبق خصومة منا معك وبالجملة يمنون عليك يا أكمل الرسل بايمانهم الواهية وصدقاتهم الغير الوافية قل لهم يا أكمل الرسل بعد ما أظهروا خلاف ما اضمروا في نفوسهم من المنة والغلول المنافي للإخلاص والايمان لم تؤمنوا ايها الاعراب الأجلاف بمجرد قولكم آمنا إذ الايمان انما هو من افعال القلوب الصافية عن كدر المن والأذى مطلقا ولكن قولوا بدل قولكم آمنا أسلمنا اى قد دخلنا في السلم وصالحنا معكم على ان لا تخاصم بيننا وبينكم ولا نزاع وكيف تقولون آمنا والحال انه لما يدخل الإيمان اى لم يدخل الإذعان والقبول الملازم للايمان بل الايمان ليس الا الإذعان في قلوبكم التي هي أوعيته وهو من افعالها وبالجملة إن تطيعوا الله ورسوله حق إطاعتهما وانقيادهما مخلصين لا يلتكم ولا ينقصكم من أعمالكم شيئا قليلا من اجورها وجزائها ان اخلصتم في ايمانكم وإطاعتكم وجئتم بهما بلا من وأذى إن الله المطلع على نيات عباده غفور لمن تاب عن فرطاته رحيم يرحمه ويقبل." (١)

"فأخبرهما فقالا: كان عند أسامة ولكن بخل فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فلما رجع قالا له: لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاءا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما: ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحما. قال ظلتم تأكلون لحم أسامة وسلمان فأنزل الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ .
وقوله تعالى: ﴿إن بعض الظن إثم﴾ تعليل مستأنف للأمر قال صلى الله عليه وسلم «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وجعل الزمخشري همزه بدلا من واو قال: لأنه يتم الأعمال أي يكسرها قال ابن عادل: وهذا غيره مسلم بل تلك مادة أخرى.
قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما: إثم وهو أن يظن ويتكلم به والآخر ليس بإثم وهو أن يظن ولا يتكلم به. وقوله تعالى ﴿ولا تجسسوا﴾ حذف منه إحدى التاءين أي لا تتبعوا عورات المسلمين ومعائبهم بالبحث عنها قال صلى الله عليه وسلم «لا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» وقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإنه من يتبع عورات المسلمين يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله» ونظر ابن عمر يوما إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم

(١) الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية النخجواني ٣٤٣/٢

حرمتك والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك. وقيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمرا فقال: إنا نهينا عن التجسس وإن يظهر لنا شيئا نأخذه به.

تنبيه: قرأ ولا تنابزوا ولا تجسسوا ولتعارفوا البزي في الوصل بتشديد التاء والباقون بغير تشديد

ولما كانت الغيبة أعم من التجسس قال: ﴿ولا يغتب﴾ أي: ولا يتعمد أن يذكر ﴿بعضكم بعضا﴾ أي: في غيبته بما يكره. قال القشيري: وليس تحصل الغيبة للخلق إلا من الغيبة عن الحق وقال أبو حيان: قال ابن عباس: الغيبة إدام كلاب الناس. وعن أبي هريرة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقوله قال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فقالوا لا نأكل حتى يطعم ولا نرحل حتى يرحل فقال النبي صلى الله عليه وسلم «اغتبتموه فقالوا: إنما حدثنا بما فيه قال: حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه» وفي هذا إشارة إلى وجوب حفظ عرض المؤمن فإن تمزيق عرض الإنسان كتمزيق أديمه ولحمه كما قال تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه﴾ وقرأ ﴿ميتا﴾ نافع بتشديد الياء والباقون بالسكون.

ولما كان الجواب قطعا لا يحب أحد ذلك أشار إليه بما سببه من قوله تعالى: ﴿فكرهتموه﴾ أي: بسبب ما ذكر طبعا فأولى أن تكرهوا الغيبة المحرمة عقلا لأن داعي العقل بصير عالم وداعي الطبع أعمى جاهل.

تنبيه: في هذا التشبيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كدمه ولحمه لأن الإنسان يتألم قلبه من قرض العرض كما يتألم جسمه من قطع اللحم وهذا." (١)

"من باب القياس الظاهر لأن عرض الإنسان أشرف من لحمه ودمه، فإذا لم يحسن من العاقل أكل لحوم الناس لم يحسن منه قرض عرضهم بالطريق الأولى، لأن ذلك أشد ألما وقوله تعالى لحم أخيه آكد في المنع لأن العدو يحمله الغضب على مضغ لحم العدو وفي قوله تعالى: ﴿ميتا﴾ إشارة إلى دفع وهم وهو أن يقال: إن الشتم في الوجه يؤلم فيحرم وأما الاغتياب فلا اطلاع عليه فلا يؤلم، فيقال لحم الأخ وهو ميت أيضا لا يؤلم ومع هذا هو في غاية القبح كما أنه لو اطلع عليه لتألم فإن الميت لو أحس بأكل لحمه لآلمه وفيه معنى لطيف وهو أن الاغتياب أكل لحم الآدمي ميتا ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة والمضطر إذا وجد لحم الشاة الميتة ولحم الآدمي فلا يأكل لحم الآدمي فكذلك المغتاب إذا وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب. قال مجاهد: لما قيل لهم أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا قالوا: لا قيل فكرهتموه أي كما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الزجاج: تأويله أن ذكرك من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحمه وهو ميت لا يحس بذلك.

قال الرازي: وفي ضمير فكرهتموه وجوه: أظهرها: أن يعود إلى الأكل. وثانيها: أن يعود إلى اللحم أي: فكرهتم اللحم.

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٤/ ٧٠

وثالثها: أن يعود إلى الميت في قوله تعالى ميتا تقديره أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا متغيرا فكرهتموه فكأنه صفة لقوله ميتا ويكون فيه زيادة مبالغة في التحذير يعني الميتة إن أكلت في الندرة تستطاب نادرا ولكن إذا أنتن وأروح وتغير لا يؤكل أصلا. فكذلك ينبغي أن تكون الغيبة وذلك يحقق الكراهة ويوجب النفرة إلى حد لا يشتهي الإنسان أن يبيت في بيت فيه ميت فكيف يقربه بحيث يأكله ففيه إذا كراهية شديدة. وكذلك حال الغيبة.

وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «لما عرج بي مررت بقوم لهم أظافير من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم فقلت: من هؤلاء يا جبريل قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» وقال ميمون بن سنان: بينما أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول لي كل هذا قلت يا عبد الله ولم آكل هذا قال إنك اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال ولكن سمعت ورضيت فكان ميمون لا يغتاب أحد ولا يدع أحدا يغتاب عنده.

وقوله تعالى: ﴿واتقوا الله﴾ أي: اجعلوا بينكم وبين الملك الأعظم وقاية بطاعته معطوف على ما تقدم من الأوامر والنواهي أي اجتنبوا واتقوا الله ﴿إن الله﴾ أي: الملك الأعظم ﴿تواب﴾ أي: مكرر للتوبة وهي الرجوع عن المعصية إلى ما كان قبلها من معاملة التائب وإن كرر الذنب فلا ييأس أحد وإن كثرت ذنوبه وعظمت ﴿رحيم﴾ يزيده على ذلك بأن يكرمه غاية الإكرام.

تنبيه: ختم سبحانه وتعالى الآيتين بذكر التوبة فقال في الأولى: ﴿ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ وقال ههنا ﴿إن الله تواب رحيم﴾ لكن لما كان الابتداء في الآية الأولى بالنهي في قوله تعالى: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ ذكر النفي الذي هو قريب من النهي وفي الثانية كان الابتداء بالأمر في قوله تعالى: ﴿اجتنبوا كثيرا﴾ فذكر الإثبات الذي هو قريب من الأمر. وقوله تعالى:

﴿يا أيها الناس﴾ أي: كافة المؤمن وغيره ﴿إنا﴾ أي: على مالنا من العظمة ﴿خلقناكم﴾ أي: أوجدناكم من العدم على ما أنتم عليه من المقادير." (١)

"﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ أي كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل في كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أي قبيل فإن من الظن ما يجب اتباعه كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية ﴿إن بعض الظن أثم﴾ تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقي والإثم الذنب الذي يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أي يكسرها ﴿ولا تجسسوا﴾ أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما في اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب في قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرئ بالحاء من الحس الذي هو أثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفي الحديث لا تتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو في جوف بيته

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ٧١/٤

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضي الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعا وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريري وإسناد الفعل إلى أحد إيذانا بأن أحدا من الأحدين لا يفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتا وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غني عن الإخبار به وقرئ ميتا بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء في قوله تعالى ﴿فكرهتموه﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه أي جبلتم على كراهته ﴿واتقوا الله﴾ بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ما صدر عنكم من قبل ﴿إن الله تواب رحيم﴾ مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روي أن رجلين من الصحابة رضي الله عنهم بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما إداما وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ما عندى شئ فاخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما فقالا ما تناولنا لحما فقال عليه الصلاة والسلام إنكما قد اغتبتما." (١)

"وهى عورة الإنسان وما يستحيي منه من العثرات والعيوب وفي الحديث اللهم لا تؤمنا مكرك ولا تنسنا ذكرك ولا تهتك عنا سترك ولا تجعنا من الغافلين وعنه عليه السلام من قال عند منامه هذا الدعاء بعث الله اليه ملكا في أحب الساعات اليه فيوقظه كما في المقاصد الحسنة قال فى نصاب الاحتساب ويجوز للمحتسب أن يتفحص عن احوال السوقية من غير أن يخبره أحد بخيانتهم فان قيل ينبغى ان لا يجوز لانه تجسس منهى فنقول التجسس طلب الخير للشر والأذى وطلب الخبر للامر بالمعروف والنهى عن المنكر ليس كذلك فلا يدخل تحت النهى يقول الفقير وهو مخالف لما سبق عن ابن مسعود رضى الله عنه فان قلت ذلك لكونه غير آمر ومأمور قلت دل قوله نأخذوه به على ولايته من اى وجه كان إذ لا يأخذه الا الوالي او وكيله ويجوز أن يقال لو طلب ابن مسعود خبر الوليد بنفسه للنهى عن المنكر لكان له وجه فلما جاء خبره في صورة السعاية والهتك اعرض عنه او رأى الستر في حق الوليد اولى فلم يستمع الى القائل وكان عمر رضى الله عنه يعس ذات ليلة فنظر الى مصباح من خلل باب فاطلع فاذا قوم على شراب لهم فلم يدر كيف بصنع فدخل المسجد فأخرج عبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه فجاء به الى الباب فنظر وقال له كيف ترى أن نعمل فقال ارى والله انا قد أتينا ما نهانا الله عنه لانا تجسسنا واطلعنا على عورة قوم ستروا دوننا وما كان لنا أن نكشف ستر الله فقال ما أراك الا قد صدقت فانصرفا فالمحتسب لا يتجسس ولا يتسور ولا يدخل بيتا بلا اذن فان قيل ذكر في باب من يظهر البدع في البيوت انه يجوز للمحتسب الدخول بلا اذن فنقول ذلك فيما ظهر واما إذا خفى فلا يدخل فان ما ستره الله لا بد وأن يستره العبد هذا في عيوب الغير واما عيوب النفس فالفحص عنها لازم للاصلاح والتزكية وقد عدوا انكشاف عيوب النفس اولى

---

(١) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٨/١٢٢

من الكرامات وخوارق العادات فانه مادام لم تحصل التزكية للنفس لا تفيد الكرامة شيئا بل ربما يوقعها في الكبر والعجب والتطاول فنعوذ بالله تعالى من شرورها وفجورها وغرورها ولا يغتب بعضكم بعضا الاغتياب غيبت كردن والغيبة بالكسر اسم من الاغتياب وفتح الغين غلط إذ هو بفتحها مصدر بمعنى الغيبوبة والمعنى ولا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته وخلفه وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال أن تذكر أخاك بما يكره فان كان فيه فقد اغتبته وان لم يكن فيه فقد بهته اى قلت عليه ما لم يفعله والحاصل ان الغيبة والاغتياب هو أن يتكلم انسان خلف انسان مستور بما فيه من عيب اى بكلام صادق من غير ضرورة قوية الى ذكره ولو سمعه لغمه وان كان ذلك الكلام كذا يسما بهتانا وهو الذي يتر الديار بلاقع اى خرابا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا انتصاب ميتا على الحالية من اللحم واللحم المنفصل عن الحي يوصف بانه ميت لقوله عليه السلام ما أبين من حى فهو ميت وقيل من الأخ على مذهب من يجوز الحال من المضاف اليه مطلقا وشدده نافع اى قرأ ميتا بالتشديد والكلام تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على افحش وجه واشنعه طبعا وعقلا وشرعا يعنى شبه الاغتياب من حيث اشتماله على تناول عرض المغتاب بأكل

لحم." (١)

"لله في الخلق أسرار وأنوار ... ويصطفي الله من يرضى ويختار

لا تحقرن فقيرا إن مررت به ... فقد يكون له حظ ومقدار

والمرء بالنفس لا باللبس تعرفه ... قد يخلق الغمد والهندي بتار

والتبر في الترب قد تخفى مكانته ... حتى يخلصه بالسبك مسبار

ورب أشعث ذي طمرين مجتهد ... له على الله في الإقسام إبرار

وعن أبي سعيد الخراز، قال: دخلت المسجد الجامع، فرأيت فقيرا، عليه خرقتان، فقلت في نفسي: هذا وأشباهه كل على الناس، فناداني، وتلا: واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه «١» فاستغفرت الله في سري، فناداني وقال: وهو الذي يقبل التوبة عن عباده «٢» ثم غاب عني فلم أره. هـ.

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن المستهزئين بالناس يفتح لأحدهم باب من الجنة، فيقال لأحدهم: هلم، فيجيء بغمه وكربه، فإذا جاء أغلق دونه، ثم يفعل به هكذا مرارا، من باب إلى باب، حتى يأتيه الإياس» «٣» . بالمعنى من البدور السافرة.

ثم نهى عن الظن، فقال:

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٨٧/٩

يقول الحق جل جلاله: يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أي: كونوا في جانب منه، يقال: جنبه الشر إذا أبعده عنه، أي: جعله في جانب منه، و «جنب» يتعدى إلى مفعولين، قال تعالى: واجنبني وبني أن نعبد الأصنام «٤» ، ومطاوعه: اجتنب، ينقص مفعولا، وإبهام «الكثير» لإيجاب التأمل في كل ظن، حتى يعلم من

---

(١) من الآية ٢٣٥ من سورة البقرة.

(٢) من الآية ٢٥ من سورة الشورى.

(٣) أخرجه البيهقي فى شعب الإيمان (ح ٦٧٥٧) عن الحسن، مرسلا. [.....]

(٤) من الآية ٣٥ من سورة إبراهيم.." (١)

"قال النووي: الغيبة: كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم عاقل، وهو حرام. هـ. قوله: ما أفهمت ... الخ، يتناول اللفظ الصريح والكناية والرمز والتعريض والإشارة بالعين والرأس، والتحكية بأن يفعل مثله، كالتعارج، أو يحكي كلامه على هيئته ليضحك غيره، فهذا كله حرام، إن فهم المخاطب تعيين الشخص المغتاب، وإلا فلا بأس، والله تعالى أعلم. ولا فرق بين غيبة الحي والميت، لما ورد: «من شتم ميتا أو اغتابه فكأنما شتم ألف نبي، ومن اغتابه فكأنما اغتاب ألف ملك، وأحبط الله له عمل سبعين سنة، ووضع على قدمه سبعين كية من نار» «١» .

والسامع للغيبة كالمغتاب، إلا أن يغير أو يقوم، وورد عن الشيخ أبي المواهب التونسي الشاذلى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «فإن كان ولا بد من سماعك غيبة الناس- أي: وقع منك- فاقرأ سورة الإخلاص والمعوذتين، واهد ثوابها للمغتاب فإن الله يرضيه عنك بذلك» . هـ.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: الغيبة إدام كلاب الناس. هـ. وتشبيههم بالكلاب في التمزيق والتخريق، فهم يمزقون أعراض الناس، كالكلاب على الجيفة، لا يطيب لهم مجلس إلا بذكر عيوب الناس. وفي الحديث: «رأيت ليلة أسري بي رجالا لهم أظفار من نحاس، يخمشون وجوههم ولحومهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم» «٢» .

أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا، هذا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفحش وجه. وفيه مبالغات، منها: الاستفهام الذي معناه التقرير، ومنها: فعل ما هو الغاية فى الكراهة موصولا بالمحبة، ومنها: إسناد الفعل إلى أحدكم إشعارا بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ومنها: أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم مطلق الإنسان، بل جعله أخا للآكل، ومنها: أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا. وعن قتادة: كما تكره إن وجدت جيفة مدودة أن تأكل منها كذلك فاكره لحم أخيك. هـ.

ولما قررهم بأن أحدا منهم لا يحب أكل جيفة أخيه عقب ذلك بقوله: فكرهتموه أي: وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه، فكما تحققت كراهتكم له باستقامة العقل فاكرهوا ما هو نظيره باستقامة الدين.

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٢٩/٥

واتقوا الله في ترك ما أمرتم باجتنابه، والندم على ما صدر منكم منه، فإنكم إن اتقيتم وتبتم تقبل الله توبتكم، وأنعم عليكم بثواب المتقين التائبين، إن الله تواب رحيم مبالغ في قبول التوبة، وإفاضة الرحمة، حيث جعل التائب كمن لا ذنب له، ولم يخص تائبا دون تائب، بل يعم الجميع، وإن كثرت ذنوبه.

---

(١) على هامش النسخة الأم: يا أستاذ هذا الحديث كذب موضوع، ظاهر من لفظه. هـ.

(٢) أخرجه أبو داود فى (الأدب، باب فى الغيبة، ح ٤٨٧٨) وأحمد (٣/ ٢٢٤) من حديث أنس رضي الله عنه.." (١)

"بالتعقيب او الزيادة فى أحدهما بالنقصان فى الاخر وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي قرا نافع وابو جعفر ويعقوب وخلف- ابو محمد عفا عنه وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم الميت بتشديد الياء هاهنا وفى الانعام ويونس والروم وفى الأعراف لبلد ميت وفى الفاطر الى بلد ميت- وزاد نافع او من كان ميتا فاحييناه- **ولحم أخيه** ميتا- والأرض الميتة أحييناها- والباقون يخففون الجميع ويعقوب الحى من الميت **ولحم أخيه** ميتا- قيل معناه يخرج الحيوان من النطفة والبيضة ويخرج النطفة والبيضة من الحيوان والنبات الطري من الحب اليابس والحب اليابس من النبات كذا قال ابن مسعود وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة وعكرمة والكلبي والزجاج وقال الحسن وعطاء يخرج الكافر من المؤمن والمؤمن من الكافر قال الله تعالى أومن كان ميتا فأحييناه الاية كذا أخرجه ابن ابى حاتم عن عمر بن الخطاب وترزق من تشاء بغير حساب (٢٧) اى من غير تضييق وتقتير بحيث لا يعرف الخلق عدده ومقداره وان كان معلوما عند الله عقب الله سبحانه هذه الجمل الخمس ليستدل بها على قدرة الله على إيتاء الملك من يشاء ونزعه ممن يشاء روى البغوي بسنده عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن على عليهم السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فاتحة الكتاب واية الكرسي وايتين من ال عمران شهد الله الى قوله إن الدين عند الله الإسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب مشفعات ما بينهن وبين الله عز وجل حجاب قلن يا رب تهبطنا الى أرضك والى من يعصيك قال الله عز وجل بي حلفت لا يقرؤكن أحد من عبادى دبر كل صلوة الا جعلت الجنة مأواه على ما كان فيه والا أسكنته فى حظيرة القدس والا نظرت اليه يعنى كل يوم سبعين مرة وأقضيت له كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة والا أعذته من كل عدو وحاسد ونصرته عليه واخرج الطبراني عن معاذ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له الا أعلمك دعاء تدعو به لو كان عليك الدين مثل ثبير اداه الله عنك قل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب رحمن الدنيا والاخرة ورحيمهما نعطى من تشاء منهما وتمنع من تشاء ارحمني رحمة تغنني بها عن رحمة من سواك- والله اعلم- اخرج ابن جرير من طريق سعيد وعكرمة عن ابن عباس قال كان الحجاج بن عمرو حليفا لعمرو بن الأشرف وابن ابى الحقيق وقيس بن زيد قد بطنوا بنفر من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم ... ." (٢)

"وقوع الشك بالتسمية بعد علمهم بان الذابح مسلم فذلك دليل على انه كان معروفا عندهم اشتراط التسمية للحل وانما امر النبي صلى الله عليه وسلم بالأكل بناء على ظاهر ان المسلم لا يترك التسمية عمدا كمن اشترى لحما من سوق

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٣٢/٥

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢ ق ٣١/١

المسلمين يباح له الاكل بناء على الظاهر وان كان يحتمل انه ذبيحة مجوسى وما قال الشافعي ان الاية فى الميتات وما ذبح على غير اسم الله فمدفوع بان العبرة لعموم اللفظ ونصوص الكتاب والسنة لم يرد شيء منها فى الذبح والصيد الا مقيدا بذكر اسم الله تعالى وقد مر هذه المسألة وغيرها من مسائل الذبح فى تفسير سورة المائدة قال فى شرح المقدمة المالكية يجزيه يعنى الذبح لو ترك التسمية عمدا فى مذهب مالك عند ابى القاسم وفى مذهب المدونة لا يجزيه ومذهب المدونة هو المشهور لانها واجبة مع الذكر وكل هذا فى غير المتهاون واما المتهاون فلا خلاف انها لا يوكل ذبيحته تحريما قاله ابن الحارث وابن البشير والمتهاون هو الذي يتكرر منه ذلك كثيرا والله اعلم اخرج الطبراني وغيره عن ابن عباس قال لما نزلت ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق أرسلت فارس الى قريش ان خاصموا محمدا فقولوا ما تذبح أنت بسكين فهو حلال وما ذبح الله بشمشار من ذهب يعنى الميتة فهو حرام وكذا اخرج ابو داؤد والحاكم وغيرهما قول كفار مكة من غير ذكر فارس فنزلت وإن الشياطين يعنى شياطين الانس من الفارس او شياطين الجن ليوحون يعنى ليلقون او ليوسوسون إلى أوليائهم يعنى كفار قريش او مطلق الكفار ليجادلوكم وإن أطعتموهم فى استحلال ما حرم إنكم لمشركون ع فان من ترك طاعة الله او أطاع غيره واتبعه فى دينه فقد أشرك حذف الفاء من الجزاء لكون الشرط بلفظ الماضي قال الزجاج فيه دليل على ان من أحل شيئا مما حرم الله او حرم ما أحل الله فهو مشرك قلت إذا ثبت ذلك بدليل قطعى

أومن كان ميتا يعنى كافرا غافلا قلبه عن الحق قرأ نافع ويعقوب هاهنا وفى يس الأرض الميتة وفى الحجرات **لحم أخيه** ميتا بتشديد الياء فى الثلاثة والباقون بإسكانها استعارة تمثيلية وكذا فى قوله كمن مثله فى الظلمات فان الكافر لا يمتاز بين ما ينفعه وما يضره كالميت فأحييناه يعنى أحيينا قلبه بنور الايمان." (١)

"سورة فصلت (حم السجدة)

مكية وهى اربع وخمسون اية رب يسر وتمم بالخير بسم الله الرحمن الرحيم

حم (١) ان جعلته مبتدا فخبره.

تنزيل من الرحمن الرحيم (٢) وان جعلته تعديد الحروف فتنزيل خبر محذوف وقال الأخفش تنزيل مبتدا لتخصيصه بالصفة وخبره.

كتاب وهو على الأولين بدل منه او خبر اخر او خبر محذوف ولعل افتتاح هذه السور السبع بحم وتسميتها به لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشاكلة فى النظم والمعنى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطيت طه والطواسين والحواميم من الواح موسى رواه الحاكم فى المستدرك والبيهقي عن معقل بن يسار واضافة التنزيل الرحمان الرحيم للدلالة على انه مناط المصالح الدينية والدنيوية فصلت آياته اى بينت بالاحكام والقصص والمواعظ قرآنا عربيا نصب على المدح او الحال من لضمير المجرور فى آياته فانه أضيف اليه فاعل فصلت مثل ميتا فى قوله تعالى يأكل **لحم أخيه** ميتا وفيه امتنان عليهم بسهولة قرائته وفهمه فانه لو كان بغير لغتهم لما فهموه لقوم يعلمون (٣) نزل منزلة اللازم اى لقوم ذوى علم ونظر لا لمن اعرض

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢٨٣/٣

عنها او يقال مفعوله محذوف منوى اى لقوم يعلمون معانيه ويفهونه او يكون على طريقة من يسمع يخل بتقدير مفعوليه اى لقوم يعلمونه حقا والجملة صفة اخرى لقرءانا او صلة لتنزيل او لفصلت والاول اولى لوقوعه بين الصفات.." (١)

"ابن عمران النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معشر من أمن بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين يتبع الله عوراته فيفضحه ولو فى جوف رحله رواه الترمذي وحسنه وابن حبان قال زيد بن وهب قيل لابن مسعود هل لك فى الوليد بن عقبة تقطر لحية خمرا قال نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء ناخذ به ولا يغتب بعضكم بعضا ط اى لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء فى غيبته عن ابى هريرة ان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال أتدرون ما الغيبة– قال الله ورسوله اعلم قال ذكر أخاك بما يكره قيل ارايت ان كان فى أخي ما أقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه ما تقول فقد بهته متفق عليه وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده انهم ذكروا عند رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رجلا قال لا يأكل حتى يطعم ولا يرحل حتى يرحل فقال النبي – صلى الله عليه وسلم – اغتبتموه فقالوا انما حدثنا بما فيه قال حسبك إذا ذكرت أخاك بما فيه رواه البغوي– أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على افحش وجه مع مبالغات الاستفهام الذي معناه الإنكار المستلزم لتقرير النفي واسناد الفعل الى أحد للتعليق وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ولم يقتصر عليه حتى جعله أخا ولم يقتصر عليه حتى جعله ميتا وتعقب ذلك يقوله فكرهتموه ط تقريرا وتحقيقا لذلك وجملة فكرهتموه جزاء شرط محذوف تقديره ان صح ذلك إذ عرض عليكم هذا فقد كرهتموه ولا يمكنكم انكار كراهة او هى معطوف على الاستفهام المذكور فان معناه نفى المحبة الموهوم عدم الكراهة فلدفع ذلك الوهم عطف عليه– وجاز ان تكون الفاء للسببية والماضي بمعنى المستقبل والمعنى انه لا يحب أحدكم ان يأكل لحم أخيه ميتا انكم تكرهونه وقال مجاهد لما قيل لهم أيحب أحدهم ان يأكل إلخ فكانهم قالوا لا فقيل كرهتموه فكانه معطوف على محذوف والحاصل انكم كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غايبا عن انس بن مالك عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال لما خرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم ولحومهم

قلت من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يأكلون لحرم الناس ويقعون فى اعراضهم– رواه البغوي قال ميمون بيننا انا نائم إذا انا بجيفة زنجي وقائل يقول كل قلت يا عبد الله ولم أكل قال بما اغتبت عبد فلان قلت والله ما ذكرت فيه خيرا ولا شرا قال لكنك استمعت ورضيت وكان ميمون لا يغتاب أحدا ولا يدع أحدا ان يغتاب عنده عن عائشة رضى الله عنها قلت للنبى – صلى الله عليه وسلم – حسبك من صفية كذا وكذا يعنى قصيرة فقال لقد قلت كلمة لو مزج بها البحر لمزجته رواه احمد والترمذي وابو داود عن ابى سعيد وجابر قالا قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم –." (٢)

"جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه، قال السيوطي: بإسناد حسن، عن زيد بن أرقم قال: اجتمع ناس من العرب فقالوا: انطلقوا إلى هذا الرجل فإن يك نبيا فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكا نعش بجناحه، فأتيت النبي

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢٨٠/٨

(٢) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٥٥/٩

صلى الله عليه وسلم فأخبرته بما قالوا، فجاؤوا إلى حجرته فجعلوا ينادونه: يا محمد! فأنزل الله: إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذني وجعل يقول: «لقد صدق الله قولك يا زيد، لقد صدق الله قولك يا زيد» . وفي الباب أحاديث.

وأخرج أحمد وابن أبي حاتم والطبراني وابن منده وابن مردويه، قال السيوطي: بسند جيد- عن الحارث بن ضرار الخزاعي قال: قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعاني إلى الإسلام، فدخلت فيه وأقررت به، ودعاني إلى الزكاة فأقررت بها، وقلت: يا رسول الله أرجع إلى قومي فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعت زكاته، وترسل إلي يا رسول الله رسولا لإبان كذا وكذا ليأتيك ما جمعت من الزكاة، فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذي أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يبعث إليه احتبس الرسول فلم يأت، فظن الحارث أن قد حدث فيه سخط من الله ورسوله، فدعا سروات «١» قومه فقال لهم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وقت لي وقتا يرسل إلي رسوله ليقبض ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول الله الخلف، ولا أرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا فنأتي رسول الله. وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الوليد ابن عقبة إلى الحارث ليقبض ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق «٢» فرجع، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن الحارث منعني الزكاة وأراد قتلي، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم البعث إلى الحارث، فأقبل الحارث بأصحابه حتى إذا استقل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث، فقالوا:

هذا الحارث؟ فلما غشيهم قال لهم: إلى من بعثتم؟ قالوا: إليك. قال: ولم؟ قالوا: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليك الوليد بن عقبة، فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله، قال: لا والذي بعث محمدا بالحق ما رأيته ولا أتاني، فلما دخل الحارث على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «منعت الزكاة وأردت قتل رسولي؟» قال: لا والذي بعثك بالحق ما رأيته ولا رآني، وما أقبلت إلا حين احتبس علي رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم خشيت أن تكون سخطة من الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فنزل: يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ إلى قوله: حكيم قال ابن كثير: هذا من أحسن ما روي في سبب نزول الآية. وقد رويت روايات كثيرة متفقة على أنه سبب نزول الآية، وأنه المراد بها وإن اختلفت القصص.

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ٩ الى ١٢]

وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

---

(١) . «سروات» : أي زعماء.

(٢) . أي خاف.." (١)

"أخاك بما يكره، فقيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ فقال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته» أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا مثل سبحانه الغيبة بأكل الميتة، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه، كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه. ذكر معناه الزجاج. وفيه إشارة إلى أن عرض الإنسان كلحمه، وأنه كما يحرم أكل لحمه يحرم الاستطالة في عرضه «١» ، وفي هذا من التنفير عن الغيبة والتوبيخ لها والتوبيخ لفاعلها والتشنيع عليه ما لا يخفى، فإن لحم الإنسان مما تنفر عن أكله الطباع الإنسانية، وتستكرهه الجبلة البشرية، فضلا عن كونه محرما شرعا فكرهتموه قال الفراء: تقديره فقد كرهتموه فلا تفعلوا، والمعنى: فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا. قال الرازي: الفاء في تقدير جواب كلام، كأنه قال: لا يحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه فكرهتموه إذا. وقال أبو البقاء: هو معطوف على محذوف تقديره: عرض عليكم ذلك فكرهتموه واتقوا الله بترك ما أمركم باجتنابه إن الله تواب رحيم لمن اتقاه وتاب عما فرط منه من الذنب ومخالفة الأمر.

وقد أخرج البخاري ومسلم وغير هما عن أنس قال: قيل للنبي صلى الله عليه وسلم: «لو أتيت عبد الله بن أبي، فانطلق إليه وركب حمارا، وانطلق المسلمون يمشون وهي أرض سبخة «٢» ، فلما انطلق إليه قال: إليك عني، فو الله لقد آذاني ريح حمارك، فقال رجل من الأنصار: والله لحمار رسول الله صلى الله عليه وسلم أطيب ريحا منك، فغضب لعبد الله رجال من قومه، فغضب لكل منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد «٣» والأيدي والنعال، فنزلت فيهم: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية» . وقد روي نحو هذا من وجوه أخر.

وأخرج الحاكم وصححه، والبيهقي عن ابن عمر قال: ما وجدت في نفسي من شيء ما وجدت في نفسي من هذه الآية، إني لم أقاتل هذه الفئة الباغية كما أمرني الله. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس في الآية قال: إن الله أمر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين إذا اقتتلت طائفة من المؤمنين أن يدعوهم إلى حكم الله وينصف بعضهم من بعض، فإذا أجابوا حكم فيهم بحكم كتاب الله حتى ينصف المظلوم، فمن أبى منهم أن يجيب فهو با غ، وحق على إمام المؤمنين والمؤمنين أن يقاتلوهم حتى يفيئوا إلى أمر الله، ويقروا بحكم الله.

وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا الآية. قال: كان قتال بالنعال والعصي، فأمرهم أن يصلحوا بينهما. وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن عائشة قالت: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة في هذه الآية: وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما. وأخرج ابن أبي حاتم عن مقاتل في قوله: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم قال: نزلت في قوم من بني تميم استهزءوا من بلال وسلمان وعمار وخباب وصهيب وابن فهيرة وسالم مولى أبي حذيفة. وأخرج عبد

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/٧٣

(١) . «الاستطالة في العرض» : أي استحقاره والترفع عليه والوقيعة فيه.

(٢) . «أرض سبخة» : أي لا تنبت.

(٣) . «الجريد» : سعف النخل، أي أغصانه.." (١)

"الله وأفضل نصيبا، ولا تلمزوا أنفسكم، أي ولا يعب بعضكم بإشارة أو نحوها، فصرتم عائبين من وجه معيبين من وجه ولا تنابزوا بالألقاب، أي ولا يدع بعضكم بعضا بلقب السوء بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان أي بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم في الإيمان واشتهارهم به. ويقال: هذا إتمام للزجر، ويصير التقدير: بئس الفسوق بعد الإيمان، وبئس أن تسموا بالفاسق بسبب السخر واللمز والتنابز بعد ما سميتم مؤمنين. ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) أي ومن يجعل ذلك عادة، ولم يتركه، ولم يتب عما مضى فهو ظالم. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن فيجب الاحتياط والتأمل في كل ظن حتى يعلم أنه من أي نوع، فإن من الظن ما يجب اتباعه، كالظن فيما لا قاطع فيه من العمليات، وظن الخير من الله تعالى،

ففي الحديث القدسي «أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلا خيرا»

، وظن الخير في المؤمن، كما

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ظنوا بالمؤمن خيرا»

ومنه ما يحرم كالظن في الإلهيات والنبوات، وظن السوء بالمؤمن، ومنه ما يباح كالظن في الأمور المعاشية. إن بعض الظن إثم أي ذنب يستحق العقوبة ولا تجسسوا أي ولا تبحثوا عن عورات المسلمين. والمعنى: ولا تتبعوا الظن ولا تجتهدوا في طلب اليقين في معايب الناس، ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يذكر بعضكم بعضا بالسوء في غيبته. أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا.

وقرأ نافع بتشديد الياء وهو حال من «اللحم» ، أو من «الأخ» ، فالاغتياب كأكل لحم الآدمي ميتا، ولا يحل أكله إلا للمضطر بقدر الحاجة، فالمغتاب إن وجد لحاجته مدفعا غير الغيبة فلا يباح له الاغتياب، ففي هذه الآية نهى عن اغتياب المؤمن دون الكافر. أما الفاسق فيجوز أن يذكر بما فيه عند الحاجة، فمن نقص مسلما أم ثلم عرضه فهو كآكل لحمه، حيا ومن اغتابه فهو كآكل لحمه ميتا، لأن الميت لا يعلم بأكل لحمه كما أن الحي لا يعلم بغيبة من اغتابه.

فكرهتموه؟ أي الأكل، فالاستفهام في قوله تعالى: أيحب للإنكار، فكأنه تعالى قال: لا يحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه إذا. وقرئ «كرهتموه» بغير فاء أي جبلتم على كراهته، واتقوا الله بترك ما أمرتم باجتنابه، وبالندم على ما صدر عنكم من قبل، إن الله تواب رحيم (١٢) ذكر الله تعالى في هذه الآية أمورا ثلاثة مرتبة، فكأنه تعالى قال: لا تقولوا في حق المؤمنين ما لم تعلموه فيهم، بناء على الظن، ثم إذا سئلتم عن المظنونات فلا تقولوا: نحن نكشف أمورهم لنستيقنها قبل ذكرها، ثم إن

علمتم منها شيئا من غير تجسس فلا تقولوه، ولا تفشوه عنهم، ففي الأول نهي عن التكلم بما لم يعلم، ثم نهي عن طلب

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/٧٧

علم عيب الناس، ثم نهي عن ذكر ما علم منه.
روي أن رجلين من الصحابة بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يطلب منه لهما طعاما فقال له: «انطلق إلى أسامة بن زيد واطلب منه فضل طعام وإدام إن كان عنده» . فأتاه فقال ما عندي شيء،." (١)

"فالذي هو أولى أن يختمها بالوعيد لمن تقدم على بغيه، أو بقبيح ركوبه ما ركب مما نهي عنه، لا أن يخبر عن قبح ما كان التائب أتاه من قبل توبته، إذ كانت الآية لم تفتتح بالخبر عن ركوبه ما كان ركب قبل التوبة من القبيح، فيختم آخرها بالوعيد عليه، أو بالقبيح. انتهى.

ومن لم يتب أي من نبزه أخاه بما نهى الله عن نبزه به من الألقاب، أو لمزه إياه، أو سخريته منه فأولئك هم الظالمون أي الذين ظلموا أنفسهم فأكسبوها العقاب بركوبهم ما نهوا عنه.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن أي كونوا على جانب منه. وذلك بأن تظنوا بالناس سوءا، فإن الظان غير محقق. وإبهام (الكثير) لإيجاب الاحتياط والتورع فيما يخالج الأفئدة من هواجسه، إذ لا داعية تدعو المؤمن للمشي وراءه، أو صرف الذهن فيه، بل من مقتضى الإيمان ظن المؤمنين بأنفسهم الحسن. قال تعالى:

لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين [النور: ١٢] . نعم! من أظهر فسقه، وهتك ستره، فقد أباح عرضه للناس. ومنه ما روي: من ألقى جلباب الحياء، فلا غيبة له. ولذا قال الزمخشري: والذي يميز الظنون التي يجب اجتنابها عما سواها، أن كل ما لم تعرف له أمارة صحيحة، وسبب ظاهر، كان حراما واجب الاجتناب. وذلك إذا كان المظنون به ممن شوهد من الستر والصلاح، وأونست منه الأمانة في الظاهر، فظن الفساد والخيانة به محرم، بخلاف من اشتهره الناس بتعاطي الريب، والمجاهرة بالخبائث.

إن بعض الظن وهو ظن المؤمن بالمؤمن الشر، لا الخير إثم أي مكسب للعقاب، لأن فيه ارتكاب ما نهي عنه.

قال حجة الإسلام الغزالي في (الإحياء) في بيان تحريم الغيبة بالقلب: اعلم أن سوء الظن حرام، مثل سوء القول. فكما يحرم عليك أن تحدث غيرك بلسانك بمساوئ الغير، فليس لك أن تحدث نفسك، وتسيء الظن بأخيك. قال: ولست." (٢)

"وروى أبو داود «١» أن ابن مسعود رضي الله عنه أتى برجل، فقيل له: هذا فلان، تقطر لحيته خمرا! فقال: إنا قد نهينا عن التجسس، ولكن إن يظهر لنا شيء نأخذ به- والرجل سماه ابن أبي حاتم في روايته: الوليد بن عقبة بن أبي معيط. وروى أبو داود «٢» عن معاوية قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم،

---

(١) مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد نووي الجاوي ٢/٤٣٩

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٥٣٤

أو كدت أن تفسدهم» .

فقال أبو الدرداء رضي الله عنه:

كلمة سمعها معاوية من رسول الله، نفعه الله بها.

وروى الإمام أحمد «٣» عن دجين، كاتب عقبة، قال: قلت لعقبة: إنا لنا جيرانا يشربون الخمر، وأنا داع لهم الشرط فيأخذونهم! قال: لا تفعل، ولكن عظهم وتهددهم! قال: ففعل فلم ينتهوا. قال: فجاءه دجين فقال: إني نهيتهم فلم ينتهوا، وإني داع لهم الشرط فتأخذهم! فقال له عقبة: ويحك! لا تفعل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من ستر عورة مؤمن فكأنما استحيا موءودة من قبرها» !.

وروى أبو داود «٤» عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الأمير إذا ابتغى الريبة في الناس أفسدهم» .

قال الأوزاعي: ويدخل في التجسس استماع قوم وهم له كارهون.

ولا يغتب بعضكم بعضا أي لا يقل بعضكم في بعض بظهر الغيب، ما يكره المقول فيه ذلك، أن يقال له في وجهه. يقال: غابه واغتابه، كغاله واغتاله، إذا ذكره بسوء في غيبته. أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه؟ أي فلو عرض عليكم، نفرت عنه نفوسكم، وكرهتموه. فلذا ينبغي أن تكرهوا الغيبة. وفيه استعارة تمثيلية، مثل اغتياب الإنسان لآخر بأكل لحم الأخ ميتا.

لطائف:

الأولى- قال الزمخشري: أيحب أحدكم إلخ تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفظع وجه وأفحشه، وفيه مبالغات شتى: منها- الاستفهام الذي معناه التقرير (وهو يفيد المبالغة من حيث إنه لا يقع في كلام مسلم

---

(١) أخرجه أبو داود في: الأدب، ٣٧- باب في النهي عن التجسس، حديث رقم ٤٨٩٠.

(٢) أخرجه أبو داود في: الأدب، ٣٧- باب في النهي عن التجسس، حديث ٤٨٨٨.

(٣) أخرجه في المسند ٤/ ١٤٧.

(٤) أخرجه في: الأدب، ٣٧- باب في النهي عن التجسس، حديث رقم ٤٨٨٩.." (١)

"عند كل سامع، حقيقة أو ادعاء) ومنها- جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة. ومنها- إسناد الفعل إلى (أحدكم) والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك.

ومنها- أن لم يقتصر تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، حتى جعل الإنسان أخا.

ومنها- أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ، حتى جعل ميتا. انتهى.

وقال ابن الأثير في (المثل السائر) في بحث الكناية: فمن ذلك قوله تعالى أيحب أحدكم إلخ فإنه كنى عن الغيبة بأكل الإنسان

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٥٣٦

لحم إنسان آخر مثله، ثم لم يقتصر على ذلك حتى جعله ميتا، ثم جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة. فهذه أربع دلالات واقعة على ما قصدت له، مطابقة للمعنى الذي وردت من أجله. فأما جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان لحم إنسان آخر مثله، فشديد المناسبة جدا، لأن الغيبة إنما هي ذكر مثالب الناس، وتمزيق أعراضهم. وتمزيق العرض مماثل لأكل الإنسان لحم من يغتابه، لأن أكل اللحم تمزيق على الحقيقة.

وأما جعله كلحم الأخ فلما في الغيبة من الكراهة، لأن العقل والشرع مجتمعان على استكراهها، آمران بتركها، والبعد عنها. ولما كانت كذلك جعلت بمنزلة لحم الأخ في كراهته. ومن المعلوم أن لحم الإنسان مستكره عند إنسان آخر، إلا أنه لا يكون مثل كراهة **لحم أخيه**. فهذا القول مبالغة في استكراه الغيبة. وأما جعله ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، فلما جبلت عليه النفوس من الميل إلى الغيبة، والشهوة لها، مع العلم بقبحها فانظر أيها المتأمل إلى هذه الكناية تجدها من أشد الكنايات شبها، لأنك إذا نظرت إلى كل واحدة من تلك الدلالات الأربع التي أشرنا إليها، وجدتها مناسبة لما قصدت له. انتهى.

الثانية- الفاء في قوله تعالى فكرهتموه فصيحة في جواب شرط مقدر.

والمعنى: إن صح ذلك، أو عرض عليكم هذا، فقد كرهتموه، فما ذكر جواب للشرط، وهو ماض فيقدر معه (قد) ليصح دخول الفاء على الجواب الماضي، كما في قوله تعالى: فقد كذبوكم بما تقولون [الفرقان: ١٩] ، وضمير فكرهتموه للأكل، وقد جوز كونه للاغتياب المفهوم منه. والمعنى: فاكرهوه كراهيتكم لذلك الأكل. وعبر عنه بالماضي للمبالغة، فإذا أول بما ذكر يكون إنشائيا غير محتاج لتقدير (قد) - أفاده الشهاب-.

الثالثة- قال ابن الفرس: يستدل بالآية على أنه لا يجوز للمضطر أكل ميتة." (١)

"[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

تفسير المفردات

اجتنبوا: أي تباعدوا، وأصل اجتنبته: كنت منه على جانب، ثم شاع استعماله فى التباعد اللازم له، والإثم: الذنب، والتجسس: البحث عن العورات والمعايب والكشف عما ستره الناس، والغيبة: ذكر الإنسان بما يكره فى غيبته، فقد روى مسلم وأبو داود والترمذي «أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أفرأيت لو كان فى أخى ما أقول؟

قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» .

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨/٥٣٧

المعنى الجملي

أدب الله عباده المؤمنين بآداب إن تمسكوا بها دامت المودة والوئام بينهم: منها ما تقدم قبل هذا، ومنها ما ذكره هنا من الأمور العظام التي تزيد توثيق رباط المجتمع الإسلامى قوة وهى:

(١) البعد عن سوء الظن بالناس وتخونهم فى كل ما يقولون وما يفعلون، لأن بعض ذلك قد يكون إثما محضا فليجتنب كثير منه،

وقد روى عن عمر رضى الله عنه أنه قال: ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك المؤمن إلا خيرا، وأنت تجد لها فى الخير محملا.

(٢) البحث عن عورات الناس ومعايبهم.

(٣) عدم ذكر بعضهم بعضا بما يكرهون فى غيبتهم، وقد مثل الشارع المغتاب بآكل لحم الميتة استفظاعا له.." [١]

"وقال أبو قلابة: حدث عمر بن الخطاب أن أبا محجن الثقفي يشرب الخمر مع أصحاب له فى بيته، فانطلق عمر حتى دخل عليه، فإذا ليس عنده إلا رجل، فقال أبو محجن: إن هذا لا يحل لك، قد نهاك الله عن التجسس. فخرج عمر وتركه.

(ولا يغتب بعضكم بعضا) أي ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره فى غيبته، والمراد بالذكر الذكر صريحا أو إشارة أو نحو ذلك مما يؤدى مؤدى النطق، لما فى ذلك من أذى المغتاب، وإيغار الصدور وتفريق شمل الجماعات، فهى النار تشتعل فلا تبقى ولا تذر، والمراد بما يكره ما يكره فى دينه أو دنياه أو خلقه أو خلقه أو ماله أو ولده أو زوجته أو خادمه أو ملبسه أو غير ذلك مما يتعلق به.

قال الحسن: الغيبة ثلاثة أوجه كلها فى كتاب الله: الغيبة، والإفك، والبهتان.

(١) فأما الغيبة: فهى أن تقول فى أخيك ما هو فيه.

(٢) وأما الإفك: فأن تقول فيه ما بلغك عنه.

(٣) وأما البهتان: فأن تقول فيه ما ليس فيه.

ولا خلاف بين العلماء فى أن الغيبة من الكبائر وأن على من اغتاب أحدا التوبة إلى الله أو الاستغفار لمن اغتابه أو الاستحلال منه.

وعن شعبة قال: قال لى معاوية بن قرة: لو مر بك رجل أقطع (مقطوع اليد) فقلت هذا أقطع كان غيبة، قال شعبة فذكرته لأبى إسحاق فقال صدق.

ثم ضرب سبحانه مثلا للغيبة للتنفير والتحذير منها فقال:

(أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) أي أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه بعد مماته؟ فإذا كنتم لا تحبون

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٦/٢٦

ذلك بل تكرهونه لأن النفس تعافه، فكذلك فاكرهوا أن تغتابوه فى حياته.

والخلاصة- إنكم كما تكرهون ذلك طبعا فاكرهوا ذلك شرعا لما فيه من شديد العقوبة.." [1]

"الدرس السادس والستون بعد المائتين

﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئا إن الله غفور رحيم (١٤) إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون (١٥) قل أتعلمون الله بدينكم والله يعلم ما في السماوات وما في الأرض والله بكل شيء عليم (١٦) يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين (١٧) إن الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعملون (١٨) ﴾ .

* * *." [2]

"قوله عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣) ﴾ .

وعن مجاهد: ﴿لا يسخر قوم من قوم﴾ ، قال: لا يهزأ قوم بقوم. وقال ابن كثير: ينهى تعالى عن السخرية بالناس، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ... «الكبر بطر الحق وغمص الناس» وروي: «وغمط الناس» ؛ والمراد من ذلك احتقارهم واستصغارهم. وعن ابن عباس قوله: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾ ، يقول: لا يطعن بعضكم على بعض. عن الشعبي قال: حدثني أبو جبيرة بن الضحاك قال: فينا نزلت في بني سلمة: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ ، قال: قدم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة وليس فينا رجل إلا وله اسمان أو

---

(١) تفسير المراغي المراغي، أحمد بن مصطفى ١٣٩/٢٦

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٣٣/٤

ثلاثة فكان إذا دعا أحدا منهم باسم من تلك الأسماء، قالوا: يا رسول الله إنه يغضب من هذا. فنزلت: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ . رواه أحمد وغيره. وعن." (١)

"عكرمة في قوله: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾ هو الرجل للرجل: يا فاسق، يا منافق.

قال ابن كثير: قوله جل وعلا: ﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ أي: بئس الصفة والاسم الفسوق، وهو التنابز بالألقاب - كما كان أهل الجاهلية يتداعون - بعدما دخلتم في الإسلام وعقلتموه. ﴿ومن لم يتب﴾ ، أي: من هذا ﴿فأولئك هم الظالمون﴾ .

وعن ابن عباس: قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ يقول: نهى الله المؤمن أن يظن بالمؤمن شرا، ﴿إن بعض الظن إثم﴾ ، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما: إثم. وهو: أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو: أن تظن ولا تتكلم. وعن ابن عباس: ... ﴿ولا تجسسوا﴾ قال: نهى الله المؤمن أن يتبع عورات المؤمنين. وقال مجاهد: خذوا ما ظهر لكم ودعوا ما ستر الله.

وقوله تعالى: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ . عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله عن الغيبة قال: «ذكرك أخاك بما يكره» ، قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته» . رواه ابن جرير وغيره. وعن ابن عباس: قوله: ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾ ؟ قال: حرم الله على المؤمن أن يغتاب المؤمن بشيء كما حرم الميتة. وعن قتادة: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾ ، يقول: كما أنت كاره لو وجدت جيفته مدودة أن تأكل

منها فكذلك فاكره غيبته وهو حي ﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ وعن ابن عمر أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «يا أيها الناس! إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل: بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل: فاجر." (٢)

"٣- والسبب الثالث قوله تعالى ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب

عن أبي جبيرة بن الضحاك هو أخو ثابت بن الضحاك الأنصاري قال: فينا نزلت هذه الآية، في بني سلمة، قدم علينا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول يا فلان فيقولون: مه يا رسول الله يغضب من هذا الاسم، فأنزل الله هذه الآية

، وقال بعض العلماء: المراد بهذه الألقاب ما يكرهه المنادي، أو يفيد ذما له، فأما الألقاب التي صارت كالأعلام لأصحابها، كالأعمش والأعرج وما أشبه ذلك، فلا بأس بها إذا لم يكرهها المدعو بها، وأما الألقاب التي تكسب حمدا ومدحا، وتكون حقا وصدقا، فلا تكره. فمدار الأمر ذم المرء والنيل منه، فإن كان اللقب يفيد ذلك فهو حرام، وإلا فلا.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

---

(١) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٣٤/٤

(٢) توفيق الرحمن في دروس القرآن فيصل المبارك ١٣٥/٤

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

الإعراب:

(يأيها الذين آمنوا) مر إعرابها مفردات وجملا «١» ، (من الظن) متعلق بنعت ل (كثيرا) ، (الواو) عاطفة (لا) ناهية جازمة في الموضعين (تجسسوا) مضارع مجزوم محذوف منه إحدى التاءين (الهمزة) للاستفهام الإنكاري (أن) حرف مصدري ونصب (ميتا) حال من أخيه منصوب (الفاء) رابطة لجواب شرط مقدر، و (الواو) في (كرهتموه) زائدة إشباع حركة الميم..

---

(١) في الآية (١) من هذه السورة.." (١)

"جملة: «اجتنبوا ... » لا محل لها جواب النداء.

وجملة: «إن بعض الظن إثم ... » لا محل لها تعليلية.

وجملة: «لا تجسسوا» لا محل لها معطوفة على جملة جواب النداء.

وجملة: «لا يغتب بعضكم ... » لا محل لها معطوفة على جملة جواب النداء.

وجملة: «يحب أحدكم ... » لا محل لها استئنافية.

وجملة: «يأكل ... » لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) .

والمصدر المؤول (أن يأكل..) في محل نصب مفعول به.

وجملة: «كرهتموه ... » في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف تقديره هذا..

والجملة الاسمية جواب شرط مقدر أي إن لم تحبوا ذلك فهذا كرهتموه.

وجملة: «اتقوا الله ... » لا محل لها معطوفة على استئناف مقدر أي فاكرهوا الظن والتجسس والغيبة واتقوا الله.

وجملة: «إن الله تواب ... » لا محل لها استئنافية.

البلاغة

١- التنكير: في قوله تعالى «كثيرا» .

حيث أن مجيئه نكره يفيد معنى البعضية، وإن في الظنون ما يجب أن يجتنب من تبيين لذلك ولا تعيين، لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد نظر وتأمل، وتمييز بين حقه وباطله، بأمارة بينة، مع استشعار للتقوى والحذر ولو عرف لكان الأمر باجتناب الظن منوطا بما يكثر منه دون ما يقل. ووجب أن يكون كل ظن متصف بالكثرة مجتنبا، وما اتصف منه بالقلة مرخصا في تظننه.

٢- الاستعارة التمثيلية: في قوله تعالى «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» .." (٢)

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٢٦/٢٨٩

(٢) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٢٦/٢٩٠

"وجملة «يهديهم ... » : لا محل لها معطوفة على جملة الصلة «١»

الصرف:

(السلام) ، مصدر سماعي لفعل سلم يسلم باب فرح، وزنه فعال بفتح الفاء.

البلاغة

الاستعارة المكنية: في قوله تعالى قد جاءكم من الله نور..

شبه النور بإنسان يهدي الناس الى الخير بجامع الهداية في كل، وحذف المشبه به، واستعار في النفس لفظ المشبه به المحذوف للمشبه، ورمز إليه بشيء من لوازمه وخصائصه وهو المجيء.

الاستعارة التصريحية الأصلية: في قوله تعالى ويخرجهم من الظلمات إلى النور أي من فنون الكفر والضلال الى الإيمان، والعلاقة المشابهة، وقد لفظ المشبه وأستعير بدله لفظ المشبه به، ليقوم مقامه ولما كان المشبه به مصرحا به في هذا المجاز سميت الاستعارة تصريحية، وسميت أصلية لأنها جارية في الاسم.

الفوائد

ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ويا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم.. آخر الآية ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه..

ومن ضمانات السلام في مجتمع الإسلام يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وأيضا يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا وهذا غيض من فيض من القواعد الأخلاقية والقيم التي أرساها القرآن الكريم والسنة الشريفة لإقامة السلام في المجتمع.

---

(١) يجوز أن تكون الجملة معطوفة على جملة يهدي بتقدير الرابط أي يهديهم به إلى صراط مستقيم.." (١)

"﴿١٢﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ .

نهى الله تعالى عن كثير من الظن السوء (١) بالمؤمنين، ف ﴿إن بعض الظن إثم﴾ وذلك، كالظن الخالي من الحقيقة والقرينة، وكظن السوء، الذي يقترن به كثير من الأقوال، والأفعال المحرمة، فإن بقاء ظن السوء بالقلب، لا يقتصر صاحبه على مجرد ذلك، بل لا يزال به، حتى يقول ما لا ينبغي، ويفعل ما لا ينبغي، وفي ذلك أيضا، إساءة الظن بالمسلم، وبغضه، وعداوته المأمور بخلاف ذلك منه.

﴿ولا تجسسوا﴾ أي: لا تفتشوا عن عورات المسلمين، ولا تتبعوها، واتركوا (٢) المسلم على حاله، واستعملوا التغافل عن أحواله (٣) التي إذا فتشت، ظهر منها ما لا ينبغي.

-[٨٠٢]-

---

(١) الجدول في إعراب القرآن محمود صافي ٦/٣٠٦

﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ والغيبة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: " ذكرك أخاك بما يكره ولو كان فيه "
ثم ذكر مثلا منفرا عن الغيبة، فقال: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه﴾ شبه أكل لحمه ميتا، المكروه للنفوس [غاية الكراهة] ، باغتيابه، فكما أنكم تكرهون أكل لحمه، وخصوصا إذا كان ميتا، فاقد الروح، فكذلك، [فلتكرهوا] غيبته، وأكل لحمه حيا.
﴿واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ والتواب، الذي يأذن بتوبة عبده، فيوفقه لها، ثم يتوب عليه، بقبول توبته، رحيم بعباده، حيث دعاهم إلى ما ينفعهم، وقبل منهم التوبة، وفي هذه الآية، دليل على التحذير الشديد من الغيبة، وأن الغيبة من الكبائر، لأن الله شبهها بأكل لحم الميت، وذلك من الكبائر.

---

(١) في ب: السيء.

(٢) في ب: ودعوا.

(٣) في ب: عن زلاته.." (١)

"الآيات (١٣- ٦) [سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ٦ الى ١٣]

يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين (٦) واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠)
يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)." (٢)

"قوله تعالى:
«يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم» ..
الظن: ما يقع فى نفس الإنسان من تصورات للأمر، من واردات خيالاته، وأوهامه، دون أن يكون بين يديه دليل ظاهر،

---

(١) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن السعدي ص/٨٠١

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ٤٣٩/١٣

أو حجة قاطعة..

والظنون التي ترد على الناس كثيرة لا تحصى، إنها خواطر تتردد فى صدور الناس، ويكون لها دور كبير فى تصرفاتهم..

ولهذا جاء النهى باجتناب كثير من الظن، لا كل الظن، وهذا يعنى ألا يأخذ الإنسان بكل ما يقع له من ظنون، بل يجب أن يكون حذرا فى مواجهة كل ظن، وعليه أن يمحصه كما يمحص النبأ الذي يرد عليه من فاسق.. فإن مورد الظنون متهم، لأنه مورد يقوم عليه هوى النفس، ووساوس الشيطان..

وفى الحديث: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا..» وفى المأثور: «الظن أكذب الحديث» : أي أن الأحاديث الواردة من موارد الظنون، هى أحاديث يغلب عليها الكذب أكثر من أي أحاديث أخرى..

وفى قوله تعالى: «إن بعض الظن إثم» – إشارة إلى أن بعض الظن، هو الذي يقع تحت حكم المنهي عنه، لأنه إثم، إذ كان قائما على باطل، وفى الحديث: «إذا حسدت فاستغفر، وإذا ظننت فلا تحقق، وإذا تطيرت فأمض» ..." (١)

"وقوله تعالى: «ولا تجسسوا» أي لا تتبعوا مساوئ بعضكم، ولا تكشفوا عما ستره الله من عيوبكم..

وقوله تعالى: «ولا يغتب بعضكم بعضا» أي ولا يتحدث بعضكم عن بعض بمكروه فى غيبته..

وقوله تعالى: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» ..

هو تشنيع على الغيبة، وازدراء وتنديد بأهلها، إنهم أسوأ من أخس الحيوانات موقفا، وأنزلهم منزلة.. إنهم يأكلون لحم إخوانهم، والحيوانات تعاف أن يأكل الجنس لحم جنسه.. وليس هذا وحسب، بل إنهم ليأكلون هذا اللحم ميتا، متعفنا، وكثير من الحيوانات– كالأسود مثلا– تعاف أكل الميتة، ولو ماتت جوعا..!!

فهذا مثل ضربه الله سبحانه وتعالى للمغتاب.. فإنه إذ يغتاب شخصا ما، فإنما ينهش عرضه، وهو غائب دون أن يملك صاحبه أن يدفع هذه السهام التي تفرى جلده، وتنفذ إلى عظمه.. تماما كشأنه لو كان ميتا، ثم جاء هذا المغتاب إلى جسده، وأعمل فيه أسنانه، وأكله كما تأكل الذئاب جريحها.. إنه لا يملك من أمره شيئا..

وقوله تعالى: «فكرهتموه» .. هو تعقيب على هذا الجواب المحذوف الذي تنطق به الحال من قوله تعالى: «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا» ؟ والجواب على هذا، جواب واحد، لا خلاف عليه، وهو: «لا» ..

فكان التعقيب على هذا الجواب: أما هذا «فكرهتموه» .. وأما شبيهه ومثيله فما زال طعمه حلوا فى أفواهكم، فاكرهوه كما كرهتم مثيله طبيعة «واتقوا الله إن الله تواب رحيم» يقبل توبتكم إن أنتم نزعتم عن هذه المنكرات واستقمتم على طريق الإيمان..." (٢)

"النرد، وعن علي: النرد والشطرنج من الميسر، وعلى هذا جمهور الفقهاء ومالك وأبو حنيفة وقال الشافعي: إذا خلا الشطرنج عن الرهان واللسان عن الطغيان والصلاة عن النسيان لم يكن حراما وهو خارج عن الميسر لأن الميسر ما يوجب

(١) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٣/ ٤٥٠

(٢) التفسير القرآني للقرآن عبد الكريم يونس الخطيب ١٣/ ٤٥١

دفع المال وأخذه وهذا ليس كذلك وهو وجيه والمسألة مبسوطة في الفقه.

والناس مراد به العموم لاختلاف المنافع، ولأنه لما وقع الإخبار بواسطة (في) المفيدة الظرفية لم يكن في الكلام ما يقتضي أن كل فرد من أفراد الناس ينتقع بالخمر والميسر، بل الكلام يقتضي أن هاته المنافع موجودة في الخمر والميسر لمن شاء أن ينتفع كقوله تعالى: فيه شفاء للناس [النحل: ٦٩] . وليس المراد بالناس طائفة لعدم صلوحية ال هنا للعهد ولو أريد طائفة لما صح إلا أن يقال ومنافع الشاربين والياسرين كما قال:

وأنهار من خمر لذة للشاربين [محمد: ١٥] .

فإن قلت: ما الوجه في ذكر منافع الخمر والميسر مع أن سياق التحريم والتمهيد إليه يقتضي تناسي المنافع، قلت إن كانت الآية نازلة لتحريم الخمر والميسر فالفائدة في ذكر المنافع هي بيان حكمة التشريع ليعتاد المسلمون مراعاة علل الأشياء، لأن الله جعل هذا الدين دينا دائما وأودعه أمة أراد أن يكون منها مشرعون لمختلف ومتجدد الحوادث، فلذلك أشار لعلل الأحكام في غير موضع كقوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا [الحجرات: ١٢] ونحو ذلك، وتخصيص التنصيص على العلل ببعض الأحكام في بعض الآيات إنما هو في مواضع خفاء العلل، فإن الخمر قد اشتهر بينهم نفعها، والميسر قد اتخذوه ذريعة لنفع الفقراء فوجب بيان ما فيهما من المفاسد إنباء بحكمة التحريم، وفائدة أخرى وهي تأنيس المكلفين فطامهم عن أكبر لذائذهم تذكيرا لهم بأن ربهم لا يريد إلا صلاحهم دون نكايتهم كقوله: كتب عليكم القتال وهو كره لكم [البقرة: ٢١٦] وقوله:

كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم [البقرة: ١٨٣] . وهنالك أيضا فائدة أخرى وهي عذرهم عما سلف منهم حتى لا يستكينوا لهذا التحريم والتنديد على المفاسد كقوله: علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم [البقرة: ١٨٧] .." (١)

"في الناس بالجود أو باللؤم. والمعنى: بئس الذكر أن يذكر أحد بالفسوق بعد أن وصف بالإيمان.

وإيثار لفظ الاسم هنا من الرشاقة بمكان لأن السياق تحذير من ذكر الناس بالأسماء الذميمة إذ الألقاب أسماء فكان اختيار لفظ الاسم للفسوق مشاكلة معنوية.

ومعنى البعدية في قوله: بعد الإيمان: بعد الاتصاف بالإيمان، أي أن الإيمان لا يناسبه الفسوق لأن المعاصي من شأن أهل الشرك الذين لا يزعهم عن الفسوق وازع، وهذا كقول جميلة بنت أبي حين شكت للنبيء صلى الله عليه وسلم أنها تكره زوجها ثابت بن قيس وجاءت تطلب فراقه: «لا أعيب على ثابت في دين ولا في خلق ولكني أكره الكفر بعد الإسلام- تريد التعريض بخشية الزنا- وإني لا أطيقه بغضا» .

وإذ كان كل من السخرية واللمز والتنابز معاصي فقد وجبت التوبة منها فمن لم يتب فهو ظالم: لأنه ظلم الناس بالاعتداء عليهم، وظلم نفسه بأن رضي لها عقاب الآخرة مع التمكن من الإقلاع عن ذلك فكان ظلمه شديدا جدا. فلذلك جيء له بصيغة قصر الظالمين عليهم كأنه لا ظالم غيرهم لعدم الاعتداد بالظالمين الآخرين في مقابلة هؤلاء على سبيل المبالغة

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢/٣٥٠

ليزدجروا. والتوبة واجبة من كل ذنب وهذه الذنوب المذكورة مراتب وإدمان الصغائر كبيرة.

وتوسيط اسم الإشارة لزيادة تمييزهم تفظيعا لحالهم وللتنبيه، بل إنهم استحقوا قصر الظلم عليهم لأجل ما ذكر من الأوصاف قبل اسم الإشارة.

[١٢]

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم

أعيد النداء خامس مرة لاختلاف الغرض والاهتمام به وذلك أن المنهيات المذكورة بعد هذا النداء من جنس المعاملات السيئة الخفية التي لا يتفطن لها من عومل بها فلا يدفعها فما يزيلها من نفس من عامله بها.." (١)

"من الكيد والتطلع على العورات. وقد يرى المتجسس من المتجسس عليه ما يسوءه فتنشأ عنه العداوة والحقد. ويدخل صدره الحرج والتخوف بعد أن كانت ضمائره خالصة طيبة وذلك من نكد العيش.

وذلك ثلم للأخوة الإسلامية لأنه يبعث على إظهار التنكر ثم إن اطلع المتجسس عليه على تجسس الآخر ساءه فنشأ في نفسه كره له وانثلمت الأخوة ثلمة أخرى كما وصفنا في حال المتجسس، ثم يبعث ذلك على انتقام كليهما من أخيه.

وإذ قد اعتبر النهي عن التجسس من فروع النهي عن الظن فهو مقيد بالتجسس الذي هو إثم أو يفضي إلى الإثم، وإذا علم أنه يترتب عليه مفسدة عامة صار التجسس كبيرة.

ومنه التجسس على المسلمين لمن يبتغي الضر بهم.

فالمنهي عنه هو التجسس الذي لا ينجر منه نفع للمسلمين أو دفع ضر عنهم فلا

يشمل التجسس على الأعداء ولا تجسس الشرط على الجناة واللصوص.

ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه.

الاغتياب: افتعال من غابه المتعدي، إذا ذكره في غيبه بما يسوءه.

فالاغتياب ذكر أحد غائب بما لا يحب أن يذكر به، والاسم منه الغيبة بكسر الغين مثل الغيلة. وإنما يكون ذكره بما يكره غيبة إذا لم يكن ما ذكره به مما يثلم العرض وإلا صار قذعا.

وإنما قال: ولا يغتب بعضكم بعضا دون أن يقول: اجتنبوا الغيبة. لقصد التوطئة للتمثيل الوارد في قوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا لأنه لما كان ذلك التمثيل مشتملا على جانب فاعل الاغتياب ومفعوله مهد له بما يدل على ذاتين

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٦/٢٥٠

لأن ذلك يزيد التمثيل وضوحا.

والاستفهام في أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا تقريري لتحقق أن." (١)

"كل أحد يقر بأنه لا يحب ذلك، ولذلك أجيب الاستفهام بقوله: فكرهتموه.

وإنما لم يرد الاستفهام على نفي محبة ذلك بأن يقال: ألا يحب أحدكم، كما هو غالب الاستفهام التقريري، إشارة إلى تحقق الإقرار المقرر عليه بحيث يترك للمقرر مجالا لعدم الإقرار ومع ذلك لا يسعه إلا الإقرار. مثلث الغيبة بأكل لحم الأخ الميت وهو يستلزم تمثيل المولوع بها بمحبة أكل لحم الأخ الميت، والتمثيل مقصود منه استفظاع الممثل وتشويهه لإفادة الإغلاظ على المغتابين لأن الغيبة متفشية في الناس وخاصة في أيام الجاهلية.

فشبهت حالة اغتياب المسلم من هو أخوه في الإسلام وهو غائب بحالة أكل **لحم أخيه** وهو ميت لا يدافع عن نفسه، وهذا التمثيل للهيئة قابل للتفريق بأن يشبه الذي اغتاب بآكل لحم، ويشبه الذي اغتيب بأخ، وتشبه غيبته بالموت.

والفاء في قوله: فكرهتموه فاء الفصيحة، وضمير الغائب عائد إلى أحدكم، أو يعود إلى لحم.

والكراهة هنا: الاشمئزاز والتقذر. والتقدير: إن وقع هذا أو إن عرض لكم هذا فقد كرهتموه.

وفاء الفصيحة تفيد الإلزام بما بعدها كما صرح به الزمخشري في قوله تعالى: فقد كذبوكم بما تقولون في سورة الفرقان، أي تدل على أن لا مناص للمواجه بها من التزام مدلول جواب شرطها المحذوف.

والمعنى: فتعين إقراركم بما سئلتم عنه من الممثل به (إذ لا يستطاع جحده) تحققت كراهتكم له وتقذركم منه، فليتحقق أن تكرهوا نظيره الممثل وهو الغيبة فكأنه قيل: فاكرهوا الممثل كما كرهتم الممثل به.

وفي هذا الكلام مبالغات: منها الاستفهام التقريري الذي لا يقع إلا على أمر مسلم عند المخاطب فجعلك للشيء في حيز الاستفهام التقريري يقتضي أنك تدعي أنه لا ينكره المخاطب.

ومنها جعل ما هو شديد الكراهة للنفس مفعولا لفعل المحبة للإشعار بتفظيع." (٢)

"حالة ما شبه به وحالة من ارتضاه لنفسه فلذلك لم يقل: أيتحمل أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا، بل قال: أيحب أحدكم.

ومنها إسناد الفعل إلى أحد للإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك.

ومنها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان حتى جعل الإنسان أخا.

ومنها أنه لم يقتصر على كون المأكول لحم الأخ حتى جعل الأخ ميتا.

وفيه من المحسنات الطباق بين أيحب وبين فكرهتموه.

والغيبة حرام بدلالة هذه الآية وآثار من السنة بعضها صحيح وبعضها دونه.

وذلك أنها تشتمل على مفسدة ضعف في أخوة الإسلام. وقد تبلغ الذي اغتيب فتقدح في نفسه عداوة لمن اغتابه فينثلم

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٤/٢٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٥/٢٦

بناء الأخوة، ولأن فيها الاشتغال بأحوال الناس وذلك يلهي الإنسان عن الاشتغال بالمهم النافع له وترك ما لا يعنيه.

وهي عند المالكية من الكبائر وقل من صرح بذلك، لكن الشيخ عليا الصعيدي في «حاشية الكفاية» صرح بأنها عندنا من الكبائر مطلقا. ووجهه أن الله نهى عنها وشنعها.

ومقتضى كلام السجلماسي في كتاب «العمل الفاسي» أنها كبيرة.

وجعلها الشافعية من الصغائر لأن الكبيرة في اصطلاحهم فعل يؤذن بقلة اكتراث فاعله بالدين ورقة الديانة كذا حدها إمام الحرمين.

فإذا كان ذلك لوجه مصلحة مثل تجريح الشهود ورواة الحديث وما يقال للمستشير في مخالطة أو مصاهرة فإن ذلك ليس بغيبة، بشرط أن لا يتجاوز الحد الذي يحصل به وصف الحالة المسئول عنها.

وكذلك لا غيبة في فاسق بذكر فسقه دون مجاهرة له به. وقد قال النبيء صلى الله عليه وسلم لما استؤذن عنده لعيينة بن حصن بئس أخو العشيرة ليحذره من سمعه إذ كان عيينة يومئذ منحرفا عن الإسلام.." (١)

"ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله [البقرة: ٢٦٥] الآية. وقد وصف الجنة بأعظم ما يحسن به أحوال الجنات وما يرجى منه توفر ريعها، ثم وصف صاحبها بأقصى صفات الحاجة إلى فائدة جنته، بأنه ذو عيال فهو في حاجة إلى نفعهم وأنهم ضعفاء- أي صغار- إذ الضعيف في «لسان العرب» هو القاصر، ويطلق الضعيف على الفقير أيضا، قال تعالى: فإن كان الذي عليه الحق سفيها أو ضعيفا [البقرة: ٢٨٢] ، وقال أبو خالد العتابي:

لقد زاد الحياة إلي حبا ... بناتي إنهن من الضعاف

وقد أصابه الكبر فلا قدرة له على الكسب غير تلك الجنة، فهذه أشد الأحوال الحرص كقول الأعشى:

كجابية الشيخ العراقي تفهق

فحصل من تفصيل هذه الحالة أعظم الترقب لثمرة هذه الجنة كما كان المعطي صدقته في ترقب لثوابها.

فأصابها إعصار، أي ريح شديدة تقلع الشجر والنبات، فيها نار أي شدة حرارة- وهي المسماة بريح السموم، فإطلاق لفظ نار على شدة الحر تشبيه بليغ، فأحرقت الجنة- أي أشجارها- أي صارت أعوادها يابسة، فهذا مفاجأة الخيبة في حين رجاء المنفعة.

والاستفهام في قوله: أيود استفهام إنكار وتحذير كما في قوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا [الحجرات: ١٢] . والهيأة المشبهة محذوفة وهي هيأة المنفق نفقة متبعة بالمن والأذى.

روى البخاري أن عمر بن الخطاب سأل يوما أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيم ترون هذه الآية نزلت: أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب الآية، فقال بعضهم: «الله أعلم» ، فغضب عمر وقال: «قولوا نعلم أو لا نعلم» ، فقال ابن عباس: «في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين» ، فقال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك» ، قال ابن عباس:

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٥٦/٢٦

«ضربت مثلا لعمل» ، قال عمر: «أي عمل» ، قال ابن عباس: «لعمل» ، قال: صدقت، لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله عز وجل إليه الشيطان لما فني عمره فعمل في المعاصي حتى أحرق عمله.." (١)

"المسلم عن أن يتكلم في أخيه بما يؤذيه، وأوجب عليه إن رماه بفرية حد القذف ثمانين جلدة، قال تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا [٤٩ \ ١٢] ، وقبح جل وعلا غيبة المسلم غاية التقبيح بقوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه [٤٩ \ ١٢] ، وقال: ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون [٤٩ \ ١١] وقال في إيجاب حد القاذف: والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا الآية [٢٤ \ ٤، ٥] .

السادس: المال، وقد جاء القرآن بالمحافظة عليه بأقوم الطرق وأعدلها، ولذلك منع أخذه بغير حق شرعي، وأوجب على السارق حد السرقة وهو قطع اليد كما تقدم، قال تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [٤ \ ٢٩] ، وقال تعالى: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون [٢ \ ١٨٨] ، وقال: والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله الآية [٥ \ ٣٨] ، وكل ذلك محافظة على المال ودرءا للمفسدة عنه.

المصلحة الثانية: جلب المصالح، وقد جاء القرآن بجلب المصالح بأقوم الطرق وأعدلها، ففتح الأبواب لجلب المصالح في جميع الميادين، قال تعالى: فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله [٦٢ \ ١٠] ، وقال: ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم [٢ \ ١٩٨] ، وقال: وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله [٧٣ \ ٢٠] ، وقال: بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم [٤ \ ٢٩] .

ولأجل هذا جاء الشرع الكريم بإباحة المصالح المتبادلة بين أفراد المجتمع على الوجه المشروع، ليستجلب كل مصلحته من الآخر، كالبيوع والإجارات والأكرية والمساقاة والمضاربة، وما جرى مجرى ذلك.

المصلحة الثالثة: الجري على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، وقد جاء القرآن بذلك بأقوم الطرق وأعدلها، والحض على مكارم الأخلاق ومحاسن العادات كثير جدا في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، ولذلك لما سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم قالت: «كان خلقه القرآن» لأن القرآن يشتمل على جميع مكارم الأخلاق ؛ لأن الله تعالى يقول." (٢)

"وقد نهى الله – جل وعلا – في هذه الآية الكريمة عن السخرية من الناس، مبينا أن المسخور منه قد يكون خيرا من الساخر.

ومن أقبح القبيح استخفاف الدنيء الأرذل بالأكرم الأفضل، واستهزاؤه به.

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن السخرية جاء ذم فاعله وعقوبته عند الله في غير هذا الموضع، كقوله تعالى:

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٥٤/٣

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤٩/٣

الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم [٩ \ ٧٩] .

وقد بين تعالى أن الكفار المترفين في الدنيا كانوا يسخرون من ضعاف المؤمنين في دار الدنيا، وأن أولئك يسخرون من الكفار يوم القيامة، كما قال تعالى: زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة [٢ \ ٢١٢] ، وقال تعالى: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون إلى قوله تعالى: فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون على الأرائك ينظرون هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون [٨٣ \ ٢٩ - ٣٦] .

فلا ينبغي لمن رأى مسلما في حالة رثة تظهر بها عليه آثار الفقر والضعف أن يسخر منه؛ لهذه الآيات التي ذكرنا.

قوله تعالى: ولا تلمزوا أنفسكم.

أي لا يلمز أحدكم أخاه كما تقدم إيضاحه في سورة بني إسرائيل في الكلام على قوله تعالى: إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم [١٧ \ ٩] .

وقد أوعد الله - جل وعلا - الذين يلمزون الناس في قوله تعالى: ويل لكل همزة لمزة [١٠٤ \ ١٢] ، والهمزة كثير الهمز للناس، واللمزة كثير اللمز.

قال بعض العلماء: الهمز يكون بالفعل كالغمز بالعين احتقارا وازدراء، واللمز باللسان، وتدخل فيه الغيبة.

وقد صرح الله تعالى بالنهي عن ذلك في قوله: ولا يغتب بعضكم بعضا [٤٩ \ ١٢] ، ونفر عنه غاية التنفير في قوله تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه [٤٩ \ ١٢] ، فيجب على المسلم أن يتباعد كل التباعد من الوقوع في عرض أخيه.." (١)

"إذا كان في مجيء الآية قبل هذه: وإنك لعلى خلق عظيم رد على دعواهم الكاذبة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالجنون.

ففي هذه الآية تنزيهه - صلى الله عليه وسلم - مما اشتملت عليه من رذائل ونقائص وافتضاح لهم. وبيان الفرق والبون الشاسع بينه وبينهم. ففي الوقت الذي وصفه بأنه على خلق عظيم، وصفهم بعكس ذلك من: كذب، ومداهنة، وكثرة حلف، ومهانة، وهمز، ومشي بنميمة، ومنع للخير، وعتل، وتجبر، واعتداء، وظلم، وانقطاع زنيم، عشر خصال ذميمة. ونتيجتها الوسم بالخزي على الأنوف صغارا لهم.

وقد جاءت آيات القرآن تبين مساوئ تلك الصفات وتحذر منها، ولا يسعنا إيرادها كلها، وتكفي الإشارة إلى بعضها؛ تنبيها على جميعها في قوله تعالى: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم [٤٩ \ ١١ - ١٢]

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٤١٣/٧

وقوله تعالى: ودوا لو تدهن فيدهنون

ذكر القرطبي لمعاني المداهنة فوق عشرة أقوال أرجحها الملاينة، وقد ذكر هنا ودادتهم وتمنيهم المداهنة، ولم يذكر لنا هل داهنهم – صلى الله عليه وسلم – أم لا؟ وهل يريدون بذلك مصلحة أم لا؟ وقد جاء بيان ذلك مفصلا ؛ بأنهم أرادوا التدرج من المداهنة وملاينته – صلى الله عليه وسلم – معهم، إلى ما بعدها من تعطيل الدعوة.

وقد رجح ابن جرير ذلك بقوله: ود هؤلاء المشركون يا محمد، لو تلين لهم في دينك ؛ بإجابتك إياهم إلى الركون إلى آلهتهم فيلينون لك في عبادتك إلهك، كما قال – جل ثناؤه –: ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا [١٧ \ ٧٤] اهـ.

ويشهد لما قاله ابن جرير هذا ما جاء في سبب نزول سورة (الكافرون) .." (١)

"﴿يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن﴾ السيىء بالناس ﴿إن بعض الظن إثم﴾ ليس المراد بالنهي عن الظن: الظن العابر؛ الموجب للحيطة والحذر. والذي عناه الشاعر بقوله:

لا يكن ظنك إلا سيئا

إن سوء الظن من أقوى الفطن

وإنما نهى تعالى عن الظن الذي يمليه الشيطان وينميه حتى يصيره حقيقة واقعة: كمن يظن أن فلانا يكرهه ويبغي الكيد له؛ فيسرع هو إلى بغضه والكيد له. وقد يكون بريئا من البغض، بعيدا عن الكيد. وكمن يظن فيمن أتى لزيارته أنه إنما أتى لقتله؛ فيعمل بهذا الظن كأنه حقيقة واقعة. وربما كان هذا الزائر قد جاء للاعتذار عن هفوة ارتكبها، أو للاستغفار من ذنب أتاه. لذلك نهانا الشارع الحكيم عن العمل بالظن؛ لما يترتب عليه من نتائج سيئة، وعواقب وخيمة. وكذلك نهينا في الأحكام عن الأخذ بالظن؛ فإذا ما قضى قاض، أو حكم حاكم بما ينحط إلى مرتبة الظن، ولا يرتقي إلى مرتبة اليقين: فهو ظالم آثم فليحذر الذين ولاهم الله تعالى أمور العباد من الوقوع في هذه المخاطر، والانزلاق في هذه المهالك

قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» ولم يكن النهي عن نفس الظن المعلوم؛ لأنه خواطر لا يملك الإنسان منعها، ولا يستطيع دفعها. والأمر والنهي لا يوردان إلا بتكليف المستطاع من الأمور ﴿ولا تجسسوا﴾ أي لا تتتبعوا عورات المسلمين ومعايبهم ﴿ولا يغتب بعضكم بعضا﴾ الغيبة: أن تذكر أخاك بما يكره.

وفي الحديث: «إذا ذكرت أخاك بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه

-[٦٣٦]- فقد بهته» ﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا﴾ شبه تعالى الغيبة بأكل لحم الأخ – حال كونه ميتا – وإذا كان الإنسان يكره أن يأكل لحم الإنسان؛ فضلا عن كونه أخا، وكونه ميتا: وجب عليه أن يكره الغيبة بمثل هذه الكراهة.

ولا يفوتني – بمناسبة هذه الآية الكريمة – أن أقرر أن الغيبة الآن منتشرة بحيث لا يخلو منها مجلس، وقد أصبح الناس لا

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٢٥٣/٨

يشعرون بقبحها، ولا يحسون بإثمها، وأنها كبيرة - بل ومن أكبر الكبائر - فليتحاش ذلك من يرجو رحمة ربه، وليستغفر لذنبه." (١)

"١- أن يكون المضاف جزءا من المضاف اليه نحو «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا» فإخوانا حال من المضاف اليه وهو الضمير والصدور بعضه ونحو «أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه» فميتا حال من الأخ المضاف اليه اللحم واللحم بعض الأخ ٢- أو كالجزء منه مثل هذه الآية فحنيفا حال من ابراهيم المضاف اليه الملة والملة كبعضه في صحة حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إذ لو قيل واتبع ابراهيم لكان صحيحا.
٣- أن يكون المضاف عاملا في الحال كأن يكون مصدرا أو وصفا نحو «إليه مرجعكم جميعا» فجميعا حال من الكاف والميم المضاف اليه مرجع ومرجع مصدر ميمي عامل في الحال النصب.

[سورة النحل (١٦) : الآيات ١٢٤ الى ١٢٨]
إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون (١٢٤) ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين (١٢٥) وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين (١٢٦) واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون (١٢٧) إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون (١٢٨)." (٢)

"يفضل الإخوة ولم يبرز عليها لم ينقص عنها ولم يتقاصر عن غاياتها، ثم قد جرت عادة الناس على أنه إذا نشب مثل ذلك بين اثنين من إخوة الولاد لزم السائر أن يتناهضوا في رفعه وإزاحته ويركبوا الصعب والذلول مشيا بالصلح وبثا للسفراء بينهما إلى أن يصادف ما وهى من الوفاق من يرقعه وما استشن من الوصال من يبله، فالأخوة في الدين أحق بذلك وبأشد منه وعن النبي صلى الله عليه وسلم: المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يعيبه ولا يتطاول عليه في البنيان فيستر عنه الريح إلا بإذنه ولا يؤذيه بقتار قدره ثم قال احفظوا ولا يحفظ منكم إلا قليل» .

[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١٢ الى ١٣]
يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)

اللغة:

---
(١) أوضح التفاسير محمد عبد اللطيف الخطيب ص/٦٣٥
(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٥/٣٨٤

(تجسسوا) يقال تجسس الأمر إذا تطلبه وبحث عنه وقرئ ولا تحسسوا بالحاء، والمعنيان متقاربان، وقال الأخفش ليست تبعد إحداهما عن الأخرى لأن التجسس البحث عما يكتم عنك والتحسس." (١)

"الإعراب:

(يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم) اجتنبوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل وكثيرا مفعول به ومن الظن صفة لكثيرا وإن واسمها وخبرها إن وما في حيزها تعليل للنهي فالجملة لا محل لها (ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا) الواو حرف عطف ولا ناهية وتجسسوا فعل مضارع مجزوم بلا ولا يغتب عطف على ولا تجسسوا وبعضكم فاعل وبعضا مفعول به (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه) الهمزة للاستفهام التقريري ويحب فعل مضارع مرفوع وأحدكم فاعل وأن وما في حيزها مفعول يحب وميتا حال من لحم أخيه ومن من الأخ والفاء الفصيحة أي إن صح هذا فكرهتموه وكرهتموه فعل وفاعل ومفعول به والواو لإشباع ضمة الميم وسيرد في باب البلاغة مزيد من بحثه (واتقوا الله إن الله تواب رحيم) الواو استئنافية واتقوا الله فعل أمر وفاعل ومفعول به وإن واسمها وخبراها (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) إن واسمها وجملة خلقناكم خبرها ومن ذكر متعلقان بخلقناكم وأنثى عطف على ذكر (وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) الواو حرف عطف وجعلناكم فعل وفاعل ومفعول به أول وشعوبا مفعول به ثان واللام للتعليل وتعارفوا فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد لام التعليل (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) إن واسمها وعند الله ظرف متعلق بمحذوف حال وأتقاكم خبرها وإن واسمها وخبراها والجملتان المصدرتان بإن مستأنفتان.

البلاغة:

في هاتين الآيتين أفانين متنوعة من البلاغة ندرجها فيما يلي:

١- التنكير في قوله «كثيرا من الظن» والسر فيه إفادة معنى." (٢)

"البعضية للإيذان بأن في الظنون ما يجب أن يجتنب من غير تبيين لذلك ولا تعيين لئلا يجترئ أحد على ظن إلا بعد تأمل وبعد نظر وتمحيص واستشعار للتقوى والحذر من أن يكون الظن طائش السهم، بعيدا عن الإصابة، وما أكثر الذين تسول لهم ظنونهم ما ليس واقعا ولا يستند إلى شيء من اليقين.

٢- الاستعارة التمثيلية الرائعة في قوله تعالى «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه» فقد شبه من يغتاب غيره بمن يأكل لحم أخيه ميتا وفيها مبالغات أولها الاستفهام الذي معناه التقرير كأنه أمر مفروغ منه مبتوت فيه، وثانيها جعل ما هو الغاية من الكراهة موصولا بالمحبة، وثالثها إسناد الفعل إلى كل أحد للإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يحب ذلك، ورابعها أنه لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وهو أكره اللحوم وأبعثها على التقزز حتى جعل الإنسان أخا، وخامسها أنه لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعله ميتا ومن ثم فصحت هذه الآية وأكبرها أصحاب البيان وقال النبي

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٩/٢٧٢

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٩/٢٧٤

صلى الله عليه وسلم «ما صام من ظل يأكل لحوم الناس» وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال ذكرك أخاك بما يكره قال: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول فقال إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته.

وعن ابن عباس أن سلمان كان يخدم رجلين من الصحابة ويسوي لهما طعامهما فينام عن شأنه يوما فبعثاه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغي لهما أداما وكان أسامة على طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما عندي شيء فأخبرهما سلمان بذلك فعند ذلك قالا لو بعثناه إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه." (١)

"وبصورة مطلقة. وعبارتها إنما جاءت كما جاءت للمناسبات وحسب.

ولقد أثرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث عديدة متساوقة في التلقين مع تلقين الآية مع شيء من التوضيح نكتفي منها بما ورد في الكتب الخمسة، منها حديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أيما امرئ قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان قال وإلا رجعت عليه» . وحديث رواه الشيخان عن أبي ذر قال «سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يرمي رجل رجلا بالفسوق ولا يرميه بالكفر إلا ارتدت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك» . وحديث رواه الشيخان والترمذي عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» .

وحديث رواه مسلم وأبو داود والترمذي عن أبي هريرة قال «قال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادئ منهما ما لم يعتد المظلوم» . وحديث رواه مسلم عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «اثنتان في الناس هما بهما كفر الطعن بالنسب والنياحة على الميت» . وحديث رواه الترمذي عن عبد الله قال «قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء» وحديث رواه أبو داود عن عائشة قالت «اعتل بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزينب أعطها بعيرا فقالت أنا أعطي تلك اليهودية. فغضب النبي صلى الله عليه وسلم وهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر» وفي بعض الأحاديث التي أوردناها في الفقرة السابقة شيء متصل بهذه الآية ومنها الذي جاء فيه «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره» .

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

. (١) ولا تجسسوا: ولا تبحثوا سرا عن عورات الناس وشؤونهم الخاصة لتطلعوا على مخفياتهم.." (٢)

---

(١) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٢٧٥/٩

(٢) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥١٤/٨

"عبارة الآية واضحة وفيها:

(١) أمر للمسلمين باجتناب الظنون والتخمينات والأخذ بها والحكم على الأمور بموجبها. فإن من الظنون ما هو خطأ يجر صاحبه إلى الإثم.

(٢) ونهي لهم عن البحث عن عورات بعضهم ومخفيات أمورهم وكشفها عن اغتياب بعضهم بعضا وذكره بالسوء في غيابه. وسؤال إنكاري على سبيل توكيد النهي عن الغيبة بخاصة عما إذا كان يحب أحدهم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا. وتقرير لما هو طبيعي من كراهية ذلك.

(٣) وحث على تقوى الله ومراقبته والتوبة عن مثل هذه الأعمال البغيضة المكروهة المؤذية مع التنبيه على أن الله تعالى تواب يقبل توبة التائب ويشمله برحمته.

تعليق على الآية يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم إلخ وما فيها من تلقين وما روي في صددها من أحاديث

وقد روى المفسرون «١» أن الآية نزلت أثناء غزوة غزاها النبي. حيث ضم سلمان الفارسي إلى شخصين موسرين- وهذا من عادة النبي حينما يخرج إلى غزاة- ليخدمهما ويأكل معهما. فغلبته عيناه مرة فلم يجهز لهما طعاما فأرسلاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأرسله إلى أسامة بن زيد خازن المئونة فقال له ليس عندي شيء فأرسلاه إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئا فقالوا له لو أرسلناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها ثم انطلقا يتجسسان على أسامة ليعلما إن كان عنده طعام ومنعه وأخذا يغمزان سلمان ويغتابان أسامة فلما جاءا إلى رسول الله قال لهما ما لي أرى خضرة اللحم في أفواهكما؟ قالا والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا لحما قال بل ظللتم تأكلون لحم سلمان وأسامة فأنزل الله الآية.

---

(١) انظر تفسير البغوي والطبرسي والخازن وابن كثير.." (١)

"ومع احتمال حدوث مناسبة مثل المناسبة المروية فإن الاتصال والتساوق والتجانس بينها وبين آيات السورة قائم. وما قلناه في صدد سابقاتها من كون المناسبات قد حدثت قبل نزول السورة، فكانت وسيلة لما احتوته من تأديب وتعليم يقال هنا أيضا.

ولقد استهدفت الآية تنبيه المسلمين إلى وجوب رعاية حقوق بعضهم وأعراضهم في الغياب وتغليب حسن الظن في بعضهم وكبت غريزة الاستطلاع والتجسس على أسرار بعضهم ومخفياتهم. وتلقينها عام مستمر المدى كسابقاتها.

وتعبير أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا تعبير قوي لاذع بسبيل تعظيم إثم غيبة الناس واستنكارها.

وهكذا تتكامل سلسلة التأديبات الرفيعة ليكون المسلمون بها مثال مكارم الأخلاق منزهين عن سيئاتها ومكروهاتها الخاصة والعامة.

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥١٥/٨

ولقد أورد المفسرون في سياق الآية أحاديث نبوية عديدة قوية التلقين والعظة في صدد منهياتها. منها حديث أخرجه ابن ماجه عن عبد الله بن عمر قال «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يطوف بالكعبة ويقول ما أطيبك وأطيب ريحك ما أعظمك وأعظم حرمتك. والذي نفس محمد بيده لحرمة المؤمن أعظم عند الله تعالى حرمة منك ماله ودمه وأن يظن به إلا خيرا» «١» وحديث رواه البخاري وأبو داود جاء فيه «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» «٢» . وحديث رواه أبو داود عن معاوية قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إنك إن اتبعت عورات الناس

---

(١) النصوص من تفسير ابن كثير وقد أورد المفسر الحديث الأخير بصيغ أخرى ومن طرق أخرى مع خلاف يسير عن البراء بن عازب وعن نافع وابن عمر والمرجح أن الظن الذي وصفه الحديث الثاني بأكذب الحديث هو سوء الظن بالناس وليس الظن إطلاقا. والحديث الثاني رواه البخاري وأبو داود (انظر التاج/ ٥ ص ٢٥) والحديثان الثالث والرابع رواهما أبو داود والترمذي (انظر المصدر نفسه ص ٢٨) .

(٢) المصدر نفسه.." (١)

"[سورة الحجرات (٤٩) : الآيات ١٠ الى ١٢]

إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

١٠- إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون:

إخوة جمع بينهم الإيمان بالله ورسوله.

واتقوا الله واخشوا عذاب الله إن جرتم.

ترحمون يرحمكم الله بتقواكم.

١١- يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون:

ولا تلمزوا أنفسكم ولا يعب بعضكم بعضا.

ولا تنابزوا بالألقاب ولا يدع الواحد أخاه المؤمن بما يستكره من الألقاب.

بئس الاسم الفسوق بئس الذكر للمؤمنين أن يذكروا بالخروج عن الإيمان بعد اتصافهم بالإيمان.

ومن لم يتب ومن لم يرجع عما نهى عنه.

---

(١) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ٥١٦/٨

الظالمون لأنفسهم وغيرهم.

١٢- يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم:

من الظن ظن السوء بأهل الخير.

إثم يستوجب العقوبة.

ولا يغتب بعضكم بعضا ولا يذكر بعضكم بعضا بما يكره فى غيبته.

فكرهتموه فقد كرهتموه فاكرهوا الغيبة فإنها مماثلة له.." (١)

"الآية/ رقمها/ السورة/ رقمها/ الوجه (٨٢) ماذا قال ربكم قالوا الحق/ ٢٣/ سبأ/ ٣٤/ أى قالوا: قال الحق.

(٨٣) فلما أسلما وتله للجبين/ ١٠٣/ الصافات/ ٣٧/ الجواب محذوف. وقيل: الواو، مقحمة.

(٨٤) وعندهم قاصرات الطرف أتراب هذا ما توعدون. / ٥٢، ٥٣/ ص/ ٣٨/ أى: يقال لهم هذا.

(٨٥) وآخر من شكله أزواج هذا فوج مقتحم/ ٥٨/ ٥٩/ ص/ ٣٨/ أى: يقال لهم: هذا فوج مقتحم معكم.

(٨٦) والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم/ ٣/ الزمر/ ٣٩/ أى: يقولون: ما نعبدهم.

(٨٧) حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها/ ٧٣/ الزمر/ ٣٩/ أى: كذا وكذا، صدقوا وعدهم وطابت نفوسهم. وقيل: الواو، زائدة.

(٨٨) بوالديه إحسانا/ ٢٥/ الأحقاف/ ٤٦/ أى: ووصيناه إحسانا، وقال أبو على الفارسى: (إحسانا) منصوب بمضمر يدل عليه ما قبله، وهو قوله: (ووصينا الإنسان) .

(٨٩) وكف أيدي الناس عنكم/ ٢٠/ الفتح/ ٤٨/ أى: لتسلموا من أذاهم وشرهم.

(٩٠) أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه/ ١٢/ الحجرات/ ٤٩/ المعنى: فلما كرهتموه فاكرهو الغيبة. وقوله: (واتقوا الله) عطف على قوله: (فاكرهوا) ، وإن لم يذكره، لدلالة الكلام عليه.

(٩١) وأنفقوا خيرا لأنفسكم/ ١٦/ التغابن/ ٦٤/ أى: وأتوا خيرا لأنفسكم.

(٩٢) إنما نطعمكم لوجه الله/ ٩/ الإنسان/ ٧٦/ أى: يقولون: إنما نطعمكم.

(٩٣) والسماء ذات البروج/ ١/ البروج/ ٨٥/ التقدير: أحلف وأقسم، فحذف الفعل مع الفاعل.

(٩٤) واسجد واقترب/ ١٩/ العلق/ ٩٦/ أى: قل للإنسان الطاغى: واقترب تر العجب التقدير عند الأخفش: ما ألهاكم التكاثر فأضمر لجرى ذكره فى أول السورة.

وعند غيره: لو تعلمون علم اليقين لعلمتم أنكم ستردون الجحيم فى الآخرة.." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢١٦/١١

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٤٢٨/٢

"٢٥- خطاب التشجيع والتحريض، وهو الحث على الاتصاف بالصفات الجميلة، نحو قوله تعالى: إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص الصف: ٤.

٢٦- خطاب التنفير، نحو قوله تعالى: ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم الحجرات: ١٥، فقد جمعت هذه الآية أوصافا وتصويرا لما يناله المغتاب من عرض من يغتابه على أفظع وجه.

٢٧- خطاب التحنن والاستعطاف، نحو قوله تعالى: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الزمر: ٥٣.

٢٨- خطاب التحبيب، نحو قوله تعالى: يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر

مريم: ٤٢.

٢٩- خطاب التعجين، نحو قوله تعالى: فأتوا بسورة من مثله البقرة: ٢٣.

٣٠- خطاب التحسير والتلهف، نحو قوله تعالى: قل موتوا بغيظكم آل عمران: ١١٩.

٣١- خطاب التكذيب، نحو قوله تعالى: قل هلم شهداءكم الذين يشهدون الأنعام: ١٥٠.

٣٢- خطاب، التشريف، نحو قوله تعالى: قل آمنا آل عمران: ٨٤، وهو تشريف منه، سبحانه، لهذه الأمة، بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة.

٣٣- خطاب المعدوم، ويصح ذلك تبعا لموجود، نحو قوله تعالى: يا بني آدم الأعراف: ٢٦، فإنه خطاب لأهل ذلك الزمان ولكل من بعدهم.." (١)

"قرئ:

٢- عسين أن يكن، على أن «عسى» ناقصة، وهى قراءة عبد الله، وأبى.

تلمزوا:

١- بكسر الميم، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بضمها، وهى قراءة الحسن، والأعرج، وعبيد، عن أبى عمرو.

١٢- يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم ولا تجسسوا:

١- بالجيم، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بالحاء، وهى قراءة الحسن، وأبى رجاء، وابن سيرين.

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ١١١/٣

فكرهتموه:

١- بفتح الكاف وتخفيف الراء، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بضم الكاف وتشديد الراء، وهى قراءة أبى سعيد الخدري وأبى حيوة.

١٣- يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير لتعارفوا:

١- مضارع «تعارف» محذوف التاء، وهى قراءة الجمهور.

وقرئ:

٢- بتاءين، وهى قراءة الأعمش.

٣- بإدغام التاء فى التاء، وهى قراءة مجاهد، وابن كثير.

٤- لتعرفوا، مضارع «عرف» ، وهى قراءة ابن عباس، وأبان، عن عاصم.." (١)

"قص ٣٥ قال سنشد عضدك بأخيك أخوه أخيه أخاه سف ٨ ليوسف وأخوه احب بق ١٧٨ فمن عفي له من أخيه شيء ما ٣٠ فطوعت له نفسه قتل اخيه- ٣١ كيف يواري سوآة أخيه عف ١٥٠ وأخذ برأس أخيه يجره سف ٦٤ كما أمنتكم على أخيه- ٧٠ جعل السقاية في رحل أخيه- ٧٦ قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه رات ١٢ أن يأكل **لحم أخيه** ميتا عبس ٣٤ يفر المرء من أخيه عف ١٤٢ وقال موسى لأخيه هرون يو ٨٧ وأوحينا إلى موسى وأخيه سف ٨٧ فتحسسوا من يوسف وأخيه- ٨٩ ما فعلتم بيوسف وأخيه معا ١٢ وصاحبته وأخيه سف ٦٩ آوى إليه أخاه- ٧٦ ما كان ليأخذ أخاه مر ٥٣ أخاه هرون نبيا فر ٣٥ أخاه هرون وزيرا عف ١١١ قالوا أرجه وأخاه (سع ٣٦) مو ٤٥ أرسلنا موسى وأخاه أخانا أخوهم أخويكم سف ٦٣ فأرسل معنا أخانا- ٦٥ ونحفظ أخانا شع ١٠٦، ١٢٤، ١٤٢، ١٦١ إذ قال لهم أخوهم عف ٦٥ وإلى عاد أخاهم هودا (هد ٥٠) - ٧٣ وإلى ثمود أخاهم صالحا (هد ٦٠ نم ٤٥) - ٨٥ وإلى مدين أخاهم شعيبا (هد ٨٤ عك ٣٦) رات ١٠ فأصلحوا بين أخويكم إخوتي إخوتك إخوته سف ١٠٠ نزغ الشيطانى بيني وبين إخوتي- ٥ لا تقصص رؤياك على إخوتك- ٧ في يوسف وإخوته آيات أخواننا إخوانكم إخوانهم إخوانهم حشر ١٠ اغفر لنا ولإخواننا بق ٢٢٠ وإن تخالطوهم فإخوانكم بة ١١ فإخوانكم في الدين (حب ٥) - ٢٤ وأبناؤكم وإخوانكم ور ٦١ أو بيوت إخوانكم بة ٢٣ لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم عف ٢٠٢ وإخوانهم يمدونهم عمر ١٥٦ لإخوانهم إذا ضربوا- ١٦٨ الذين قالوا لإخوانهم حب ١٨ والقائلين لإخوانهم هلم حشر ١١ يقولون لإخوانهم الذين نعم ٨٧ ومن آبائهم وذرياتهم وإخوانهم مجا ٢٢ أو أبناءهم أو إخوانهم ور ٣١ أو إخوانهن أو بني إخوانهن حب ٥٥ ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن أخت الأخت الأختين نسا ١٢ وله أخ أو أخت مر ٢٨ يا أخت هرون ما كان نسا ٢٣ وبنات الأخت- وأن تجمعوا بين الأختين أختك أخته أختها طه ٤٠ إذ تمشي أختك فتقول قص ١١ وقالت لأخته قصيه رف ٤٨ إلا هي

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٦/٢٦٨

أكبر من أختها عف ٣٨ كلما دخلت أمة لعنت أختها أخواتكم أخواتهن نسا ٢٣ وبناتكم وأخواتكم- وأخواتكم من الرضاعة ور ٦١ أو بيوت أخواتكم- ٣١ أو بني أخواتهن حب ٥٥ ولا أبناء أخواتهن أدد إدا مر ٨٩ لقد جئتم شيئا إدا." (١)

"فر ٥ تملى عليه بكرة وأصيلا حب ٤٢ وسبحوه بكرة وأصيلا فتح ٩ وتسبحوه بكرة وأصيلا هر ٢٥ واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا عف ٢٠٥ من القول بالغدو والآصال عد ١٥ وظلالهم بالغدو والآصال ور ٣٦ يسبح له فيها بالغدو والآصال افف أف سر ٢٣ فلا تقل لهما أف أن ٦٧ أف لكم ولما تعبدون حق ١٧ والذي قال لوالديه أف أفق الأفق الآفاق نجم ٧ وهو بالأفق الأعلى تك ٢٣ ولقد رآه بالأفق المبين حس ٥٣ سنريهم آياتنا فى الآفاق أفك يأفكون تأفكنا أفك يؤفك عف ١١٧ فإذا هي تلقف ما يأفكون (شع ٤٥) حق ٢٢ أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا يا ٩ يؤفك عنه من أفك مم ٦٣ كذلك يؤفك الذين يؤفكون تؤفكون ما ٧٥ ثم انظر أنى يؤفكون بة ٣٠ قاتلهم الله أنى يؤفكون (منا ٤) عك ٦١ ليقولن الله فأنى يؤفكون (رف ٨٧) روم ٥٥ كذلك كانوا يؤفكون نعم ٩٥ ذلكم الله فأنى تؤفكون فط ٣ لا إله إلا هو فأنى تؤفكون (مم ٦٢) إفك إفكا الإفك إفكهم ور ١٢ هذا إفك مبين فر ٤ إن هذا إفك افتراه سب ٤٣ ما هذا إلا إفك مفترى حق ١١ هذا إفك قديم عك ١٧ وتخلقون إفكا صا ٨٦ أئفكا آلهة دون الله ور ١١ إن الذين جاءوا بالإفك حق ٢٨ وذلك إفكهم صا ١٥١ ألا إنهم من إفكهم أفاك المؤتفكة المؤتفكات شع ٢٢٢ تنزل على كل أفاك أثيم جا ٧ ويل لكل أفاك أثيم نجم ٥٣ والمؤتفكة أهوى فة ٩ والمؤتفكات بالخاطئة بة ٧٠ وأصحاب مدين- والمؤتفكات (أفل) أفل أفلت الآفلين نعم ٧٦ فلما أفل قال لا أحب الآفلين- ٧٧ فلما أفل قال لئن لم يهدني- ٧٨ فلما أفلت قال يا قوم أقت أقتت سلا ١١ وإذا الرسل أقتت أكل أكل أكلا أكلوا أكله ما ٣ وما أكل السبع طه ١٢١ فأكلا منها فبدت لهما ما ٦٦ لأكلوا من فوقهم سف ١٤ لئن أكله الذئب- ١٧ فأكله الذئب يأكل تأكل يو ٢٤ مما يأكل الناس والأنعام مو ٣٣ يأكل مما تأكلون منه فر ٧ ما لهذا الرسول يأكل- ٨ أو تكون له جنة يأكل رات ١٢ أن يأكل **لحم أخيه** ميتا نسا ٦ ومن كان فقيرا فليأكل سف ٣٦ خبزا تأكل الطير منه سج ٢٧ زرعا تأكل منه أنعامهم سب ١٤ إلا دابة الأرض تأكل محمد ١٢ كما تأكل الأنعام سف ٤١ فتأكل الطير من رأسه." (٢)

"لبس لباس لباسا ق ١٥ بل هم فى لبس بق ١٨٧ هن لباس لكم وأنتم لباس لهن عف ٢٥ أنزلنا عليكم لباسا- ولباس التقوى نح ١١٢ لباس الجوع والخوف فر ٤٧ جعل لكم الليل لباسا عم ١٠ وجعلنا الليل لباسا لباسهما لباسهم لبوس عف ٢٦ ينزع عنهما لباسهما حج ٢٣ ولباسهم فيها حرير (فط ٣٣) ان ٨٠ وعلمناه صنعة لبوس لبن لبن لبنا محمد ١٥ وأنهار من لبن نح ٦٦ لبنا خالصا لجأ ملجأ شو ٤٧ ما لكم من ملجا بة ٥٨ لو يجدون ملجأ- ١١٩ لا ملجأ من الله

لجج لجوا لجة لجى مو ٧٦ للجوا فى طغيانهم ملك ٢١ بل لجوا فى عتو ونفور نم ٤٤ فلما رأته حسبته لجة ور ٤٠ فى بحر

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢٩/٧

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٣٣/٧

لجى لحد يلحدون إلحاد ملتحدا عف ١٧٩ يلحدون فى أسمائه نح ١٠٣ لسان الذى يلحدون إليه حس ٤٠ يلحدون فى ءايتنا حج ٢٥ ومن يرد فيه بالحاد كه ٢٧ ولن تجد من دونه ملتحدا لحف إلحافا بق ٢٧٣ لا يسألون الناس إلحافا لحق يلحقوا ألحقتم عمر ١٧٠ بالذين لم يلحقوا بهم جع ٣ منهم لما يلحقوا بهم سب ٢٧ ألحقتم به شركاء ألحقنا ألحقنى طو ٢١ ألحقنا بهم ذريتهم سف ١٠١ وألحقنى بالصالحين لحم لحم لحما لحومها ما ٤ ولحم خنزير طو ٢٢ وأمددناهم بفاكهة ولحم قع ٧١ ولحم طير مما يشتهون بق ١٧٣ والدم ولحم الخنزير- ٢٥٩ ثم نكسوها لحما نعم ١٤٥ أو لحم خنزير فإنه رجس نح ١٤ لتأكلوا منه لحما طريا مو ١٤ فكسونا العظام لحما فط ١٢ تأكلون لحما طريا رات ١٢ أن يأكل **لحم أخيه** حج ٣٧ لن ينال الله لحومها لحن محمد ٣٠ ولتعرفنهم فى لحن القول لحى لحيتى طه ٩٤ لا تأخذ بلحيتى لدد لدا ألد مر ٩٨ وتنذر به قوما لدا بق ٢٠٤ وهو الد الخصام لذذ تلذ لذة رف ٧١ وتلذ الأعين صا ٤٦ بيضاء لذة للشاربين محمد ١٥ من خمر لذة للشاربين لزب لازب صا ١١ من طين لازب." (١)

"رف ١١ فأنشرنا به بلدة ميتا رات ١٢ أن يأكل **لحم أخيه** ميتا ق ١١ وأحيينا به بلدة ميتا بق ١٥٤ أموات بل أحياء نح ٢١ أموات غير أحياء بق ٢٨ وكنتم أمواتا فأحياكم عمر ١٦٩ أمواتا بل أحياء سلا ٢٦ أحياء وأمواتا الأموات الموتى فط ٢٢ الأحياء ولا الأموات بق ٧٣ كذلك يحيي الله الموتى- ٢٦٠ أرنى كيف تحيي الموتى عمر ٤٩ وأحيي الموتى بإذن الله ما ١١٣ وإذ تخرج الموتى بإذنى نعم ١١١ وكلمهم الموتى وحشرنا عف ٥٦ كذلك نخرج الموتى عد ٣٣ أو كلم به الموتى حج ٦ وإنه يحيي الموتى نم ٨٠ إنك لا تسمع الموتى (روم ٥٢) روم ٥٠ إن ذلك لمحيي الموتى يس ١٢ إنا نحن نحيي الموتى حس ٣٩ إن الذى أحياها لمحيي الموتى شو ٩ هو الولى وهو يحيي الموتى حق ٣٣ بقادر على أن يحيي الموتى (قيا ٤٠) ميت الميت زم ٣٠ إنك ميت عف ٥٦ سقناه لبلد ميت ابر ١٧ وما هو بميت فط ٩ فسقناه إلى بلد ميت عمر ٢٧ وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى نعم ٩٥ يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى يو ٣١ ومن يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى روم ١٩ يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ميتون ميتين مو ١٥ إنكم بعد ذلك لميتون زم ٣٠ وإنهم ميتون صا ٥٨ أفما نحن بميتين الموتة موتتنا دخ ٥٦ إلا الموتة الأولى- ٣٥ إلا موتتنا الأولى صا ٥٩ ألا موتتنا الأولى ميتة الميتة نعم ١٣٩ وإن يكن ميتة فهم- ١٤٥ إلا أن يكون ميتة ما ٤ حرمت عليكم الميتة يس ٣٣ وآية لهم الأرض الميتة بق ١٧٣ إنما حرم عليكم الميتة (نح ١١٥) الممات مماتى مماتهم سر ٧٥ وضعف الممات نعم ١٦٣ ومحياى ومماتى لله جا ٢٠ سواء محياهم ومماتهم موج يموج موج الموج كه ١٠٠ بعضهم يومئذ يموج ور ٤٠ يغشاه موج من فوقه موج لق ٣٢ وإذا غشيهم موج هد ٤٢ فى موج كالجبال يو ٢٢ وجاءهم الموج هد ٤٣ وحال بينهما الموج مور تمور مورا طو ٩ يوم تمور السماء مورا ملك ١٦ فإذا هى تمور مول مال مالا المال شع ٨٨ يوم لا ينفع مال مو ٥٦ من مال وبنين ور ٣٣ وءاتوهم من مال الله نم ٣٦ قال أتمدونن بمال ن ١٤ إن كاد ذا مال وبنين نعم ١٥٢ ولا تقربوا مال اليتيم

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٤٠٧/٧

(سر ٣٤) هد ٢٩ لا أسألكم عليه مالا كه ٣٥ أنا أكثر منك مالا- ٤٠ أنا أقل منك مالا مر ٧٨ لأوتين مالا وولدا مد ١٢ وجعلت له مالا بل ٦ أهلكت مالا لبدا." (١)

"ولا نوم له

ويقال: أخذته الحمى وقال تعالى: أخذ الذين ظلموا الصيحة- فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وقال: وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى ويعبر عن الأسير بالمأخوذ والأخيذ. والاتخاذ افتعال منه ويعدى إلى مفعولين، ويجرى مجرى الجعل نحو قوله: لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء- واتخذوا من دونه آلهة- فاتخذتموهم سخريا- أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله وقوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم فتخصيص لفظ المؤاخذة تنبيه على معنى المجازاة والمقابلة لما أخذوه من النعم فلم يقابلوه بالشكر. ويقال فلان مأخوذ، وبه أخذة من الجن، وفلان يأخذ مأخذ فلان، أي يفعل فعله ويسلك مسلكه. ورجل أخذ، وبه. أخذ، كناية عن الرمد. والإخاذة والإخاذ أرض يأخذها الرجل لنفسه، وذهبوا ومن أخذ أخذهم وأخذهم.

(أخ) : الأصل أخو وهو المشارك آخر فى الولادة من الطرفين أو من أحدهما أو من الرضاع. ويستعار فى كل مشارك لغيره فى القبيلة أو فى الدين أو فى صنعة أو فى معاملة أو فى مودة وفى غير ذلك من المناسبات، قوله تعالى:

لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لإخوانهم أي لمشاركيهم فى الكفر، وقال:

إنما المؤمنون إخوة- أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا وقوله: فإن كان له إخوة أي إخوان وأخوات، وقوله تعالى إخوانا على سرر متقابلين تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم. والأخت تأنيث الأخ. وجعل التاء فيه كالعوض من المحذوف منه. وقوله: يا أخت هارون يعنى أخته فى الصلاح لا فى النسبة، وذلك كقولهم: يا أخا تميم وقوله: أخا عاد سماه أخا تنبيها على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه، وعلى هذا قوله: وإلى ثمود أخاهم- وإلى عاد أخاهم- وإلى مدين أخاهم وقوله: وما نريهم من آية إلا هي أكبر من أختها أي من الآية التي تقدمتها، وسماها أختا لها لاشتراكهما فى الصحة والإبانة والصدق. وقوله تعالى: كلما دخلت أمة لعنت أختها فإشارة إلى أوليائهم المذكورين فى نحو قولهم أولياؤهم الطاغوت وتأخيت أي تحريت تحرى الأخ للأخ. واعتبر من الإخوة معنى الملازمة، فقيل أخيه الدابة.

(آخر) : يقابل به الأول، وآخر يقابل به الواحد. ويعبر بالدار الآخرة عن النشأة الثانية كما يعبر بالدار الدنيا عن النشأة الأولى نحو: وإن الدار الآخرة." (٢)

"وأفك يؤفك صرف عقله ورجل مأفوك العقل.

(أفل) : الأفول غيبوبة النيرات كالقمر والنجوم، قال تعالى: فلما أفل قال لا أحب الآفلين وقال تعالى: فلما أفلت والأفل صغار الغنم، والأفيل: الفصيل الضئيل.

(أكل) : الأكل تناول المطعم وعلى طريق التشبيه قيل أكلت النار الحطب، والأكل لما يؤكل بضم الكاف وسكونه قال

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٧/٤٢٩

(٢) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٨/١٢

تعالى: أكلها دائم والأكلة للمرة والأكلة كاللقمة وأكيلة الأسد فريسته التي يأكلها والأكولة من الغنم ما يؤكل والأكيل المؤاكل وفلان مؤكل ومطعم استعارة للمرزوق، وثوب ذو أكل كثير الغزل كذلك والتمر مأكلة للفم، قال تعالى: ذواتي أكل خمط ويعبر به عن النصيب فيقال فلان ذو أكل من الدنيا وفلان استوفى أكله كناية عن انقضاء الأجل، وأكل فلان فلانا اغتابه وكذا أكل لحمه قال تعالى: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا وقال الشاعر:

فإن كنت مأكولا فكن أنت آكلى

وما ذقت أكلا أي شيئا يؤكل وعبر بالأكل عن إنفاق المال لما كان الأكل أعظم ما يحتاج فيه إلى المال نحو قوله تعالى: ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل- وقال- إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما فأكل المال بالباطل صرفه إلى ما ينافيه الحق. وقوله تعالى: إنما يأكلون في بطونهم نارا تنبيها على أن تناولهم لذلك يؤدى بهم إلى النار. والأكول والأكل الكثير الأكل قال تعالى: أكالون للسحت والأكلة جمع آكل، وقولهم هم أكلة رأس عبارة عن ناس من قلتهم يشبعهم رأس. وقد يعبر بالأكل عن الفساد نحو قوله تعالى:

كعصف مأكول وتأكل كذا فسد وأصابه إكال فى رأسه وفى أسنانه أي تأكل وأكلنى رأسى وميكائيل ليس بعربي.

(الإل) : كل حالة ظاهرة من عهد حلف وقرابة تئل تلمع فلا يمكن إنكاره قال تعالى: لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأل الفرس أي أسرع حقيقته لمع وذلك استعارة فى باب الإسراع نحو برق وطار، والألة الحربة اللامعة وأل بها ضرب وقيل إل وإيل اسم الله تعالى وليس ذلك بصحيح، وأذن مؤللة والإلال صفحتا السكين.." (١)

"مكرمون

أي جعلهم كراما، قال: كراما كاتبين، وقال: بأيدي سفرة كرام بررة- وجعلني من المكرمين، وقوله: ذو الجلال والإكرام منطو على المعنيين.

(كره) : قيل الكره والكره واحد نحو: الضعف والضعف، وقيل الكرة المشقة التي تنال الإنسان من خارج فيما يحمل عليه بإكراه، والكره ما يناله من ذاته وهو يعافه، وذلك على ضربين، أحدهما: ما يعاف من حيث الطبع والثاني ما يعاف من حيث العقل أو الشرع، ولهذا يصح أن يقول الإنسان فى الشيء الواحد إنى أريده وأكرهه بمعنى أنى أريده من حيث الطبع وأكرهه من حيث العقل أو الشرع، أو أريده من حيث العقل أو الشرع وأكرهه من حيث الطبع، وقوله تعالى: كتب عليكم القتال وهو كره لكم أي تكرهونه من حيث الطبع ثم بين ذلك بقوله تعالى: وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم أنه لا يجب للإنسان أن يعتبر كراهيته للشيء أو محبته له حتى يعلم حاله.

وكرهت يقال فيهما جميعا إلا أن استعماله فى الكره أكثر، قال تعالى: ولو كره الكافرون- ولو كره المشركون- وإن فريقا من المؤمنين لكارهون، وقوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه تنبيه أن أكل لحم الأخ شيء قد جبلت النفس على كراهتها له وإن تحراه الإنسان، وقوله: لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها وقرىء كرها، والإكراه يقال فى حمل الإنسان على ما يكرهه وقوله: ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء فنهى عن حملهن على ما فيه كره وكره، وقوله: لا إكراه في الدين فقد

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٢١/٨

قيل كان ذلك فى ابتداء الإسلام فإنه كان يعرض على الإنسان الإسلام فإن أجاب وإلا ترك. والثاني: أن ذلك فى أهل الكتاب فإنهم إن أرادوا الجزية والتزموا الشرائط تركوا. والثالث:

أنه لا حكم لمن أكره على دين باطل فاعترف به ودخل فيه كما قال: إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان. الرابع: لا اعتداد فى الآخرة بما يفعل الإنسان فى الدنيا من الطاعة كرها فإن الله تعالى يعتبر السرائر ولا يرضى إلا الإخلاص ولهذا

قال عليه الصلاة والسلام: «الأعمال بالنيات»

وقال: «أخلص يكفك القليل من العمل»

الخامس: معناه لا يحمل الإنسان على أمر مكروه فى الحقيقة مما يكلفهم الله بل يحملون على نعيم الأبد، ولهذا

قال عليه الصلاة والسلام: «عجب ربكم من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل»

السادس: أن الدين الجزاء،." (١)

"استعير ألحف شاربه إذا بالغ فى تناوله وجزه وأصله من اللحاف وهو ما يتغطى به، يقال ألحفته فالتحف.

(لحق) : لحقته ولحقت به أدركته، قال تعالى: بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم- وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ويقال ألحقت كذا، قال بعضهم:

يقال ألحقه بمعنى لحقه وعلى هذا قوله: (إن عذابك بالكفار ملحق) وقيل هو من ألحقت به كذا فنسب الفعل إلى العذاب تعظيما له، وكنى عن الدعي بالملحق.

(لحم) : اللحم جمعه لحام ولحوم ولحمان، قال تعالى: ولحم الخنزير ولحم الرجل كثر عليه اللحم فضخم فهو لحيم ولاحم، وشاحم صار ذا لحم وشحم نحو لابن وتامر، ولحم: ضرى باللحم ومنه باز لحم وذئب لحم أي كثير أكل اللحم وبيت لحم أي فيه لحم،

وفى الحديث: «إن الله يبغض قوما لحمين»

وألحمه أطعمه اللحم وبه شبه المرزوق من الصيد فقيل ملحم وقد يوصف المرزوق من غيره به، وبه شبه ثوب ملحم إذا تداخل سداه ويسمى ذلك الغزل لحمة تشبيها بلحمه البازي، ومنه قيل: «الولاء لحمة كلحمة النسب» وشجة متلاحمة اكتست اللحم، ولحمت اللحم عن العظم قشرته، ولحمت الشيء وألحمته ولا حمت بين الشيئين لأمتهما تشبيها بالجسم إذا صار بين عظامه لحم يلحم به، واللحام ما يلحم به الإناء وألحمت فلانا قتلته وجعلته لحما للسباع، وألحمت الطائر أطعمته اللحم، وألحمتك فلانا أمكنتك من شتمه وثلبه وذلك كتسمية الاغتياب والوقيعة بأكل اللحم، نحو قوله: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا، وفلان لحيم فعيل كأنه جعل لحما للسباع، والملحمة المعركة، والجمع الملاحم.

(لحن) : اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه إما بإزالة الإعراب أو التصحيف وهو المذموم وذلك أكثر استعمالا، وإما بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى وهو محمود عند أكثر الأدباء من حيث البلاغة وإياه قصد الشاعر بقوله:

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٨/٤٨٤

وخير الحديث ما كان لحنا

وإياه قصد بقوله تعالى: ولتعرفنهم في لحن القول ومنه قيل للفطن بما يقتضى." (١)

"والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون (٧) فضلا من الله ونعمة والله عليم حكيم (٨) وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين (٩) إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون (١٠) يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون (١١) يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢) يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير (١٣)." (٢)

"فيأتي الرجل إلى صديقه ويقول: فلان قال في كذا، يريد أن يخفف ما في قلبه من الألم والحسرة، أو يتكلم في ذلك مع أولاده، أو مع أهله، أو مع زوجته أو ما أشبه ذلك، هذا لا بأس به؛ لأن الظالم ليس له حرمة بالنسبة للمظلوم.

﴿أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه واتقوا الله﴾ التقوى يكثر الأمر بها في القرآن الكريم، وكذلك في السنة، فما هي التقوى التي يكثر ورودها في كتاب الله وعلى لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ إنها كلمة عظيمة، إنها تعني الوقاية من عذاب الله، وتكون الوقاية من عذاب الله بأمرين:

الأمر الأول: امتثال أوامر الله – عز وجل – بأن يقول القائل إذا سمع أمر الله ﴿سمعنا وأطعنا﴾ فإن هذا هو قول المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا﴾ ولا تقل: ما الفرق بين كذا وكذا؟ يعني: لماذا يأمر الله بكذا ولا يأمر بكذا، فمثلا في لحوم الإبل أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن نتوضأ من لحومها (١) ، ولهذا كان أكل لحوم الإبل ناقض للوضوء على القول الراجح من أقوال العلماء، فلا تقل: لماذا يأمرنا بالوضوء من أكل لحم الإبل، ولا يأمرنا بالوضوء من أكل لحم البقر؟ مع أن كل منهما يسمى بدنة، ولا تقل: لماذا تؤمر الحائض بقضاء شهر الصوم ولا تؤمر بقضاء الصلاة، على سبيل التشكيك، ولكن قل: سمعنا وأطعنا.

الأمر الثاني: اجتناب ما نهى الله عنه، فإذا نهى الله عن شيء

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الحيض، باب الوضوء من لحوم الإبل (٣٦٠) .." (٣)

---

(١) الموسوعة القرآنية إبراهيم الإبياري ٨/٥٠٦

(٢) التيسير في أحاديث التفسير محمد المكي الناصري ٦/٥٨

(٣) تفسير العثيمين: الحجرات – الحديد ابن عثيمين ص/٥٥

"أو أن يلمز بعضهم بعضا. ونداء خامسا أمرتهم فيه باجتناب الظن السيئ بالغير، دون أن يكون هناك مبرر لذلك، ونهتهم عن التجسس وعن الغيبة.

قال- تعالى-: يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا، ولا يغتب بعضكم بعضا، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه، واتقوا الله إن الله تواب رحيم.

٦- وبعد هذه النداءات المتكررة للمؤمنين، وجهت نداء إلى الناس جميعا، بينت لهم فيه أنهم جميعا قد خلقوا من ذكر وأنثى، وأن أكرمهم عند الله هو أتقاهم وأخشاهم لله- تعالى-.

ثم ردت على الأعراب الذين قالوا آمنا دون أن يستقر الإيمان في قلوبهم ووضحت صفات المؤمنين الصادقين، وأمرت كل مؤمن أن يشكر الله- تعالى- على نعمة الإيمان.

قال- سبحانه-: يمنون عليك أن أسلموا، قل لا تمنوا علي إسلامكم، بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين. إن الله يعلم غيب السماوات والأرض، والله بصير بما تعملون.

٧- وهكذا نجد السورة الكريمة قد رسمت للمؤمنين طريق الحياة السعيدة، حيث عرفتهم بما يجب عليهم نحو خالقهم- سبحانه- وبما يجب عليهم نحو نبيهم صلى الله عليه وسلم وبما يجب عليهم نحو أنفسهم، وربما يجب عليهم نحو إخوانهم في العقيدة، وبما يجب عليهم نحو أفراد المجتمع الإسلامى بصفة عامة.

وقد وضحت لهم كل ذلك بأسلوب بليغ مؤثر، من شأنه أن يغرس في النفوس الخشوع والطاعة لله رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه الراجي عفو ربه د. محمد سيد طنطاوى القاهرة- مدينة نصر ١٩ من شهر ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ ٣١/ ١٢/ ١٩٨٥ م." (١)

"ثم وجه- سبحانه- إلى عباده المؤمنين نداء خامسا، نهاهم فيه عن أن يظن بعضهم ببعض ظنا سيئا بدون مبرر، كما نهاهم عن التجسس وعن الغيبة، حتى تبقى للمسلم حرمته وكرامته.. فقال- تعالى-.

[سورة الحجرات (٤٩) : آية ١٢]

يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم (١٢)

وقوله- تعالى- اجتنبوا من الاجتناب يقال: اجتنب فلان فلانا إذا ابتعد عنه، حتى لكأنه في جانب والآخر في جانب مقابل.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٩٦/١٣

والمراد بالظن المنهي عنه هنا: الظن السيئ بأهل الخير والصلاح بدون دليل أو برهان.

قال بعض العلماء ما ملخصه: والظن أنواع: منه ما هو واجب، ومنه ما هو محرم، ومنه ما هو مباح.

فالمحرم: كسوء الظن بالمسلم المستور الحال، الظاهر العدالة، ففي الحديث الشريف:

«إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث..» وفي حديث آخر: «إن الله حرم من المسلم دمه وعرضه وأن يظن به ظن السوء» .

وقلنا: كسوء الظن بالمسلم المستور الحال ... لأن من يجاهر بارتكاب الخبائث.. لا يحرم سوء الظن به، لأن من عرض نفسه للتهم كان أهلا لسوء الظن به.

والظن الواجب يكون فيما تعبدنا الله- تعالى- بعلمه، ولم ينصب عليه دليلا قاطعا، فهنا يجب الظن للوصول إلى المعرفة الصحيحة، كقبول شهادة العدل، وتحرى القبلة..

والظن المباح مثلوا له بالشك في الصلاة حين استواء الطرفين ...

وحرمة سوء الظن بالناس، إنما تكون إذا كان لسوء الظن أثر يتعدى إلى الغير، وأما أن تظن شرا لتتقيه، ولا يتعدى أثر ذلك إلى الغير فذلك محمود غير مذموم، وهو محمل ما ورد." (١)

"فالتجسس مأخوذ من الجس، وهو البحث عما خفى من أمور الناس، وقرأ الحس وأبو رجاء: ولا تحسسوا من الحس، وهما بمعنى واحد. وقيل هما متغايران التجسس- بالجيم- معرفة الظاهر، وأن التحسس- بالحاء- تتبع البواطن وقيل بالعكس..

وعلى أية حال فالمراد هنا من التجسس والتحسس: النهى عن تتبع عورات المسلمين، أخرج أبو داود وغيره عن أبى برزة الأسلمى قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه. لا تتبعوا عورات المسلمين، فإن من تتبع عورات المسلمين، فضحه الله- تعالى- في قعر بيته» .

وعن معاوية بن أبى سفيان قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم أو كدت أن تفسدهم» «١» .

ثم نهى- سبحانه- بعد ذلك عن الغيبة فقال: ولا يغتب بعضكم بعضا والغيبة- بكسر الغين- أن تذكر غيرك في غيابه بما يسوءه يقال: اغتاب فلان فلانا، إذا ذكره بسوء في غيبته، سواء أكان هذا الذكر بصريح اللفظ أم بالكناية، أم بالإشارة، أم بغير ذلك.

روى أبو داود وغيره عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون ما الغيبة؟

قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قيل: أرأيت إن كان في أخى ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته «٢» .

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣١٤/١٣

ثم ساق– سبحانه– تشبيها ينفر من الغيبة أكمل تنفير فقال: أيحب أحدكم أن يأكل **لحم أخيه** ميتا فكرهتموه. والاستفهام للتقرير لأنه من الأمور المسلمة أن كل إنسان يكره أكل **لحم أخيه** حيا، فضلا عن أكله ميتا.

والضمير في قوله: فكرهتموه يعود على الأكل المفهوم من قوله يأكل وميتا حال من اللحم أو من الأخ.

أى: اجتنبوا أن تذكروا غيركم بسوء في غيبته، فإن مثل من يغتاب أخاه المسلم كمثل من يأكل لحمه وهو ميت، ولا شك أن كل عاقل يكره ذلك وينفر منه أشد النفور.

ورحم الله صاحب الكشاف فقد قال عند تفسيره لهذه الجملة: قوله– تعالى–: أيحب

---

(١) راجع تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٧.

(٢) راجع تفسير ابن كثير ج ٧ ص ٣٥٩.." [١]

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٣١٦/١٣